د. محمد فريد عزت

الاتصال ووسائله الجماهيرية

التقليدية والتكنولوجية



دار النشر للجامعات

الاتصال

ووسائله الجماهيرية

التقليدية والتكنولوجية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عزت ؛ محمد فريد محمود

الاتصال ووسائله الجماهيرية التقليدية والتكنولوجية/ د. محمد فريد محمود عزت.

– ط1– القاهرة: دار النشر للجامعات، 2018.

384 ص؛ 24 سم.

تدمك: 5 547 316 977 978

1– وسائل الإعلام ، مصر

أ– العنوان 001.5

* تاريخ الإصدار: **1439هـ – 2018م**
* الناشـــــر: **دار النشر للجامعات – مصر**

* رقـم الإيـداع: **26397/ 2016م**
* الترقيم الد ولي: **ISBN: 978 - 977 - 316 - 547 - 5**
* الكـــــود: **463/ 2**



دار النشر للجامعات

ص.ب (130 محمد فريد) القاهرة 11518

E-mail: darannshr@hotmail.com

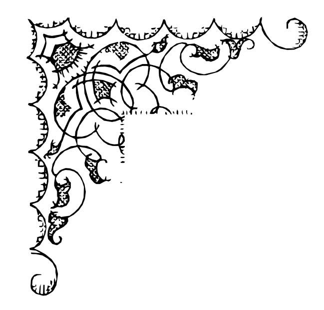
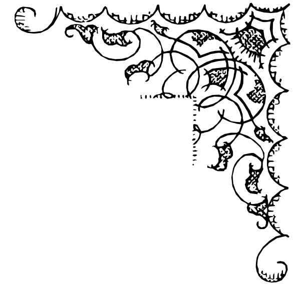
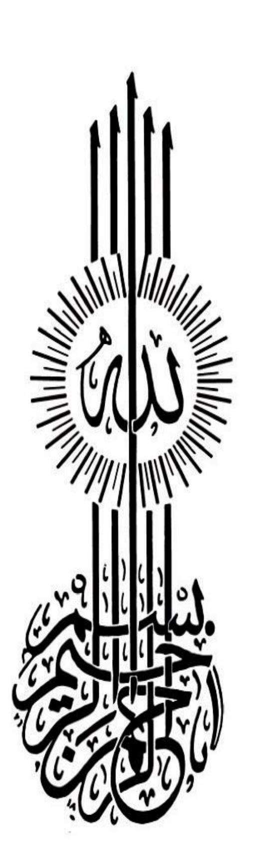
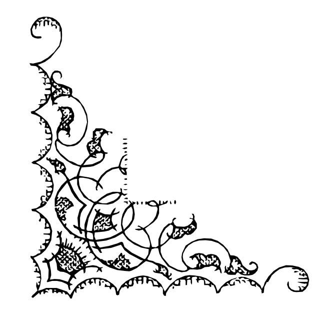
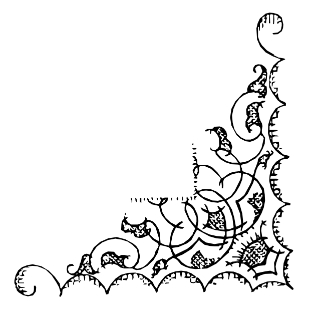
الاتصال

ووسائله الجماهيرية التقليدية والتكنولوجية

تأليف

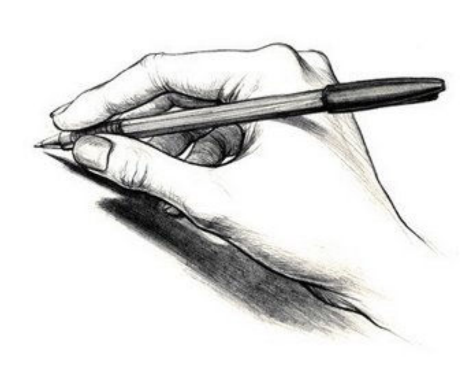
الدكتور / محمد فريد محمود عزت

المعهد الدولي العالي للإعلام بالشروق (سابقًا)




الله
بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة





إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بأشرف رسالة؛ بلاغًا للناس، وهدى ورحمة للعالمين، فبلغ الرسالة خير البلاغ، وأدى الأمانة خير الأداء .. وبعد.

فلم يعد هناك أي شك في القول إن عصرنا الحاضر هو عصر الاتصال، ليس لأن الاتصال ظاهرة جديدة في تاريخ البشرية؛ بل لأن وسائله الجماهيرية التكنولوجية الحديثة، قد تعددت وتنوعت طرق تبليغها للناس، وتطورت أساليب استخدامها لدرجة مذهلة، ألغت حاجز الزمان والمكان .. ولقد صدق من قال إن العالم أصبح الآن أشبه بقرية إعلامية، ما يحدث في أي بيت من بيوتها، يتردد صداه على الفور في جميع بيوت القرية؛ بفضل التقدم الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات.

وعلاوة على ذلك، فإن تلك الوسائل الاتصالية التكنولوجية الحديثة قد بلغت غايات بعيدة في عمق الأثر وقوة التوجيه وشدة الخطورة؛ فهي سلاح ذو حدين، تؤكد طبيعتها النتائج التي تترتب عليها، فإن أحسن استخدامها في الخير، أمكن أن تساهم مساهمة فعالة في عمليات الإصلاح والبناء والتعمير، وتحقيق التقدم والازدهار للأمم والشعوب، وفي المقابل إن أسيء استخدامها أمكنها أن تتمادى – إلى أبعد الحدود – في عمليات الإفساد والتضليل والهدم والتدمير، وفرضت على الأمم والشعوب مفاهيم وآراء هابطة، تنخر كالسوس في

عظامها، وتسلبها أعز ما تملك من ثروات وأصالة وقيم سامية وأهداف وغايات نبيلة.

ويدور هذا الكتاب حول دراسة الاتصال وكل ما يتعلق به منذ نشأة الخليقة إلى الآن. ويركز بعد ذلك على دراسة عدد من وسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية، والتي تطورت حاليًا، وأصبحت تستخدم التكنولوجيا الفضائية والرقمية، والتفاعلية الحديثة من حيث نشأتها وتطورها ومميزاتها وسلبياتها، وهذه الوسائل الجماهيرية الاتصالية هي: الكتاب، والصحافة، والسينما، والإذاعة، والتليفزيون، والهدف من كل ذلك إفادة دراسي الإعلام والمهتمين بالتعرف على وسائل الاتصال وغيرهم.

وبهذه المناسبة يهمني أن أعترف وأقرر حقيقة مهمة، وهي أنني قد استفدت بدرجة كبيرة من الكتب والدراسات السابقة ذات الصلة من قريب أو بعيد بموضوعات هذا الكتاب ..

فلأصحابها جميعًا منى خالص التقدير والامتنان، ولهم من الله سبحانه وتعالى - قبل ذلك - جزيل العطاء والإحسان.

وقد قسمت هذا الكتاب إلى مقدمة، وهي التي بين يديك الآن، ثم أربعة أبواب تشتمل على ثلاثة عشر فصلا .. وقد تضمن **الباب الأول فصلين** عن الاتصال ومراحل تطوره، وتناولت ذلك باختصار منذ بدايات الاتصال الضاربة في أعماق التاريخ والماضي البعيد.

وكان **الباب الثاني** عن وسائل الاتصال الجماهيرية المطبوعة التقليدية، وتضمن فصلين: هما: الفصل الثالث: عن تطور الكتاب التقليدي؛ باعتباره الوسيلة الاتصالية الجماهيرية الأولى التي استخدمها الإنسان بعد الوسائل البدائية لنقل أفكاره وأخباره وتسجيلها. وقد اعتمد طوال خمسة قرون من عمره على تقنيات الطباعة التقليدية وتطوراتها العديدة. وتتوافر فيه الشروط نفسها التي تتوافر فيما أتى من بعده من وسائل الاتصال الجماهيرية؛ فهو وسيلة غير مباشرة وجماهيرية في وقت معًا.

وجاء **الفصل الرابع** عن تطور الصحافة التقليدية؛ باعتبارها الوسيلة الاتصالية الجماهيرية المطبوعة التي زاملت الكتاب منذ منتصف القرن الخامس عشر، وتفوقت عليه في أداء الوظيفة الإخبارية والتثقيفية؛ لمواكبتها الأحداث الجارية يومًا بيوم وساعة بساعة.

وكان الباب الثالث: بعنوان وسائل الاتصال الجماهيرية المسموعة والمرئية التقليدية، وتضمن ثلاثة فصول هي: **الفصل الخامس** عن تطوير السينما التقليدية منذ اخترعها الفرنسي

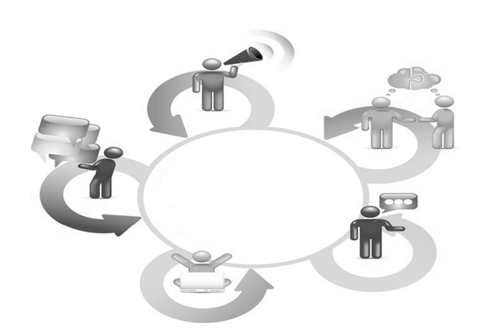
(لويس لوميير) عام 1895، **والفصل السادس** عن تطور الإذاعة (الراديو) التقيلدية، والتي أصبحت حقيقة واقعة من عام 1920. **والفصل السابع** عن تطوير التليفزيون التقليدي، والذي أخذ يزداد شهرة وانتشارًا في أنحاء العالم من عام 1940، وكانت الثلاثينيات من القرن العشرين (1930) قد شهدت عمليات تنافس ضخمة بين الدول الكبرى في مجال صناعة التليفزيون الأبيض والأسود، ثم الملون خلال الخمسينيات من القرن العشرين نفسه.

وكان **الباب الرابع** بعنوان وسائل الاتصال الإلكترونية التفاعلية، وتضمن ستة فصول هي: **الفصل الثامن** بعنوان عصر الاتصال الإلكتروني التفاعلي، وكانت الجذور الأولى لمعالمه قد بدأت خلال القرن التاسع عشر، واكتمل نموه في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث تحولت كل وسائل الاتصال الجماهيرية إلى استخدام التكنولوجيا الحديثة، **والفصل التاسع** عن الكتاب الإلكتروني التفاعلي، وهو يعد بمثابة أكبر الابتكارات الإلكترونية، التي كانت قد بدأت في الظهور في مجال تقنيات النشر أهمية منذ الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي شهدت الإرهاصات الأولى لكثير من الاختراعات التي دفع بعضها بالنشر الإلكتروني إلى أن يحتل مكانته الحالية؛ فمنذ الستينيات من القرن العشرين بدأ الانتقال التدريجي للكتاب من الشكل الورقي المطبوع إلى الشكل الإلكتروني الرقمي التفاعلي .. وكان الناشرون قد بدأوا من منتصف الثمانينيات من القرن العشرين في إنتاج الكتاب الإلكتروني، وإلى الآن والاثنان يتعايشان مع بعضهما البعض، ولن تكون الغلبة للوافد الجديد. **والفصل العاشر** عن الصحافة الإلكترونية الرقمية التفاعلية، وكانت التجارب الأولى التي أجرتها الصحافة للدخول إلى مجال النشر الإلكتروني قد بدأت في عقد السبعينيات من القرن العشرين؛ حيث تمت أول تجربة لنشر الأخبار الإلكترونية في عام 1971، وعلى الرغم من أن شبكة الإنترنت كانت قد بدأت منذ أواخر السبعينيات من القرن العشرين، إلا أنها لم تجد إقبالا كبيرًا من ناشري الصحف كوسيلة للنشر الإلكتروني إلا في عام 1993، عندما بدأت الشبكة العنكبوتية الدولية (الويب) في الظهور، وساعدتهم على الازدهار والاستفادة من التقنية الجديدة؛ لتعويض الانخفاض المتزايد في عدد قرائها وفي عائدات الإعلان. والصحافة الورقية المطبوعة والصحافة الإلكترونية يعيشان سويًّا في الوقت الحاضر وينتعشان معًا، ولن تكون الثانية بديلا حتميًّا للأولى أبدًا. **والفصل الحادي عشر** بعنوان السينما الرقمية التفاعلية منذ استخدم الحاسب الآلي والوسائط المتعددة الرقمية الفائقة في صناعة السينما، وعرض الأفلام

على الإنترنت، والمؤثرات البصرية الرقمية، والسينما التفاعلية. **والفصل الثاني عشر** بعنوان الإذاعة (الراديو) الرقمية التفاعلية والفضائية؛ حيث كانت الإذاعة الأكثر استفادة من نتاج تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ بما أتاحته من خصائص الرقمية والتفاعلية والمرونة والحركة منذ الستينيات من القرن العشرين؛ حيث تم التوصل إلى البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، ثم من خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين أيضًا؛ حيث ظهرت تكنولوجيا الأسلوب الرقمي، الذي أتاح جودة ونقاء الرسالة الاتصالية، وخلوها التام من عوامل التشويش. وظهر الراديو الرقمي الأرضي والفضائي، وراديو الإنترنت .. **والفصل الثالث عشر** بعنوان «التليفزيون الفضائي والرقمي التفاعلي» منذ ظهور تقنيات الإعلام الاتصالي الرقمية الجديدة، وبدء الثورة الخامسة للاتصال على وجه التحديد، بعد إطلاق الولايات المتحدة الأمريكية أول أقمار الاتصال الفضائية (تليستار) في يوليو 1962 وما تلا ذلك من وجود أنواع جديدة للبث الفضائي التليفزيوني المباشر والمفتوح والمشفر، والبث الرقمي والكابلي المدفوع الأجر وخدماته العديدة، والبث الفضائي عبر الويب والقنوات المتخصصة ... إلخ.

مدينة نصر في يوليو 2012م

د. محمد فريد محمود عزت



الباب الأول
الاتصال ومراحل تطوره

يتضمن هذا الباب فصلين:

الفصل الأول: حول الاتصال ومشتملاته

الفصل الثاني: مراحل تطور الاتصال



الفصل الأول
حول الاتصال ومشتملاته





إن الاتصال قديم قدم البشرية ذاتها؛ لأنه يتصل بحياة الإنسان، وينشأ بالضرورة في كل مجتمع مهما كان بسيطًا أو بدائيًّا .. وقد بدأ الاتصال في صورة ما مع بداية الحياة الاجتماعية للإنسان، وبمجرد أن أصبح الفرد عضوًا في جماعة، أصبح في مقدوره أن يستقي الأخبار والمعلومات وينقلها إلى غيره؛ فحيثما يوجد الإنسان تولد الأخبار؛ لأن أظهر صفة من صفات الإنسان الاجتماعية هي حب الاستطلاع لمعرفة الأخبار والاطمئنان على البيئة داخليًّا وخارجيًّا.

ومن الثابت أن رغبات الفرد الأولية، وحاجاته إلى الطعام والمأوى والجنس ترتبط برغبات أخرى اجتماعية؛ كالتعرف على الآخرين، ومراقبة البيئة، وجمع المعلومات المفيدة عن الطبيعة والإنسان والحيوان .. وهذه هي أهم سمة من السمات الإنسانية التي تساعد الفرد على التكيف مع البيئة، والانسجام مع غيره من الناس الذين يعيشون معه؛ لأن هذا التكيف هو الدليل على الصحة النفسية والسلامة الاجتماعية.

ويرجع أصل كلمة (اتصال Communication) في اللغة الإنجليزية إلى الكلمة اللاتينية (Communis)، ومعناها (Common) أي مشترك عام، وبالتالي فإن الاتصال كعملية يتضمن المشاركة أو التفاهم حول شيء أو فكرة أو إحساس أو اتجاه أو سلوك أو فعل ... إلخ.

وكلمة (الاتصال) في صيغة المفرد وكصفة (Communication) تستخدم للإشارة إلى عملية الاتصال التي يتم عن طريقها تبادل الأفكار والرسائل والمعلومات .. أما كلمة الاتصال في صيغة الجمع (Communicatons) فتشير إلى الوسائل التي تحمل المضمون أو مؤسسة الاتصال ذاتها.

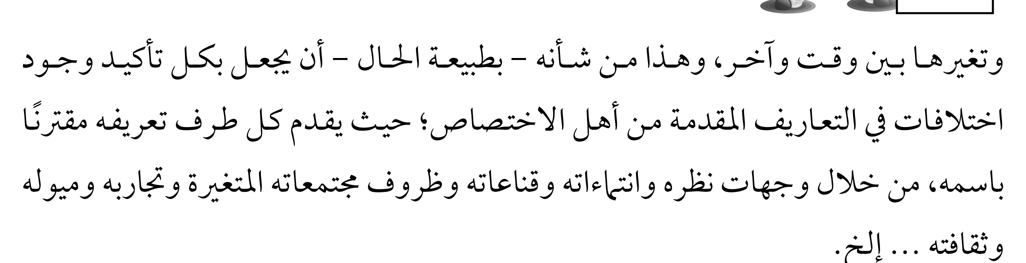
ولكن ماذا يعني الاتصال؟

إن الإجابة عن ذلك السؤال تأتي في إطار مضمون الجزئيات المهمة التالية، التي تشكل العمود الفقري لهذا الفصل، وهي: الاتصال بين المفهوم والتعريف، وأنواع الاتصال، ونماذج الاتصال، ومكونات (عناصر) عملية الاتصال، وعوامل فعالية عناصر الاتصال، ووظائف الاتصال للمجتمع والفرد .. ونتناول كل جزئية من هذه الجزئيات الستة بشيء من التفصيل في المطالب الستة التالية (•).

المطلب الأول
الاتصال بين المفهوم والتعريف

من الصعب الحصول على تعريف علمي واحد محدد شامل جامع مانع للاتصال، يتفق عليه جميع الباحثين والعلماء والمتخصصين في علم الاتصال؛ وذلك انطلاقًا من أن الاتصال مفهوم مركب متعدد الأبعاد، وهو أيضًا عملية تفاعل مستمرة ومتغيرة عبر الزمن، إلى جانب أن علوم الاتصال ما تزال في مراحلها الأولى؛ حيث لم يمض عليها إلا زمن يسير إذا قيست بما مر على غيرها من العلوم الإنسانية التي وضعت لها تعاريف شاملة جامعة، واتفق عليها الخبراء والمتخصصون .. زد على ذلك وجود الأيديولوجيات المختلفة في عالمنا المعاصر

(•) راجع في هذا الصدد – بصفة أساسية – جيهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام = القاهرة، دار الفكر العربي، 1975، ص40 وما بعدها)؛ وكذلك حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الخامسة، عام 2004، ص23 وما بعدها)؛ وكذلك حمدي حسن: مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال (القاهرة، دار الفكر العربي، 1987، ص63 وما بعدها)؛ وكذلك على عجوة وآخرون: مقدمة في وسائل الاتصال (جدة، مكتبة مصباح، 1989، ص18 وما بعدها)؛ وكذلك محمود علم الدين: مدخل إلى الفن الصحفي (القاهرة، بدون 2001، ص55 وما بعدها)؛ وكذلك ثروت مكي: الإعلام والسياسة .. وسائل الاتصال والمشاركة السياسية (القاهرة، بدون، 2005، ص17).



وتغيرها بين وقت وآخر، وهذا من شأنه - بطبيعة الحال - أن يجعل بكل تأكيد وجود اختلافات في التعاريف المقدمة من أهل الاختصاص؛ حيث يقدم كل طرف تعريفه مقترنًا باسمه، من خلال وجهات نظره وانتماءاته وقناعاته وظروف مجتمعاته المتغيرة وتجاربه وميوله وثقافته ... إلخ.

وبالرغم من هذا، فإن كل ذلك لا يقلل من أهمية دراسة التعاريف الموجودة، والبحث فيها؛ لمحاولة تلمس الطريق لتحديد مفهوم الاتصال ومواصفاته، وكلها تصب في صالح الدراسة العلمية نفسها .. ونقدم فيما يلي عددًا من التعريفات لكلمة الاتصال:

1) تعريف (كارل هوفلاند Karl Hofland): يقول فيه "إن الاتصال هو العملية التي ينقل بمقتضاها الفرد (القائم بالاتصال) منبهات (عادة رموز لغوية)؛ لكي يعدل سلوك الآخرين (مستقبلي الرسالة)". وفي هذه المسألة ينص التعريف على أن القائم بالاتصال ينقل عمدًا (منبهات) لإحداث تأثير معين.

2) ويقول جورج لندبرج (George Lundberg): "إن الاتصال هو نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطة العلامات والرموز (حركات وصور ولغة)، تعمل كمنبه للسلوك"، أي أن التفاعل يحدث بواسطة الرموز.

3) وتقول (جيهان أحمد رشتي): "إن الاتصال هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة (كائنات حية أو بشر أو آلات) في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات (منبهات) بين الأفراد عن قضية أو معنى أو واقع معين".

4) ويقول (سمير حسين): "إن الاتصال هو النشاط الذي يستهدف تحقيق العمومية أو الذيوع أو الانتشار لفكرة أو موضوع أو قضية، وذلك عن طريق انتقال المعلومات والآراء والاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أشخاص أو جماعات، باستخدام رموز ذات معنى مفهومة بالدرجة نفسها بين الطرفين".

5) ويعرف (محمد عبد الحميد) الاتصال بأنه: "العملية الاجتماعية التي يتم بمقتاضها تبادل المعلومات والآراء والأفكار في رموز دالة بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع؛ لتحقيق أهداف معينة".



ويتضح من هذه النماذج التي قدمناها لتعريف الاتصال أنها جاءت انعكاسًا لمفوم الاتصال كما هو في ذهن كل من قدم تعريفًا له .. ونحن نعرف أن عقول أصحاب هذه التعريفات للاتصال ومن يتصدى للتأليف فيه، ليست قوالب جامدة، وإنما تعبر عن قراءاتهم وثقافاتهم واتجاهاتهم وميولهم وتجاربهم الشخصية، ومن هنا رأى كل واحد منهم الاتصال من خلف منظاره هو المرتبط بتجربته الشخصية.

وهذه التعريفات - وغيرها كثير مما لم نقدمه هنا - تقدم للدارسين - كما ذكرنا - هذه الأذواق كلها؛ مما يجعلهم يضعون أيديهم فوق كل ما من شأنه أن يتجه بهم إلى طريق الفهم الكامل للاتصال، وما له علاقة به، ووضع أقدامهم عند درجات السلم الأولى، أو عند بداية طريق العمل الاتصالي.

وخلاصة القول إنه بالرغم من وجود الاختلاف في الصياغة، والذي يتضح بين تعريف وآخر، إلا أن ذلك لم يمنع وجود أكثر من جانب من جوانب الاتفاق بين هذه التعريفات؛ حيث اتفق أغلبها على وجود عدد من الأمور الجوهرية والأساسية التي ترتبط بالاتصال، وكانت أهم نقاط الاتفاق هي: يقدم القائم بالاتصال (منبهات) بين الأفراد، تعمل كمنبه يحقق سلوكًا معينًا .. واستخدام (رموز) ذات معنى مفهوم بالدرجة نفسها بين الطرفين، وكذلك (رموزًا دالة) بين الأفراد والجماعات ... إلخ.

المطلب الثاني
أنواع الاتصال

يمتاز الإنسان عن غيره من المخلوقات بأنه الكائن الحي الوحيد الذي يستعمل الرموز للدلالة على المعاني، أو التعبير عن الأفكار والعواطف والرموز، التي قد تكون صورة أو كلمة أو إشارة أو نغمة أو راية، أو حركة، تصدر عن أي جزء من أجزاء الجسم، أو غير ذلك.

والحيوان يستطيع أن يتفاهم مع غيره بالحركة والإشارة والنباح والعواء، وغير ذلك من الأصوات، بل إن الحشرات نفسها تتبادل الإشارات عن طريق قرون الاستشعار وغيرها، كما هو الحال في ممالك النحل والنمل على سبيل المثال، إلا أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي استطاع أن يطور هذه الوظائف العصبية باستعمال اللغة، وغيرها من وسائل التعبير.



ويتفق علماء النفس على أن الرموز اللغوية هي أرقى أنواع الرموز، وأقدرها على نقل المدركات من مجال الغموض اللاشعوري إلى حيز الوضوح الشعوري. واللغة في نظرهم هي مجموعة الرموز التي تنقل المعاني من إبهام الأحاسيس إلى نور الفكر، وفي رأيهم أن الرموز المصورة (Pictorial) لا يمكن أن تقوم مقام الألفاظ اللغوية؛ لأنها غامضة وغير محددة، ولا شك أن أدق الرموز للتعبير عن الأفكار هي الكلمات إذا استعملت استعمالا واعيًا.

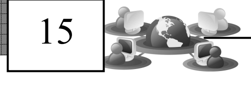
والحقيقة أنه توجد تصنيفات عديدة حول (أنواع الاتصال)، وسوف نتناول هنا أبسط تلك التصنيفات وأيسرها على الدراسين وخاصة المبتدئين، وسنكتفي - بناء عل ذلك - بالتركيز على استعراض تصنيفين رئيسن اثنين فقط من أنواع الاتصال: النوع الأول يقوم على أساس اللغة المستخدمة في عملية الاتصال، من حيث الاتصال اللفظي وغير اللفظي، والنوع الثاني: يعتمد على مستوى الاتصال، من حيث هو ذاتي، وشخصي، وجمعي، وعام، ووسطي، وجماهيري، وسيتم تفصيل ذلك على النحو التالي:

أولا : نوع الاتصال الإنساني من حيث اللغة المستخدمة، ويتم تقسيمه إلى مجموعتين أساسيتين :

1) الاتصال اللفظي Verbal Communication: فقد بدأ استخدام اللغة في التفاهم الإنساني، عندما تطورت المجتمعات وأصبحت قادرة على صياغة كلمات ترمز إلى معان محددة، يلتقي عندها أفراد المجتمع، ويعتمدون على دلالاتها في تنظيم علاقاتهم، والتعبير عن مشاعرهم .. والاتصال اللفظي يجمع بين الألفاظ المنطوقة والرموز الصوتية، فعبارة (أهلا وسهلا) مثلا يمكن أن تصبح ذات مدلولات أخرى بتغيير نبة الصوت مع (الحركة)، وهي من طرق الأداء غير اللفظية.

2) الاتصال غير اللفظي Non Verbal Communication: وهذا النوع من الاتصال هو الأقدم والأكثر صدقًا إذا توافر لرموزه عنصر الخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل، ويدخل ضمنه كل أنواع الاتصال التي تعتمد على اللغة غير اللفظية .. ويطلق عليه أحيانًا اللغة الصامتة (Silent Language) ويقسم إلى ثلاث لغات هي:

أ) لغة الإشارة أو اللغة الصامتة، ويستخدمها الإنسان في الاتصال بغيره.



ب) لغة الحركة أو الأفعال Action Language، التي يقوم بها الإنسان لينقل إلى غيره ما يريد من معان ومشاعر.

ج) لغة الأشياء Object Language، فالملابس والأدوات الفرعونية التي تستخدم على المسرح مثلا، يقصد من استعمالها نقل الإحساس بالزمن الفرعوني إلى المشاهدين؛ لكي يعيشوا فيها طوال المسرحية، وارتداء اللون الأسود يشير إلى الحزن الذي يعيش فيه من يرتديه، واللمبة الحمراء على باب المدير أو غرفة العمليات تعني عدم السماح بالدخول لأشخاص محددين، وأحيانًا يكون الحظر شاملا والراية الحمراء تعني الخطر، وهكذا ويذهب البعض إلى أن الاتصال غير اللفظي يمتد ليشمل تعبيرات الوجه والإيماءات والأزياء والرقص والبروتوكولات الدبلوماسية ... إلخ.

العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي:

كان من الطبيعي أن تتطور اللغة كوسيلة جديدة للاتصال في أحضان الاتصال غير اللفظي؛ تستقي منه الدعم حينًا، وتستعين به في التوضيح والتفسير حينًا آخر.

ولم يغن التطوير الكبير في استخدام الرموز اللفظية عن الاستعانة بالرموز غير اللفظية في حالات كثيرة؛ لتحقيق مزيد من الفاعلية والتأثير للرسالة الإقناعية.

ويعرض العالم (مارك ناب Mark Nab) ست مهام أساسية يؤديها الاتصال غير اللفظي في علاقته بالاتصال اللفظي، وهي على النحو التالي:

أ) **التكرار أو الإعادة:** حين تتحدث عن وجود شيء بالقول (هنا)، وتشير إلى المكان الذي فيه الشيء.

ب) **التناقض:** حين تطلب شيئًا معينًا، ثم تعطي إشارة لعدم إحضار الشيء .. توجد هنا رسالتان؛ الأولى لفظية، والثانية غير لفظية.

ج) **البديل:** غير اللفظي يمكن أن يكون بديلا للفظي؛ فتعبيرات الوجه مثلا تغني عن الاتصال اللفظي.

د) **مكمل أو معدل:** مثل الابتسامة أو التجهم بعد أن تطلب شيئًا من شخص ما.

ه) **التأكيد:** بالتركيز صوتيًّا على كلمات معينة مع تعبيرات الوجه الدالة.



و) **التنظيم**: مثل حركة الرأس أو اليدين بتغيير الأماكن، أو إعطاء إشارة لشخص آخر ليكمل الحديث أو عرض القضية المثارة.

ثانيًا: نوع الاتصال من حيث حجم المشاركين في العملية الاتصالية، ويمكن تقسيمه إلى ستة أنواع:

[ذاتي، شخصي، جمعي، عام، وسطي، جماهيري]، وذلك على النحو التالي:

1) **الاتصال الذاتي .Intrapersonal comm**: وهي العملية الاتصالية التي تحدث داخل الفرد حين يتحدث مع نفسه، وهو اتصال يحدث داخل عقل الفرد، ويتضمن أفكاره وتجاربه ومدركاته، وتقييمه للأفكار والأحداث والتجارب، وفي هذه الحالة يتحول الإنسان تلقائيًّا إلى مصدر ومتلقٍّ في الوقت نفسه؛ فالإنسان يفكر في موضوعات كثيرة معظم الوقت، ويقلب هذه الموضوعات على جوانبها المختلفة؛ ليصل إلى رأي معين، قد يحتفظ به لنفسه أو ينقله إلى الآخرين.

ويعتبر فهم هذه العملية التي تحدث بين الفرد وذاته أساس فهم عملية الاتصال؛ ذلك أن رد الفعل تجاه أي رسالة يستقبلها الفرد يتوقف على ناتج هذه العملية التي تحدث ذاتيا في جميع المواقف، وتتأثر بالمخزون الإدراكي لدى الفرد عن الأشخاص والرموز التي يتعرض لها في عملياته الانفعالية.

2) **الاتصال الشخصي Interpersonal Communtion**: لقد احتفظ هذا النوع من الاتصال بمكان الصدارة بين وسائل الاتصال الأخرى في قوة التأثير على مر العصور، ويسمى كذلك بالاتصال المباشر أو المواجهي (Face to face) بين شخصين أو أكثر في موضوع مشترك، ولهذا يسمى اتصالا (ثنائيًّا Dyadic) أو (ثلاثيًّا Triadic)، طبقًا لعدد المشاركين فيه.

ويتيح ذلك التعرف الفوري والمباشر على تأثير الرسالة، وبذلك يتاح للقائم بالاتصال فرصة تعديل رسالته؛ لتصبح أكثر فاعلية أو إقناعًا.

كما يتميز الاتصال الشخصي - بالإضافة إلى ما تقدم - بانخفاض تكلفة الاتصال، بالقياس للوسائل الأخرى، ويتطلب ذلك جمهورًا معروفًا وغير مشتت، وإمكانية استخدام اللغة المناسبة لمستوى الذين نتحدث إليهم، وسهولة تقدير حجم التعرض للرسالة، وتلقائية الاتصال، التي تظهر بوضوح في المحادثات غير الرسمية واللقاءات العابرة.

وبصفة عامة، فإن الاتصال الشخصي هو عبارة عن حوار بين فردين أو بين عدد قليل من الأفراد، ويستطيع فيه المرسل والمستقبل أن يتعرف على الآخر بشكل واضح، وأن يقدر مدى تفاعله وتأثره على نحو أقرب إلى اليقين منه إلى الحدس والتخمين.

3) **الاتصال الجمعي Group Coomunication**: إذا زاد عدد أفراد الجمهور المستقبل عن الحد الذي يمكن المرسل من معرفة جميع أفراده، وتقدير مدى تفاعلهم وتأثرهم برسالته بشكل يقيني مؤكد، انتقل الأمر من دائرة الاتصال الشخصي - السابق عرضه - إلى دائرة أوسع، تعرف بالاتصال الجمعي، وهو ذلك النوع من الاتصال المواجهي الذي يقوم فيه المرسل بمخاطبة عدد محدود من الجمهور في مكان معين، وفي وقت محدد، ويستطيع أن يقدر - بشكل تقريبي - مدى تفاعلهم مع ما يقول، وتأثرهم بما يقال، وليس من الضروري أن تكون المعرفة فردية - كل فرد على حدة - مثلما هو الحال في الاتصال الشخصي. والاتصال الجمعي بصفة عامة يحدث بين مجموعة من الأفراد، مثل الأسرة أو زملاء الدراسة والعمل، أو جماعات الأصدقاء، عند اتخاذ قرار أو حل مشكلة؛ حيث تتاح فرصة المشاركة للجميع في المؤقف الاتصالي.

4) **الاتصال العام Public Cammunication**: ويعني وجود الفرد مع مجموعة كبيرة من الأفراد، مثل المحاضرات العامة والندوات وغيرها، ويتميز التفاعل بين أعضاء هذا النوع بأنه مرتفع، كما يتميز بوحدة الاهتمام، والمصلحة المشتركة، والالتقاء حول الأهداف العامة، وعادة ما يتم هذا النوع من الاتصال في أماكن التجمعات التي تقام خصيصًا لهذا الغرض.

5) **الاتصال الوسطي Medi (or) Media Communication**: يحتل هذا النوع من الاتصال مكانًا وسطًا بن الاتصال المواجهي الشخصي - السابق التعرض له - وبين الاتصال الجماهيرى الذي سنتعرض له بعد قليل، ويشتمل الاتصال الوسطى على الاتصال السلكي من نقطة إلى أخرى، مثل: الهاتف، التلكس، الراديو المتحرك، الأفلام التليفزيونية، من خلال الدوائر المغلقة.

ويشبه الاتصال الوسطي اتصال المواجهة الشخصي، من حيث قلة عدد المشاركين في الاتصال .. المتلقي شخص واحد أو أكثر، ومعروف للقائم بالاتصال، والرسالة ذات طابع خاص. ويمتلك الاتصال الوسطي كذلك خصائص الاتصال الجماهيري؛ إذ يمكن أن يكون جمهوره غير متجانس، والمشاركون فيه بعيدين مكانيًّا عن بعضهم بعضًا، ويستقبلون الرسالة نفسها في أماكن متعددة، ويستخدم قنوات اتصال باهظة التكاليف (مثل: شبكات المعلومات



والمؤتمرات عن بعد وغيرها)، ويستخدم معدات ميكانيكية أو إلكترونية في نقل الرسالة الاتصالية.

6) **الاتصال الجماهيرى Mass Communication**: يتم هذا النوع من الاتصال باستخدام وسائل الاتصال الجماهيرية التي تتميز بقدرتها على توصيل الرسائل الاتصالية إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، والأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، وتصلهم الرسالة الاتصالية في اللحظة نفسها، من مرسل إلى عدد كبير من الناس، وتستخدم معدات ميكانيكية أو إلكترونية، مثل: الكتب والصحف والسينما والراديو والتليفزيون .. وسنتعرض لكل هذه الوسائل التقليدية والتكنولوجية الحديثة في الأبواب التالية بشيء من التفصيل.

وتحتاج وسائل الاتصال الجماهيرية إلى توافر شروط لازمة لنموها في أي مجتمع وهي:

أ) وجود قاعدة اقتصادية متينة، توفر التمويل اللازم للحصول على تكنولوجيا الاتصال من مطابع حديثة ومحطات راديو وتليفزيون وأقمار صناعية ... إلخ؛ مما يسهل عملية النشر والبث للرسائل الاتصالية المطبوعة والإلكترونية والمسموعة والمرئية والرقمية والتفاعلية، وسنتعرض لذلك في موضعه من هذا الكتاب فيما بعد.

ب) وجود قاعدة علمية وثقافية في المجتمع، يكون بإمكانها إنتاج المعلومات وتوزيعها واستهلاكها؛ فالكتب والصحف مثلا يزداد توزيعها في المجتمعات المتعلمة المثقفة، وتقل في المجتمعات الأمية.

ج) وجود مناخ ملائم؛ من حرية الرأي والتعبير؛ حيث تعبر وسائل الاتصال عن مصالح الناس وآرائهم؛ مما يوفر لها شعبية وجمهورًا واسعًا.

د) وجود قدر معقول من الكثافة السكانية في المجتمع، يمكنها أن تستهلك نتاج الوسائل الإعلامية.

ه) الإمكانات التكنولوجية المتاحة، مثل البرق والهاتف والإنترنت والأقمار الصناعية والمطابع الحديثة، وغيرها من المستحدثات التكنولوجة؛ مما يسهم في دعمها وتطورها.

خصائص الاتصال الجماهيري:

تؤثر وسائل الاتصال الجماهيرى في الأفراد والمجتمعات بشكل مباشر .. ويختلف الاتصال الجماهيرى عن أنواع الاتصال الأخرى من عدة نواحٍ:

1) يعتمد على التكنولوجيا أو وسائط النقل (ميكانيكية أو إلكترونية)، مثل الصحف والراديو والتليفزيون والسينما وغيرها؛ بهدف نشر الرسائل الاتصالية على نطاق واسع وبسرعة إلى الجماهير المتناثرة، وكل وسيلة لها طبيعة اتصال خاصة.

2) يعمل الاتصال الجماهيرى على تقديم معانٍ مشتركة للملايين الذين لا يعرفون بعضهم معرفة شخصية؛ فالمرسل والمتلقي لا يعرفان بعضهما معرفة حقيقية.

3) تتسم المصادر في الاتصال الجماهيرى بكونها ناتجة عن منظمات رسمية (شبكات، سلاسل) والاتصال هنا عبارة عن إنتاج جماعي.

4) تتسم رسائل الاتصال الجماهيرى بالعمومية؛ حتى تكون مقبولة ومفهومة من الجماهير المتعددة.

5) يتم التحكم في الاتصال الجماهيرى من خلال العديد من حراس البوابة الإعلامية، في شكل ومحتوى الرسائل الاتصالية التي تنقلها وسائل الإعلام.

6) يكون رجع الصدى متأخرًا في الاتصال الجماهيرى التقليدي عن أنواع الاتصال الأخرى، وخاصة وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة، وهذا يقلل من فرصة التعرف الفوري على جدوى الرسالة وتأثيرها بالنسبة للمرسل والمستقبل.

المطلب الثالث
نماذج الاتصال

النموذج يعد تمثيلا للواقع، ولكن بصورة رمزية، فتستخدم الخريطة لتمثيل المكان، ويستخدم الهيكل العظمي لتمثيل أعضاء جسم الإنسان، ومدرب كرة القدم يصمم رسمًا، يوضح فيه تحركات اللاعبين وفي دراسة الاتصال يستخدم النموذج لكي يعبر عن واقع عملية الاتصال، والنماذج الاتصالية عبارة عن أدوات تساعد على فهم الظاهرة أو النظام، وإدراك العلاقات بين العناصر الأساسية في تلك الظاهرة، ويتيح نموذج الاتصال للباحثين

أبسط وأفضل الطرق لتفسير التفاعل البشري، الذي يتسم بالتعقيد الشديد، وهناك تقسيمات عديدة لنماذج الاتصال توصل إليها الخبراء والمتخصصون .. ويميل بعض العلماء إلى تقسيم النماذج إلى نوعين رئيسن، هما: النماذج الخطية (أحادية الاتجاه)، والنماذج التفاعلية (ثنائية الاتجاه)، وذلك على النحو التالي:

النوع الأول: النماذج الخطية (أحادية الاتجاه Linear Models):

ونتناول فيما يلي عددًا من تلك النماذج أحادية الاتجاه:

أ) نموذج أرسطو: يرى أن البلاغة [الاتصال] هي البحث عن جميع وسائل الإقناع المتاحة، وقد نظم دراسته تحت العناوين الرئيسة الثلاثة الآتية، وهي:

1- الخطيب (المرسل).

2- والخطبة (الرسالة).

3- والمستمع (المتلقي). ونظرًا لأن الخطبة كانت هي الوسيلة الأساسية للاتصال في المدن الإغريقية، فقد كان الإقناع الشفوي هو أقرب الشبه بالاتصال الذي نعرفه حاليًا، وجدير بالذكر أن نماذج الاتصال التي تلت ذلك قد اعتمدت – إلى حد كبير – على نموذج أرسطو الكلاسيكي هذا.

ب) نموذج عالم السياسة الشهير هارولد لازويل (Harold Lasswell):

ويقترح هذا النموذج خمسة أسئلة أساسية للتعبير عن الاتصال، وهي:

من؟: who (المرسل) .. يقول ماذا؟ Says What (الرسالة) .. بأية وسيلة؟ In what channel (قناة) .. لمن؟ To whom (المستقبل) .. وبأي تأثير؟ With what Effect. ويتفق نموذج لازويل هذا مع ما قاله أرسطو في المصدر والرسالة والمتلقي، ولكنه يعطي الأهمية نفسها للوسيلة التي تنقل الرسالة، وكذلك الأثر الناتج عن الرسالة .

ج) نموذج كلود شانون ووارين ويفر (Claude Shannon & warren weaver):

يعتبر هذا النموذج أكثر نماذج الاتصال شهرة، وقدمه شانون في عام 1948، وحظي بشهرة واسعة، ويضم سبعة عناصر أساسية لعملية الاتصال وهي:

1- مصدر معلومات Source.

2- ينقل رسالة Message.

3- عبر جهاز إرسال Transmitter.

4- يحمل الإشارة (الرموز) Encoding signal.

5- يحدث تشويش Noise.

6- جهاز استقبال يتلقى الإشارة decoding.

7- الهدف: المتلقي (Destination).

ويتضح من ذلك وجود مصدر يختار رسالة، ويضعها في كود (رموز)، بواسطة جهاز إرسال، يحول الرسالة إلى إشارات، ثم يقوم جهاز الاستقبال بفك كود الإشارات، ويحولها إلى رسالة، يستطيع الهدف (المتلقي) أن يستقبلها. والتغيرات التي تطرأ على الرسالة ترجع إلى التشويش (ميكانيكي أو دلالي)، حين يسيء الفرد الفهم أو يحرف الرسالة.

د) نموذج ديفيد برلو (David Berlo):

نشره في عام 1960، ويتضمن أربعة عناصر رئيسة، تختصر في حروفها الأولى (SMCR) وهي :

1) مصدر Source.

2) رسالة Message.

3) وسيلة Channel.

4) متلقٍ Receiver.

وإلى جانب هذه العناصر الأربعة الأساسية يوجد عنصران فرعيان، هما:

1) المرمز encoder: يضع الرسالة في شكل رموز [صوت - كتابة]، وهذا العنصر يرتبط بالمصدر.

2) جهاز فك الشفرات Decoder: وهو العنصر الذي يقوم بفك رموز الرسالة، مثل الأذن في الاتصال الشفوي، والعين في الاتصال المكتوب والمرئي.

النوع الثاني الرئيس: النماذج التفاعلية (ثنائية الاتجاه) Interaction Models:

حين نصف أمرًا على أنه (عملية Process) يعني أنه ليس له بداية أو نهاية أو تسلسل في الأحداث، ويراعي فيه اتجاهات الفرد والظروف الاجتماعية، وليس الرسالة فقط مثل الاتصال أحادي الاتجاه، وليس عملية تفاعلية الاتجاه، ونعرض فيما يلي نموذجين اثنين فقط، هما: نموذج (روس)، ونموذج (ولبورشرام).

أ) نموذج روس (Ross)، يعتمد على ستة عناصر أساسية، هي:

1- المرسل Sender.

2- الرسالة message .

3- الوسيلة channel.

4- المتلقي Receiver.

5- رجع الصدى Feed Back.

6- السياق [المناخ العام] Context.

حيث يبدأ المرسل في وضع أفكاره في (كود)، يتضمن المنبهات التي تتفق مع وجهات نظره، ويتم نقل فكرة الرسالة في شكل منبهات، من خلال القنوات والوسائل التي تحمل الرسالة إلى المتلقي، ثم يفك المتلقي رموز الرسالة ويستوعبها، ويتضمن ذلك اختيار المنبهات التي تتفق مع ثقافته وخبرته، وبعد ذلك يمكنه أن يستجيب لها أو لا، وهذه هي رجع الصدى، أي رد الفعل، الذي يتيح للمرسل معرفة مدى تحقيق الرسالة لهدفها.

ويؤكد (روس) على أهمية الظروف أو المناخ العام Context للحالة التي يحدث فيها الاتصال، ويتضمن هذا السياق العام مشاعر واتجاهات وعواطف المرسل والمستقبل، وتجاربهما السابقة، ويسمى هذا المناخ العام أو الظرف الاتصالي.



ب) نموذج ولبور شرام (Wilbur schramm): قدم شرام هذا النموذج عام 1954، وطوره في عام 1971، ويتضمن ستة عناصر هي:

1) مرسل.
2) رسالة.
3) وسيلة.
4) متلقٍّ.
5) رجع الصدى.
6) الخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل.

ويسهل عملية الاتصال تعلم اللغات لنقل الرسائل بها، وتحمل التشويش عند الشعور بأهمية ما يذاع، ويسعى الفرد للتعرض للرسائل المفضلة له والكتاب الذين يحبهم .. وإذا أراد المرسل أن يجعل المتلقي يقبل على رسالته ويختار التعرض لها، فإن عليه أن يقلل من الجهد الذي سوف يتطلبه التعرض إليها وإدراكها، وإذا كان الجهد كبيرًا، يفضل أن يعمل المرسل على زيادة الجزاء الذي يحصل عليه المتلقي من جراء اختيار تلك الرسالة، ويقلل قدر العقاب أو الضرر أو الأذى الذي يترتب على التعرض إليها وإدراكها، وهذا يفسير السبب في عدم فعالية التشويش في وقف الاستماع إلى الإذاعات الأجنبية الموجهة؛ ذلك أن بعض الناس يشعرون بأهمية هذه الإذاعات، واحتياجهم إلى سماع وجهات نظر مختلفة. لذلك يتحملون التشويش أو حتى العقاب أحيانًا في مقابل الجزاء الذي يحصلون عليه من الاستماع.

ويشير (ولبورشرام) إلى أن كثيرًا من التعرض للأحداث أو الوسائل يتم بالصدفة، لمجرد وجود الفرد في مكان الحدث أو الرسالة، ومن ناحية أخرى يسعى الفرد للتعرض إلى أنوع الرسائل المجزية له، مثل برامج التليفزيون والإذاعة المفضلة وكتاب الصحف الذين يحبهم، كذلك يرى شرام أن رجع الصدى عنصر ضروري لكل من المرسل والمستقبل؛ لأنه يخبرنا كيف تفسر رسائلنا، وكيف يستجيب لها الجمهور؛ أما فكرة التشويش فهي تلفت انتباهنا إلى حقيقة أن الرسالة يحتمل أن يحدث لها تدهور قبل أن يفك المتلقي رموزها ويفسرها، وأنه في

حالة الاتصال البشري، كما في حالة الاتصال الإلكتروني، يجب أن تكون نسبة الإشارات عالية، أي يجب تكرار الرسالة مثلا للتغلب على عنصر التشويش.

المطلب الرابع
مكونات (عناصر) عملية الاتصال

بناء على طرح نماذج الاتصال السابقة، سواء أكانت خطية (أحادية الاتجاه) أو تفاعلية (ثنائية الاتجاه) - فقد اختلف المتخصصون في تحديد عدد المكونات (العناصر) الأساسية لعملية الاتصال؛ فمنهم من حددها بخمسة عناصر أساسية، هي:

1- المصدر أو المرسل.

2- الرسالة.

3- الوسيلة أو القناة.

4- المستقبل أو المتلقي.

5- رجع الصدي.

ومنهم من حددها بستة عناصر؛ حيث أضاف إلى الخمسة السابقة عنصر الخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل، ومنهم من زادها إلى ثمانية، بإضافة عنصرين آخرين إلى الستة السابقة، وهما: عنصر التشويش الميكانيكي أو الدلالي، وعنصر الأثر. ومنهم من حددوها بتسعة عناصر، بإضافة عنصر آخر على الثمانية السابقة، وهو عنصر (السياق).

وأنا أميل إلى التقسيم الأول الذي يحددها في خمسة عناصر أساسية، باعتبار أن العناصر الأربعة الزائدة على ذلك تدخل كلها ضمن العناصر الخمسة الأساسية الأولى، وفق ما سيتضح لنا من الشرح المفصل للعناصر التسعة التي سنعرفها فيما يلي؛ باعتبار أن تقسيم هذه العملية إلى مجموعة من العناصر - أيًّا كان عددها - يستهدف - في المقام الأول - الشرح والتبيسط للدارسين، ولا ينفي ذلك مدى التركيب والتعقيد والتداخل، وعدم إمكانية الفصل بين هذه العناصر في الواقع الحقيقي، مع التأكيد على أن عملية الاتصال تتسم بالاستمرارية - كما سبق ذكره - وليس لها بداية ولا نهاية، وعلى هذا الأساس يمكن عرض المكونات (العناصر) الأساسية لعملية الاتصال المواجهي أو الجماهيري، التي تتضمن تسعة

عناصر متشابكة ومتداخلة مع ظروف نفسية واجتماعية، تؤثر في النهاية على انتقال الأفكار والآراء بين الأفراد والجماعات، وتشمل هذه العناصر:

1- المرسل.

2- المتلقي.

3- الخبرة المشتركة.

4- الرسالة.

5- الوسيلة أو القناة.

6- التشويش.

7- رجع الصدى.

8- الأثر.

9- السياق أو بيئة الاتصال .

وذلك على النحو التالي:

1) المصدر أو المرسل Source (or) sender:

هو الذي يبدأ الحوار بصياغة أفكاره في رموز تعبر عن المعنى الذي يقصده، فإذا نجح في اختيار الرموز المناسبة للتعبير عن فكره تعبيرًا دقيقًا وواضحًا، يكون بذلك قد وضع فكره على الطريق الصحيح، وإذا لم يتستطع انهارت عملية الاتصال في مراحلها الأولى، وتحولت إلى عبث يضر ولا ينفع. ومما يجدر ذكره هنا أن عدم نجاح المرسل في ذلك هو ما نطلق عليه عنصر التشويش، الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد، وهو ما يسمى تشويش دلالي، وهذا من التداخل الذي سبق أن ذكرناه بين تلك العناصر الأساسية لعملية الاتصال؛ حيث وجدنا التشويش داخل في عنصر المرسل، وسيتداخل التشويش أيضا في عناصر تالية سيأتي بيانها فيما بعد.

وقد يكون المصدر هو نفسه القائم بالاتصال أو المرسل، وغالبًا ما يتيح ذلك إرسالا ناجحًا، أما إذا كان المرسل غير المصدر فهنا تمر عملية صياغة الرسالة بمرحلتين، بدلا من مرحلة واحدة، وقد يكون ذلك في صالح الرسالة أو العكس.

ويحدد (ديفيد برلو) - الذي سبق عرض نموذجه الاتصالي - أربعة شروط، يجب أن تتوافر في المرسل لينجح في مهمته وهي:

- **الشرط الأول: مهارات الاتصال عند المصدر:** حيث توجد خمس مهارات أساسية هي: مهارة الكتابة، ومهارة التحدث، ومهارة القراءة، ومهارة الاستماع، والقدرة على التفكير السليم ووزن الأمور؛ مما يساعد على تحديد الهدف.

- **الشرط الثاني: اتجاهات المصدر:** فالثقة بالنفس عند المصدر تولد عند المتعاملين معه ثقة فيما يقوله ويفعله، وإذا كان اتجاه الفرد نحو الموضوع إيجابيًّا سيكون الاتصال فعالا.

أما إذا لم يقتنع المصدر بصدق ما يقوله، يصبح من الصعب عليه إقناع الآخرين. وحين يدرك المتلقي أن المصدر يحترمه ويتعاطف معه، يصبح أقل انتقادًا لرسائله، ويزداد احتمال تفهمه واستيعابه للأفكار المقدمة.

- **الشرط الثالث: مستوى معرفة المصدر:** يؤثر في رسالته، فلا نستطيع مثلا أن ننقل بفعالية مضمونًا لا نفهمه، كما أن المتخصص أكثر من اللازم قد لا ينجح؛ لعدم قدرته على التبسيط، واستخدام مصطلحات قد لا يفهمها المتلقي.

- **الشرط الرابع: النظام الاجتماعي والثقافي:** فالقائم بالاتصال يتأثر بمركزه الاجتماعي والثقافي؛ لأن هذا المركز سيؤثر على سلوكه الشخصي بوجه عام.

2) المتلقي Receiver:

كل ما ذكر سابقًا عن المرسل ينطبق أيضًا على المتلقي، وأحيانا ما يكون المرسل والمتلقي شخصًا واحدًا في الاتصال الذاتي مثلا، وكذلك يتحول المصدر إلى متلقي في الاتصال المواجهي الشخصي، وفي الاتصال التفاعلي .. والمتلقي هو أهم حلقة في عملية الاتصال؛ فهو القارئ للصحيفة مثلا، أو المستمع للإذاعة، أو المشاهد للتليفزيون والسينما، وغيرها من

وسائل الاتصال؛ ولذلك يجب أن يضع المصدر في اعتباره طبيعة المتلقي ويفهمها؛ لتحقيق الهدف.

والمتلقي لا يستقبل الرسالة ويتأثر بها مباشرة، وإنما يقوم بعمليات تنقيح وتنقية حسب سماته النفسية والاجتماعية ومستوى تعليمه ... إلخ؛ ففي خلال عملية انتقال الرسالة من المرسل إلى المستقبل قد يطرأ عليها تحريفات في الصوت أو الكتابة، وهذا ما نسميه عنصر التشويش وتدخله في هذا الصدد .. ويمكن التغلب على ذلك من خلال تكرار الرسالة؛ حتى يفهم المتلقي ما يخفى عليه من جوانب الرسالة، كذلك يتأثر المتلقي بالعوامل الانتقائية.

3) الخبرة المشتركة Field of Experience:

كل فرد يحمل خبرات وعادات وتقاليد ومعارف واتجاهات وسلوكيات ... إلخ، تصاحبه أينما ذهب وطوال حياته، وعندما يكون الذين نتصل بهم لديهم خبرات مشابهة لنا، فإن التفاهم وتحقيق نجاح الاتصال يكون متاحًا بطريقة فعالة، والعكس بالعكس، وهذا العنصر له صلة مباشرة بعناصر المرسل والمتلقي والرسالة، ويدخل ضمنًا فيها جميعًا .. ومن هنا وجدنا الذين حددوا العناصر بأنها خمسة فقط لم يجعلوا هذا العنصر منفردًا؛ لأنه داخل في العناصر الثلاثة الأساسية، ويتشابك معها، ويكون سببًا في تحقيق أهدافها ونجاحها في مهمتها.

4) الرسائل Messages:

الرسالة هي مضمون السلوك الاتصالي؛ فالإنسان يرسل ويستقبل رسائل متنوعة وكثيرة، بعضها يتسم بالخصوصية، مثل الحركات والإيماءات والإشارات والابتسام والعبوس والغضب والضجر ... إلخ، وكلها تندرج تحت الاتصال غير اللفظي .. وبعضها الآخر يتسم بالعمومية، مثل الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والصحف والإذاعة والتليفزيون والسينما وغيرها .. وبعضها يتم نقلها عن قصد وأخرى بغير قصد. وكلما كان هناك تفاعل وفهم مشترك بين المرسل والمستقبل نجحت الرسالة، ومن السهل على المتلقي أن ينتقي الرسائل أو يتجاهلها بغلق الراديو أو التليفزيون، أو إلقاء الصحيفة أو الكتاب جانبًا، كما أنه يتقبل بعض ما يكتب ويذاع، ويرفض بعضها .. ولابد أن يكون لجوانب من هذه الرسائل أثر عليه،

والأثر هذا هو عنصر من ضمن العناصر التسعة، ولكنه يدخل ضمن العناصر الخمسة أو الستة حسب تقسيم البعض، وسيأتي شرحه مستقبلا.

وهناك ثلاثة أمور يجب أخذها في الاعتبار بالنسبة للرسالة حتى تحقق هدفها وتنجح في العملية الاتصالية، وهي:

الأمر الأول: كود الرسالة: وهو مجموعة الرموز التي إذا وضعت في ترتيب معين يصبح لها مغزى عند المتلقي، والرموز هذه هي مفردات اللغة.

الأمر الثاني: مضمون الرسالة: وهو مادة الرسالة التي تعبر عن أهداف المصدر، وتتمثل في العبارات والمعلومات والاستنتاجات والأحكام ... إلخ.

الأمر الثالث: معالجة الرسالة: فالمصدر قد يختار معلومة معينة ويتجاهل أخرى .. والدليل الذي يثبت به رأيه .. يذكر كل الحقائق في رسالته، وقد يترك للمتلقي مهمة تكملة تلك التي لم يذكرها في الرسالة .. ويتخذ كل فرد القرارات التي تحقق أهدافه بأفضل شكل متاح.

5) الوسائل (القنوات) Channels:

تصل الرسائل للمتلقين عبر قنوات متعددة؛ فالرسالة الشخصية نستقبلها عن طريق الحواس المادية (السمع - النظر - الشم - اللمس - التذوق)، والرسائل العامة نتلقاها عبر وسائل الاتصال الجماهيرية (صحف - إذاعة - تليفزيون - سينما ... إلخ)، وتؤثر طبيعة الوسيلة الموصلة في الرسائل المنقولة، بحيث تزيد أو تقلل من فعاليتها .. وقد يكون المصدر قادرًا على الكتابة أفضل من الحديث أو الخطابة، وقد يفضل الجمهور التليفزيون على الراديو أو العكس .. ونحن نعلم أن استخدام وسيلتين أفضل من استخدام وسيلة واحدة .. والمتلقي لا يستطيع أن يحتفظ بالمعلومات الشفهية لمدة طويلة، مثل المادة المرئية أو المكتوبة.

ويتحكم في استخدام وسيلة الاتصال عدة عوامل، منها ما يلي:

أ) طبيعة الفكرة المطروحة أو الهدف الذي نسعى لتحقيقه من خلال رسالة معينة.

ب) خصائص الجمهور المستهدف؛ من حيث عاداته الاتصالية وفاعليته للتأثير، من خلال أسلوب معين، يتحقق بشكل فعال عن طريق وسيلة معينة.



ت) تكاليف استخدام الوسيلة بالنسبة لأهمية الهدف المطلوب.

ث) أهمية عامل الوقت بالنسبة للموضوع الذي يتناوله الاتصال.

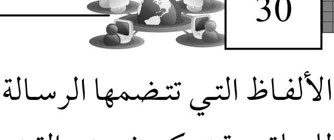
ج) مزايا كل وسيلة وما تحققه من تأثير على الجمهور المستهدف .. فالمادة المكتوبة - كالصحف والكتب - تنجح فقط مع الجمهور المتعلم، والإذاعة والتليفزيون والسينما وغيرها تصلح للجمهور المتعلم وغير المتعلم، وهكذا.

6) التشويش Noise:

هو أي عائق يحول دون القدرة على الإرسال أو الاستقبال بشكل جيد، وعدم انتظام تدفق الرسالة بالشكل المطلوب .. وقد يأتي التشويش من المرسل أو من وسيلة الاتصال أو من المستقبل، وواضح أن عنصر التشويش متداخل مع تلك العناصر الأساسية السابقة، ويرتبط بها، ويتشابك معها؛ ولذلك لم يفرده التقسيم الخماسي السابق ذكره بعنصر مستقل .. وكلما زاد التشويش قلت فعالية العناصر الثلاثة الأساسية، والعكس بالعكس.

وهناك نوعان من التشويش أو العوائق، وهما: التشويش الميكانيكي أو الآلي، والتشويش الدلالي أو اللفظي .. **النوع الأول:** يعني أي تداخل تقني مقصود أو غير مقصود يطرأ على إرسال الرسالة (الإشارة) في رحلتها من المرسل إلى المتلقي، مثل استخدام ترددات غير مناسبة في الإرسال، والضجيج وتداخل الأصوات، أو حدوث خلل كهربائي، أو عيوب في صوت المرسل؛ كأن يكون نطق المرسل للحروف غير واضح، أو يتحدث بسرعة شديدة، أو ضعف في حاستي السمع والبصر عند المتلقي، أو نتيجة مؤثر نفسي وجسماني ... إلخ، وعدم فهم المرسل للمستقبل، وعدم قدرة المرسل على التعبير الصحيح، واختيار العبارات التي يفهمها المستقبل.

والنوع الثاني: هو التشويش الدلالي: ويحدث داخل الفرد حينما لا يفهم المرسل والمستقبل بعضهما البعض؛ لسبب من الأسباب، كأن يستعمل المرسل في رسالته مفردات غير مألوفة، يصعب على المستقبل فهمها بسهولة، وعدم وضوح قصد المرسل وما يريد في الرسالة، فيفهم المستقبل الرسالة بطريقة مغايرة لما أراده المرسل وما يريد من الرسالة، فيفهم المستقبل الرسالة بطريقة مغايرة لما أراده المرسل، أو استخدام معانٍ مختلفة للكلمات، مثل التورية في اللغة العربية، ويمكن الإقلال من العوائق الدلالية واللفظية باتباع الدقة في تحديد معاني



الألفاظ التي تتضمها الرسالة، بعيدًا عن أي تأويل. ومن المعوقات أو التشويش بالنسبة للمتلقي قد يكون عدم القدرة على الإصغاء، وخاصة لمدة طويلة، وقد يكون المستوى العلمي للمستقبل ضعيفًا، وما ينتج عن ذلك من عدم القدرة على التحليل والاستنتاج، أو عدم ملاءمة ظروفه لاستقبال الرسالة .. وقد تكون الظروف نفسية أو مادية.

7) رجع الصدى Feed Back:

هو في حقيقة الأمر عبارة عن رسالة مرتدة من المتلقي إلى المرسل ردًّا على رسالته التي بدأ بها الحوار. وبناء على ما تتضمنه الرسالة المرتدة يقرر المرسل ما إذا كانت الرسالة حققت أهدافها من عدمه، ويحدد شكل ومضمون الرسالة التالية في حالة الاتصال الشخصي. ويعرف في نهاية الموقف الاتصالي – إلى حد ما – مقدار نجاحه في التأثير على المستمع ... إلخ.

وبناء على ذلك، توجد أربع طرق للنظر إلى رجع الصدى، هي:

الطريقة الأولى: قد يكون رجع الصدى إيجابيًّا Positive أو سلبيًّا Negative، ويشجع الإيجابي المصدر على الاستمرار في تقديم رسائل مشابهة، أما السلبي فيحدث العكس، ويتطلب تعديل شكل الرسائل التالية ومحتواها.

والطريقة الثانية: قد يكون رجع الصدى داخليًّا Internal، وينبع من إحساس المرسل بفاعلية الرسالة وتأثيرها .. وقد يكون خارجيًّا ينبع من المتلقين.

والطريقة الثالثة: قد يكون رجع الصدى فوريًّا Immediate مثلما هو في حالة الاتصال المواجهي أو الشخصي والاتصال التفاعلي، أو قد يكون رجع الصدى مؤجلا Delayed مثلما هو الحال في وسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية؛ حيث يظهر في خطابات القراء أو المستمعين أو المشاهدين، أو إجراء البحوث التي تستهدف التعرف على الآراء، وبذلك تكتمل العملية الاتصالية.

والطريقة الرابعة: قد يكون رجع الصدى حرًّا Free ينتقل من المتلقي إلى المرسل مباشرة بدون عوائق، وقد يكون مقيدًا Limited بضرورة المرور على حراس البوابة الإعلامية ويعد الافتقار إلى رد الفعل الحر المباشر والفوري أحد عيوب وسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية.

وخلاصة الأمر أن رجع الصدى يتيح وظائف مفيدة لكل من المرسل والمتلقي على الهواء؛ فالمرسل يستطيع إعادة تقديم الرسالة بأساليب مختلفة، أو عبر قنوات أخرى إذا كانت الرسالة غير مفهومة.

8) **الأثر Effect:**

هو نتيجة الاتصال، ويقع على المرسل والمتلقي على السواء، ويتحقق أثر وسائل الاتصال من خلال تقديم الأخبار والمعلومات والترفيه والإقناع وتحسين الصورة الذهنية ... إلخ.

9) **السياق (بيئة الاتصال) Context:**

كل اتصال يحدث في مكان ما لابد أن يعبر عن سياق ما، فالسياق هو البيئة الاجتماعية التي تمدنا بقواعد وأحكام التفاعل معها، وتتمثل البيئة الاتصالية في المكان والزمان والأشخاص، وكل ذلك يؤثر على عملية الاتصال؛ فكلما كان السياق الذي يتم فيه الاتصال ذا جوانب مشتركة بين المرسل والمتلقي كلما كانت فرصة النجاح للعملية الاتصالية كبيرة.

المطلب الخامس
عوامل فعالية الاتصال

إن عملية الاتصال يحكمها البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، ويحدد فعالية هذه العملية الاتصالية ونجاحها عدد من الأمور المتصلة بالمكونات (العناصر) الأربعة الرئيسة في عملية الاتصال، وهي: المصدر - الرسالة - الوسيلة - المتلقي، وذلك على النحو التالي:

1) **عوامل فعالية المصدر:**

يذهب (ألكسيس تان Alexess Tan) إلى وجود ثلاثة عوامل، تجعل المصدر مؤثرًا في إقناع جمهوره، وتجعله مستعدًّا لتصديق ما يقول، وهي: المصداقية .. والجاذبية .. والسلطة، وذلك على النحو التالي:

أ) **المصداقية Credibility:** ولكي تتحقق هذه المصداقية يجب أن يكون المصدر خبيرًا متخصصًا في المجال الذي يتكلم فيه، فقدر المعرفة لدى المصدر عن الموضوع يؤثر على

رسالته؛ فنحن لا نستطيع أن ننقل ما لا نعرفه، ولا نستطيع أن ننقل بفاعلية مضمونًا لا نفهمه. والمصدر لابد أن يعرف الإجابات الصحيحة ويقدمها بدون تحيز. والمصدر المتحيز في الغالب أقل تأثيرًا من المصدر غير المتحيز .. وتنبع خبرة المصدر من التدريب والدراية بالموضوع الذي يطرحه، والقدرة على الاتصال، بما تحتويه من مهارات الكلام والكتابة والتعبير والاحترافية والوضع الاجتماعي والقدرة على التفكير ووزن الأمور.

ب) **الجاذبية Attractiveness:** وتتحقق الجاذبية حين يكون القائم بالاتصال قريبًا من الجمهور في النواحي النفسية والاجتماعية والأيديولوجية .. والمصادر الجذابة غالبًا ما تكون أشد تأثيرًا من المصادر غير الجذابة .. وتتمثل صفات الجاذبية في الشكل والجاذبية الجسدية والشبه والألفة والود، وكلها صفات إيجابية لتغيير الآراء.

ج) **السلطة (النفوذ) Power:**

فالشخص في موقع السلطة يستطيع تقديم الثواب أو العقاب، ويهتم بالحصول على الموافقة للرسائل التي يقدمها للمتلقي، والقائم بالاتصال يكون أكثر إقناعًا عندما يعد المتلقين بالثواب أو المكافأة أكثر مما إذا هدد بالوعيد والعقاب.

والخلاصة حول هذه العوامل الثلاثة أن مصداقية المصدر تؤدي إلى تفاعلنا الداخلي مع الأفكار الجديدة .. والمصداقية أكثر تأثيرًا من الجاذبية، وتتأثر أكثر إذا كان المصدر خبيرًا في مجاله، والمصداقية العالية تؤدي إلى تغيير فوري لدى المتلقي أسرع من المصداقية المنخفضة لدى المصدر، والوسائل التي تتضمن حججًا قوية يمكن أن تكون فعالة، بغض النظر عن مصداقية المصدر.. وتحقق جاذبية المصدر الشعور بالتوحد، وتؤدي السلطة إلى الحصول على الموافقة والإذعان.

2) **عوامل فعالية الرسالة:**

من الأمور التي يجب مراعاتها في الرسالة – لكي تكون فعالة – هو سهولة استيعابها، ويرتبط بهذا خمسة متغيرات أسلوبية، حددها خبير الاتصال (جورج كلير)، وهي:

- **المتغير الأسلوبي الأول:** هو القابلية للقراءة أو الاستماع أو المشاهدة – حسب الوسيلة التي يتعرض لها – وهي صفات ترتبط بفهم الرسالة؛ إذ يجب أن تحتوي الرسالة على

كلمات سهلة بسيطة واضحة، وجمل قصيرة؛ كما أن الترابط المنطقي للرسالة، وعدم وجود فجوات بين الأفكار التي تتضمنها تجعل المتلقي يتابعها للنهاية.

- **المتغير الأسلوبي الثاني:** تنوع المفردات، ويعني ذلك تجنب تكرار نص الكلمات نفسه، أو إذا احتاج الأمر ذلك يجب استخدام مرادفاتها؛ فاللغة غنية بالمرادفات. وقد ثبت أن الأسلوب الذي يسير على وتيرة واحدة يبعث على السأم والضجر، ويصرف المتلقي عن متابعته، بينما التنوع يضفي الحيوية على المادة المقدمة، ويجعل المتلقي ينجذب إليها، ويتابعها باهتمام وشغف.

- **المتغير الأسلوبي الثالث:** أن تتضمن الرسالة الاتصالية مادة تجذب اهتمامات المتلقي، وتحقق مصالحة، وتثير احتياجات محددة عنده، وتقترح وسائل إشباعها، مع مراعاة ضرورة أن تكون وسائل الإشباع المقترحة ملائمة لظروف الجماعة التي ينتمي إليها الفرد حينما تسعى الرسالة إلى التأثير فيه للتصرف على نحو معين مشروع.

- **المتغير الأسلوبي الرابع:** الواقعية، أي التعبير عن الواقع، وتجنب استخدام التجريد.

- **المتغير الأسلوبي الخامس:** القابلية للتحقيق.

كذلك توجد متغيرات أخرى ترتبط بالاستمالات المستخدمة في الرسائل، وتتضمن ثلاث استمالات رئيسة، هي:

- **الاستمالة العاطفية:** وتشمل إيجاد مشاعر ملائمة لدى المتلقي، من خلال مخاطبة المشاعر والقيم والعواطف، أو عن طريق وضع المتلقي في جو ملائم عند تلقي الرسالة.

- **الاستمالة العقلية:** تستخدم المنطق والشواهد والأمثلة والمقارنات، التي تساعد على تحقيق الوضوح للفكرة المطروحة، وتأييد ما ورد في الرسالة.

- **استمالة التخويف:** وهي تخاطب غريزة الخوف عند المتلقي، مع تلافي استخدام عبارات التهديد والوعيد، التي ربما تأتي بنتائج عكسية في حالات كثيرة ..

وقد توصل (ألكسيس تان) إلى تعميم عدد من النتائج المستخلصة من الأبحاث حول خصائص الرسالة الاتصالية الفعالة، ومنها ما يلي:

أ) الرسائل ذات النتائج الواضحة أكثر فعالية من الرسائل ذات النتائج غير الواضحة في تغيير آراء المتلقين.

ب) تزداد قابلية التغيير في الآراء عندما تناقش الرسالة معلومات سارة ومتفق عليها عند المرسل والمتلقي، أكثر من مناقشة معلومات خلافية بينهما وغير سارة.

ج) المعلومات التي تبدأ بها الرسالة هي التي يتم تعلمها بشكل أفضل (المقدمة أو الاستهلال)، ويتلوها بعد ذلك المعلومات التي تأتي بها النهاية (الخاتمة)، والمعلومات التي في الوسط (الجسم أو الصلب) أقل منزلة من حيث التعلم.

د) ترتبط فعالية الرسالة بعرضها لجميع جوانب الموضوع المختلفة؛ فعرض وجهة نظر واحدة يكون فعالا إذا كان الجمهور يتفق مع نتائج القائم بالاتصال أو إذا كان ذكاء المتلقين محدودًا أو تعليمهم بسيطًا، ومعرفتهم بالموضوع ضئيلة، ولا يتعرضون لوجهة النظر الأخرى، وإذا كان الموضوع غير مثير للجدل .. أما عرض وجهتي النظر فيكون أكثر فعالية عندما يكون المتلقون ذوي ذكاء مرتفع، أو تعليم عالٍ، والموضوع مثار جدل ومعارضة، وإذا كان المتلقون على معرفة بالموضوع ويمكنهم أن يتعرضوا للآراء المعارضة من متصلين آخرين.

ه) تكرار التعرض للرسالة يؤدي إلى زيادة الموافقة على ما تطرحه من أفكار .. والتكرار الزائد عن الحد يقلل الموافقة؛ حيث يؤدي إلى التبرم، وإن كان هو أفضل من عدم التعرض تمامًا .. ويمكن أن تعمل فترة عدم التعرض على تحييد أي تأثيرات مرتدة تنتج عن التعرض الزائد جدًّا.

و) يزداد التعلم مع تكرار الرسالة.

ز) زيادة فهم الرسالة يؤدي إلى زيادة الاتفاق بين المتلقين مع ما توصي به الرسالة.

ح) لا يوجد اختلاف بين تأثير الاستمالات العاطفية والاستمالات العقلية في الإقناع.

ط) الاستمالات المتوسطة للخوف تكون أكثر تأثيرًا في تحقيق الإذعان من استمالات الخوف المرتفعة أو المنخفضة.

3) عوامل فعالية الوسائل الإعلامية:

اهتمت بحوث شكل الاتصال Communication Modality بدراسة أي الوسائل الإعلامية أكثر تأثيرًا من غيرها في تغيير الاتجاهات أو في التعلم.

ويلخص (ألكسيس تان) بعض نتائج تلك الدراسات حول فعالية الوسائل الإعلامية في التأثير، فيوضح أن الوسائل المسموعة المرئية (تليفزيون، سينما، فيديو) أكثر الوسائل فعالية في تغيير الاتجاهات، ويتبعها الوسائل الشفوية المسموعة (راديو وكاسيت وغيرها)، ثم الوسائل المكتوبة المقروءة (كتب وصحف وغيرها)، مع ضرورة مراعاة نوع الوسيلة وتوفرها في البيئة المناسبة.

ويقول أيضًا إن الوسائل المكتوبة المقروءة أسهل في التعلم والتذكر، وفي تغيير الاتجاهات من الصوتية المسموعة أو بالصوت والصورة، وخاصة إذا كانت الرسائل معقدة وصعبة، أما الرسائل السهلة فإن أشرطة الفيديو تكون أكثر فعالية من الرسائل المكتوبة .. وإن المتلقي يتفاعل مع التليفزيون أكثر من تفاعله مع الراديو، ويتفاعل مع الراديو أكثر من تفاعله مع المواد المطبوعة، وذلك بصفة خاصة في المجتمعات الأقل تعليمًا، والأكثر انتشارًا للأمية والجهل.

4) عوامل فعالية المتلقي:

يرتبط نجاح عملية الاتصال أساسًا بمدى معرفتنا بنوعية الجمهور الذي يستقبل الرسالة؛ ولذا فإن معرفة الخصائص الديموغرافية، والخصائص السيكوغرافية تكون أساسية لتوجيه الرسائل الملائمة .. والخصائص الديموغرافية مثل: العمر، النوع، الدخل، الوضع الاجتماعي والعرقي، الانتماء الديني ... إلخ، والخصائص السيكوغرافية مثل: الذكاء - السلوك - الآراء - القلق - الانفتاحية - الثقة بالنفس ... إلخ.

وفيما يلي مجموعة من المبادئ تبرز دور المتلقي المؤثر في فعالية الرسالة:

أ) ليس بالضرورة أن يتجنب الإنسان المعلومات التي تناقض آراءه وسلوكه؛ فهناك رسائل تحمل إثابة للمتلقي، أو تلغي إزعاجًا محتملا يصدر من معلومات مناقضة لما لديه .. فهذه لا يمكن تجنبها.

ب) الإدراك غالبًا ما يكون ذاتيًّا.

ج) يمكن تقديم تصورات الرسائل الدقيقة المرغوبة بثلاث طرق هي: استخدام الأشياء المألوفة للجمهور .. وإقامة روابط إيجابية بالمتلقين منذ الاتصال المبكر معهم .. واستخدم (رموز) الرسالة التي يفهمها الجمهور بسرعة وسهولة.

د) المتلقي يعطي اهتمامًا للرسائل التدعيمية أكثر من ميله للرسائل المعارضة لآرائه.

ه) لكي يحقق القائم بالاتصال نجاح الرسائل الخلافية مع المتلقين، عليه أن يقوم بتعديل الرسائل؛ للتقليل من الاختلافات، وتأكيد أوجه التشابه بين أفراده، ويتيح ذلك قبول الجمهور للرسائل.

ويتم تصنيف جمهور المتلقين إلى ثلاثة أنواع رئيسة، هي: العنيد، والحساس واللامبالي. فقد صنف (دينيس هوويت Howitt) جمهور المتلقين إلى نوعين، هما: الجمهور العنيد الذي لا يستسلم تمامًا لوسائل الإعلام التي تسعى إلى تغيير آراء ومواقف واتجاهات الجمهور والسيطرة عليه؛ وذلك بسبب عوامل الانتقائية. والنوع الثاني هو الجمهور الحساس، الذي يتأثر أفراده بوسائل الإعلام أكثر من غيرهم، وهم في حاجة للحماية مثل: الأطفال والمراهقين والشباب والنساء وكبار السن، وهم الجمهور الحساس.

ويضيف صالح أبو إصبع النوع الثالث، وهو الجمهور اللامبالي، الذي يتعامل مع الرسائل الإعلامية بإهمال تام ولا مبالاة، وغير معني بالرسالة، على عكس الجمهور العنيد، الذي تهمه الرسالة، ولكنه لا يستجيب لها، والجمهور الحساس الذي يتأثر بسهولة أكثر بوسائل الإعلام.

المطلب السادس
وظائف وسائل الاتصال الجماهيرية للمجتمع والفرد

يتعرض هذا المطلب لمناقشة بعض الأفكار الرئيسة حول وظائف وسائل الاتصال وأهداف استخدام المجتمعات والأفراد لتلك الوسائل .. وقد اختلف الباحثون والمتخصصون حول تصنيف الوظائف التي تؤديها وسائل الاتصال للمجتمع والفرد ..

ويرجع اختلافهم إلى اتجاه البعض منهم إلى الإيجاز، والبعض الآخر إلى التفصيل .. وبصفة عامة، فإن البعض يعتقد أن الوظائف المجتمعية (Social Funcations) لوسائل الاتصال هي عبارة عن تراكم للوظائف التي تقدمها للأفراد (Individual) داخل المجتمع، ويعتبر ذلك صحيحا في جانب منه؛ فعلى المستوى العام تكاد تكون متشابهة، ولكن ببعض الأسئلة الفرعية نلاحظ وجود فروق بين النوعين من الوظائف.

وعلى سبيل المثال في قضية تنظيم الأسرة أوتحديد النسل: يمكن أن نسأل على المستوى المجتمعي عن أكثر الوسائل فعالية في التحكم ومنع الزيادة السكانية؟ وكيف تنتشر هذه الوسائل في المجتمع بمعدلات سريعة بين أفراد المجتمع؟ فتقدم وسائل الإعلام معلومات تجعل الناس يدركون الحاجة إلى ضرورة السيطرة على سرعة الزيادة السكانية، ونشر وترويج استعمال وسائل منع الحمل .. أما على المستوى الفردي بالنسبة لزوجين (couple) فيهتم بما إذا كانت وسائل الإعلام قد أثرت في إدراكهما بتحديد حجم أسرتهما، وكيف تؤثر وسائل الإعلام في قرارهم فيما يتعلق بوسائل منع الحمل، مع الاهتمام بالفروق بين الأزواج.

ويؤكد التطور المتواصل لوظائف الاتصال في المجتمعات الحديثة أن الوسيلة الاتصالية أصبحت الآن (مؤسسة اجتماعية)، تمارس دورًا كاملا في حياة المجتمع وأفراده مثل بقية المؤسسات الاجتماعية. وسنركز في هذا الصدد على محورين أساسيين، هما: وظائف وسائل الاتصال للمجتمع، ووظائف وسائل الاتصال للفرد، وذلك على النحو التالي:

أولا : وظائف وسائل الاتصال للمجتمع :

من البداية نوضح أنه لا يوجد اتفاق أساسي حول وظائف وسائل الاتصال في المجتمع؛ حيث إنه كثيرًا ما يتم الخلط بين الوظائف والتأثيرات؛ فبينما تهتم الوظائف بالدور العام الذي تؤديه وسائل الاتصال، نجد أن التأثيرات هي نتائج وتحديد لهذه الأدوار العامة، وقد توالت على الوظائف إضافات عديدة، ساهم بها الباحثون .. اللاحقون يضيفون إلى السابقين وظائف لم يذكروها، وسيتضح ذلك من العرض التالي لمساهمات عدد من الباحثين بشأن وظائف وسائل الاتصال في المجتمع.



(1) مفهوم (هارولد لازويل Harold Lasswel) للوظائف المجتمعية:

يعتبر لازويل عالم السياسة الشهير من أوائل العلماء الذين اهتموا بالوظائف المجتمعية للاتصال منذ أواخر الأربعينيات من القرن العشرين، وقد حدد ثلاث وظائف لوسائل الاتصال، افترض وجودها في جميع المجتمعات، هي:

أ) **مراقبة البيئة Surveillance of Environment** : وهي من أهم وظائف الاتصال، ويتم ذلك من خلال قيامها بتجميع المعلومات وتوزيعها داخل المجتمع وخارجه؛ حتى يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وكتحذير مبكر للنظام لتوفير المعلومات؛ لاتخاذ القرارات. فوسائل الاتصال - بما تملكه من شبكات واسعة في جميع أنحاء العالم من مراسلين - تستطيع بالطبع أن تجمع المعلومات حول المخاطر التي تهدد الدول، مثل الهجوم العسكري أو الكساد الاقتصادي وزيادة التضخم، وقد أصبحت الأخبار تنقل - بشكل أسرع بكثير الآن - باستخدام وسائل الاتصال التكنولوجية الرقمية والتفاعلية، وغيرها.

ب) **ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة:** وإيجاد هذا الترابط بين أجزاء المجتمع يؤدي إلى تطوير الرأي العام حول القضايا الأساسية، من خلال تسليط الضوء على تلك القضايا التي تهم المجتمع، وتقوم وسائل الاتصال بدور مهم في تحقيق هذا التماسك والترابط، ويرى لازويل أن خير من يقوم بذلك هم الصحفيون والمتحدثون في وسائل الاتصال وغيرهم.

ج) **نقل التراث عبر الأجيال Transmission of the social Inheritance:**

كان الآباء والأمهات في الماضي هم الذين ينقلون وحدهم التراث الثقافي والاجتماعي من جيل إلى جيل آخر، وتعريف الأجيال بالقيم الاجتماعية والأعراف والتقاليد المتوارثة؛ للمساعدة في التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة، وأصبحت الآن وسائل الإعلام تقوم إلى جانبهم بدور أكبر في هذا المجال، مثل الصحف والراديو والتليفزيون والسينما والكتب وغيرها، وفي القديم لم يكونوا محتاجين لمثل تلك الوسائل؛ حيث كان يسود التفاعل المباشر بين المجتمعات الصغيرة؛ بسبب العيش في نطاق العائلات، والقرى المنعزلة. ولكن مع تطور المجتمعات أصبح دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية ونقل التراث الاجتماعي وظيفة أساسية.



وقد فطن لازويل إلى أن وسائل الإعلام يمكن أن تصبح غير وظيفية (Dysfunction)، أي تحدث آثارًا ضارة بالمجتمع، وتحجب المعلومات لتضليل الناس (Misleading)؛ فالخلل الوظيفي يمكن أن يحدث نتيجة عدم قدرة وسائل الإعلام على إرسال المعلومات بكفاءة أو عدم استقبال هذه المعلومات من جانب الجمهور بمهارة وفهم.

(2) **مفهوم الباحث (تشارلس رايت Wright):** أضاف وظيفة رابعة لوسائل الإعلام في خدمة المجتمع، على ما سبق أن ذكره (لازويل)، وهي وظيفة الترفيه. والترفيه أساسي في حياة الأفراد والجماعات والشعوب، ولكن الترفيه ينبغي أن يؤخذ في وسائل الاتصال الجماهيرية داخل إطار من الأخلاقيات السليمة والأصول الثقافية الصحيحة، وبدون تعارض، مع التأكيد على الجوانب الجادة والمثل والقيم الصحيحة. وإذا كانت الجوانب الجادة في الحياة الاجتماعية مهمة، وكانت الجوانب الخفيفة والترفيهية في الحياة الاجتماعية مهمة كذلك، فإن التوازن بينهما يمثل مطلبًا أساسيًّا، ويحتل مكانة أهم.

(3) مفهوم لازرزفيلد (Lazarsfeld) وروبرت ميرتون (Robert Merton):

وهما من علماء الاتصال، وقد حددا ثلاث وظائف لوسائل الإعلام في المجتمع، هي:

أ) التشاور (تبادل الآراء) "Status conferral": في أي مجتمع لابد من توافر وسائل للتشاور وتبادل الآراء والأفكار والقضايا، وتقوم وسائل الإعلام بهذه الوظيفة في المجتمع الحديث؛ لإضفاء الشرعية على أوضاع المجتمع.

ب) تدعيم المعايير الاجتماعية Enforcement of social norms: تساعد وسائل الإعلام في إعادة التأكيد على المعايير الاجتماعية، من خلال معاقبة الخارجين على هذه المعايير، كما أن النشر لفضح الانحرافات وأمثالها يجعل من يفكرون ارتكابها والخروج على الأخلاقيات يفكرون كثيرًا قبل الإقدام على ذلك.

ج) التخدير (الخلل الوظيفي) Norcoting Dysfunction: أي أن وسائل الإعلام يمكن أن تسبب خللا وظيفيًّا بإحداث آثار غير مرغوب بها للمجتمع، ويحدث ذلك من زيادة مستوى المعلومات للجمهور؛ حيث يتسبب طوفان المعلومات لأعداد كبيرة من الناس إلى جرعات من المعلومات، التي تحوِّل معرفة الناس إلى معرفة سلبية، ويؤدي ذلك إلى الحيلولة دون أن تصبح نشاطات البشر ذات مشاركة فعالة نشيطة، وبالتالي توجد (اللامبالاة

Apathy)؛ لأن وسائل الإعلام تغمر الناس بالمعلومات بدلا من أن توقظ الجمهور (وهو المقصود)؛ فإنها في النهاية تؤدي إلى تخدير الجمهور؛ حيث إن كثرة المعلومات ينسي بعضها بعضًا.

(4) مفهوم (ولبور شرام Welbore Schramm) للوظائف المجتمعية:

قدم شرام ثلاث وظائف عامة، يرى أنها ضرورية للاتصال الجماهيري، وهي:

أ- وظيفة المراقب: وذلك لاستكشاف الآفاق وإعداد التقارير عن الأخطار، والفرص التي تواجه المجتمع.

ب- الوظيفة السياسية: وتتم من خلال المعلومات التي تتيح اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة، والقرارات القيادية، وإصدار التشريعات.

ت- التنشئة: وذلك من خلال تعليم أفراد المجتمع الجديد المهارات والمعتقدات التي يقدرها المجتمع.

(5) مفهوم (ماكويل) للوظائف المجتمعية:

يذهب ماكويل إلى أن الوظائف الأساسية لوسائل الإعلام في المجتمع تنحصر في خمس وظائف، هي:

أ) الإعلام: يعني نشر المعلومات الخاصة بالوقائع والأحداث التي تقع داخل المجتمع وخارجه، وتحديد اتجاهات القوى الفاعلة، والعلاقات بينها، وتسهيل عملية التحديث والتقويم، من خلال التعرف على المستحدثات في التجارب الأخرى.

ب) تحقيق التماسك الاجتماعي: وذلك من خلال الشرح والتفسير والتعليق على الأفكار والأحداث والمعلومات، ثم تدعيم الضبط الاجتماعي والمعايير الخاصة به، وكذلك التنشئة الاجتماعية، ودعم الاجتماع حول القضايا والمواقف المختلفة المهمة.

ج) تحقيق التواصل الاجتماعي: وذلك من خلال التعبير عن الثقافة السائدة، والكشف عن الثقافات الفرعية والنامية، ودعم القيم الشائعة.

د) الترفيه: ويتمثل في تقديم التسلية، وتهيئة الراحة والاسترخاء، والقضاء على التوتر الاجتماعي.

ه) التعبئة: وتتمثل في المساهمة في الحملات الاجتماعية، وبصفة خاصة خلال الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب، وغيرها.

(6) مفهوم (ليزلي مولر Leislie Moeller) للوظائف المجتمعية:

يرى مولر وجود تسع وظائف لوسائل الإعلام في المجتمع، وهي: الأخبار، الشرح والتفسير، الترفيه، التنشئة الاجتماعية، التسويق، قيادة التغيير الاجتماعي، خلق المثل الاجتماعية، الرقابة على مصالح المجتمع، التعليم.

دور وسائل الإعلام في خدمة النظام السياسي servicing the political System:

يرى (صمويل بيكر Samweel Becker) أن الكثير مما وصفه (لازويل) و(لازرفيليد) و(ميرتون) وغيرهم بشأن وظائف وسائل الإعلام المجتمعية والتي سبق عرضها - يمكن اعتباره عنوانًا فرعيًّا من الفئة العامة، وهي (خدمة النظام السياسي)؛ فوسائل الإعلام تخدم النظام السياسي بطرق كثيرة ومختلفة، بعضها مباشر وبعضها غير مباشر.

ففي المجتمعات الكبيرة - مثل المجتمع الأمريكي - لا يستطيع القادة الاتصال بالناس بدون استخدام وسائل الإعلام، ولا يستطيع المرشح السياسي الحصول على أكبر عدد من الأصوات بدون استخدامها. وكذلك المواطن العادي لن يستطيع التعرف على القرارات الحكومية والتشريعات وغيرها بدون استخدام وسائل الإعلام، التي تنشر المعلومات الجديدة من الحكومة إلى المواطنين.

كذلك يستخدم القادة وسائل الإعلام في مخاطبة الحكومات والشعوب الأخرى، وحين يشرح أي رئيس دولة سياسته الخارجية يعلم أنها ستنتشر فورًا في كل أنحاء العالم عبر وسائل الإعلام. ويرصد (صمويل بيكر) دور وسائل الإعلام في خدمة النظام السياسي من خلال أربع وظائف أساسية هي:

1- تسهيل التماسك الاجتماعي Facilitation of social Cohesion:

حيث تساعد وسائل الإعلام في تكوين الرأي العام، من خلال تقديم أساس للمعرفة المشتركة، التي تزيد من الانتماء للمجتمع، وتقلل من فرص الصراع داخله. فعلى سبيل المثال: تفعل وسائل الإعلام الكثير لتحقيق تماسك المجتمع في أوقات الأزمات والحروب؛

فالمعلومات التي تنقلها وسائل الإعلام تساعد في توحيد الناس، وتحركهم خلف الحكومة والقادة والزعماء. وكل ما تحتاج وسائل الإعلام عمله، هو أن تروج مثلا لوجود تهديد يمس أمن وسلامة الدولة، وأن العدو يتربص بها، وأن القوات المسلحة الوطنية مستعدة لمواجهة القوات الأجنبية المعتدية، وإذا كانت هذه المعلومات مرتبة بدقة، فإنها تؤدي إلى رجع صدى فوري تجاه الالتفاف حول قادة الدولة.

2- تفسير المجتمع لنفسه Interpreting the Society to itself:

يعتقد العديد من العلماء أن أكثر الطرق حيوية لاكتشاف قيم مجتمع ما ومعتقداته، تتحقق عن طريق دراسة أنواع الترفيه الشعبية السائدة في المجتمع؛ فالمسلسلات والقصص والأغاني وأفلام السينما تعبر عن الوعي الشعبي؛ لأنها تعكس قيم المجتمع ومعتقداته، وهكذا يستطيع الفرد أن يتعمق في دراسة أي مجتمع من خلال دراسة هذه المواد الشعبية.

3- خدمة النظام الاقتصادي Servicing the Ecomonic System:

ويتم ذلك من خلال قيام وسائل الإعلام بترسيخ الأوضاع الاقتصادية القائمة، والترويج لها، والسعي لإثبات فعاليتها؛ ففي المجتمعات الرأسمالية مثل مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر ذلك واحدًا من أهم الوظائف المجتمعية لوسائل الإعلام، وبالرغم من الانتقادات التي تتعرض لها الإعلانات من أشخاص عديدين، إلا أن معظم الأمريكيين يعتقدون أنهم يكسبون من الإعلانات بقدر أكبر مما يخسرونه.

وتستطيع وسائل الإعلام خدمة النظام الاقتصادي ليس فقط من خلال الإعلانات، وإنما تتحقق كذلك من خلال عروض الدراما والمواقف الكوميدية، والبرامج الوثائقية والإخبارية والحكايات والمنوعات؛ حيث تروج كل هذه الأعمال للأوضاع الاقتصادية.

4- دمج السكان الجدد في المجتمع Integration of New Residents into acommunity:

تعمل وسائل الإعلام على دمج السكان الجدد مع السكان القدامى في المجتمع، وتجعلهم يتكيفون مع الأوضاع الجديدة وأساليب الحياة السائدة في المجتمع؛ وذلك لإحداث التكامل بين الأفراد داخل بوتقة المجتمع الواحد.

ثانيًا: وظائف وسائل الإعلام للفرد:

يمكن تحديد وظائف وسائل الإعلام للفرد - بناء على البحوث والدراسات العملية التي أجراها الخبراء والمتخصصون في هذا الصدد - في سبع وظائف أساسية، هي: مراقبة البيئة أو التماس المعلومات .. تطوير مفاهيمنا عن الذات .. تيسير التفاعل الاجتماعي .. بديل للتفاعل الاجتماعي .. المساعدة في التحرر العاطفي .. المساعدة في الهروب من التوتر والاغتراب .. خلق طقوس يومية تمنحنا الإحساس بالنظام والأمن.

وفيما يلي شرح مبسط لكل وظيفة من هذه الوظائف السبعة:

1- مراقبة البيئة أو التماس المعلومات Surveillance (or) Information Seeking:

قليل منا يدرك أننا نحصل على قدر كبير من المعلومات عن طريق وسائل الإعلام، وتستخدم هذه المعلومات في حياتنا اليومية. وفي بعض الحالات نبحث عن المعلومات بوعي، وهي تلك التي نحتاج إليها، أو نرغب في معرفتها، وفي حالات أخرى يتم البحث عن المعلومات بدون وعي. ويحقق استخدامنا لمعلومات وسائل الإعلام هدفين رئيسين، هما:

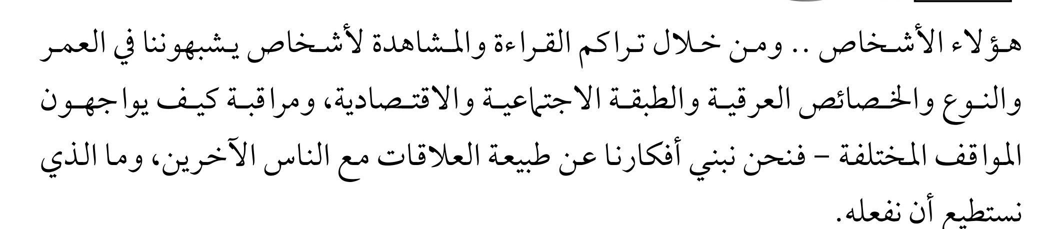
أ) توجيه سلوكنا Guiding our Behaviors: فهذه المعلومات تساعدنا على اختيار الطرق التي نسلكها والمطاعم ودور السينما التي نذهب إليها مثلا، وتوجه سلوكنا الشرائي، ونعرف منها الخدمات والسلع التي نحتاجها وأسعارها وغير ذلك .. كما تساعدنا تلك المعلومات أيضًا على توجيه سلوكنا في العديد من الأمور العامة، حيث نشاهد الناس كيف يتصرفون في المواقف المختلفة في المنزل والمدرسة وأماكن العمل وأماكن الترفيه والشارع. ومن خلال ما نتعرض إليه في وسائل الإعلام، يتكون لدينا مخزون من البناء المعلوماتي، الذي نستعين به عند مواجهة مواقف مشابهة.

ب) توجيه فهمنا Guiding our understanding: فنحن نستقي من وسائل الإعلام المعلومات التي تعكسها، وقد تكون حقيقية أو غير حقيقية، ولكن ذلك يجعلنا أكثر فهمًا.

2- تطوير مفاهيمنا عن الذات Developing aconcept of self asprofessional tools: إن تلك الوسائل الإعلامية تساعدنا على فهم أنفسنا، وذلك بثلاث طرق، هي:

أ) استكشاف الواقع Exploring Reality:

نحن نستكشف الواقع من خلال ما تعرضه وسائل الإعلام، ونطور النظر إلى أنفسنا وحياتنا مثلما نقرأ ونسمع ونشاهد من حياة الناس في المواقع المختلفة، ونضع أنفسنا في مواقع



هـؤلاء الأشـخاص .. ومـن خـلال تـراكم القـراءة والمـشاهدة لأشـخاص يـشبهوننا في العمـر والنـوع والخـصائص العرقيـة والطبقـة الاجتماعيـة والاقتـصادية، ومراقبـة كيـف يواجهـون المواقف المختلفة – فنحن نبني أفكارنا عن طبيعة العلاقات مع الناس الآخرين، وما الذي نستطيع أن نفعله.

ب) عقد مقارنات وأضداد Aiding our Comparison and contrast :

بالإضافة إلى مساعدتنا في استكشاف الواقع، فإن وسائل الإعلام تجعلنا نعقد مقارنات بـين أنفـسنا والشخـصيات التـي تعرضـها وسـائل الإعـلام المختلفـة، ومـن خـلال ملاحظـة أساليب تفاعل الناس، نستطيع التعرف على أنفسنا وقيمنا، والأدوار التي ينبغي أن نقوم بها، أو التي نتجنبها؛ فوسائل الإعلام تمدنا بالنماذج الإيجابية والسلبية.

ج) المساعدة في تجويد مهمتنا Helping us profession ally:

معظم المعلمين يستخدمون المعلومات التي يحصلون عليها من وسائل الإعلام المختلفة في التـدريس؛ حيـث إن وسـائل الإعـلام تتعـرض لمجـالات عديـدة، مثـل الطـب والزراعـة والهندسة والاقتصاد، وغيرها.

3- تيسير التفاعل الاجتماعي Facilitaing social interaction:

تقوم وسائل الإعلام بتيسير تفاعلنا الاجتماعي، من خلال تزويدنا بالأشياء التي نتحدث عنها ونمارسها، وتزودنا بأرضية مشتركة للمحادثات. وبعضنا يردد المعلومات التي يحصل عليها من وسائل الإعلام، ويجد في ذلك مكانة اجتماعية أفضل لدى الآخرين.

4- بديل للتفاعل الاجتماعي Substituting For social lnteraction:

وفي هـذا الـصدد تقـدم وسـائل الإعـلام صـداقة بديلـة أو تفـاعلا بـديلا، فهنـاك أشـخاص يتعلقون ببعض المشاهير في مختلف المجالات، ويتوحدون معهم تمامًا، وعندما يلتقون بأحد منهم يسعون إلى مصافحتهم والتحدث إليهم، وكأن هناك معرفة سابقة بينهم، وتزداد أهمية هـذه الوظيفـة مـع الأشـخاص الـذين يعيشـون بمفـردهم أو منعـزلين، أو كبـار الـسن، والـذين يفتقدون التفاعل الاجتماعي الطبيعي.



5- المساعدة في التحرر العاطفي Aiding Emotional Release:

من الوظائف الواضحة لوسائل الإعلام على مستوى الأفراد تحقيق الاسترخاء (Relaxation)، والتنفيس (Diversion)، والمتعة (Enjoyment)، والاستثارة (Arousal)، والتخلص من الملل والعزلة، وكلها إشباعات يتم البحث عنها بهدف التغيير (Change)، والسعادة (Pleasure).

6- المساعدة في الهروب من التوتر والاغتراب Aiding Escape From Tensions and Alienation:

وهذه الوظيفة من الوظائف غير المنظورة لوسائل الإعلام؛ فالمجتمع الحديث خلق توترات كثيرة وشعورًا بالاغتراب لدى العديد من الأفراد، وللتخلص من ذلك تقدم وسائل الإعلام أساليب عديدة للهروب، تجعلنا نتناسى همومنا ومشكلاتنا.

7- خلق طقوس يومية تمنحنا الإحساس بالنظام والأمن:

Ritualizing daily living to give us asense of Order and security

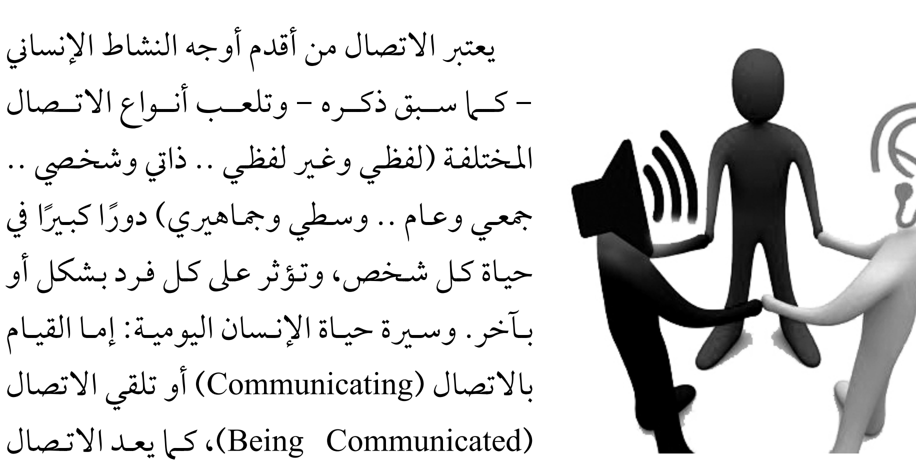
تؤدي وسائل الإعلام وظيفة تنظيم أو جدولة الحياة اليومية لبعض الناس؛ فهي ترسخ عادات يحرص الفرد على المحافظة عليها، ويرتب حياته من خلالها، مثل الاستماع إلى نشرة أخبار الإذاعة في السابعة صباحًا، ومشاهدة أخبار التليفزيون في التاسعة مساء، والذهاب إلى السينما مساء الخميس، وقراءة الكتب والصحف قبل النوم مباشرة. وحين تتغير هذه الطقوس، فإن الفرد يشعر بالقلق وعدم الارتياح، ويمكن أن نلمس هذه الوظيفة بوضوح حينما يتعطل جهاز التليفزيون مثلا، أو حين ينقطع التيار الكهربائي، فينقطع الإرسال الإذاعي والتليفزيوني، وهذه الاستمرارية في تنظيم الحياة اليومية، تكوِّن عادة يحرص عليها عدد كبير من الناس، وميزة وسائل الإعلام أنها تجعل ذلك ممكنًا.

وإلى هنا نكون قد انتهينا من استعراض تفاصيل الجزئيات الستة حول الاتصال ومتعلقاته ومشتملاته، والتي تضمنها هذا الفصل الأول، من خلال مطالبه الستة، وننتقل بعد ذلك إلى الفصل الثاني من هذا الباب الأول، وتدور محتوياته حول مراحل تطور الاتصال.



الفصل الثاني

مراحل تطور الاتصال (•)



يعتبر الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني - كما سبق ذكره - وتلعب أنواع الاتصال المختلفة (لفظي وغير لفظي .. ذاتي وشخصي .. جمعي وعام .. وسطي وجماهيري) دورًا كبيرًا في حياة كل شخص، وتؤثر على كل فرد بشكل أو بآخر. وسيرة حياة الإنسان اليومية: إما القيام بالاتصال (Communicating) أو تلقي الاتصال (Being Communicated)، كما يعد الاتصال من السمات الإنسانية الأساسية البارزة، سواء أكان في شكل كلمات أو صور أو موسيقى، وسواء أكان اتصالا ظاهرًا أو مستترًا، إعلاميًّا أو إقناعيًّا، مخيفًا أو مسليًا، واضحًا أو غامضًا، مقصودًا أو عشوائيًّا، داخليًّا أو مع آخرين .. فالاتصال هو القناة التي تربطنا بالإنسانية، ويمهد لكل ما نقوم به من أفعال، وهو لا يعني مجرد توجيه رسالة من طرف إلى آخر (البث، النشر، الإرسال) من جانب واحد، بل لابد أن يتلقى الطرف الأول ردًّا فوريًّا أو مؤجلا على رسالته، وأن تستمر الردود مع استمرار توجيه الرسائل، فإذا انقطعت الردود أصبحت الرسائل بثًّا أحادي الاتجاه.

إن قدرتنا على نقل كم هائل من الرسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، مع تجاوز حدود الزمان والمكان إلى ملايين البشر في الوقت نفسه (الانتشار)، أصبحت أمرًا مألوفًا لا يثير انتباه

(•) راجع في هذا الصدد - بصفة أساسية - كتب: الاتصال ونظرياته المعاصرة، مرجع سابق، ص91 وما بعدها؛ وكذلك مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، مرجع سابق، ص11 وما بعدها؛ وكذلك محمد فريد محود عزت: وسائل الإعلام السعودية والعالمية – النشأة والتطور (جدة، دار الشروق 1999) ، ص13 وما بعدها. وله كذلك وسائل الاتصال الجماهيرية (القاهرة – بدون – عام 2009)، ص 2 وما بعدها.

الكثيرين، مع أنه يمثل تغييرًا كبيرًا في سلوك الاتصال الإنساني عند مقارنته بما كان سائدًا في العصور القديمة .. ويمكن القول إن تراكم وسائل الاتصال عبر التاريخ هو تاريخ الإنسان الطويل منذ فجر التاريخ للآن؛ فلقد كانت كل وسيلة اتصال جديدة يبتكرها الإنسان هي بمثابة تعبير عن حاجة اجتماعية ملحة، تمكن الإنسان من التطور والرقي.

وعلى الرغم من أن الخبرة السابقة لا تعد دليلا أكيدًا للمستقبل، إلا أن هناك فائدة كبيرة من التطلع إلى الماضي؛ لاستعراض ما حدث في العصور القديمة، أدت إلى جعل الإنسان قادرًا الآن على الاتصال بوسائل متباينة للغاية، ولتفسير المراحل المتميزة لتطور الاتصال الإنساني؛ حيث كان لكل مرحلة من هذه المراحل نتائج عميقة، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أم المجتمع .. فعلى الرغم من أن الاتصال بشكله الراهن يمثل ظاهرة من ظواهر القرن العشرين الماضي، فإن جذوره ضاربة في أعماق التاريخ والماضي البعيد، وكان لكل زمان ولكل مكان اتصال يختص به وأساليب اتصالية، توافق ظروفه وقدراته وثقافته ووظائفه وأغراضه، وتتمشى مع غاياته وأهدافه، وإن اختلفت أساليب ووظائف الاتصال في العصر الحديث.

فقد كان المصريون القدماء يتقنون الاتصال بالقدر الذي سمحت به ظروفهم وإمكاناتهم، وكان ملوكهم يسجلون القوانين المتعلقة بالضرائب وشئون الري وإجراءات التقاضي والعقوبات، وما شاكل ذلك من أمور، وتحفل أوراق البردي التي خلفها الفراعنة وراءهم، كما تحفل النقوش التي تزين جدران معابدهم القديمة، بمعلومات وإرشادات مهمة، يمكن وصفها بأنها أشكال متقدمة نسبيًّا من الاتصال. كذلك أقاموا الأهرامات، وشيدوا المعابد الضخمة، ليس للاحتفاظ بجثثهم، والقيام بمراسيمهم الدينية فحسب، بل ليسطروا على جدرانها انتصاراتهم في الحروب. ويروي التاريخ أيضًا أن الفراعنة القدماء عرفوا ما يشبه الصحافة من سبعة وثلاثين قرنًا من الزمان، وكانوا يدونونها على أوراق البردي، وهي بمثابة الصحف في عصرنا هذا، فظهرت عندهم جريدة (القصر)، وهي الجريدة الهزلية التي تحدث عنها المؤرخ المعروف هيرودوت.

وقد وجد علماء الآثار في العراق نشرات ترجع إلى سنة 180 قبل الميلاد، ترشد الزراع إلى كيفية بذر محاصيلهم وريها، وعلاجها من الآفات، وهذه النشرات تشبه – إلى حد كبير – النشرات التي توجهها وزارات الزراعة في الدول المتقدمة.



وفي العصر الروماني كان الاتصال ممثلا في الخطابة والمناقشات والملاحم، التي تروي بطولات الحروب في جو حماسي .. وكان الإسكندر الأكبر يدرك أهمية الاتصال وطرق التأثير، ولهذا كان يصطحب في ركابه مجموعة من الشعراء والكتاب والمفكرين .. وفي العصر الروماني كانت تصدر في روما صحيفة (الحوادث اليومية) في أيام يوليوس قيصر، وتحتوي على كثير من الأخبار المتنوعة والنشرات الحكومية، وكانت تعلق في الميادين العامة؛ ليقرأها المواطنون.

وفي الجزيرة العربية كان للاتصال مظاهر عديدة ووسائل بدائية بسيطة، منها (دقات الطبول)؛ إعلانًا للحروب، أو إعلامًا لأفراد القبيلة بأمر يعنيهم، كما كانت (الساحات والمنتديات والأسواق وحلبات السباق)، التي يلتقي فيها الناس، فيتبادلون الأحاديث والأخبار، ويعرف كل واحد منهم خبر أخيه، وأخبار مجتمعاتهم، والمجتمعات المحيطة بقبيلتهم. كذلك كان (النداء) مظهرًا من مظاهر الاتصال؛ حيث يجوب المنادون أرجاء الجزيرة العربية، يعلنون عن الأحداث المهمة، وكانت (دار الندوة) في مكة المكرمة مجتمعًا لقريش قبل الإسلام؛ حيث كانت قريش تعلن الحرب منها، ويعقد فيها اللواء لمن يختار لقيادة المعارك. وقامت (الأسواق) كذلك بدرو مهم في الاتصال؛ ففيها كانت تفض المنازعات، ويفد إليها الرواة لنقل الأخبار، ثم يعودون بما نقلوه، فينشرونه بين أهليهم وعشيرتهم، وكان الشعراء يعرضون أشعارهم على المحكمين في الشعر، من أمثال النابغة الذبياني وغيره، وكانت القبائل تتفاخر بشعرائها، وتحظى القصيدة الفائزة بشرف التعليق على الكعبة في عداد المعلقات المشهورة .. كذلك من مظاهر الاتصال بين العرب في الجزيرة العربية وغيرهم من الأمم، البعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب؛ تدعو إلى دينها وتعاليمه، وقد تركز اليهود في يثرب (المدينة المنورة)، واعتنق اليهودية عدد من القبائل؛ كبني قريظة وبني النضير، أما البعثات النصرانية فقد تركزت في نجران، وكانت على اتصال كبير بالحبشة؛ لاتفاقهما في الديانة النصرانية.

وفي العصر الإسلامي أبقى الإسلام على بعض وسائل الاتصال التي كانت سائدة في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية، لكنه قام بتعديل مسارها، وتطوير أهدافها؛ لخدمة الدعوة الإسلامية، ولتتفق مع الدين الإسلامي الحنيف، فأبقى الإسلام على القصيدة الشعرية، ووجهها لخدمة الدعوة الإسلامية والذود عنها، بدلا مما كانت عليه في العصر الجاهلي؛ حيث

كانت مجالا للتفاخر بالأحساب والأنساب والسيطرة والظلم والاستبداد، وقد برز عدد من الشعراء الإسلاميين، أسهموا إسهامًا فعالا في الدعوة الإسلامية وحماية الدين الإسلامي، مثل حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وقد وصف القرآن الكريم الشعراء بقوله:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ [الشعراء].

كذلك أبقى الإسلام على وسيلة الخطابة، فكانت خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده خطبًا خالدة، وكانت مضرب الأمثال في عظمة الفكرة والمعنى، والقدرة على تطويع الكلمة لخدمة الإسلام.

ولا شك في أن القرآن الكريم كان هو الوسيلة الأولى للإعلام عن الدين الإسلامي؛ حيث استطاع القضاء على تراث أجيال الوثنية والجهل والخرافات وكثرة الحروب والتطاحن، وأقام جيلا جديدًا، يختلف في قيمه ومفاهيمه - كل الاختلاف - عن المجتمع الجاهلي، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

كذلك كانت الأحاديث النبوية وسيلة مهمة للإعلام بالدعوة .. وأدت الرسائل التي بعث بها - عليه الصلاة والسلام - إلى ملوك فارس والروم ومصر وغيرهم، دورًا مهمًّا في مجال الإعلام بالدعوة .. وكانت الغزوات أيضًا لها دور مهم في نشر الدعوة؛ فلم يكن هدفها الاعتداء ولا السيطرة، بل كانت تهدف إلى نشر الإسلام وتعاليمه وتأمينه من الداخل والخارج.

كل هذه الأمور وغيرها كانت تعتبر وسائل مهمة من وسائل الاتصال، ومظهرًا أساسيًّا من مظاهره في عهد الرسول ﷺ.

أما الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فقد ساروا على المنهج نفسه الذي سار عليه رسول الله ﷺ، وركزوا إعلامهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة والفتوحات والرسائل إلى الملوك، ونهج من جاء بعدهم من الخلفاء والملوك المنهج نفسه.

وفي العصور الوسطى والانتقالية، عرفت أوربا أشكالا مختلفة من الاتصال؛ فالحروب والخصومات التي كانت تنشب بين الدول الأوربية في ذلك الوقت، فرضت على الحكام أن يستعملوا جميع الوسائل التي تحقق لهم النصر على أعدائهم. ومن هذه الوسائل: الخطابة في الندوات والاجتماعات، وتبادل الأخبار والمعلومات؛ حتى يكسبوا أكبر عدد من الجماهير.

من كل هذا نخلص إلى أن الاتصال ظاهرة اجتماعية، نشأت منذ أقدم العصور في شتى المجتمعات، سواء أكانت مجتمعات فجر التاريخ أو المجتمعات البدائية أو العصر الجاهلي في الجزيرة العربية، ثم تابعت مسيرتها إلى العهد الإسلامي، فالعصور الوسطى والانتقالية، وهكذا إلى عصورنا الحديثة الحاضرة.

مراحل الاتصال الستة:

إن تطور الاتصال عبر تاريخ الإنسان الطويل قد مر في ست مراحل رئيسة مهمة:

1- مرحلة عصر الإشارات والعلامات.

2- مرحلة عصر التخاطب واللغة.

3- مرحلة عصر الكتابة.

4- مرحلة عصر الطباعة.

5- مرحلة عصر الاتصال الجماهيري.

6- مرحلة عصر الاتصال التفاعلي.

على أنه لا ينبغي أن يقوم التمييز بين هذه المراحل الستة على تعسف زمني، يجعلنا نحكم أنه عند تاريخ معين تنتهي مرحلة لتبدأ مرحلة أخرى؛ حيث إن كل مرحلة منها لها سماتها وتأثيراتها، والتي جعلتها عصرًا متميزًا عن غيره من العصور.

ومن البديهي أن نذكر أن كل مرحلة من هذه المراحل لم تنته؛ فما زلنا نستخدم كل الأشكال الاتصالية التي وجدت في هذه العصور جميعًا إلى الآن .. وفي بعض الأحيان لم يكن تطور حقب الاتصال يمضي وفق هذا التسلسل الذي عرضنا له؛ ففي بعض المجتمعات لم تكن هناك حاجة لمرحلة بأسرها؛ ذلك أن ظهور أي وسيلة اتصال كان مرتبطًا بحاجة المجتمع إليها - كما سبق إيضاحه.

فعلى الرغم من أن أسلافنا الأوائل استخدموا العلامات والإشارات منذ وقت مبكر، فإننا مازلنا نستخدم هذه الإشارات والعلامات على نطاق واسع، ثم أضفنا إليها اللغة

والكلام والكتابة والطباعة ووسائل الاتصال الميكانيكية والإلكترونية؛ وهكذا فإن تاريخ الاتصال الإنساني عبارة عن حلقات متصلة ومركبة من أنظمة الاتصال، وليس مجرد انتقال من مرحلة إلى أخرى.

وفيما يلي استعراض سريع لكل مرحلة من تلك المراحل الستة الرئيسة التي مر بها التاريخ الاتصالي للإنسان منذ فجر التاريخ إلى الآن:

المرحلة الأولى: عصر الإشارات والعلامات:

لم يستطع أحد الوصول إلى أول الكلام البشري (Human speech)، وتفترض معظم التخمينات أن البشر كانوا يعيشون في تجمعات صغيرة منذ ملايين السنين .. وفي وقت ما بدأوا يستخدمون أدوات بسيطة، وتخصيص المهام في العمل، وحتى في هذه الفترة يفترض أن الاتصال قام بدور رئيس في تحديد المهام؛ لتنشئة شبابهم كما نفعل نحن اليوم.

والاحتمال الأرجح أن الإنسان البدائي مارس الاتصال من خلال عدد محدود من الأصوات التي كان قادرًا من الناحية الجسمية والطبيعية على إصدارها، مثل: الهمهمات والزمجرة والصراخ، بالإضافة إلى إشارات الجسد بالأيدي والأرجل، وغيرها من الحركات. وتشير الدلائل على أن الأساليب التي استخدمت في الاتصال مع الآخرين هي ذاتها التي تستخدم في الاتصال مع أنفسنا؛ حيث إن التفكير شكل داخلي من أشكال اللغة.

المرحلة الثانية: عصر التخاطب واللغة:

يبدو أن اللغة أو التخاطب قد ظهرت في وقت ما خلال الفترة ما بين 35 – 40 ألف سنة مضت، بين مخلوقات تشبه الجنس البشري الحالي من الناحية الجسمية، يطلق عليها اسم (إنسان الكرومانيون Cromanion)، الذي عثر على بقاياه في كهف كرومانيون بفرنسا.

وبدأ إنسان الكرومانيون في نحو عام 6500 قبل الميلاد حياة الزراعة الدائمة والقرى المستقلة، واتسع نطاق التجمعات السكانية، وكانت منطقة الهلال الخصيب (مصر والعراق وسوريا وتركيا) تعج بالمدن القديمة، وبقايا حضارات ما قبل التاريخ. ولم يتعلم الناس فقط العمل في الزراعة وتربية الحيوانات وعبادة الآلهة، ولكنهم ابتكروا أساليب جديدة لاستخدام المعادن والنسيج وصناعة الفخار، وأصبحت لغة التخاطب أكثر تنوعًا؛ مما ساعد على انطلاقات كبرى في التطور الإنساني بالنسبة للأفراد والمجتمع.

فقد ساعدت اللغة على تمكن الجنس البشري من التأقلم مع بيئته الطبيعية والاجتماعية بوسائل لم تكن مطروحة في عصر الإشارات والعلامات، وانتقلت مجتمعات عديدة من أسلوب حياة الصيد وجمع الثمار إلى تطوير حضارات كبرى، وكان من المستحيل أن يتم ذلك بدون اللغة، إلا أن اللغة ذاتها ارتبط تطورها بتعقد الاحتياجات البشرية .. ويرى علماء الأنثروبولوجيا أن اللغة البشرية ربما تكون قد بدأت كنظام للتنادي (Call -System) – شأن كل المخلوقات – حيث توجد لديها وسائل لنقل الرسائل بينها؛ فالحيوانات تطلق أصواتًا معينة في مواقف محددة لا تتغير ولا تتبدل؛ فالسلوك الصوتي عند الشمبانزي – مثلا – يتميز بالثبات في مواقف الخوف أو الزواج أو الإرشاد عن الطعام، ولا يتغير زمانًا أو مكانًا. والصيحات عند الحيوانات مقفلة (Closed) ومحدودة العدد، أما اللغة البشرية فهي مفتوحة (Opened)؛ فعدد الرسائل التي يمكن نقلها غير محدودة، وأصوات اللغة ليس لها معنى محدد ثابت، وكلما ارتاد الإنسان مجالا جديدًا استوجب ذلك تغيرًا ملائمًا في أدواته الاتصالية، بينما الحيوان ظل نظامه الصوتي ثابتًا لا يتغير.

وقد استغرقت هذه المرحلة معظم التاريخ البشري، وكانت السمة الرئيسة لها هي الفردية الاتصالية؛ حيث بدأت من العصور القديمة حين عرف الإنسان عملية تبادل المعلومات. فمن الثابت أن الإنسان البدائي كان يحكي لأقرانه عن مغامراته في الصيد، وانتصاراته وخبراته في الحرب، والدفاع عن النفس، وإبلاغ الرعية أوامر الحكام، وإعلان حالة الحرب أو السلم، أو الاحتفال بمناسبة دينية، أو زواج حاكم أو وفاته، أو سقوطه وتنصيب غيره ... إلخ.

ولا شك أن المجتمعات البشرية في تلك المرحلة كانت لها وسائلها الاتصالية التي تناسبها، وكان في مقدمة هذه الوسائل الهواء، الذي ينقل صوت المتحدثين إلى آذان السامعين؛ حيث لم تكن حاجة الإنسان الاتصالية قد تخلت عن بدائيتها، وكان الحديث كافيًا لإشباع هذه الحاجة.

وقد اقتصرت عملية الاتصال في تلك المرحلة على الوسائل السمعية والصوتية والبصرية، عن طريق المنادين الذين يجوبون أماكن التجمعات البشرية. وكانت أغلب هذه العمليات الاتصالية محدودة بالمواقف المواجهية (Face to Face)؛ حيث كان في مقدور الفرد أن



يخاطب جمعًا من الناس إذا ما قدر لهذا الجمع أن يجتمع في مكان واحد وزمان واحد .. إلا أن هذه الفردية الاتصالية لم تمكن الإنسان من نشر أفكاره بشكل فعال عبر المكان؛ حيث لم يكن يستطيع أن يتصل إلا إلى الحد الذي يمكن لصوته أن يصل إليه، ثم أدرك الإنسان - بعد ذلك - أنه لكي يستطيع توسيع دائرة اتصاله، كان عليه أن يلجأ إلى وسائل أخرى، مثل قرع الطبول، والنفخ في الأبواق، وإشعال النيران في الليل والدخان بالنهار، وما أشبه ذلك من الوسائل البدائية البسيطة، التي ناسبت ذلك الزمان، ووافقت ظروفه، وحققت أغراضه، ووسعت من دائرة الاتصال.

ولقد تزايد احتياج الإنسان لوسائل اتصال يعتمد عليها بتعقيد المجتمع الذي يعيش فيه؛ ففي الوقت الذي كان نشاط الإنسان يتم في نطاق محدود من المكان، مثل القرية أو مضارب القبيلة، فإن المدى الذي يمكن أن يصل إليه صوت الإنسان كان كافيًا للتعامل مع مشكلات الإنسان الاتصالية، ولكن مع تعقد التنظيمات الاجتماعية للأغراض التجارية أو العسكرية أو الحكومية، فإن الجماعات البشرية واجهتها - بشكل مستمر - مشكلة تنسيق نشاطها دون وسائل فعالة تعتمد عليها لنقل المعلومات بسرعة عبر المسافات الطويلة.

وقد أثبت الإنسان براعة فائقة عبر التاريخ؛ فالناس في كل عصر قد أظهروا مقدرة ملحوظة على الأخذ بتكنولوجيا عصرهم - إن جاز هذا التعبير - وطبقوها بطرق تناسب حل مشكلات حياتهم العملية .. والمشكلة التي واجهت الإنسان هي مشكلة الاتصال لمسافات بعيدة، وقد تغلب العسكريون مثلا على هذه المشكلة باستخدام قمم الجبال والتلال؛ لنقل شفرات اتصالية متفق عليها، عن طريق الشعلات النارية.

وإن كلمة تلغراف (Tele Graph) ذاتها مأخوذة عن اليونانيين قبل مولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنحو ثلاثمائة عام، ومعناها (يكتب لمسافة ما) .. وكان الإنسان قادرًا على صنع الطبول من خشب الأشجار وجلود الحيوانات، وكان قادرًا على قهر المسافات باستخدام الحمام الزاجل، والمرايا العاكسة، وطلقات المدافع، وأضواء المنارات. وكل هذه الأدوات وغيرها استخدمها الإنسان للتغلب على المسافة والزمن، إلا أن تقنيات الاتصال الأولي كانت محدودة إلى حد بعيد، ومعظمها كان ثقيلا مزعجًا، ولا يمكن الاعتماد عليه بشكل تام؛ فالكثير منها اعتمد على وجود طقس صحو، والآخر يمكنه فقط نقل رسائل مبسطة جدًّا.

وفي عصور متأخرة توصل الإنسان إلى نظم اتصالية جديدة، أكثر قدرة على تلبية حاجاته المتغيرة، كانت كلها تعتمد - بشكل أو بآخر - على وجود خط رؤية بين المرسل والمستقبل. وعبر سلسلة من المحطات، أمكن للإنسان أن ينقل رسائل أكثر تعقيدًا عبر مسافات طويلة.

ففي خلال فترة انتشار الفتح الإسلامي مثلا كان المسلمون ينشئون المنارات المرتفعة على مسافات تمكن المرسل والمستقبل من رؤية كل منهما للآخر، وذلك على امتداد المسافات بين الثغور على أطراف الدولة إلى عاصمة حكمها، وعلى سبيل المثال كانت الرسالة تصل من أطراف الدولة بالمغرب على طول الساحل الشمالي الأفريقي إلى الإسكندرية في أقل من ليلة واحدة. وفي قمة قوة نابليون بونابرت، كان لدى فرنسا (224 محطة سيمافور)، تنتشر عبر أكثر من ألف ميل. وكان هذا النظام أكثر أدوات الاتصال دقة واستخدامًا؛ حيث ترسل هذه المحطات إلى بعضها بعضًا إشارات يمكن رؤيتها وتفسيرها بواسطة شخص آخر في برج آخر يقع على بعد عدة أميال، وهو بدوره ينقل هذه الإشارات إلى برج آخر، وهكذا.

وبالرغم من أن هذه الطريقة كانت مكلفة ومرهقة، إلا أنها ظلت تستخدم في العديد من الدول الأوربية إلى أن حل محلها التلغراف الكهربائي .. وما تزال بعض السفن في عرض البحار تستخدم نظام السيمافور حتى أيامنا هذه، إذا ما فقدت أجهزة الراديو (اللا سلكي) في السفينة.

ولكن مع ذلك، فإن هذه الفردية الاتصالية، لم تمكن الإنسان في تلك الحقبة من نشر أفكاره بشكل فعال عبر المكان، كما لم تمكنه أيضًا من الحفاظ على أفكاره بدقة عبر الزمان، وكان ذلك تعبيرًا عن تعقد حاجة الإنسان الاتصالية، ومن هنا بدأت محاولات الإنسان تجاه الكتابة، وهذا ما ينقلنا للحديث عن المرحلة الثالثة من مراحل تطور الاتصال.

المرحلة الثالثة: عصر الكتابة:

ارتبطت هذه المرحلة بمعرفة القراءة والكتابة؛ ففي فترات متباعدة من التاريخ قبل الميلاد، تم التوصل إلى وسائل فعالة لترجمة الحديث إلى شكل مادي، بدءًا من حفظ شفرات (codes) بدائية في ذاكرة الإنسان، ومرورًا بالكتابة التصويرية (pictographic symbols) (Picture writing)، وأخيرًا الكتابة الهجائية الألفبائية، التي يمكن تحديد تاريخها بالألف الأول قبل الميلاد في منطقة الشرق الأدنى القديم.



إن قصة الكتابة هي قصة الانتقال من الكتابة التصويرية عن طريق الصور والرسومات المعبرة إلى الكتابة الرمزية، التي تستخدم حروفًا بسيطة للتعبير عن أصوات محددة، ثم الكتابة الألفبائية، وذلك على النحو التالي:

1- الكتابة التصويرية:

كانت الرموز التصويرية هي الخطوة الأولى في تطور الكتابة، ولكنها لم تبدأ إلا بعد استقرار نظام الزراعة؛ لتسجيل حدود الملكية والبيع والشراء، والتنبؤ بسلوك نهر النيل؛ حيث كان الفيضان يغرق مساحة كبيرة من الأرض الزراعية كل سنة ويزودها بالطمي. واكتشف المصريون أن هناك نجمًا يتوافق ظهوره مع فترة الفيضان، وجعلهم ذلك يطورون نظامًا لتحديد الأيام والشهور والأعوام من خلال النجم والشمس؛ فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام.

ولعل ظهور الأشكال البدائية من الكتابة قد تم بعد تطور اللغة إلى حد أصبح من الممكن معه كتابتها. وبعد ذلك تطورت الكتابة مع اللغة ذاتها؛ حيث هي كائن حي يتطور، وتعتبر القيمة الحقيقية للكتابة هي في أنها أوجدت لدى الإنسان القدرة على أن يحفظ عبر الزمان، ويوزع عبر المكان، سجلات مادية للاتصال أكثر فعالية من الحديث والكلام الذي كان سائدًا في المرحلة الشفهية السابقة. وكانت الكتابة التصويرية تزين القبور والمعابد والآثار، وبعد زيادة تبسيطها خرجت منها الكتابة الهيروغليفية (Hieroglyphic Writing)، ومنذ نحو ستة آلاف سنة بدأت النقوش المعبرة عن معانٍ في مصر ومملكة ما بين النهرين، كانت عبارة عن صور بدائية محفورة على الجدران والأسطح في صيغ اصطلاحية متفق عليها .. شروق الشمس يعني اليوم .. القوس والسهم يعني الصيد .. الإنسان يعني الرجل .. الخط المتعرج يعني بحيرة أو نهر .. والربط بين عدة رسومات يحكي قصة. وكان نظام الكتابة التصويرية لدى المصريين القدماء يشبه اللغة الصينية المعاصرة .. فكل رمز كان يمثل فكرة معينة أو شيئًا محددًا، وكان يتعين على الشخص الذي يكتب ويقرأ التمكن من عدد كبير من هذه النماذج والرموز، وكانت مهارات القراءة والكتابة قاصرة على المتخصصين والصفوة، واستمتعوا بحماية الحكام والكهنة؛ فقد كان وجود هذه المهارة مصدرًا للقوة والنفوذ والسلطان؛ فلم يكن عامة الناس يستطيعون القراءة أو الكتابة، وظل الأمر حكرًا على صفوة تمتعت بالنفوذ بين أفراد المجتمع، ولربما ما نزال نجد بعض أشكال هذا النفوذ يتمتع به الذين لديهم هذه المهارة في المجتمعات التي تنتشر بينها الأمية في العصر الحاضر.

2- الكتابة على أساس النطق (الرمزية) Ideographic:

طور السومريون (العراقيون) نمطًا آخر من الكتابة التي تعتمد على الرموز التي تعكس أصواتًا محددة. ففي حوالي عام 1700 قبل الميلاد توصلوا إلى فكرة أن يعبر رمز صغير عن صوت محدد، بدلا من أن يعبر عن شيء أو فكرة. فبدلا من آلاف الرموز المنفصلة، أصبح المطلوب عدد أقل من الرموز؛ للتعبير عن أصوات المقاطع التي تتكون منها الكلمات، وكان ذلك بداية تطوير الكتابة الصوتية، وتسهيل معرفة القراءة والكتابة، وأصبح على المرء أن يتذكر مائة رمز فقط لمعرفة مختلف المقاطع الصوتية في اللغة.

3- الكتابة الهجائية الألفبائية (التي تعتمد على الحروف):

ظهرت منذ حوالي 700 عام قبل الميلاد، وانتشرت بسرعة في أنحاء العالم القديم .. وتعتمد على استخدام رموز الحروف للتعبير عن الأصوات، بدلا من المقاطع الصوتية، ونقص عدد الحروف إلى أقل من مائة رمز .. واليوم لدينا 26 حرفًا هجائيًّا في الإنجليزية و 28 حرفًا في العربية، ولولا حروف الكتابة هذه لظلت الغالبية العظمى من سكان العالم تعاني من الأمية.

الوسائط المحمولة لنقل المعلومات:

وفيما يتعلق بالكتابة ومرونة وسائل الاتصال وتداولها في هذه المرحلة التي نحن بصددها، خضعت الوسائل المستخدمة في الكتابة لتطورات كبيرة، فكانت الأحجار أول وسيط يتم تسجيل المعلومات عليه عند قدماء المصريين، والكتابة على جدران المعابد، واستخدم السومريون بالعراق لوحات الطين، واستخدموا طرف عصا ذات سن مدبب؛ لعمل العلامات على الطين، وهي الكتابة المسمارية Cuneiform، وهو الذي تعرف به الآن، وتحولها إلى ما يشبه الفخار، بوضعها في النار .. وبذلك تعتبر الأحجار هي الوسيلة الأولى التي حفظت رسومات الإنسان الأولى وكتاباته. وبالرغم من قدرة هذه الأحجار على البقاء عبر الزمان، فإن حركتها عبر المكان لم تكن سهلة ولا ميسورة؛ فقد كانت المشكلة هي عملية حمل الرسالة المكتوبة على الحجر، ونقلها من مكان إلى آخر .. فالحجر وإن كانت لديه القدرة على التحمل عبر الزمان، إلا أنه كان من الصعب نقله عبر المسافات.. وبتعقد الحياة في المجتمعات القديمة، أخذ الإنسان يبحث عن وسيلة جديدة، تمكنه من نقل رسائله الاتصالية



بمرونة أكثر عبر المكان؛ ولذلك أخذ في الكتابة على الجلود والعظام والألواح الخشبية، وغيرها.

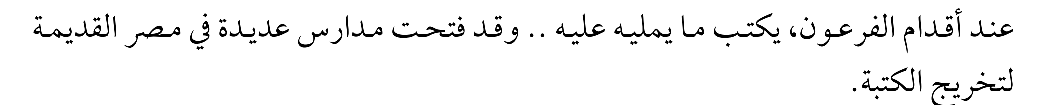
ورق البردي:

وفي حوالي عام 2500 قبل الميلاد، توصل المصريون القدماء إلى طريقة صنع ورق البردي، الذي إذا قورن بالحجارة، فإنه يعد شيئًا خفيفًا ومرنًا إلى أبعد الحدود، ومن السهل الكتابة عليه بالفرشاة والحبر، بدلا من النقش على الحجر بالأزميل .. وكان من الممكن عمل لفات طويلة منه، بربط كل شريحة بالأخرى.

وفي الطرف الآخر من الكرة الأرضية، حدث تحول مماثل في وسائل الاتصال وطبيعتها عند حضارة قبائل (المايا) في هندوراس في أمريكا الوسطى، وهم من الهنود، وهي من أعظم حضارات أمريكا قبل الكشف الكولمبي .. فقد اكتشف هؤلاء قطعًا مستطيلة من اللحاء الملون، يمكن انتزاعها من أشجار (الفيكس Ficus)، وهي قطع طويلة ونظيفة من اللحاء الداخلي، بعرض 15 – 30 سم، وطولها نحو ستة أمتار. وبعد معاملات بدائية، فإنه يمكن طيها، مثل آلة الأكورديون، وتستخدم للكتابة عليها، وكانت لديهم مكتبات كاملة منها.

أما صناعة الورق: فقد عرفتها الصين، وتعلم العرب فن صناعته من الصينيين في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي. وانتشرت مصانع الورق في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (786 - 809م) في بغداد، وغيرها من مدن العالم الإسلامي. وانتقلت هذه الصناعة في القرن الحادي عشر الميلادي إلى مصر، وأدخله العرب إلى الأندلس، وكانت مدينة طليطلة أول مدينة أوربية تعرف صناعة الورق.

هذا التحول في تاريخ الإنسان من الحجر إلى نوع من الورق سهل الحمل مرن الحركة، أدى إلى تغير هائل في ثقافة ونظام المجتمعات القديمة؛ ذلك أن تكنولوجيا الاتصال الجديدة المتمثلة في الورق وأدوات الكتابة الملائمة للاستخدام مع الورق - حيث حلت الأقلام البوص محل الأزميل - كل ذلك فتح الطريق أمام تغيرات اجتماعية وثقافية جديدة .. ففي مصر الفرعونية استخدمت الإدارة المركزية جيشًا من الكتاب؛ حيث أصبح استخدام هذه التكنولوجيا الجديدة استخدامًا عامًّا في نقل الأوامر، وتسجيل المعرفة من كل نوع، وأصبحت الكتابة بابًا مفتوحًا على الثراء والمكانة الاجتماعية؛ فالكتاب في مصر الفرعونية أصبحوا طبقة متميزة في ظل الصفوة المالكة، وتصور رسومات الفراعنة جلوس الكاتب



عند أقدام الفرعون، يكتب ما يمليه عليه .. وقد فتحت مدارس عديدة في مصر القديمة لتخريج الكتبة.

ولعل التأثير الأكبر للوسائل الجديدة - مثل الورق مع تطور الكتابة ذاتها - هو تخلص العقل البشري من عبء ضرورة تذكر كل شيء، وإعادة تلاوته ليبقي حيًّا في ذاكرة الأجيال التالية .. فحيث لا توجد الكتابة، كان يتعين على العقل البشري أن يحتفظ بكل المعارف في ذاكرته، وينقلها لغيره؛ ليحتفظ بها بدوره .. هذا الشكل من الاتصال المعرفي، أفقد الإنسان الكثير من المعارف السابقة؛ لأسباب عديدة، منها موت كبار السن الذين يختزنون في عقولهم تراث الجماعة ومعارفها وتجاربها، وضعف الذاكرة البشرية في مقابل السجلات المكتوبة.

هذه الظاهرة ما تزال موجودة حتى الآن لدى بعض الثقافات البدائية الشفهية التي تفتقر إلى لغة مكتوبة .. فعند قبائل الماندنج مثلا يعهد إلى كبار السن منهم اختزان المعرفة ونقلها من جيل إلى آخر، وهؤلاء يسمونهم (Griots)، وكما يقول أحد خبراء الشئون الأفريقية: "إن موت واحد منهم يعني احتراق مكتبة بأكملها". ورغم ذلك، فإن الكثير من تراث الماندنج قد أصابه الضياع تمامًا، مثلما ضاعت معارف كثيرة قبل اختراع الكتابة، التي كانت قفزة هائلة في تاريخ الإنسان، وهي قفزة حققتها ثورة الاتصال في المجتمعات القديمة.

الدلالة الاجتماعية لعصر الكتابة:

أدى ظهور الكتابة وتطورها في أماكن عديدة من العالم إلى بروز نوعين من القوة للأشخاص المستخدمين لمهارات الكتابة والقراءة، وهما:

1- السيطرة على الطبيعة:

من خلال تدوين اكتشافات علم الفلك Astronomy من جانب المصريين، واستخدامه في التنبؤ بسلوك نهر النيل، وابتكار تقاويم الشهور والسنوات. وحدث الشيء نفسه فيما بعد في مجتمعات (المايا Maya) في هندوراس بأمريكا الوسطى؛ حيث تم تدوين العلاقة بين مواسم الحصاد وحركات الشمس والنجوم، والتنبؤ بمواسم الأمطار، وأفضل أوقات الزارعة والحصاد.



2- السيطرة على الناس:

فمنذ نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد كان المصريون يسجلون انتصارات الملوك والقادة، ويؤرخون للحروب والأحداث السياسية والبيئية، وما تزال موجودة للآن. وحدث الشيء نفسه في مجتمعات (المايا) في هندوراس وفي الصين، وغيرها.

المرحلة الرابعة: عصر الطباعة:

ترتبط بدايات هذه المرحلة بابتكار (جوتنبرج) الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة (أو المتحركة أو المتفرقة) في منتصف القرن الخامس عشر (عام 1445)، وبدء تأثيرها الاجتماعي في القرن السادس عشر. وتعد الطباعة أحد أبرز الابتكارات البشرية في كل العصور؛ حيث أمكن - عن طريق هذا الابتكار - طباعة أعداد كبيرة من نسخ الكتب والصحف، ووصولها إلى أكبر عدد من القراء (المستقبلين) في أسرع وقت، وبجهد وبتكاليف أقل بكثير جدًّا مما كان يبذل في المنتجات المخطوطة (كتب وصحف وغيرها)، التي كانت سائدة قبل ذلك.

إلا أن الأمر المهم في التطور النهائي للطباعة في العالم الغربي، كان هو الوقت الذي حل فيها الورق محل الرق (Parchment) من الجلود عند المسلمين في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث نقل المسلمون استخدام الورق عن الصينيين، ثم وصل إلى غرب أوربا عبر حضارة الأندلس الإسلامية.

ومن تطور الطباعة وانتشارها، ظهرت فكرة الصحيفة في أوربا والعالم الجديد؛ فالصحف الأمريكية ظهرت قبل سنوات عديدة من قيام الولايات المتحدة الأمريكية كدولة .. وإذا كانت الصحف الجماهيرية قد تأخر ظهورها كثيرًا (بعد ثلاثة قرون من اختراع الطباعة)، فإن ذلك ارتبط بتوفر ظروف تسمح بقدر من التمويل وسرعة الطباعة والتوزيع، وعند ذلك ظهرت الصحافة رخيصة الثمن، التي عرفت باسم (صحيفة البنس)؛ إشارة إلى أن ثمنها لا يتجاوز بنسًا واحدًا، وقد حدث ذلك في صحيفة مورننج بوست التي أصدرها هوراس جريلي عام 1933)، في مدينة نيويورك، وحققت نجاحًا كبيرًا، ثم في صحيفة لابرس التي أصدرهما إميل جيراردان في فرنسا عام 1936، ثم انتشرت بعد ذلك في أنحاء العالم.

وفي عام 1909 قال عالم الاجتماع تشارلز هارتون كولي (Charles Harton Cooley) إن هناك أربعة عوامل جعلت هذه الوسائل الجديدة أكثر تأثيرًا من أية عمليات اتصالية في تاريخ الإنسان من قبل، وهذه العوامل هي:

1. القدرة على التعبير، ونقل كم هائل ومتنوع من الأخبار والأفكار والمشاعر.
2. التغلب على الزمن، بتسجيل وحفظ المعلومات.
3. التغلب على المكان، من خلال مرونة وسرعة الحركة.
4. الانتشار؛ بحيث يتيح المعرفة لكل الطبقات في المجتمع.

المرحلة الخامسة: عصر الاتصال الجماهيري:

شهد القرن التاسع عشر معالم ثورة وسائل الاتصال الجماهيرية، التي اكتمل نموها في النصف الأول من القرن العشرين الماضي؛ فقد شهد القرن التاسع عشر ظهور عدد كبير من وسائل الاتصال؛ استجابة لعلاج بعض المشكلات الناجمة عن الثورة الصناعية .. فبسبب التوسع في التصنيع، وزيادة الطلب على المواد الخام، والتوسع في فتح أسواق جديدة خارج الحدود، برزت الحاجة لاستكشاف أساليب سريعة لتبادل المعلومات التجارية، وبالتالي أصبحت الأساليب التقليدية للاتصال لا تلبي التطورات الكبيرة التي يشهدها المجتمع الصناعي، وبذلت محاولات عديدة لاستغلال ظاهرة الكهرباء بعد اكتشافها، وظهرت مخترعات جديدة نتيجة اكتشاف الكهرباء، وفي عام 1824 اكتشف العالم الإنجليزي وليم سترجون (Sturgon) الموجات الكهرومغناطيسية، واستطاع صمويل مورس (Mors) اختراع التلغراف عام 1837 بطريقة (النقط والشرط) "Dots & Dahes"، وتم مد خطوط التلغراف السلكية عبر كل أوربا وأمريكا والهند خلال القرن التاسع عشر، وكان التلغراف عنصرًا مهمًّا في تكنولوجيا الاتصال الإلكترونية.

وفي عام 1876 استطاع جراهام بل (Graham Bell) اختراع التليفون لنقل الصوت إلى مسافات بعيدة. وفي عام 1877 اخترع توماس أديسون (Edison) جهاز (الفونوغراف) الجراموفون (gramoPhone). وفي عام 1887 تم ابتكار (القرص المسطح) "Flat Disk"، الذي يستخدم في تسجيل الصوت. ومنذ عام 1890 بدأ تسويق الفونوغراف كوسيلة شعبية

لتقديم الموسيقى في الأماكن العامة. وفي عام 1895 شاهد الجمهور الفرنسي أول العروض السينمائية، ثم أصبحت السينما ناطقة منذ عام 1926، والمخترع الحقيقي للسينما هولويس لوميير، وقد سجل اختراعه في 13 فبراير 1895. ومن هذا التاريخ أصبحت السينما واقعًا ملموسًا، ولم تمض سنة حتى كانت تغزو العالم كله، وعرفتها مصر في 5 نوفمبر 1896 - كما سيرد ذكره فيما بعد. وفي عام 1896 استطاع العالم الإيطالي جو جليلمو ماركوني (Marconi Juglielmo) اختراع اللا سلكي؛ لنقل الصوت إلى مسافات بعيدة بدون استخدام الأسلاك.

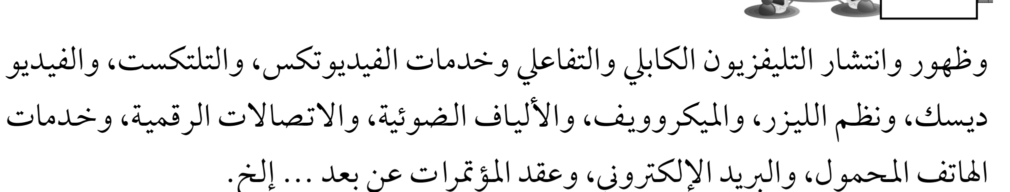
وكل تلك المخترعات السابقة كانت مقدمة صحيحة لظهور الإذاعة؛ حيث أمكن بث الكلمة المنطوقة عبر موجات الراديو (اللا سلكي) سنة 1900، وبذلك أصبحت هناك وسيلة اتصالية جماهيرية مسموعة، اسمها الإذاعة، وكان الألمان والكنديون أول من بدأ في توجيه خدمات الإذاعة الصوتية المنتظمة منذ عام 1919، ثم تبعتهم الولايات المتحدة الأمريكية عام 1920، وعرفت مصر محطات الراديو (الإذاعة) أواخر النصف الثاني من عشرينيات القرن العشرين بعد إنشاء أول محطة عالمية بنحو عشر سنوات.

وفي 21 يوليو 1932 قررت الحكومة المصرية إنشاء محطة رسمية تحل محل المحطات الأهلية، وقد أنشأتها شركة ماركوني .. وبالنسبة للتليفزيون، فقد بدأ تجاريًّا في أمريكا منذ أواخر عام 1923، وفي أول يوليو 1941 بدأت خدمات التليفزيون التجاري في أمريكا، وفي عام 1954 بدأ صنع التليفزيون الملون. وقد افتتح التليفزيون في مصر مساء 21 يوليو 1960 - كما سيأتي بيانه بالتفصيل فيما بعد.

المرحلة السادسة: عصر الاتصال التفاعلي:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين الماضي من أشكال تكنولوجيا الاتصال ما يتضاءل أمامه كل ما تحقق في عدة قرون سابقة .. ولعل أبرز مظاهر تلك التكنولوجيا ذلك الاندماج بين تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية، واستخدامها في تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري بأسرع وقت، وفي أقل حيز متاح؛ وبين تكنولوجيا الأقمار الصناعية، التي ساعدت على نقل الرسائل الاتصالية بشتى صورها عبر القارات فورًا.

وقد ظهرت في العهود الماضية الأخيرة ابتكارات عديدة في صناعة الاتصال، مثل: الحاسبات الإلكترونية، والاتصالات الفضائية، وإمكانية الاتصال المباشر بقواعد البيانات،



وظهور وانتشار التليفزيون الكابلي والتفاعلي وخدمات الفيديوتكس، والتلتكست، والفيديو ديسك، ونظم الليزر، والميكروويف، والألياف الضوئية، والاتصالات الرقمية، وخدمات الهاتف المحمول، والبريد الإلكتروني، وعقد المؤتمرات عن بعد ... إلخ.

وبصفة عامة، فقد تطورت وسائل الاتصال من دور التبليغ من شخص إلى شخص، إلى دور التبليغ بين جماعات منظمة، ثم إلى دور التبليغ الجماعي، عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية، مثل: الكتاب والسينما والصحافة والإذاعة والتليفزيون، وغيرها من الوسائل الإلكترونية التفاعلية، بيد أن الفرق بين وسائل الاتصال فيما مضى ووسائل الاتصال في العصر الحديث، يكمن فيما توصلت إليه المدنية الحديثة من اختراعات، غيرت شكل العمل الاتصالي؛ مما جعل الدول تهتم اهتمامًا كبيرًا بالاتصال، وتضع له الخطط، وتوفر له الإمكانات المادية والمعنوية؛ للنهوض به. وأصبح الإنسان لا يستغني عن وسائل الاتصال؛ لأنها المصادر الرئيسة التي يستقي منها المعلومات والأخبار، ويشبع عن طريقها رغبته في حب الاستطلاع، والتعرف على أحوال وبيئات الأمم المحيطة به، وبذلك يستطيع أن يتكيف مع الظروف، ويطمئن إلى حاضره ومستقبله، فيعيش بذلك عيشة سوية.

حيث توجد مؤثرات كثيرة، تتسابق بسرعة وفن وعلم نحو هدف واحد، هو الإنسان، والتأثير على عقله .. فمنذ أن يستيقظ المرء ويفتح عينيه في فراشه في الصباح إلى أن يغمض عينيه في فراشه في المساء، وهو هدف لكل وسائل الاتصال؛ فالكتب أمامه، وصحف الصباح في متناول يده، والإذاعة تتحدث إليه .. فإذا خرج إلى الشارع يجد الملصقات، ويجد الناس يتحدثون إما عن آخر الأخبار، وآخر الشائعات وآخر (النكت)، أو يتقولون على شخص ما أو يغتابونه بالهمس أو الدردشة، أو يرى معارض الفنون بأشكالها وأنواعها المختلفة، وفي وقت فراغه قد يسمع محاضرة أو مناقشة، أو يتابع فيلمًا سينمائيًّا، أو يشاهد مسرحية .. وإذا عاد إلى منزله، فإنه قد يقرأ مجلة أو جريدة بالمساء أو كتابًا للتسلية قبل نومه، أو يشاهد برامج التليفزيون أو الفيديو، ثم ينام بعد أن شاهد وسمع وقرأ كل ما وصل إليه العقل البشري من مؤثرات للاتصال بعقله والتأثير عليه.

فإنسان العصر الحاضر يعيش في ثورة عارمة، هي ثورة الاتصال الجماهيرى التي يطلق عليها بالإنجليزية (Mass Communication)، ووسائل الاتصال كثيرة ومتنوعة، ولكل

وسيلة منها طبيعة خاصة، تميزها عن الوسائل الأخرى، ويمكن تقسيم هذه الوسائل إلى ما يلي:

1- الوسائل المطبوعة:

وتشتمل على: الكتب والجرائد والمجلات والدوريات والنشرات والكتيبات.

2- الوسائل البصرية:

وتضم المعارض واللافتات والملصقات، وغير ذلك من الوسائل التي تعتمد على حاسة النظر وحدها.

3- الوسائل السمعية:

وتشمل الإذاعة والتسجيلات الصوتية، وغيرها من الوسائل التي تعتمد على عنصر الصوت وحده.

4- الوسائل السمعية والبصرية:

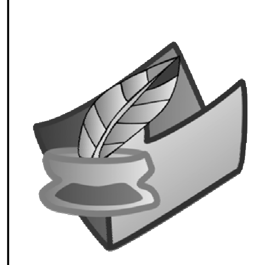
وتضم التليفزيون والسينما والمسرح، وغير ذلك من الوسائل التي تجمع بين الصوت والصورة، سواء أكانت صناعية أو طبيعية.

5- وسائل الاتصال التفاعلية:

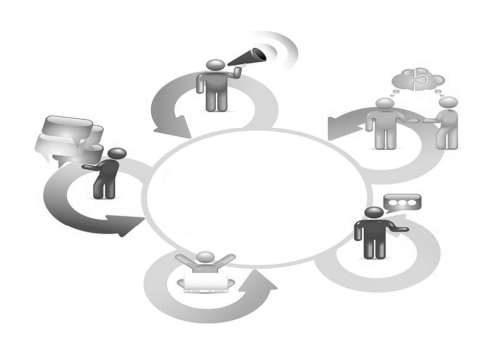
التي برزت في النصف الثاني من القرن العشرين الماضي؛ نتيجة اندماج تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية، وتكنولوجيا الأقمار الصناعية، التي ساعدت على نقل الرسائل الاتصالية بشتى صورها فورًا عبر القارات، وغير ذلك من الوسائل الاتصالية التفاعلية الحديثة.

ولكل واحدة من هذه الوسائل الاتصالية مجال معين، تستخدم فيه بنجاح، وقد لا تصلح في مجال آخر. كما أن لكل وسيلة تأثيرها الخاص في نوعيات معينة من الجماهير، قد لا تؤثر في نوعيات أخرى من الجماهير، إلا أنه إذا اجتمعت الصورة مع الصوت والحركة في وسيلة واحدة، كان لذلك وقع في النفوس، يفوق استخدام إحداها فقط بدرجة كبيرة، وسوف يتضح لنا ذلك من خلال صفحات هذا الكتاب .. الذي سنتناول فيه بإذن الله - بشيء من

الاستفاضة - أبرز هذه الوسائل الاتصالية الجماهيرية التقليدية والتكنولوجية الرقمية والتفاعلية، وهي: الكتاب والصحافة؛ باعتبارهما وسائل اتصال مطبوعة، ثم السينما، والإذاعة، والتليفزيون؛ باعتبارها وسائل اتصال مسموعة ومرئية .. وأخيرًا نتعرض لوسائل الاتصال التفاعلية الحديثة.



ثم نستعين بالله ونستهدي به سبحانه وتعالى، ونبدأ في الباب الثاني بفصليه الثالث والرابع، مع وسائل الاتصال المطبوعة التقليدية، بالتركيز على الكتاب التقليدي، والصحافة التقليدية ..



الباب الثاني
وسائل الاتصال المطبوعة التقليدية

يتضمن هذا الباب فصلين:

الفصل الثالث: تطور الكتاب التقليدي.

الفصل الرابع: تطور الصحافة التقليدية.



الفصل الثالث

تطور الكتاب التقليدي[1]

وأهميته ومميزاته وسلبياته





يعتبر الكتاب التقليدي أول وسيلة اتصالية مكتوبة أو مقروءة؛ حيث خرج إلى الوجود منذ خمسة قرون قبل اختراع الورق والطباعة بزمن طويل .. ولقد أصبح الكتاب في العصر الحاضر ضرورة كالماء والهواء والطعام، لا يمكن الاستغناء عنه؛ فهو وسيلة طلب المعرفة، وزيادة الخبرة، وتنمية القابليات الفكرية، ووسيلة الاطلاع على الجديد ومواكبته.

وتعرف موسوعة (لاروس) الفرنسية الكتاب بأنه: "مجموعة من الأوراق المطبوعة والمجمعة في مجلد واحد أيًّا كان شكل التجليد"[2]. وترى دائرة المعارف البريطانية أن أبرز سمة للكتاب هي أنه قصد به "أن يكون وسيلة اتصال. وقد كان هذا الغرض من الأشكال المختلفة التي اتخذها الكتاب، مثل ألواح الطين البابلية، ولفائف البردي المصرية، ثم الكتاب في العصور الوسطى من الرق، ثم الورق المطبوع المعاصر، والميكروفيلم، وغير ذلك". والسمة الثانية للكتاب هي أنه "يستخدم الكتابة أو نظامًا آخر من الرموز المرتبة، مثل الصور لإيصال المعنى". والسمة الثالثة هي نشر الكتاب لتوزيعه .. وعلى ذلك، فالكتاب - كما ترى

---

(1) يرجى ضرورة مراجعة الفصلين الثامن والتاسع من الباب الرابع من هذا الكتاب؛ لصلتهما الوثيقة بهذا الفصل.

(2) محمد سيد محمد: صناعة الكتاب ونشره (القاهرة - دار المعارف - الطبعة الأولى 1404هـ - 1983م)، ص13 و59 نقلا عن:

Grand larouse Encyclopedique/ larouse Paris 1962 Article (Ie liverero p. 799.

دائرة المعارف البريطانية - هو رسالة على قدر كبير من الطول والإسهاب، كتبت بخط اليد، أو طبعت، وقصد بها الانتشار والتوزيع، وسجلت على مواد خفيفة، لكنها قابلة للبقاء والاستمرار، بدرجة توفر إمكانات الحمل والنقل بسهولة نسبية، والغرض الرئيس من الكتاب أن يحمل رسالة بين الناس، تتوقف على سمتين، هما: القابلية للنقل، والاستمرارية أو الدوام، والكتاب بهذا المعنى يتعدى حدود الزمان والمكان؛ ليعلن وينشر، ويحفظ، وينقل المعرفة(1).

والقول بأن الكتاب وسيلة اتصال نتيجة منطقية لتعريف الكتاب، ونتيجة منطقية لتاريخ الكتاب في الوقت نفسه، ولحاضره ومستقبله؛ فالكتاب بصفة عامة وسيلة اتصال، ينطبق عليه ما ينطبق على مثيله من الوسائل. وكلما كان الكتاب في الثقافة العامة وغير متخصص، كلما خاطب جمهورًا واسعًا .. وكلما أوغل الكتاب في التخصص، كلما قل جمهوره.

وعلى قدر التخصص يقاس جمهور الكتاب، وفوق ذلك يمكن القول إن الكتاب يجمع بين فضائل وسيلة الاتصال الجماهيرى - بحكم الأعداد المطبوعة منه - وبين فضائل الاتصال المباشر؛ لأن القارئ لابد وأن يخلو للكتاب، وأن يتهيأ للقراءة، والكتاب في دائرة الاتصال الحضاري يحظى بموقع فريد، وتقف بعض الكتب كأنها علامات بارزة في نقل التراث الحضاري من جيل إلى جيل، ومن حضارة إلى أخرى. يقول الدكتور سيد أبو النجا: إن الكتاب سلعة كسائر السلع، لا يأخذ سبيله للأسواق باعتباره رسالة وحسب، وإنما يشق طريقه باعتباره رسالة، وبمقوماته الصناعية، وبسعره المنافس، وتسويقه الناجح، وتمويله المدروس، وبالإعلان عنه في جميع نطاق الطلب عليه .. والكتاب الذي لا يتمكن من بيع نسخه، لا يتمكن - بطبيعة الحال - من إبلاغ رسالته، ويعتبر بذلك وليمة أعرض عنها الطاعمون.

كذلك فإن القول بأن الكتاب عبارة عن أوراق مطبوعة، ومجموعة في مجلد، ينطبق على الشكل الذي وصل إليه الكتاب في وقتنا الحاضر، إلا أنه يمكن القول أيضا إن الكتاب لم يكن دائمًا على هذا النحو، وقد لا يظل كذلك على الدوام؛ "حيث إن أشكالا أخرى سوف تنافسه

(1) المرجع السابق نفسه، ص13، 14، 60 نقلا عن:
Encyclopedia Britanica - volume 3-london 1966 Article (Book) p.919.

وهو في شكله الحالي وربما قضت عليه" . فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ تسجيل الكتب على الميكروفيلم أو الميكروفيش، أو الأشرطة الممغنطة، وإن كان هذا التحول هدفه الحفظ وليس القراءة. وهي مرحلة تأتي - بطبيعة الحال - بعد صدور الكتاب، أو هي مرحلة نتيجة لنشر الكتاب. وقد ذهب بعض المدرسين في مصر مثلا إلى تسجيل دروسهم على أشرطة "كاسيت"، وبيعها إلى الطلبة بدلا من الكتب .. وقد نجحت هذه التجربة على وجه الخصوص في دروس اللغات الأجنبية(1).

ولقد توصلت تكنولوجيا الاتصال إلى تصميم شرائط لجهاز (فيديو دسك) جديد، تشبه أسطوانة (الفونوغراف)، تسجل عليها صور صفحات الكتب، وتعمل بأشعة الليزر. وقد صممت على أساس استيعابها لصفحات تبلغ 55 ألف صفحة، ويستطيع القارئ أن يقلب الصفحات بالضغط على أزرار، وهذا مما يناسب دوائر المعارف، ويسهل عمل الباحثين. وتوفر هذه الكتب كثيرًا من الحيز الذي تشغله والثمن الذي يدفعه مشتريها بالقياس إلى الكتب الحاضرة.

إلى جانب وضوحها وسهولة قراءة محتوياتها بواسطة منظار خاص بها، فالثمن الذي يدفع لشراء موسوعة تحتوي على عشرة مجلدات، تبلغ عدد صفحاتها ستة آلاف صفحة، لا يزيد عن سبعة دولارات، يضاف إلى ذلك ثلاثة دولارات ثمن المنظار .. وتلك هي أسعار الوقت الحاضر، وأغلب الظن أنها ستنخفض كثيرًا لدى انتشارها في المستقبل. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكتب مجهزة بكمبيوتر يمكن القارئ من العثور على الموضوع الذي يريد، وفتح الكتاب عند الصفحة التي يريدها بسهولة(2).

تاريخ الكتاب:

ومهما يكن شكل الكتاب باعتباره الأداة التي ابتكرها الإنسان، لتكون مساعدا لفكره، فإن أحدًا لا يستطيع أن يحدد بالضبط التاريخ الذي ظهر فيه الكتاب لأول مرة، ويقصد هنا

---

(1) خليل صابات: وسائل الاتصال - نشأتها وتطورها (القاهرة - الأنجلو المصرية - الطبعة الثالثة 1982)، ص11؛ وكذلك المرجع السابق، ص54.

(2) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص55 و56.

الكتاب بمدلوله الحديث، أي مجموع الصفحات المخطوطة أو المطبوعة، موصولة أو مثبتة، أو خيط بعضها في بعض، فأصبحت وحدة قائمة بذاتها .. ومع ذلك فإن بعض المؤرخين يقولون إن الكتاب نشأ في العصور القديمة مع نشأة اللغة من ناحية، ومع نشأة الفن من ناحية أخرى، وأن ما رسمه الإنسان من صور على الفخار أو على جدران الكهوف تمثل كتب الصور، وأن القصص المصورة على الخشب أو جلود البقر، كانت تحكي حكاية أو أسطورة. ثم كان الكتاب الشفاهي؛ حيث كانت المشافهة هي الوسيلة الوحيدة لنقل الأفكار، وبعد اختراع الكتاب، بدأ الكتاب المدون منسوخًا. ويرى كثير من العلماء أن اختراع الكتابة[1] أول عطاء حضاري في التاريخ، وأن اهتداء الإنسان إلى الكتابة، زوده بخزانة دائمة، يحفظ فيها كل ما عاناه من تجارب، وما وصل إليه من نتائج، في دقة لا تستطيعها الذاكرة البشرية المحدودة، وبذلك مكنت الكتابة الأجيال المتعاقبة من البشرية من الاستفادة من هذه الخزانة، وظل الكتاب كذلك حتى اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي، وغالبًا ما يتحدث المؤرخون عن المادة التي سجل عليها الكتاب من حجر، أو صلصال، أو فخار، ثم جلود وبرديات وحرير، ثم ورق، وهم يتحدثون عن تاريخ الكتاب في الحضارات القديمة، والعصور الوسطى، ثم العصر الحديث[2].

---

(1) يحدثنا التاريخ أن اختراع الكتابة في تاريخ البشرية كان في مصر القديمة، وفي الحضارات السومرية بالعراق، وعند الكنعانيين في فلسطين، ويرى العلماء أن ذلك كان في مصر القديمة مع بدء التاريخ المصري، أي قبل الميلاد بأكثر من ثلاثة آلاف سنة، ولم يهتد المصري إلى نظام واحد للكتابة، بل طور ما وصل إليه إلى ثلاثة أنظمة، هي: الهيروغليفية، والديموطيقية، والهيراطيقية، غير أنها كانت تصويرية في أساسها. وجاءت الخطوة الثانية عندما اهتدى الإنسان الكنعاني من سكان فلسطين - في ظن العلماء - إلى نظام الألف باء، التي توفر الوقت والجهد في التعلم والممارسة، وتقدم علامات قليلة العدد (32 علامة)، وأهدى الكنعانيون هذه الألف باء إلى الإغريق، الذين أهدوها إلى أوربا والعالم المتحضر.

(2) دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة الطبعة الثانية 1972)، ص1440؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص11؛ وكذلك صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق ص27، 28، 330.

ويتحدث الدكتور خليل صابات عن الكتاب في العصور القديمة، فيقول[1]: يرجح العلماء أن الأقدمين صنعوا الكتاب من الخشب أو من لحاء الأشجار، وقد استخدم المصريون القدماء خشب الأبانوس في حوالي الثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ويقال إن الكتب الصينية الأولى صنعت من هذه المادة أيضًا. واستخدم الإنسان كذلك الحجر منذ حوالي خمسة آلاف سنة، فنقش المصريون بالهيروغليفية عليه. كما استعمل الصلصال والطين والعظم والبرونز، وفضل الساميون والإغريق الكتابة على الأصداف. وفي الحضارات القديمة، تتميز حضارة بابل وآشور – أي حضارة ما بين النهرين في العراق – باللوحات الفخارية؛ حيث كانت تتم الكتابة بالمسمار على لوح الطين، ويحرق، فتصبح الكتابة غائرة فيه، ويصبح اللوح أخف وزنًا وأقوى تحملا[2].

ومن الثابت تاريخيًّا أن قدماء المصريين كانوا يكتبون على ورق البردي[•] (Papyrus) ، ومن الكلمة جاءت تسمية الورق باللغة الإنجليزية (Paper)، وبالفرنسية (Papier)، وظل نبات البردي الدعامة الأساسية للكتابة في مصر منذ اكتشافه في السنة الألف الثالثة قبل الميلاد. وعرفت بلاد الإغريق هذا الورق منذ القرن السابع قبل الميلاد، وعرفته روما ابتداء

---

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص11.

(2) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص357.

(•) البردي نبات كان كثير الانتشار في مصر القديمة، وينمو بكثرة على جانبي الترع، وفي المستنقعات التي يخلفها الفيضان، ويمتاز هذا النبات بطول ساقه التي تصل إلى ستة أمتار. ولم يكن استخدام الفراعنة لهذا النبات قاصرًا على صناعة أوراق البردي، بل صنعوا منه القوارب والحبال، واستخدموه في البناء. وكان صناع ورق البردي يقومون بشق النبات إلى شرائح مستقيمة، يضعونها بجوار بعضها في وضع أفقي، ثم يضعون فوقها مثلها في وضع رأسي، وبالمادة اللاصقة وبالضغط الشديد على الشريحتين؛ الأفقية والرأسية يلتصقان بشدة، ثم يوضع الفرخ كله في الشمس؛ ليجف ويزداد تماسكًا، ويتم طبعه على صورة قراطيس. ولم تكن صناعة البردي في مصر سرية، بل كانت من الصناعات الشائعة؛ وبسبب خفة ومتانة قراطيس البردي، كان حملها إلى مسافات بعيدة أمرًا ميسورًا. وانتقلت أوراق البردي وقراطيسه إلى الإغريق، وتوسعوا في استخدامه، كما توسع الرومان بعدهم في ذلك. وظهرت في أسواق روما تجارة البردي؛ حيث تأسست مصانع تستورد من مصر النبات الخام، وتصنع منه حزمًا من الأوراق. وظل البردي مستخدمًا في الكتابة في مصر حتى القرن الحادي عشر الميلادي، برغم دخول الورق بمعناه الحديث إلى مصر في القرن التاسع الميلادي (راجع صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص358، 359).

من القرن الثالث قبل الميلاد، وظلت أوربا تستعمله حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. وكان النساخون يكتبون على صفحات البردي، التي تثبت من كلا طرفيها بعصاة يطوي عليها الورق، فيصبح على شكل لفة يسهل حملها. ثم تطور شكل أوراق البردي، فبدلا من الكتابة بطول الورقة، رأى النساخون أن يقسموا سطح الورقة إلى أنهر متعامدة على عرض الورقة. وبمعنى آخر، تغير وضع الورقة، فأصبح عرضها أكبر من طولها، وقسم هذا العرض عدة أقسام متساوية، فكانت بداية واضحة لفكرة صفحات الكتاب؛ حيث توضع مجموعة من الشرائح الصغيرة بعضها فوق بعض، وتثبت من الوسط بالخيط، وقد تغلف هذه المجموعة بلوحين من الخشب في البداية والنهاية. وهذه صورة قريبة الشبه جدًّا من مفهوم الكتاب الحديث[1].

وفي عهد الدولة الأموية، كان الورق يصنع في مصر من البردي، وكانت لفافات الورق تسمى بالقباطي؛ نسبة إلى القبط، وهي قراطيس الورق، ولقد عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز، على محاربة التبذير والإسراف في جميع مرافق الدولة الإسلامية. وقد شمل هذا كتابة الرسائل؛ فقد كتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن محمد بن حزم: أما بعد، فقد قرأت كتابك إلى سليمان، تذكر أنه قد كان يجري على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا، فابتليت بجوابك فيه، فإذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم، واجمع الخط، واجمع الحوائج الكثيرة في الصفحة الواحدة؛ فإنه لا حاجة للمسلمين في قول أحد ببيت ماهم، والسلام عليك. ولقد كانت رسائل عمر بن عبد العزيز كثيرًا ما تكون غاية في الإيجاز والبلاغة؛ فقد كتب إلى أحد عماله: (قد كثر شاكوك وقل شاكروك، فاعدل وإما عزلت) [2].

ولكن العصر الذهبي للبردي بدأ في الزوال، منذ أخذ الجلد ينازعه السوق؛ فقد استخدم الأقدمون جلود الحيوان للكتابة عليه، إلى جانب ورق البردي في أماكن عديدة من العالم القديم. وكانت جلود الضأن والماعز والعجول تدبغ وتجفف ثم يكتب عليها، ولم تكن

---

(1) إبراهيم إمام: فن الإخراج الصحفي (القاهرة - الأنجلو المصرية 1957)، ص21، 22؛ وكذلك أشرف محمود صالح: الطباعة وتيبوغرافية الصحف (القاهرة العربي للنشر والتوزيع 1984)، ص68؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص11، 12.

(2) إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامي (القاهرة - دار الفكر العربي 1985)، ص103، 104.



صناعة الرق اختراعًا لدولة معينة مثل البردي، ولكنه كان شائعًا في معظم حضارات العالم القديم، وكان في الحضارات القديمة قاصرًا على الرسائل والوثائق والمذكرات الموجزة ثم في العصور الوسطى صار يستخدم في الكتب[1].

صناعة الورق:

وفي العصور الوسطى حدث للكتاب تحول مهم وأساسي "عندما عرفت أوربا الورق؛ بفضل العرب، الذين تعلموا فن صناعته من الصينيين في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي". يرجع فضل ابتكار ورق الكتابة إلى الصين، عندما اخترع تساي لن (Ts' ai lun) في عام 105 ميلادية الشكل البدائي للورق الذي يستخدم في حياتنا المعاصرة، وكانت طريقته تقوم على طبخ لحاء الشجر وبعض الحشائش والخرق وشباك الصيد القديمة، ثم يفردها ويجففها لتصبح ورقا. ولقد استطاعت الصين أن تحافظ على سر صناعة الورق سبعة قرون كاملة، ولكن عندما أصبحت الحضارة الإسلامية على حدود الصين، منذ أن أصبحت (سمرقند) عاصمة إسلامية في أخريات القرن الأول الهجري، فقد أدركت الصين أنها لابد وأن تبدأ بحرب المسلمين، وفي يوليو 751 ميلادية اجتاحت القوات الصينية الأراضي الإسلامية، فانتصر المسلمون عليهم بقيادة (زياد بن صالح)، وخلفوا وراءهم عددا من الأسرى، من بينهم عدد من صناع الورق الذين عرض عليهم القائد المسلم العتق مقابل الاستمرار في العمل في صناعة الورق بعد نقلهم إلى سمرقند، حيث تم إنشاء مصنع للورق هناك.

ثم وصلت صناعة الورق إلى بغداد عام 793 ميلادية، وتم إنشاء أول مصنع للورق فيها في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 - 193هـ = 786 - 809م)، ومن بغداد انتقلت صناعة الورق إلى دمشق في وقت يسير، وفي القرن التاسع الميلادي أصبحت مصر مركزًا صناعيًّا لإنتاج الورق، وكثر إنتاجه لدرجة أن أهلها كانوا يلفون فيه الخضر والفاكهة والتوابل[2].

---

(1) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص359.

(2) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص362، 363؛ وكذلك فن الإخراج الصحفي، مرجع سابق، ص20؛ وأيضًا وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص12، 13؛ وكذلك الطباعة وتبوغرافية الصحف، مرجع سابق، ص68.

ومن طريف ما يروى في هذا المقام أن الخليفة هارون الرشيد، قد لاحظ أن الكتابة على الجلود يسهل محوها، وبذلك يمكن تزييف الوثائق، فأمر بالكتابة على الكاغد وهو الورق؛ إذ إن تزويره أو محو كتابته يكون ظاهرًا، بخلاف الرق أو الجلد. والظاهر أن العرب كانوا يكتبون على الجلود والأوراق في عهد الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية، وأن الورق لم يستخدم بكثرة إلا منذ أشار الفضل البرمكي بصناعة الكاغد. ويقول القلقشندي: (أجمع رأي الصحابة على كتابة القرآن في الرق؛ لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة، وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس، فأمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد؛ لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة، فتقبل التزوير، بخلاف الورق؛ فإنه متى محي فيه فسد، وإن كشط ظهر كشطه، وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قرب ومن بعد[1].

ولقد نقل العرب صناعة الورق إلى أوربا عندما أدخلوه إلى الأندلس (إسبانيا اليوم)، التي كانت ضمن إطار الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، ومن الأندلس انتشرت صناعة الورق في العالم بأسره؛ فقد أقيم أول مصنع للورق في عام 1150 ميلادية، عندما أسس العرب في الأندلس ذلك المصنع، وما لبثت إيطاليا أن أنشأت مصانع للورق في عام 1276 ميلادية، وفرنسا في عام 1348 ميلادية، وألمانيا في عام 1390 ميلادية. وأقيم مصنع للورق في إنجلترا في أواخر القرن الخامس عشر، وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية في القرن السابع عشر الميلادي، وفي مصر الحديثة أنشئت أول (فابريقة) لصنع الورق عام 1834 ميلادية، وكانت هذه (الفابريقة) تدار بالمواشي حتى عام 1846؛ حيث استوردت من أوربا آلة بخارية لهذا الغرض. وخلال تلك القرون كانت المواد القديمة هي السائدة في صناعة الورق، حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادي بالتكنولوجيا الحديثة، التي سرعان ما أثرت في صناعة الورق[2].

الكتاب المخطوط والعرب:

كذلك اهتم العرب اهتمامًا شديدًا بالكتاب ابتداء من منتصف القرن الثاني للهجرة، حين أخذوا يدونون العلوم الإسلامية والأشعار والأخبار والأمثال على الورق والجلود

---

(1) أصول الإعلام الإسلامي، مرجع سابق، ص104، 105، نقلا عن كتاب صبح الأعشى، الجزء الثاني، ص486.

(2) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص364، 365، 368؛ وكذلك فن الإخراج الصحفي، مرجع سابق، ص20.

والأنسجة، ويجمعونها في كتب. وتعتبر مكتبة (بيت الحكمة) - التي أمر بإنشائها الخليفة العباسي المأمون (814- 833) - أول مكتبة عربية بالمعنى المفهوم. وكانت عبارة عن مركز للترجمة ونسخ الكتب والدرس والاطلاع والتأليف. وكان للناسخين قاعات خاصة، يجلسون فيها؛ ليقوموا بنقل الكتب، سواء لحسابهم، أو لقاء أجر معين يتقاضونه ممن يكلفهم بنسخ الكتب، وكان (علان الشعوبي) - وهو من أصل فارسي - من نساخ بيت الحكمة، وقام بنسخ الكتب إلى هارون الرشيد والمأمون والبرامكة. ويعتبر (ابن مقلة) - المولود في بغداد سنة 272 هجرية - من أشهر خطاطي العرب، وقد قام بهندسة الحروف العربية، وتقدير مقاساتها، وكتب رسائل وتصانيف في قواعد الخط ورسومه. ومن الخطاطين كذلك (ابن البواب)، الذي برز في القرن الخامس الهجري، وكتب 64 مصحفًا شريفًا بخطه الجميل، وأنشأ رسالة في الكتابة[1].

وفي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية كان كثير من الوراقين يقومون بأعمال نشر الكتب. ولقد جاءت الوراقة[2] تابعة للحضارة الإسلامية، ونتيجة لقوة الدولة واتساع المدنية، وهي ضرب من ضروب الإعلام التدويني لإصدار الكتب ونسخها، والعناية بها وتسويقها، فكان للوراقين نفوذ يضاهي نفوذ دور النشر في هذا الزمان؛ فهم بمثابة المطابع الكبيرة الحديثة الآن. ومهمتهم موزعة بين الانتساخ والتصحيح والتجليد والتذهيب، وكل ما يمت إلى صناعة الكتاب بصلة، وكانت لهم أسواق في بعض الأمصار العظيمة، يؤمها العلماء، وهي بمثابة المراكز العلمية. وكان هؤلاء الوارقون يشترون الورق بالجملة؛ للحصول على أرخص سعر، ويحرصون على اختيار أشهر الكتب لأشهر المؤلفين، والتحكم في أسعار بيع نسخها. ويروي ياقوت الحموي في معجم الأدباء، عن مبالغة الوراقين في تحديد أسعار الكتب

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص13.

(2) **الوراقة:** هي حرفة صناعة الورق ونسخ الكتب والاتجار بها، وانتشرت الوراقة في بعض البلاد العربية، وانتقلت منها إلى أوربا، واشتغل بحرفة الوراقة عدد من أعلام الحفاظ والنحاة والفلاسفة والمؤرخين والأطباء. وفي طليعة هؤلاء: ابن النديم صاحب "الفهرست"، وياقوت الحموي مؤلف "معجم البلدان"، وابن شاكر الكتبي صاحب "فوات الوفيات"، ويشترك معهم في هذه الحرفة المشتغلون بصناعة الأحبار والأقلام وأدوات الكتابة. وكانت للوراقة أسواق مشهورة في سائر أنحاء الدول الإسلامية (انظر الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص1946، 1947).



المنسوخة، أن العالم النحوي الذائع الصيت (الفراء)[1] أملى كتاب المعاني على الوراقين، فحددوا سعر البيع بواقع درهم لكل خمس أوراق .. فلما شكا القراء للفراء ارتفاع الثمن، ناقش الوراقين في تخفيض السعر، فأبوا، فشرع الفراء يملي على الناس كتابًا أوسع وأشمل في المعاني؛ بقصد إلغاء الأول .. عند ذلك هرع الوارقون إلى الفراء يرجونه أن يكف عن ذلك، وتعهدوا ببيع الكتاب بواقع درهم لكل عشر أوراق. وقد اشتهر الوراقون بحسن الخط، مع السرعة في الكتابة، وفي ذلك يروي ابن النديم في ترجمته ليحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي النصراني المتوفى ببغداد سنة 364هـ، أن يحيى كان ينسخ كتب التفسير والكلام، مع أن مذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية، ولكنه اتخذ من الوراقة مهنة له. ويذكر ابن النديم أنه لقي يحيى بن عدي هذا في الوراقين، وقد عاتبه على كثرة نسخه. فقال: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري، وحملتهما إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعهدي بنفس وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل[2].

وفي العصر المملوكي (1250 – 1516م) انتشرت أسواق الكتب في القاهرة، واشتد الإقبال عليها. ومن أشهر هذه الأسواق سوق الوراقين، وسوق الكتبيين، وكانت هذه الأسواق مراكز لنسخ الكتب وتجليدها، وكان في أغلب المكتبات المملوكية عدد من النساخ والمجلدين، يقومون بنسخ الكتب وتجليدها، ونال التجليد والتذهيب في القاهرة – وفي غيرها من المدن العربية الكبيرة – عناية فائقة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وكان بعض الناسخين يشتغلون في فن التجليد أيضًا[3].

---

(1) **الفراء:** هو يحيى بن زياد الديلمي الفراء (757 – 822)، نحوي، ولد في الكوفة، ومات بطريق مكة، ودرس اللغة والقرآن ببلدته وبالبصرة وبغداد على الرواس ويونس بن حبيب والكسائي. استقر ببغداد، وكان يقضي في بلدته أربعين يومًا كل سنة، واتخذه المأمون مؤدبا لولديه، كما ألقى دروسًا عامة في المسجد، وألف كتبًا عديدة في القرآن واللغة والنحو وغيرها (انظر الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص1278؛ وانظر كذلك كتاب الفهرست للنديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق، المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد (طهران شعبان 1391هـ – أكتوبر 1971)، ص73.

(2) أصول الإعلام الإسلامي، مرجع سابق، ص107؛ وكذلك صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص240؛ وكذلك كتاب الفهرست للنديم، مرجع سابق، ص322.

(3) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص14.

ويرتبط الكتاب بالتراث ارتباطًا وثيقًا؛ لأنه أهم وأكبر وأخطر أوعية التراث. وفي عالمنا العربي والإسلامي الرباط أوثق؛ فالتراث المرتبط بالكتاب العربي على وجه الخصوص يطلق على كنوز المعرفة التي خلفتها الحضارة العربية الإسلامية في عصور ازدهارها. ويذكر الجاحظ أن يحيى بن خالد البرمكي لم يكن في خزانة كتبه كتاب إلا وله ثلاث نسخ. ويذكر المقريزي أنه كان في خزانة العزيز بالله ثلاثون نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد، ومائة نسخة من الجمهرة لابن دريد؛ وأنه كان في خزانة كتب الفاطميين مائتان وألف نسخة من تاريخ الطبري. وانظر إلى عدد مصاحف القرآن الكريم المخطوطة والمحفوظة بمكتبات الدنيا العامة والخاصة، ثم انظر إلى عدد النسخ المخطوطة من صحيحي البخاري ومسلم، والمشتغلون بعلم المخطوطات يعلمون أن هناك كتبًا ذوات عدد، كثرت نسخها كثرة ظاهرة، بحيث لا تكاد تخلو منها مكتبة من مكتبات الدنيا. ويقول الدكتور حسين مؤنس إن أمة من الأمم الماضية لم تكتب من الكتب قدر ما كتب العرب. ويقدر أعداد المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات العالم العربي والإسلامي وخارجه بنحو مليونين من المخطوطات، بينما في المقابل لو أحصينا ما كتبه اليونان والرومان، فلن نجد أكثر من عشرة آلاف مخطوط .. إن تراثنا الحضاري العربي الإسلامي قد تناول كل نواحي العلم والمعرفة التي عرفت في العصور الماضية، ولم يترك العلماء العرب أو المهندسون أو المعماريون أو الحرفيون أمرًا إلا وطرقوه، وخاضوا في تفاصيله[1].

وقد ترتب على مهنة الوراقة ظهور المكتبات المتنوعة، مثل مكتبات المساجد، ومكتبات المدارس، ومكتبات القصور، وكانت مكتبات المساجد مع المكتبات الخاصة أول المكتبات نشوءا في الإسلام، ويبدو أن العادة جرت من أقدم عصور الإسلام أن يودع في المساجد عدد من نسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية النافعة؛ كوقف لفائدة المطالعين والمصلين. وكانت مكتبات الحرم المكي والحرم النبوي تضم مجموعات ضخمة من الكتب، وقد أنشأ العزيز بالله – الذي تولى الخلافة سنة 365هـ – مكتبة عرفت باسم = خزانة الكتب)، وسار على هذا النهج الحاكم بأمر الله الفاطمي، فأنشأ سنة 395هـ (دار الحكمة). ومن المكتبات

(1) محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي (القاهرة – مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى 1405هـ – 1984م)، ص25؛ وكذلك صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص39، 40؛ وكذلك جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1983/1/30.

الملحقة بالمساجد مكتبة مسجد طليطلة، التي احتفظت بمكانتها حتى بعد سقوطها في يد الإسبان عام 1085؛ حيث وجد فيها هؤلاء الغزاة مكتبة غنية حافلة بالكتب، وقد بلغت شهرة هذه المكتبة - من حيث هي مركز ثقافة - أقصى البلاد النصرانية في الشمال، وكان الخلفاء الأمويون يحتفظون بمكتبات في قصورهم[1].

الكتاب المخطوط في أوربا:

وفي أوربا، احتكرت الأديرة - وغيرها من المؤسسات الدينية - الثقافة المكتوبة وإنتاج الكتب، وذلك خلال القرون السبعة التي انقضت على سقوط الإمبراطورية الرومانية حتى القرن الثاني عشر. وكانت الأديرة الكبيرة في بريطانيا تحتوي على مكتبات مهمة، ولكن عدد الكتب فيها لم يكن كبيرًا؛ لأن نسخ الكتاب الواحد وتجليده كان يستغرق وقتًا طويلا، ويتكلف المجلد الواحد نحو عشرين شلنا آنذاك، أي ما يعادل مائتي جنيه إسترليني حاليًا، وكانت الكتب والمجلدات تحفظ فوق رفوف خشبية، وتربط بسلاسل حديدية تغلق بأقفال؛ خوفًا عليها من السرقة، وظلت هذه السلاسل مربوطة بالكتب حتى عام 1745 ميلادية، ولقد أثر ظهور الورق في أوربا - بعد أن نقل العرب صناعته إليها كما سبق ذكره - على صناعة الكتاب، وأصبح ينتج بكميات أوفر، وأدى ذلك - أيضًا - إلى إنتاج الكتاب الرخيص السعر، إلى جانب الكتاب الفاخر، الذي كان يصنع من الرقوق، ويباع بأغلى الأسعار، ولقد سار كلاهما جنبًا إلى جنب حتى القرن الخامس عشر؛ ذلك أن الورق في بدايته لم يكن من الجودة بحيث يقضي على الرقوق نهائيًا[2].

ومنذ بداية القرن الثالث عشر، لم تعد الأديرة هي المراكز الوحيدة لإنتاج الكتب، واقتصر إنتاجها على ما تحتاجه هي من كتب، وانتقلت مراكز الحياة الفكرية إلى الجامعات، وأخذ العلماء والأساتذة والطلبة ينظمون مع الناسخين المتخصصين تجارة نشطة للكتب؛ فقد كان الطلبة يحتاجون إلى بعض الكتب الأساسية، إلى جانب المذكرات التي يدونونها أثناء المحاضرات، فيكلفون الناسخين بنقلها لهم؛ ولذلك تجمع عدد كبير من هؤلاء الحرفيين حول الجامعات، وشيئًا فشيئًا تكون في كل مركز جامعي طائفة من محترفي نسخ الكتب. وما

---

(1) أصول الإعلام الإسلامي، مرجع سابق ص108؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص13.

(2) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص14، 15.

لبثوا أن صاروا جزءًا لا يتجزأ من الجامعة، وتم إعفاؤهم - بناء على ذلك - من أداء بعض الضرائب، وخضعوا قضائيًّا للسلطات الجامعية، وأصبحوا تحت رقابتها وإشرافها؛ ونظرًا لندرة الكتب المخطوطة كان يعاد عرضها للبيع، فتنتقل من يد إلى يد خلال عدة أجيال من الطلاب والأساتذة، كما كانت الجامعات تحرص على تحقيق المؤلفات التي لا غنى عنها للأساتذة والطلاب؛ حتى لا تقع فيها أخطاء تغير معناها[1].

أما عن تنظيم مهنة بيع الكتب خارج محيط الجامعات، فالمعلومات عنها قليلة، غير أن الكتبيين المعتمدين من الجامعة كانوا يستطيعون الاتجار بالكتب مع غير الجامعيين، وفي هذه الحالة لم تكن تطبق عليهم اللوائح الجامعية. ومنذ نهاية القرن الثاني عشر في فرنسا، وأوائل القرن الرابع عشر في إنجلترا، وجدت مشاغل لناسخي الكتب، تعمل من أجل إنتاج نصوص باللغة العامية لحساب بعض الكتبيين، وقد ازداد الطلب على الكتب نتيجة لزيادة عدد العملاء، وأدى هذا النشاط إلى جعل الناسخين المشتغلين في صناعة الكتاب، يعملون على تنظيم إنتاجهم، وزيادة حجمه وسرعته ما أمكنهم ذلك، وأصبحت توجد مشاغل للنسخ، وأخرى للزخرفة، وثالثة للخطاطين المتخصصين في كتابة عناوين الفصول[2].

الكتاب المطبوع في أوربا:

وعلى وجه العموم، فإن عمل النساخ مهد الطريق أمام الطابعين، ويجدر بنا - قبل الحديث عن الكتاب المطبوع - أن نتحدث عن اختراع المطبعة نفسها؛ باعتبارها الأداة التي ساعدت على نشر الكتاب، وجعلته في متناول الجميع، بعد أن كان مقصورًا على قلة من الناس.

يرى بعض المؤرخين أن الصينيين عرفوا الطباعة بالألواح الخشبية[3] قبل الميلاد بحوالي ثلاثمائة عام. ويرى البعض الآخر، أن هذه الطباعة الخشبية انتشرت في الغرب عقب عودة

---

(1) انظر المرجع السابق نفسه، ص15، 17.

(2) المرجع السابق نفس، ص21.

(3) كان الطابع إذا أراد أن يطبع كتابًا أحضر لوحات خشبية، وسوى سطحها ونعمه، وكتب عليها النصوص المراد طبعها كتابة معكوسة أو مقلوبة، وكان أحد الفنانين يحفر أجزاء الخشب الخالية من الكتابة، فتظهر الحروف بارزة على اللوحة، فتحبر وتوضع عليها الورقة التي يراد طبعها، وتمرر أسطوانة على الورقة فتظهر الكتابة على وجهها الملاصق للوحة.

الرحالة الإيطالي (ماركو بولو)[1] من الصين في سنة 1272م. ويرى آخرون أن الملاحين الهولنديين هم الذين جلبوا تلك الطريقة من الطباعة خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وأول كتب طبعت بهذه الطريقة في أوربا كانت عام 1431 ميلادية. غير أن طريقة الطباعة هذه لم تكن عملية؛ إذ كان لابد من توفير عدد من الألواح الخشبية يساوي عدد صفحات الكتاب المراد طبعه. وكانت الكتابة المحفورة غير منسقة، وأخطاء الحفار كانت تصحح بصعوبة، والألواح الخشبية تبلى بعد استعمالها مرات قليلة، وتحتاج العملية مساحة واسعة في المطبعة تحتلها تلك الألواح الكثيرة، إلى غير ذلك من المعوقات الكثيرة، ولكن إذا قارنا بين الطباعة بالألواح الخشبية وبين النسخ باليد، وجدنا أن الإنسانية قطعت شوطًا بعيدًا في مضمار النسخ الآلي. ومهما يكن من أمر، فإن الطباعة بالألواح الخشبية كانت مرحلة انتقال بين الكتب المنسوخة باليد والكتب المطبوعة بالحروف المعدنية المنفصلة؛ حيث دعت عيوب الطباعة بالألواح الخشبية إلى التفكير في صنع حروف معدنية منفصلة، تجمع بها الكلمات في تناسق تام، فإذا ما تم طبع نصوص كتاب من الكتب بها، فكت بعضها من بعض؛ ليُعاد طبع كتب أخرى بها[2].

ولقد جرت المحاولات الأولى لاختراع الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة في تكتم شديد؛ حتى لا يستطيع الناس التمييز بين ما ينتج عن طريق هذا الفن الجديد، وبين ما يكتبه النساخون؛ فالطباعة في أول أمرها لم تكن إلا محاولة ميكانيكية لتقليد عمل الناسخين، وبيع الكتب المطبوعة على أنها منسوخة باليد، فيجنون من وراء ذلك أرباحًا كبيرة؛ حيث كان الناس يفضلون الكتب المنسوخة على الكتب المطبوعة، ويعتبرونها أثمن هدية في ذلك العصر، ولقد ادعت سبع عشرة مدينة أنها اخترعت الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة، ولكن ثلاثًا منها فقط استطاعت أن تدعم زعمها بالأسانيد، وهي: "ستراسبورج" في فرنسا،

---

(1) ولد ماركو بولو في مدينة البندقية، وقد عبر آسيا كلها عن طريق منغوليا، وعاد إلى أوربا عن طريق سومطرة.

(2) خليل صابات: قصة الطباعة (القاهرة - مكتبة الهلال - الطبعة الأولى 1957)، ص10، 11؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق ص23؛ وجدير بالذكر أنه قد ظهرت كتب مطبوعة بالألواح الخشبية بعد اختراع الحروف المتفرقة، بل ظلت تسير معها فترة من الزمن. وقد اندثرت الطباعة بالألواح الخشبية في حوالي 1490 ميلادية، وإلى جانب الطباعة الخشبية كانت هناك الطباعة الحجرية، التي تعتمد على الكتابة أو الرسم على حجر أملس بمادة زيتية تستقطب الحبر، وعند وضع الورق على الحجر والضغط عليه تطبع الكتابة أو الرسم. وهذا النوع من الطباعة اخترعه (الواسنفلد) في عام 1796م.

و "ماينز" في ألمانيا، و"هارلم" في هولندا. إلا أن معظم مؤرخي الطباعة يتفقون على أن "يوهان جوتنبرج Johann Gutenberg" "هو أول من فكر في اختراع الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة. وبدأ محاولاته في مدينة "ستراسبورج" حوالي سنة 1436 ميلادية، وكانت وقتها تتبع ألمانيا، وهي الآن عاصمة إقليم الإلزاس في فرنسا، وواصلها في مدينة "ماينز" في ألمانيا حوالي سنة 1445 ميلادية، وما لبثت الطباعة أن انتشرت بعد ذلك في أوربا[1]. حيث انتقلت إلى إيطاليا في عام 1465، وفرنسا عام 1470، وبلجيكا عام 1472، وهولندا عام 1473، وأوربا الوسطى عام 1473، وسويسرا عام 1474، وإسبانيا عام 1474، وبريطانيا عام 1476، وإسكنديناوا عام 1490، والبرتغال عام 1495، والدنمارك والسويد في أواخر القرن الخامس عشر، وأيسلندا في عام 1531، وروسيا عام 1553، والهند عام 1563، والمكسيك عام 1566، وبولندا عام 1578، وبيرو عام 1585، والنرويج عام 1644، والصين عام 1776، ومانيلا عام 1818، وهاواي عام 1822، وإيران عام 1825، ولم ينته القرن التاسع عشر الميلادي إلا وكانت الطباعة قد دخلت في جميع أنحاء العالم. وأمام الإقبال الشديد على المطبوع، اخترعت الطابعة الدوارة (الروتاتيف Rotative)، وآلات جمع الحروف المعروفة باللينوتيب (Linotype)، والمونوتيب (Monotype)، والإنترتيب (Intertype)، وأجهزة الجمع التصويري (Photo-setting، وآلة الجمع البرقي (Teletypestter).

كما اخترع الحفر على الزنك، والطباعة الغائرة (Rotogravure)، والطباعة الملساء (Lithography)، وحل الجمع الفوتوغرافي أو التصويري على الأفلام محل جمع الحروف المعدنية المسبوكة بالرصاص.

وفيما يتعلق بالكتاب المطبوع في أوربا عقب اختراع الطباعة، فإنه في أول عهده لم يكن يختلف من حيث الشكل عن الكتاب المنسوخ؛ فقد كان الطبع تقليدًا للنسخ. وكانت الحروف الطباعية نفسها تقليدًا للحروف المكتوبة باليد، بل إن الحروف الأولى لأبواب الكتاب وفصوله كانت تترك للخطاطين والمزخرفين؛ لكي يكتبوها بالحبر الأحمر. وكان

---

(1) يرجع سبب انتشار الطباعة في أوربا إلى كارثة حلت بمدينة "ماينز"؛ فقد شجر خلاف بين أميرين على كرسي الأسقفية، انتهى بحرق المدينة في أكتوبر 1462 ميلادية، فتعطلت مطبعة فوست وشويفر، وترك عمالها مدينة (ماينز)، وتفرقوا في بلاد أوربا؛ حيث اشتغلوا بالطباعة فيها لحسابهم الخاص (انظر قصة الطباعة، مرجع سابق، ص34 وما بعدها).

يصعب على القارئ – في بداية اختراع المطبعة بالحروف المعدنية المنفصلة – أن يفرق بين الكتاب المطبوع والكتاب المنسوخ. ولكن شيئًا فشيئًا أخذ الكتاب المطبوع يبتعد عن نموذجه الأصلي (الكتاب المنسوخ)، وأصبحت له ميزاته الخاصة به.

وقد ظلت المطابع تنضد حروف الكتب بطريقة الجمع اليدوي، منذ أن اكتشف جوتنبرج الطبع بواسطة الحروف المعدنية المتفرقة، إلى أن اخترع (أوتومار ميرجينثار Ottmar Mergenthaler)[1]، في مدينة بلتيمور بولاية ماريلاند بالولايات المتحدة الأمريكية، آلة "اللينوتيب"، التي تنضد الحروف وتصبها في سطور، وما تلاها من آلات أخرى للجمع الآلي – كما سبق إيضاحه – بدأت المطابع تنضد حروف الكتب بتلك الطرق الحديثة. وكانت الكتب قديمًا تجلد تجليدًا فاخرًا يحفظها أطول مدة ممكنة. وكان الناشرون يعنون على الخصوص بتجليد الكتب كثيرة التداول والاستعمال. وعلى الرغم من انتشار الكتاب في أوربا بعد اختراع المطبعة، فقد ظل حتى بداية القرن الثامن عشر مقصورًا على النخبة من رجال العلم والثراء. وكانت الكتب الفاخرة تجلد بالقطيفة والحرير والجوخ المذهب، أما الكتب العادية فكانت تجلد بأنواع الجلد المختلفة. وكان المجلدون يعملون بالقرب من الكتبيين، وكان كبار الناشرين يملكون مشاغل لتجليد الكتب[2].

وفى مجال تجليد الكتاب في الوقت الحاضر، فقد اخترعت آلات لخياطة الملازم أو لصقها ولتطبيق الأفرخ، وآلات لصنع الأغلفة العادية والأغلفة المقواة. وابتكرت حروف مطبعية جديدة تتفق والتقدم الذي حققه الكتاب. وتأثر الفنانون بالمدارس الفنية المختلفة في أسلوب تنظيم الصفحات وترتيب الحروف والعناوين، فأضفوا على الصفحة المطبوعة جمالا ورونقًا يجتذبان القارئ، ويغريانه على القراءة، وازدهرت صناعة الكتاب، وارتفع إنتاجه ارتفاعًا

---

(1) **أوتومار ميرجينثار:** من أصل ألماني، ولد في 3 مايو 1854 بقرية هاتشل من أعمال فرتمبرج الألمانية، وكان في صدر حياته يعمل صبيًّا لأحد صناع الساعات حتى عام 1872، حيث هاجر إلى أمريكا، والتحق بالعمل بمصنع للآلات الكهربائية في مدينة واشنطن، وقام بعمل تجارب عديدة أوصلته إلى اختراعه هذا، وقد توفي عام 1899 (انظر: فن الإخراج الصحفي، مرجع سابق، ص137)، (وكذلك قصة الطباعة، مرجع سابق، ص129-132).

(2) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص25 و29؛ وكذلك قصة الطباعة، مرجع سابق ص129.



ظاهرًا، وامتلأت المكتبات العامة والخاصة بالكتب، وانتشرت المكتبات الشعبية في كل مكان في العالم، وأصبح بالإمكان تبادل الكتب بين المكتبات العالمية واستعارتها. ومن المتوقع وقد وصلت صناعة الكتاب في العالم إلى ما وصلت إليه، أن يسير فن إنتاج الكتاب في طريق التطور والتجديد[1].

الكتاب العربي المطبوع:

وبالنسبة للكتاب العربي المطبوع، فإن ظروف صناعته في العالم العربي، تختلف عنها في أوربا؛ لأن المطبعة في العالم العربي نشأت في أحضان الحكومات والمراكز الدينية، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا مطبعة واحدة في مدينة حلب بسوريا، أنشأها رجل يدعى "بلفنطي" من جزيرة سردينيا الإيطالية، وطبعت ديوان ابن الفارض سنة 1841. وكانت المطابع العربية لا تطبع إلا الكتب المضمون رواجها، ولكن قبل أن نتكلم عن الكتاب العربي المطبوع، يجدر بنا أن نتحدث عن نشأة الطباعة في الدول العربية وتطورها[2].

إن المدخل لمعرفة دخول الطباعة إلى الدول العربية، هو معرفة دخولها تركيا؛ لأن الدول العربية كانت ولايات تابعة للخلافة العثمانية قبل موجات الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين .. ولقد شهدت "الآستانة" أول مطبعة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، بعد اختراع الطباعة بنحو أربعين سنة. حيث أنشأ رجل يهودي يدعى "إسحق جرسون" مطبعة عبرية؛ لينشر بها كتب ديانته. أما المطبعة العربية فقد عرفتها تركيا بفضل مسعى "سعيد أفندي ابن محمد أفندي)، سفير تركيا في باريس، حيث اتصل سعيد بشخص اسمه إبراهيم متفرقة، وسعى الاثنان لدى السلطان العثماني، الذي أصدر فرمان الموافقة بعد أن أفتى شيخ الإسلام عبد الله أفندي في سنة 1716م = 1129هـ، بجواز استخدام الطباعة في نشر كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطب والهيئة وسائر الفنون.

(1) المرجع الأول السابق، ص42.

(2) المرجع السابق نفسه، ص31.

وأول كتاب أخرجته المطبعة كان ترجمة "قاموس وانقولي" في عام 1728م = 1141هـ إلى اللغة التركية. وازدهرت الطباعة في تركيا في عصر أحمد فارس بن يوسف الشدياق[1]، الذي أسس مطبعة الجوائب وزودها بالآلات العصرية للطباعة، وأصدر عدة كتب من التراث العربي القديم وصحيفة الجوائب[2].

وفيما يتعلق بالدول العربية، فقد كانت لبنان أول بلد عربي يعرف الطباعة في عام 1610 ميلادية، عندما جلب دير قزحيا مطبعة وحروفًا سريانية من روما. وقد اندثرت تلك المطبعة، وظلت لبنان بدون مطبعة حوالي مائة عام. وكانت مطبعة دير ماريو حنا الصايغ في لبنان، أول مطبعة عربية تم تأسيسها عام 1733 ميلادية. ودخلت الطباعة مدينة حلب في سوريا عام 1706 ميلادية، فقد كان ظهور الطباعة المبكر في لبنان إيذانًا بظهورها في سوريا؛ فالبلدان متجاوران، بل هما في القديم بلد واحد، ولكن حركة النشر في مطابع سوريا كانت عربية إسلامية، ولم تصطبغ بالصبغة المسيحية كما حدث في بداية الطباعة في لبنان. ودخلت الطباعة إلى مصر مع الحملة الفرنسية عام 1798؛ حيث جلب الفرنسيون معهم مطابع بحروف عربية وفرنسية ويونانية. وقامت هذه المطابع بطبع المنشورات والأوامر واللوائح والقوانين والكتب وصحيفتين. ولما جلا الفرنسيون عن مصر عام 1801 حملوا معهم مطابعهم، وظلت مصر بدون مطابع حتى عام 1819م = 1235هـ في عهد محمد علي، عندما وضع حجر أساس مطبعة بولاق بالقاهرة، وتم افتتاحها رسميًّا في 4 نوفمبر 1821م = 8 صفر 1237هـ، وعرف العراق المطبعة عام 1830م = 1246هـ، وعرفت فلسطين الطباعة أيضًا عام 1830، كذلك عرفت الجزائر الطباعة في عام 1830، ويقال إن الفرنسيين نقلوا

---

(1) **الشدياق:** عالم باللغة والآداب، ولد في بعشقوت بلبنان عام 1804م = 1219هـ لأبوين مسيحيين، سمياه فارسًا. وتعلم في المدارس المارونية بلبنان، ثم رحل إلى مصر، وتلقى الأدب على علمائها، واشتغل في جريدة الوقائع المصرية، ورحل إلى مالطة، وعمل بها مدرسًا للغة العربية. وتنقل في أوربا وخاصة باريس ولندن، ثم سافر إلى تونس، واعتنق الدين الإسلامي، وتسمى أحمد فارس، فدعي إلى الآستانة؛ حيث أسس مطبعة الجوائب، وأصدر صحيفتها عام 1277هـ، واستمرت في الصدور 23 سنة، وطبع بمطبعته هذه كثيرًا من كتبه وكتب غيره، وتوفي بالآستانة عام 1887م = 1304هـ، وله عدة مؤلفات في الأدب واللغة والنحو (انظر الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص1078؛ وكذلك مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مرجع سابق هامش، ص28).

(2) صناعة نشر الكتاب، مرجع سابق، ص383 و384؛ وكذلك قصة الطباعة، مرجع سابق، ص75 و76؛ وكذلك تاريخ الطباعة في الشرق العربي، مرجع سابق، ص23 وما بعدها.



إليها المطابع التي كانت الحملة الفرنسية قد استخدمتها في مصر قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة. ودخلت الطباعة إلى المغرب عام 1864م = 1281هـ، وكانت مطبعة حجرية. ودخلت الطباعة اليمن عام 1877، وعرف الحجاز الطباعة عام 1882م = 1300هـ، وأول مطبعة أنشئت في الأردن هي مطبعة خليل نصر، وكانت قد تأسست في حيفا عام 1909 ثم نقلت عام 1922 إلى عمان. وكانت البحرين أول بلد في الخليج العربي ينشئ مطبعة في عام 1938، باسم مطبعة البحرين، وتبعتها الكويت، حيث أنشئت فيها أول مطبعة عام 1947، وسميت مطبعة المعارف، وكانت عبارة عن طابعة صغيرة مستعملة جلبت من العراق. وأول مطبعة عرفتها قطر كانت في عام 1956، واسمها مطابع العروبة، ثم دخلت الطباعة بعد ذلك إلى دولة الإمارات العربية وسلطنة عمان(1).

كان ذلك عن نشأة الطباعة وتطورها في الدول العربية، وبطبيعة الحال فإن صناعة الكتاب المطبوع في العالم العربي المعاصر، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بدخول المطبعة إلى الدول العربية المختلفة .. وواضح مما سبق أن الطباعة العربية قد اصطبغت في نشأتها الأولى بصبغة مسيحية؛ حيث نشأت المطابع في ظل الأديرة اللبنانية، وكان عملها قاصرًا على طبع الكتب الدينية المسيحية. كذلك فإن مطبعة الحملة الفرنسية على مصر عام 1798 قد جاءت مع الحملة، ثم رحلت معها عام 1801، ولم يكن لها في مجال طبع الكتاب أثر يذكر، ولم يظهر الكتاب بوجهه العربي إلا في مطبعة بولاق بمصر، التي أنشأها محمد علي والي مصر، وخرج منها أول كتاب باللغة العربية عام 1823م = 1238هـ، وهو قاموس (إيتلياني وعربي). وبدأ بذلك تاريخ النشر العربي المعاصر للكتاب، وصدرت الكتب باللغة العربية بعد ذلك عنها تباعًا. وكانت هذه المطبعة حكومية، وما تنشره من كتب إما على نفقة الحكومة - وأكثرها كتب مترجمة لخدمة أغراض الجيش، أو لخدمة ديوان المدارس الذي تنتسب المطبعة إليه - وإما على نفقة ملتزم طبع ونشر يدفع التكاليف للمطبعة. وهذه أول صورة من صور النشر الأهلي للكتاب في مصر، بل نواة الناشر العربي. وكان معظم هؤلاء الملتزمين من الوراقين

---

(1) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص384 و385؛ وكذلك قصة الطباعة، مرجع سابق، ص76 – 79 و85؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 31 – 40؛ وكذلك مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مرجع سابق، 159 و192، راجع تفاصيل أكثر عن تطور الطباعة في العالم العربي في كتاب الطباعة في الشرق العربي، مرجع سابق، كل دولة في موضعها من الكتاب.



الذين يتاجرون بالمطبوعات والمخطوطات في سوق الكتب بجوار الأزهر وفي رحابه بالقاهرة؛ بهدف تحقيق النفع المادي والسعي وراء الكسب. ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان عدد من المصريين قد امتهنوا مهنة نشر الكتاب[1]، وبعضهم كان صاحب مكتبة، تحول إلى التزام النشر، وبعضهم كان من عمال الطباعة الطموحين الذين أسسوا مطابع بدائية مستقلة، وبعضهم من المؤلفين أو المحققين الذين أرادوا أن يخوضوا بأنفسهم تجربة نشر إنتاجهم من الكتب، وهكذا كان الحال في معظم أقاليم الوطن العربي بصور قليلة الاختلاف والتفاوت[2].

ولقد كان الكتاب العربي في بداية الأمر، يشبه – من حيث الشكل – الكتاب المخطوط إلى حد كبير، فوجه الورقة الأولى مخصص لعنوان الكتاب واسم المؤلف واسم المطبعة التي طبعته وسنة الطبع. وكانت هذه الصفحة تجمع بالبنط نفسه الذي كانت تجمع به حروف الكتاب كله. وشيئًا فشيئًا أخذ الطابعون يجمعون العنوان ببنط أكبر إلى أن ترك أمر العنوان إلى الخطاطين يكتبونه بخطهم الجميل، ثم يحفر على الزنك ويصنع له نمط أو كليشيه، كما هي الحال اليوم. وكانت عناوين الكتب لا تخلو من السجع. وكانت صفحات الكتاب كلها – بما في ذلك صفحة العنوان – تحاط بإطار يتكون من خطين أحدهما أسمك من الآخر. وكانت المطبعة تتفنن في الصفحة الأخيرة، مقلدة بذلك الكتب المخطوطة. فتختم الكتاب بحمد الله تعالى على إتمام هذا العمل، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ. ويتبع ذلك اسم المطبعة التي طبعت الكتاب والسنة الهجرية التي طبع خلالها. وكان يؤخذ على الكتب الأولى كثرة

---

(1) كان اعتماد هؤلاء على نشر كتب التراث القديمة وكتب (التعيين) التى يحتاج إليها طلاب الأزهر. ومن أقدم مطابعهم المطبعة الميمنية التى أسسها أحمد البابي الحلبي عام 1859، ثم انقسمت فيما بعد إلى شركتين منفصلتين. ومطبعة المعارف التى أنشأها إبراهيم المويلحي، والمطبعة الأهلية القبطية عام 1870 وفي الفجالة بالقاهرة أنشأ جورجي زيدان ونجيب مترى مطبعة التأليف سنة 1890، ثم انفصلا في العام التالي = 1891، واستقل الأول بالمطبعة وأطلق عليها اسم الهلال، وهي دار الهلال الموجودة حاليًا. وأنشأ الثاني مبطعة المعارف ومكتبتها والتي تغير اسمها في عام 1944 إلى "دار المعارف"، وانتقلت من الفجالة إلى كورنيش النيل في عام 1950، وفرضت عليها الحراسة في عام 1968 وضمت إلى القطاع العام، راجع تشاندلرجر نيس، نشر الكتاب فن، ترجمة وتقديم حبيب سلامة، القاهرة، دار النهضة العربية، 1965، ص5 – 6.

(2) صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص247، 248؛ وكذلك نشر الكتاب فن، مرجع سابق، ص3-6.



أخطائها المطبعية؛ لقلة عدد المصححين الأكفاء الذين كان البحث عنهم يستغرق وقتًا طويلا. وكانت معظم الكتب التي تخرج من مطابع مصر والشام في الدين والأدب والطب والفنون العسكرية والهندسية وصباغة الحرير؛ مما يفي بحاجة الناس في ذلك العهد. وكانت الكتب الفاخرة ترسل إلى أوربا بعد تجليدها وتذهيبها. وقد أرسلت مطبعة "بولاق" المصرية كتبها إلى معرض باريس، الذي أقيم عام 1867، فنالت الميدالية الفضية؛ إذ كان طبعها على جانب من الإتقان، وحروفها واضحة جميلة، وورقها من النوع الجيد(1).

ويمكن أن يقال إن صناعة الكتاب في العالم العربي، تجاوبت مع انتشار التعليم والتقدم العمراني والاقتصادي، فإذا حدث وخبت شعلة هذا التقدم، قل الإقبال على الكتاب وكسدت تجارته. ومهما يكن الأمر فإن هذه الصناعة لم تكن في البلاد العربية مصدرًا أكيدًا للكسب، على الأقل حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، حين عم الرخاء جانبًا من دول العالم العربي، وانتشر التعليم بين طبقات الشعب فيه. ثم شهد العالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين تجمع أضخم قدر من الأحداث السياسية والفكرية والاجتماعية وازدهار الصحافة. وكل ذلك نشط من حركة التأليف وزيادة عدد القراء، فانتشرت المطابع، وتضاعف عدد مكتبات البيع، التي سرعان ما كانت تتحول إلى التزام النشر، بالإضافة إلى البيع والاتجار بالكتب(2).

أهمية الكتاب ومميزاته :(3)

سبق أن أوضحنا أن الكتاب بصفة عامة، هو أول وسيلة إعلام مكتوبة، وأقدم أنواع المواد المنشورة في تاريخ البشرية، وهو الوعاء الرئيس للتراث الإنساني، وينطبق عليه ما

---

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص40 – 41.

(2) المرجع السابق، ص41؛ وكذلك نشر الكتاب فن، مرجع سابق، ص6.

(3) مراجع هذه الجزئية هي: إبراهيم محمد سرسيق، أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي – بدون تاريخ، ص19-22. وكذلك محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، جدة، دار المنار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م، ص156 و182 – 186. وكذلك صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص18-24 و50-53. وكذلك زكي رمضان محمد القرمان، الإعلام الإسلامي في العهد الأموي (بحث بالآلة الكاتبة، تقدم به لنيل درجة الماجستير من قسم الإعلام بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية)، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1402هـ، ص86 – 89.

ينطبق على مثيله من وسائل الإعلام المقروءة أو المكتوبة. ويتمتع مثلها بميزات عديدة، ومن بينها ما يلي:

أولا: من النعم الإلهية الكبرى التي حباها الله سبحانه وتعالى هذه الأمة الإسلامية واختصها بها، "القرآن الكريم"، وهو كلام رب العالمين، الذي انتقل إلينا بالسطور والصدور جيلا بعد جيل، منذ تلاه رسول الله ﷺ، وبلغه كما أنزل عليه. وهذا الكتاب المقدس يستمد المسلمون منه عقيدتهم ومنهاج حياتهم، وعليه يلتقون إذا اختلفت آراؤهم ونزعاتهم. وقد حث رسول الله ﷺ على تعلم القرآن وتعليمه، فقال فيما رواه عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [أخرجه الترمذي]. ومنزلة المسلم ترتفع بمقدار ما يعلم من القرآن الكريم.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي - عبر مراحله المختلفة - يلاحظ مدى تأثير القرآن الكريم في المسلمين وتأثرهم به. ويمكن القول إنه ما من أمة كان لها مثل ما كان للأمة المسلمة من الإفادة من كتاب ربها. فالقرآن الكريم شد الأمة الإسلامية إلى دينها، بل حفظه لها، حتى أن اللغة العربية التي نزل بها اكتسبت قوة وديمومة بفضله، وخاصة في البلاد التي سيطر عليها الاستعمار فترات طويلة؛ إذ كان في مخطط الاستعمار إزالة اللغة العربية من الوجود، مثلما حصل في الجزائر خاصة، والمغرب العربي عامة.

ثانيًا: إلى جانب القرآن الكريم، كان للسنة النبوية أثر مهم أيضًا في الحفاظ على وحدة المسلمين الفكرية والروحية والسلوكية. فقد بدئ بتدوين السنة رسميًّا منذ بداية القرن الثاني الهجري، بإشارة من الخليفة عمر بن عبد العزيز. وقد قام العلماء فيما بعد بجهود كبيرة لمعرفة الحديث المقبول من الحديث المردود، وتنقية الحديث مما شابه نتيجة بعض الظروف والأسباب، حتى أن علومًا عدة أنشئت لخدمة الحديث النبوي الشريف، سميت بعلوم الحديث. وهكذا ظهرت كتب الصحاح، كالجامع الصحيح للبخاري وصحيح مسلم، وكتب السنن: كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرها، وكثرت عناية المسلمين بها حفظًا وتعلمًا، إلى يومنا هذا؛ لأن السنة النبوية تعتبر المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم.



ثالثًا: وعن هذين المصدرين العظيمين (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، تفرعت علوم أفردت بالتأليف والتصنيف، وقام بهذا علماء برعوا في هذه العلوم، فانتشرت كتب التفسير، وعلوم القرآن، والفقه وأصول الفقه، وعلوم الحديث، ومصطلحه، والتوحيد وغيرها. ودونت المذاهب الفقهية الأربعة في مؤلفات خاصة. وقد أسهمت هذه الكتب جميعًا في نشر العلم الشرعي، وبيانه للمسلمين. فوعى الناس أحكام دينهم، وكان النقاش مستمرًّا بين علمائهم في هذه الأمور، وهذا ما ساعد على ازدياد المؤلفات التي تعتبر مرجعًا أساسيًّا للمسلمين حتى اليوم؛ لمعرفة آراء العلماء سلفًا وخلفًا.

رابعًا: وإذا انتقلنا من ذلك العصر إلى عصرنا هذا – وبالتحديد أوائل القرن العشرين – نرى كيف أسهم الكتاب الإسلامي في الحفاظ على الفكر الإسلامي، والدفاع عن الحضارة الإسلامية، التي بدأ أعداء الإسلام في الداخل والخارج بالتشكيك فيها. فقد بدأ الكتاب الإسلامي في الظهور بشكل بسيط، ثم ما لبث أن كثر وانتشر، فأعاد للمسلمين ثقتهم بإسلامهم، وبقدرته على قيادة البشرية، بعد أن توهم كثير من المسلمين – بتأثير من دعايات المغرضين – بأن الإسلام قد أدى دوره في حقبة من الزمن وانتهى، وأن العودة إليه في هذا العصر تعتبر رجعية وتأخرًا.

خامسًا: تمثل الترجمة جانبًا أساسيًّا في مجال الكتاب؛ باعتباره وسيلة اتصال حضاري. ويحدثنا التاريخ عن اهتمام العرب بترجمة أهم الكتب اليونانية إلى اللغة العربية، وأن حركة الترجمة قد بدأت مع الدولة الأموية[1]، في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان. وكانت المحاولة الجادة لتعريب الكتب وجعلها وسيلة إعلامية مطروحة للتداول بين الناس، قد تمت على يد الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية، ولم تكن غايته من وراء تعريب الكتب احتكار العلم لنفسه، بل إن هدفه كان إعلاميًّا في المقام الأول؛ لإيمانه بأن العلم للتداول بين الناس، ولتحقيق منفعتهم وعزتهم وكرامتهم. كما عمل الخلفاء الأمويون على تشجيع

---

(1) في هذا الوقت الذى كان فيه المسلمون خلال العهد الأموي، يشجعون الحركة العلمية ويحمون الحرية الفكرية مفسحين المجال لغير المسلمين لمشاركتهم في الإنتاج الفكري، والمساهمة في حركة الترجمة وتعريب الكتب – كانت الكنسية المسيحية تفرض على الأوربيين إرهابًا فكريًّا، وراح رجالها يحتكرون لأنفسهم حق تفسير الكتاب المقدس عندهم، وعمدوا إلى إحراق معارضيهم أحياء؛ في سبيل الإبقاء على تسلطهم على الناس؛ الأمر الذى جعل الظلام الفكري يخيم على تلك الأنحاء، وسميت تلك العصور عندهم بعصور الظلام (الإعلام الإسلامي في العهد الأموي، مرجع سابق، ص91).



المسلمين وغيرهم على القيام بنقل كتب الأقدمين إلى اللغة العربية؛ عملا منهم على نشر العلم والاستفادة من علوم الآخرين النافعة. ولقد بلغت حركة ترجمة الكتب إلى اللغة العربية شأنًا كبيرًا في الدولة العباسية، وبخاصة في عصر المأمون، الذي اهتم بالترجمة اهتمامًا خاصًّا، وأنفق عليها بسخاء.

ثم جاء الدور على أوربا في نهضتها الحديثة؛ لتترجم كتب العرب إلى اللاتينية، ولتترجم الكتب اليونانية القديمة من النص العربي. ومن هذا الباب الواسع كان الكتاب سفير الحضارات. فقد دخلت العلوم أوربا من إسبانيا وصقلية وإيطاليا، وذلك بإنشاء مكتب للمترجمين في طليطلة، بدءًا منذ سنة 1130 ميلادية، بنقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية. ولم يتوان الغرب في أمر هذه الترجمة خلال القرون: 12 و 13 و14 الميلادية. ولم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء المسلمين باللغة العربية كالرازي وابن سينا، وابن رشد وغيرهم إلى اللغة اللاتينية، بل نقل إليها أيضًا كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى اللغة العربية، مثل كتب جالينوس، وأبقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وإقليدس، وأرشميدس، وبطليموس، فزاد عدد ما ترجم من الكتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب. والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم إلا من ترجمتها إلى اللغة العربية، وبفضل هذه الترجمة اطلعت أوربا على كتب اليونان التي ضاع أصلها اليوناني.

ومما يؤسف له أنه في عالمنا المعاصر تمثل ترجمة الكتب - في أغلبها اتجاهًا ذا تدفق واحد، من الحضارة الأوربية المعاصرة إلى العالم الثالث. وقليل من كتب العالم الثالث التي تحظى بالترجمة إلى إحدى اللغات الأوربية. ولعله من المفيد أن نذكر أن حركة الترجمة للكتاب الإسلامي في الوقت الحاضر، قد أصبحت فائدتها تعم أغلب المسلمين على اختلاف لغاتهم. ومن أمثلة ذلك كتب المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والتي ترجم أغلبها من اللغة الأوردية إلى اللغة العربية، وكتب سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التي تترجم إلى اللغة الإنجليزية والأوردية والفارسية وغيرها. وهذه الحركة ساعدت على نقل الفكر الإسلامي للشعوب المسلمة، التي هي في أمس الحاجة إلى مزيد من التلاحم والتفاهم.



سادسًا: يجمع الكتاب بين فضائل وسيلة الاتصال الجماهيري؛ بحكم الأعداد المطبوعة منه، وبين فضائل الاتصال المباشر؛ لأن القارئ لابد وأن يخلو للكتاب، وأن يتهيأ للقراءة. والكتاب في دائرة الاتصال الحضاري يحظى بموقع فريد، وتقف بعض الكتب كأنها علامات بارزة في نقل التراث الحضاري من جيل إلى جيل، ومن حضارة إلى أخرى، كما سبق أن رأينا في البند السابق على سبيل المثال.

ويوضح تقرير لليونسكو[1]، أن الكتب تعتبر وسيلة إعلام جماهيرية أولى.

فبرغم تطور المنافسة بعد ظهور أشكال جديدة للاتصال بالجماهير، ظل عدد القراء في تزايد مستمر. فمن عام 1955 إلى عام 1976 زاد إنتاج الكتب في العالم زيادة مطردة إلى أن تضاعف، هذا إذا أخذنا في الاعتبار عناوين الكتب الصادرة في كل سنة. أما إذا اعتبرنا عدد النسخ، فإن الرقم يصبح ثلاثة أضعاف ما كان من قبل. وفي منتصف العقد الثامن من القرن العشرين أصبح يوجد في الأسواق أكثر من خمسمائة وتسعين ألف كتاب، طبعت منها حوالي ثمانية مليارات من النسخ. وكان من أهم أسباب هذا التزايد هو التغيير الجذري الذي طرأ بعد الحرب العالمية الثانية على الوسائل الفنية لإنتاج الكتب وتوزيعها. ولكن مع ذلك يوجد في هذا المجال – كما في الميادين الإعلامية الأخرى – فروق أساسية وعميقة بين الدول المتقدمة والدول النامية. ففى عام 1976 – على سبيل المثال – بلغ عدد الكتب المطبوعة خمسمائة وواحد وتسعين ألف كتاب في مختلف أنحاء العالم، منها أربعمائة وواحد وتسعين ألف كتاب للبلاد المتقدمة، ومائة ألف كتاب فقط للبلاد النامية.

سابعًا: الكتاب بصفة عامة يعكس الثقافة التي ينتمي إليها، ولكن ذلك لا يقف عائقًا أمام انتشار الكتاب من دائرة الإعلام المحلي أو الإقليمي إلى دائرة الإعلام الوطني، ثم إلى دائرة الإعلام الدولي، بل إن المذاق الخاص للكتاب باعتباره انعكاسًا لثقافة ينتمي إليها، وانعكاسًا لبيئة نبت فيها، وخرج منها، يعد عاملا مهمًّا في انتشاره دوليًّا، إذا تحققت له شروط النجاح.

وتحاول الدول – من جانب آخر – أن تجعل من كتبها وسيلة يمكن الاعتماد عليها في مجال الإعلام الدولي. وأدركت الجهات المسئولة عن الإعلام – في وقت مبكر – أهمية الكتاب؛ باعتباره وسيلة مهمة للإعلام الدولي، أو الإعلام الخارجي. ولقد كان من بين أول

(1) هذا التقرير أعدته لجنة مشكلة لبحث مشكلات الإعلام العالمي في نطاق منظمة اليونسكو عام 1977م.

المشروعات الإعلامية التي نظمتها وزارة الخارجية الأمريكية - بالتعاون مع مؤسسات غير رسمية - إصدار كتاب في عام 1943 حول تاريخ الولايات المتحدة، وأشرف على إصداره مجموعة من الباحثين في جامعة (برنستون)، وتم نشره في العالم العربي. كما قامت وزارة الخارجية الأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية بتزويد العديد من المكتبات العربية العامة بمجموعات من الكتب الأمريكية. وكان ذلك في نطاق النشاط الإعلامي المباشر وغير المباشر. وقد استقبلت المكتبات العربية الهبات الأمريكية من الكتب بالترحاب، وبخاصة أنها كانت تفتقر إلى الكتب الغربية التي انقطعت بسبب ظروف الحرب.

ثامنًا: دفع الاقتصاد الحديث صناعة نشر الكتاب، إلى الانتقال من الطور الحرفي إلى طور الإنتاج على نطاق واسع. وقد أدى هذا التطور بكثير من ناشري الكتاب إلى الاندماج في شركات إعلامية أو مالية؛ مما أدى إلى نتائج سياسية مهمة على الصعيد الدولي، وكانت صناعة الكتب أول وسيلة إعلام جماهيرية صالحة للتصدير. وساعد على ذلك نشاط الناشرين الأوربيين في إيجاد الأسواق، ثم تأسيس الفروع في المستعمرات القديمة.

تاسعًا: يعتبر الكتاب وسيلة إعلامية واسعة الانتشار، وتأثيرها بعيد المدى، وهو قابل للنقل والتحرك من مكان إلى مكان، والتداول بين مختلف الطبقات. ويمكن تبادل الاستفادة مما فيه، والانتفاع بمضمونه الإعلامي أكثر من مرة، وعلى يد أكثر من شخص. والكتاب من هذه الناحية مفيد في تثبيت الرسالة الإعلامية، عن طريق التكرار، وعن طريق التعدد. وهو قادر على التأثير والإقناع من زاوية أخرى؛ لأنه يتيح للقارئ قدرًا كبيرًا من التفكير الإقناعي أو النقدي للمادة المكتوبة. فالقارئ يستطيع أن يتأنى ويفكر ويتأمل، ويعود فيقرأ ويتأنى ويفكر، ويتأمل مرارًا وتكرارًا، ويدور حوار صامت بين الطرفين؛ مما يعطي للمادة المقروءة قوة تأثيرية كبرى، ينتج عنها أنها تلح على القارئ بفكرة معينة تستولي عليه، وتكون النتيجة أن تتعمق الاتجاهات الرئيسة للمادة الاتصالية في ذهنه، ويصبح منفعلا بها أكثر من كونه متلقيًا لها؛ وذلك لأن الكلمة المكتوبة ذات سحر قوي على النفوس، إذا أمكن إعدادها إعدادًا جيدًا، وتوفر لها من أساليب التأثير اللفظي والمعنوي ما يجعلها تتسلل إلى القارئ بشحنة عاطفية، تجعل القارئ أسيرًا لها، ثم داعيًا لمضمونها.

عاشرًا: يتميز الكتاب بأن قارئه يقوم بنفسه بتحصيل فحواه، فهو لا يحتاج إلى وسيط لنقل ما فيه من معلومات إلى ذهن القارئ، بل يكفي أن يعرف المتلقي القراءة أو يجيدها؛ ليستطيع

الإحاطة بفحوى الرسالة التي يحملها الكتاب، ويقوم على إدراك معانيها، دون حاجة إلى استيعاب المهارات القرائية الأخرى؛ كسرعة القراءة، أو القدرة على اختزان المقروء، أو الإجادة في تلخيص ما يقرأ ... إلخ، وهكذا يستطيع القارئ نفسه - دون أي وسيط آخر - أن يحصل مضمون الكتاب بنفسه ولنفسه؛ ومن ثم يتوفر لديه الدافع الشخصي ليحدد لنفسه موقفًا من الكتاب دون وصاية أخرى مفروضة عليه في هذا الصدد.

حادي عشر: تؤثر المواد المقروءة – الكتاب من بينها – في نفس المتلقى، من ناحية حفزه على تأكيد ذاته، وشحذ قواه العقلية في فهم ما يقرأ وفك رموزه، وقيامه بمهمة المعلم لنفسه. ومن المعلوم - سيكولوجيًّا - أن قيام المتلقي بمهمة التلقين والتعليم لنفسه يزيد ما يتلقاه عمقًا وثباتًا وقوة، سواء في محاولة تحليله للرموز القرائية، أو مجهوده الذي يبذله في فهم المعميات والعبارات الغامضة؛ مما يعطيه إيجابية في الفهم، وتأكيدًا للذات، وقدرة عقلية على الإقناع والاقتناع.

ثاني عشر: الكتب وسيلة إعلام ذات أثر بالغ في حياتنا جميعًا؛ فهي دليلنا على الماضي، وتساعدنا لفهم أنفسنا، وفهم العالم الذي نعيش فيه، وتمدنا بالعون لنرسم خطانا للمستقبل بطريقة أفضل. كما أنها أداة تعليمنا الرئيسة، ووسيلة إمتاع الناس في كافة أعمارهم؛ فالكتب تنقل الكثير من تراث الماضي، ولا تستمر حياة الأمة التعليمية والمهنية والاجتماعية بغير الكتب. فالقضاة لابد لهم من فحص مجلدات النظم والقوانين بصورة مستمرة، والأطباء يرجعون دائمًا إلى خزائن الحكمة الطبية والعلاج، وموظفو الحكومة يرجعون إلى اللوائح والنظم المختلفة، والمدرسون والطلبة يجدون في الكتب الدراسية المقروءة المعرفة الشاملة بالتاريخ، والعلم، والآداب، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، التي تجمعت وتراكمت على مر العصور. والرجال والنساء يقرءون؛ حتى يظلون على صلة قوية بما يجري في العالم السريع المتغير من حولهم، وليجدوا استجمامًا، وليكتسبوا معرفة في كل أوجه النشاط الإنساني.

ثالث عشر: يتميز الكتاب بأنه يتيح للقارئ فرصة التحليق بخياله فيما بين السطور، فيفهم أكثر مما يقرأ، ويتخيل أكثر مما يفهم؛ وذلك لأن المادة المكتوبة لا تحصره في نقطة محددة، ولا تحاصره في إطار مغلق، بل تشع في نفسه إشعاعات متموجة، تجعله يراوح ما بين الفهم حينًا، والفكر حينًا، والتخيل حينًا والابتكار في بعض الأحيان.

فالكتاب أقدر على الاحتفاظ بما فيه من معلومات أطول مدة ممكنة، وهو بهذا يتيح الفرصة للقارئ لكي يرجع إليه أكثر من مرة؛ للتثبت من بعض النقاط التي يود أن يركز عليها، كما أن القارئ يستطيع أن يعرض نفسه على الكتاب في الوقت الذي يناسبه ويتفق مع ظروفه.

رابع عشر: وأخيرًا يمكن الإشارة إلى أقوال الذين يرون أن الكتاب سيبقى على شكله المعاصر إلى ما بعد عام ألفين[1]. فمنهم من يؤكد استمرارية الكتاب اعتمادًا على أن السنوات العشرين الأخيرة لم تسجل هبوطًا في نسبة المطبوع من الكتب، ولا في نسبة توزيعها .. ويذهب البعض إلى أن القراءة جهد إرادي حر، يهيئ السعادة للقارئ، وحضارة الكلمة المطبوعة حضارة قرون طويلة، تؤكد أن هذا الجهد يتضمن قيمة أساسية .. ويقول آخرون لقد تحولت الكتب من الآن إلى شرائط الميكروفيلم، ولكن هذا التحول هدفه الحفظ وليس القراءة، أي أن الميكروفيلم مرحلة تأتي بعد صدور الكتاب، أو هي مرحلة نتيجة لنشر الكتاب، ثم لماذا لا ينظر إلى الكتاب بتفاؤل، على اعتبار أن التعليم في تطور مستمر، وأن عدد المتعلمين في تزايد، وبالتالي فإن عدد القراء يتزايد، وهذا يدعو إلى توفير الإمكانات، وبالفعل فلقد اخترعت ماكينة طباعة تطبع وتقص وتجلد سبعة آلاف نسخة من كتب يصل عدد صفحاتها إلى ثلاثمائة صفحة في ساعة واحدة.

سلبيات الكتاب[2]:

كانت تلك بعض مميزات الكتاب، ولكن على الجانب الآخر يوجد للكتاب أيضًا عدد من السلبيات التي تعوق انتشاره، ومن بين تلك السلبيات ما يلي:

---

(1) هذه الأقوال عرضت خلال الندوة التى نظمتها مجلة "لير" الفرنسية في أول عام 1982 عن الكتاب في عام ألفين، واشترك فيها عدد من النقاد والأدباء والناشرين. انظر فتحي العشري، مقال بعنوان: ندوة عالمية عن الكتاب عام 2000، بجريدة الأهرام المصرية في 1982/4/2م.

(2) مراجع هذه الجزئية هي: صناعة الكتاب ونشره، مرجع سابق، ص24 و53. وكذلك نشر الكتاب فن، مرجع سابق، ص32 و 33. وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص43 – 45. وكذلك يحيى محمود ساعاتي: حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية، الرياض، النادي الأدبي، 1399هـ/1979م، ص187 و189.

أولا: أن الكتاب في شكله المعاصر لن يبقى لآماد طويلة؛ وذلك لأنه قلت قيمته، إما بسبب الرقابة السياسية، أو بانصراف القراء عنه إلى متع أيسر وأسرع تتمثل في الأجهزة السمعية والبصرية.

ثانيًا: يرى أمين عام اليونسكو أن البلاد النامية تعاني من ندرة الكتب، فهي لا تنتج إلا واحدًا على خمسة من الكتب الصادرة في العالم، وأن الدول المتقدمة تعاني من كيفية توصيل الكتاب إلى القارئ. فقد تبين من دراسة أجريت أن نسبة عالية من مواطني الدول المتقدمة لا يقرءون الكتب. وإذا كان العالم العربي – على سبيل المثال باعتباره من الدول النامية – يتكون من حوالي 125 مليون نسمة، فإنه لا ينتج أكثر من نسبة 1٪ من الإنتاج العالمي للكتاب سنويًّا، بينما يشكل عدد السكان فيه نسبة 3,5٪ من عدد سكان العالم. أما نصيب كل مليون عربي من إنتاج الكتاب فهي 40 كتابًا، في حين أن المعدل العالمي يصل إلى 150 كتابًا لكل مليون نسمة.

ثالثًا: الكتاب لا يتعرض له قطاعات كبيرة من الناس، وفي مقدمتهم الأميين وعددهم كبير، وخاصة في الدول النامية، وسبب ذلك واضح، وهو أن الأمي لا يعرف القراءة، فلا يستطيع الاطلاع على الكتب. وكذلك لا تتعرض له قطاعات من ذوي الدخل المحدود جدًّا، حتى ولو كانوا ممن يجيدون القراءة والكتابة؛ لعدم قدرتهم على شراء الكتب. ولذلك فإن الغالبية المحرومة من هذه النعمة تلجأ إلى الوسائل الأخرى – كالإذاعة والتليفزيون – لتعويض ذلك النقص.

رابعًا: قارئ الكتاب – بصفة عامة – يمتاز بالبحث عن المضمون الجاد، فضلا عن إجادته للقراءة بطبيعة الحال، وغالبًا ما يكون واسع الثقافة،؛ لأن الكتاب يمتاز عادة بالعمق والدراسة بين وسائل الإعلام المختلفة. وهؤلاء بطبيعة الحال عددهم قليل .. ومن الغريب أن الثراء ليس سببًا في إقبال الناس على شراء الكتب، فقد تزهد المجتمعات المترفة في الكتاب، وتلجأ إلى وسائل أكثر ترفيهًا.



وقد تكون هناك سمات خاصة للثقافة الوطنية في مجتمع من المجتمعات، تجعل لنوعيات معينة من الكتب وضعًا أكثر انتشارًا وتوزيعًا. فالكتاب الإسلامي - مثلا - يلقى رواجًا كبيرًا في المملكة العربية السعودية أكثر من غيره. ومن الشائع أن العراقيين من أكثر العرب قراءة للشعر، والمصريين من أكثر العرب قراءة للقصة الطويلة، وهكذا.

خامسًا: من الأسباب التي تعترض سبيل الكتاب، وخاصة الكتاب العربي، وتحد من انتشاره، قوانين تبادل النقل ووسائل النقل وقوانين التصدير والاستيراد والضرائب الجمركية والبلدية وغيرها. وقد عانت السوق المحلية في أغلب دول العالم خلال الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها، نقصًا في أنواع الورق وارتفاعًا في سعره، أخذ يشتد مع تقدم السنوات، وأصبحت تجارة الورق مشكلة عسيرة، وقد نتج عن غلاء سعر الورق وندرته، أن تأثر الإنتاج الوطني للكتاب، فصار عدد المطبوع من كل كتاب لا يتجاوز ثلاثة آلاف نسخة، وارتفع سعر الكتاب تبعًا لقلة المطبوع منه؛ نتيجة لارتفاع تكاليف إنتاجه، وبذلك تعذر شراء الكتاب على قطاعات كبيرة من المجتمع.

سادسًا: منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ المؤلفون - وخاصة في مصر - يجأرون بالشكوى من ظاهرة استشرت في العالم العربي، ولم تجد لها حلا حتى الآن، وهي ظاهرة تزوير الكتب وإعادة طبعها دون استئذان مؤلفيها وناشريها الحقيقيين. وقد تخصص مزورون في دولة عربية في هذه العملية دون وازع من ضمير أو من قانون يضع حدًّا لسرقتهم.

سابعًا: يرى البعض أن القضية الحقيقية في أزمة الكتاب – خاصة الكتاب العربي – هي في المناخ والتوزيع؛ حيث تفتقر الدول النامية - ومنها العالم العربي بطبيعة الحال - إلى قاعدة ثابتة لتوزيع الكتاب، ويحفظ للكتاب كرامته، ولدور النشر كيانها، وتقدم للقارئ الكتب بثمن مقبول ومعقول.

ثامنًا: أن ارتفاع أسعار الورق، وأجور الطابعين في الآونة الأخيرة، أخذ يهدد الكتاب، حيث ارتفعت أسعار الكتب إلى درجة يخشى معها أن تصبح فوق متناول سواد الشعب، وتعاود سيرتها الأولى، حين كان الكتاب وقفًا على من يستطيع أن يدفع بسخاء.

تاسعًا: افتقار أغلب دور نشر الكتاب – وخاصة في الدول النامية – إلى الجهاز المنظم، واعتمادها على أصحابها، وأكثرهم من غير المتخصصين في مهنة نشر الكتاب. وكذلك استمرار الاعتماد على الجهات الحكومية كمنفذ رئيس لتصريف الكتاب، وفي ذلك نوع من قتل العمل الثقافي. فغالبًا ما يذهب الكتاب إلى مستودع الوزارة، أو الإدارة المعنية ويوزع بطريقة غير مفيدة. ونعرف أن الجهات الحكومية تشتري الكتب بدافع من التشجيع، ولكن ذلك ليس هو الطريق الصواب؛ إذ يفترض أن الكتاب وضع ليقرأ، ومن الضروري أن يصل إلى يد القارئ ذاته، يشتريه باختياره وبنقوده.

عاشرًا: عدم الاهتمام والعناية بالدعاية والإعلان عن الكتب من جانب دور النشر، مع أن ذلك من الواجبات والضروريات التي يجب أن تؤديها؛ لتعرف القارئ بما صدر من كتب جديدة وكيفية الحصول عليها، وكل ذلك يؤدي إلى قلة توزيع الكتاب وركود سوقه.

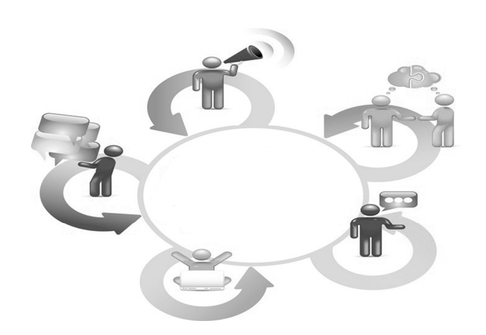
حادي عشر: عدم الاهتمام في دول العالم الثالث بالشكل الخارجي للكتاب، والأغلفة وتصميماتها، والتي تعد في عالم النشر الحديث قضية ضرورية؛ نظرًا للتقدم التقني الكبير الذي أصاب الكتاب عالميًّا، بحيث لم يعد الموضوع والمؤلف المنطلق الوحيد لترويج الكتاب وانتشاره، بل أصبح الشكل يمثل عنصرًا مهمًّا في هذا المضمار.

ثاني عشر: عدم الاهتمام ببيانات النشر، التي تعد ضرورية وملزمة؛ إذ نجد كتابًا بدون تاريخ نشر، وآخر لا يحمل اسم الجهة الناشرة أو حتى المطبعة التي طبع فيها الكتاب. إلى جانب سوء وضع البيانات إن وجدت، فنجد مكان النشر على الغلاف الخارجي والتاريخ على الصفحة الأخيرة من الكتاب، أو وضع جميع البيانات على الغلاف الخارجي من الخلف؛ مما يؤدي إلى ضياع هذه البيانات عند نزع غلاف الكتاب للتجليد أو عند تمزقه وتلفه. بالإضافة إلى عدم التقيد بوضع سعر محدد على الغلاف حتى لا يكون الكتاب عرضة للمغالاة عند بيعه من قبل باعة الكتب.

ثالث عشر: كذلك فإن سوء توزيع الكتاب يعتبر سببًا رئيسًا في الحد من انتشاره، وخاصة في دول العالم الثالث، وينتج عن سوء التوزيع، وعدم وجود نظام إيداع قانوني، استحالة وضع ببليوجرافيا وطنية شاملة في تلك الدول، تيسر الأمر على الباحثين والدارسين.

وهكذا، سرنا مع الكتاب التقليدي في رحلته الطويلة، عبر قرون عديدة، باعتباره أول وسيلة إعلامية مكتوبة خرجت إلى الوجود، منذ أقدم عصور التاريخ قبل اختراع الورق والطباعة بزمن طويل .. وبالرغم من أن الكتاب قد تعرض منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى منافسة السينما الصامتة، ثم الناطقة، إلا أن هذه المنافسة لم تؤثر فيه لا كمًّا ولا كيفًا .. وجاء الراديو بعد ذلك ليدخل كل بيت، وأيقن الناس أن عصر الكتاب قد انتهى، ولكنه خرج أيضًا من هذه المعركة سليمًا، وأقوى مما كان عليه .. وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت منافسة التليفزيون الأبيض والأسود ثم الملون، وصمد الكتاب كذلك لهذا المنافس العتيد، كما صمد للأشرطة المسجلة، وللذاكرة الإلكترونية وغيرها .. وعليه فإن الكتاب لن يختفي إلا إذا اختفت من الوجود دعامته الأولى، وهي الورق، أو إذا ارتفع سعره إلى الحد الذي يجعل شراءه مستحيلا .. ويبقى بعد ذلك أن نسير أيضًا في رحلة مع "تطور الصحافة التقليدية وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها" .. وهذا هو موضوع الفصل التالي إن شاء الله.





الفصل الرابع
تطور الصحافة التقليدية[1]
وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها





لقد خلق الله – سبحانه وتعالى – الإنسان، وخلق معه غريزة حب الاستطلاع، والبحث، والتطلع لمعرفة كل ما هو جديد في الحياة، والاطمئنان إلى البيئة التي يعيش فيها، داخليًّا وخارجيًّا .. ومنذ وجد البشر، وبدأ الكلام، نشأت حاجة طبيعية عند الإنسان، لأن يقول للآخرين ما يعلم وما يفكر به، ويعرف منهم كذلك ما يعلمون هم وما يفكرون به؛ وذلك لأن طبيعة الإنسان الاجتماعية تجعله يهتم بما يدور حوله، ولا يستطيع الحياة وحده.. ولكي يحافظ على نفسه، كان لابد من إيجاد وسيلة للتعبير بها عن آرائه، وآماله، وآلامه وحاجاته، إلى غير ذلك.

وكانت "الصحافة" هي أول وسيلة إعلامية وأقدمها، استخدمها الإنسان لأداء هذه المهمة؛ لتوصيله بالعالم الخارجي، وإمداده بالأخبار والمعلومات عما يحدث خارج بيئته وداخلها .. ومن هنا كانت "الصحافة" منذ القديم تهتم بنشر الأخبار المختلفة، وشرحها، والتعليق عليها، واستمدت من ذلك هذا الشأن العظيم، والإقبال الكبير عليها، والتأثر بها، في جميع أنحاء العالم.

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن "الصحافة" نشأت عند المصريين القدماء والرومان؛ حيث كانوا ينقشون الأخبار على الأحجار، ويكتبونها على أوراق البردي، ولكن هذا لا يعتبر صحافة بالمعنى الذي نفهمه اليوم، حيث يرى فريق آخر من المؤرخين، أن ظهور

---

(1) يرجى مراجعة الفصلين الثامن والعاشر من الباب الرابع من هذا الكتاب؛ لصلتهما الوثيقة بهذا الفصل.

الصحافة بمفهومها الحالي ارتبط باختراع جوتنبرج الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة، في منتصف القرن الخامس عشر (1445) (1)، وبعد أن شعر الناس بالحاجة إلى الأخبار المطبوعة، التي تطلعهم على أهم الأحداث المحلية والعالمية، حيث أمكن عن طريق هذا الاختراع طباعة عدد كبير من النسخ؛ مما أتاح وصول الصحف إلى أكبر عدد من القراء في أسرع وقت وبجهد وتكاليف أقل مما كان يبذل في الخبر المخطوط الذي كان سائدًا قبل ذلك(2).

الرسائل الإخبارية المنسوخة:

كانت مظاهر الصحافة الأوربية الأولى، في شكل رسائل إخبارية مخطوطة باليد، ظهرت خلال القرن الرابع عشر في إيطاليا، ثم في إنجلترا وألمانيا، وكان يكتبها تجار الأخبار؛ تلبية لرغبة بعض الشخصيات الغنية ذات النفوذ الكبير، والمتعطشة إلى معرفة أهم أحداث العالم. وكان لهؤلاء التجار مكاتب إخبارية حسنة التنظيم، ظلت تعمل لحسابهم خلال القرن الخامس عشر، وجزءًا من القرن السادس عشر. وكان يوجد في مدينة البندقية مكاتب كثيرة من هذا النوع. كما انتشر هذا النشاط الإخباري في سائر العواصم الأوربية، وكان كاتب الأخبار يستأجر العبيد الذين يعرفون الكتابة، أو يشتريهم، ويملي عليهم ما جمعه من أخبار ليدونوها، ويعدوها للبيع والتوزيع على المشتركين، وخاصة بالنسبة لرسائل الأخبار العامة، التي كانت تختلف عن رسائل المعلومات الخاصة الموجهة لكبار رجال السياسة والاقتصاد. وكان أشهر هؤلاء المخبرين جميعًا "أخوان فوجرز Fuggers brothers"، الذين اتخذوا من مدينة "أوجزبرج Augsburg"(3)، مقرًّا لهم، إلى جانب مكاتب إخبارية فرعية في لندن وباريس، وغيرها من العواصم الأوربية ومدنها الكبرى. وكان أخوان فوجرز متخصصين في

---

(1) راجع ما يتعلق بالطباعة في موضعه من كتاب وسائل الإعلام السعودية والعالمية (للمؤلف)، ص36 وما بعدها، وراجع كذلك في هذا الكتاب الذي بين يديك في موضعه بالفصل الثالث تحت عنوان (الكتاب المطبوع في أوربا)، ص 78 وما بعدها.

(2) خليل صابات: الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم، القاهرة، دار المعارف المصرية، الطبعة الثانية 1976، ص75. وكذلك خليل صابات وآخر : وسائل الاتصال، (الأنجلو)، ص47. وكذلك فاروق أبو زيد: فن الخبر الصحفي، جدة، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1984، ص75.

(3) **أوجزبرج:** مركز للفنون والعلوم بألمانيا. وكانت أهم مراكز عمليات البنوك والتجارة في أوربا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، راجع الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص256.

أعمال المصارف، فنشروا إلى جانب الأخبار السياسية والحربية والاجتماعية، أخبارًا تجارية ومالية، ذات قيمة كبيرة للتجار ورجال المال(1).

وفي البداية لم تختف الرسائل الإخبارية المخطوطة، بمجرد ظهور الخبر المطبوع؛ حيث استمر نشاط الرسائل المنسوخة باليد حتى مطلع القرن الثامن عشر، أي بعد اختراع الطباعة بثلاثة قرون. فقد كانت هذه الرسائل تسد فراغًا كبيرًا لا يمكن أن تسده الصحافة المطبوعة في ذلك الحين؛ لأن القيود الحكومية، والرقابة الصحفية، وقوانين النشر المختلفة، كانت تنصب على المطبوعات فقط؛ مما جعل لهذه الرسائل الإخبارية المنسوخة أهمية كبرى، وخاصة عندما تكون الحكومة شديدة في رقابتها، أو عندما تصادر المطبوعات أو تعطلها .. كما تقدمت منشورات المناسبات الخبرية المكتوبة باليد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقام المخبرون إلى جانب الصحفيين بدور كبير في تأمين الأخبار، وشكلوا حتى عام 1789 شبكات إخبارية، تكمل شبكات الصحافة الخبرية المطبوعة(2).

الخدمات البريدية والصحافة:

ولقد ساعد إنشاء الخدمات البريدية على رواج الرسائل الإخبارية المنسوخة، ثم الصحف المطبوعة فيما بعد. وكان الغرض من إنشاء هذه الخدمة البريدية، هو جمع الخطابات والصور في مكان معين، ونقلها بسرعة وانتظام إلى المرسل إليه، لقاء أجر معلوم. وكان البريد ينقل بواسطة رسل خاصين لحساب نفر من الناس، وكان انتظام الخدمات البريدية سببًا مباشرًا في تطور الصحافة الإخبارية وسعة انتشارها. وقد كانت مواعيد صدور الصحف تتفق مع مواعيد توزيع البريد. ويلاحظ أن سبب انتشار الصحف الصادرة ثلاث مرات في الأسبوع، يرجع إلى أن الخدمات البريدية كانت توزع ثلاث مرات أسبوعيًّا. ولم يكن من الميسور إصدار الصحافة اليومية لولا تقدم الخدمات البريدية. ومن الطريف أن معظم الصحف كانت تحمل اسم البريد مثل (البريد الطائر Flying Post)، و (الرسول الأسبوعي

---

(1) إبراهيم إمام: وكالات الأنباء، القاهرة، دار النهضة العربية، 1972، ص14. وكذلك المرجعان الأول والثاني السابقان. وكذلك فرانسوا تيرو، وبيار ألبير: تاريخ الصحافة، ترجمة: عبد الله نعمان، بيروت، المنشورات العربية، بدون تاريخ، ص9.

(2) وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص15. وكذلك فن الخبر الصحفي، مرجع سابق، ص75. وكذلك تاريخ الصحافة، فرانسوا تيرو، مرجع سابق، ص10.

(Weekly Messenger)، و (البريد المسائي Evening Post)، و (البريد الليلي Night Post)، وغيرها. كما كان ظهور الصحف المسائية، والصحافة الإقليمية يرجع أيضًا إلى تطور الخدمات البريدية(1).

وبالرغم من أن نشأة الخدمات البريدية، كان نعمة على الصحافة الإخبارية، إلا أنه كان في الوقت نفسه نقمة أيضًا؛ حيث كان المسئولون في البريد يحتكرون الأخبار الخارجية، ويتصرفون فيها كما يشاءون. وكان أصحاب الصحف يدفعون لمديري البريد اشتراكات سنوية؛ نظير الحصول على ترجمة ملخصة للصحف الواردة من الخارج، كما كان بعض مسئولي البريد يرتشون مقابل تفضيل بعض الصحف على غيرها، وإعطائها الأولوية في تسلم الأخبار؛ مما جعل جون والتر رئيس تحرير جريدة التيمس اللندنية - على سبيل المثال - يلجأ إلى تعيين مراسلين لصحيفته في الخارج، لكي يحبط مؤامرات رجال البريد، وكان يشترك في النشرة المترجمة للمراجعة فقط. غير أن رجال البريد - الذين ساءهم ذلك التعدي على احتكارهم للأخبار - كانوا يستولون على الرسائل الواردة من مراسلي التيمس، ويطلعون على ما فيها، وكثيرًا ما كانوا يعمدون إلى تأخير وصولها للجريدة. وعندما كشفت الصحيفة ألاعيب رجال البريد ونشرتها عام 1807، رفع الأمر إلى القضاء، وحكم على الصحيفة بغرامة قدرها مائتا جنيه تعويضًا واعتذارًا للبريد. ولما عاودت التيمس هجومها مرة أخرى بعد ثلاثة أسابيع، وعرض الأمر على النائب العام، أمر بحفظ التحقيق، وعدم تقديم

(1) المرجع الأول السابق، ص15 و17 و18. وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص48. وجدير بالذكر أن الخدمات البريدية نشأت بغرض نقل الخطابات، ولكنها امتدت فيما بعد حتى شملت نقل الرسائل والطرود والمطبوعات والعينات وعمليات تحويل النقود وبعض الأعمال المصرفية. وقد عرف نظام البريد لدى الفرس والعرب والرومان وفي القرون الوسطى، وكان أساسًا لخدمة الحكومة. ثم نشأت مؤسسات فردية تؤدي خدمات بريدية. وقد ظهرت الخدمة البريدية في فرنسا عام 1464 خلال حكم لويس الحادي عشر، وفي إنجلترا عام 1478 في عهد إدوارد الرابع. وفي ألمانيا عام 1502، وكانت أجرة البريد في أول الأمر تدفع نقدًا، حتى استحدثت طوابع البريد ذات الفئات المختلفة التي تباع وتلصق على الخطابات عام 1839، وانتشر ذلك في العالم المتحضر بعد عام 1850، وأدخل البريد الجوي عام 1918 بعد الحرب العالمية الأولى. واستخدم التصوير الفوتوغرافي في نقل الخطابات خلال الحرب العالمية الثانية؛ توفيرًا للوزن والوقت. وفي عام 1874 كانت قد عقدت اتفاقية دولية لتنظيم الخدمات البريدية بين الدول، وأسس اتحاد البريد الدولي .. راجع الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص365 و366. وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية للمؤلف، مرجع سابق، ص259.

الصحيفة للمحاكمة. وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان إصدار الصحف مرتبطًا بمدير البريد؛ حيث أصدر "جون كامبل" مدير البريد في بوسطن جريدة "ذي بوسطن نيوز لتر"، كما أصدر خلفه "وليم بروكر" صحيفة باسم "بوسطن جازيت"، وتعاقب على إصدار تلك الصحيفة خمسة من مديري البريد على التوالي، ابتداء من بروكر[1].

مما سبق يتضح أن الطباعة والبريد، كانا بمثابة الأساس المتين لنشأة الصحافة وتطورها. وفي نهاية القرن الثامن عشر قضت الصحافة المطبوعة على الرسائل الإخبارية المنسوخة؛ فقد أدى انتشار المطابع، ورخص ثمن الصحف المطبوعة، وسعة انتشارها وزيادة توزيعها، إلى اختفاء الرسائل الإخبارية المنسوخة نهائيًا. وقد بدأ ظهور نشرات الأخبار المطبوعة عندما قامت بعض دور النشر بإصدارها بأرقام مسلسلة، ولكن بشكل غير منتظم الصدور. ثم ظهرت بعد ذلك نشرات إخبارية مطبوعة في شكل أجندات سنوية منتظمة الصدور وتعرف بالتقويمات، وهي مشتقة بدورها من أوائل الروزنامات المطبوعة فيماينز منذ عام 1448، ويرجع أول تقويم فرنسي معروف إلى عام 1486.

وعرفت أولى الوقائع المنتظمة في ألمانيا في عام 1588. وطلب الإمبراطور الألماني "رودلف الثاني" في عام 1597 من بعض أصحاب المطابع أن يصدروا نشرات شهرية، تتضمن أهم الحوادث التي وقعت خلال الشهر. وفي السنة نفسها صدرت في فلورنسة بإيطاليا نشرات مطبوعة أسبوعية، اهتمت بالأخبار التجارية، ثم أخذت النشرات الإخبارية الأسبوعية المطبوعة في الانتشار؛ حيث صدرت في عام 1609 مجلة أسبوعية في مدينة ستراسبورج، وأخرى مثلها في مدينة أوجسبورج. وفي السنوات التالية صدرت مطبوعات أسبوعية مماثلة في بال عام 1610، وفرانكفروت وفيينا في عام 1615، وهامبورج عام 1616، وبرلين 1617، وبراغ 1619، وأمستردام 1620، ولندن 1622، وفرنسا 1631، وفلنورنسة بإيطاليا 1636، وروما 1640، ومدريد في عام 1661، وأنشأ بطرس الأكبر أول صحيفة روسية في مدينة سان بطرسبورج عام 1703، وكانت هذه النشرات الإخبارية ذات

(1) وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص16 – 17.

طابع واحد، وتصدر بمقتضى امتياز تمنحه الدولة أو المدينة، مقابل فرض الرقابة عليها. وكان محظورًا عليها نشر الأخبار الداخلية، والاكتفاء بنشر الأخبار الخارجية فقط، دون التعليق عليها، وخاصة السياسية والعسكرية منها، ولأن هذه النشرات جميعًا كانت تصدر بانتظام، سواء أكانت أسبوعية أو كل أسبوعين، أو شهرية، فقد اعتبرت صحفًا، وشكلت بذلك بداية الصحافة في العالم[1].

الصحافة في أوربا:

تعتبر فرنسا أول دولة تصدر صحيفة رسمية، فعندما تقلد "رشليو "[2] مقاليد السلطة في فرنسا، وأدرك فائدة الصحافة، وأثرها على الرأي العام، وجد في "تيوفراست رينودو"[3]، الرجل الذي يمكن الاعتماد عليه في مثل هذا المجال. فأصدر تيوفراست في 30 مايو 1631 جريدة "لاجازيت" الأسبوعية شبه الرسمية. وقد عالجت تلك الجريدة الأخبار الداخلية والخارجية المختلفة بعد موافقة أولي الأمر عليها. وأغلب تلك الأخبار تتعلق بالشئون العسكرية، وأخبار القصر، ثم الأخبار السياسية التي في صالح الحكومة، ونصوص القوانين والمراسيم، والبيانات، وأخبار المجتمع من زواج ومواليد ووفيات بين الشخصيات البارزة في الدولة، وأخبار الزلازل والعواصف والحرائق والجرائم والقضايا والاتهامات والعقوبات ... إلخ. وقد كتبت هذه الأخبار بأسلوب مقتضب، أشبه بالأخبار القصيرة التي تنشرها بعض الصحف اليومية في الوقت الحاضر. وفي عام 1762، أصبحت هذه الجريدة أكبر

(1) تاريخ الصحافة: "فرانسوا تيرو"، مرجع سابق، ص10 – 11. وكذلك فن الخبر الصحفي، مرجع سابق، ص76 – 77. وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص77. وأيضًا وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص49.

(2) هو أرمان جان دي بلسي رشليو (1585-1642)، يعرف بالكاردينال رشليو، وعين وزيرًا في فرنسا عام 1616، وصار رئيسًا للوزارة الفرنسية عام 1624، وحكم فرنسا دكتاتورًا فعليًّا حتى وفاته، (الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص868).

(3) ولد تيوفراست عام 1585 في لودن، ودرس الطب في جامعة مونبيليه، وعاد لممارسة الطب في مسقط رأسه، وسافر إلى باريس عام 1612، وصار بفضل صلاته طبيبًا للملك وفي عام 1618 قام برحلة طويلة إلى هولندا؛ حيث استطاع دراسة الصحف الأولى، ثم عاد إلى فرنسا، وأقام بصفة دائمة في باريس عام 1625، وافتتح عام 1630 مكتبًا للاستعلامات والمقابلات والإعلانات.

حجمًا، وصار اسمها "لاجازيت دوفرانس"، وأصبحت في صراحة الجريدة الرسمية بعد أن مرت بفترة كساد خطيرة[1].

وحذت معظم دول أوربا حذو فرنسا، فأنشأت صحفًا رسمية. وظهرت في بريطانيا أول صحيفة إنجليزية يومية عام 1702، وهي صحيفة "ديلي كرانت Daily Courant" وهي أول صحيفة يومية في العالم أيضًا. وقد استمرت تلك الصحيفة في الصدور حتى عام 1735، وفي فرنسا صدرت أول صحيفة يومية باسم "لو جونال دي باري Le Journal de Paris"، وذلك في أول ديسمبر 1777م[2].

وتعتبر جريدة "التايمز The Times" اللندنية في تاريخ الصحافة، أم الصحف في العالم؛ ليس لأنها أقدمها، فهناك أقدم منها كما رأينا، ولكن لأنها ذات تاريخ عريق، وتاريخها هو تاريخ الصحافة في العالم. فقد صدر العدد الأول من التايمز في أول يناير 1785 صحيفة يومية صباحية من أربع صفحات معنية بالإعلان والموضوعات التي تخص رجال الأعمال، وقد أسسها "جون والتر John Walter" باسم "ذي ديلي يونيفرسال ريجيستر The Daily Universal Register"، وبقيت محتفظة بذلك الاسم منذ صدورها إلى سنة 1788، حيث أصبحت تحمل اسمها الحالي. وهي أول صحيفة في العالم تنظم خدمة خاصة بأخبارها الخارجية، كما كانت أول صحيفة في العالم أيضًا تستعمل الطابعات الميكانيكية التي تدار بالبخار، والتي اخترعها "كونج" الألماني. وذلك في 28 نوفمبر 1814، فزاد المطبوع من النسخ في الساعة زيادة كبيرة عن ذي قبل. كما كانت أول صحيفة في العالم تنظم طرق توزيعها، فاستعملت قطارات السكة الحديد، للتوزيع الداخلي بمجرد اختراع القطارات، ويمتلك صحيفة التايمز حاليًا الناشر الأسترالي اليهودي روبيرت ميردوخ منذ عام 1981؛ حيث اشتراها من طومسون مالكها السابق[3].

---

(1) إميل بوافان: تاريخ الصحافة، ترجمة محمد إسماعيل محمد، القاهرة، الدار المصرية للطباعة والنشر، بدون تاريخ، الكتاب رقم 118 من سلسلة الألف كتاب، ص16 – 17. وكذلك المرجع الأول السابق، ص12. وكذلك المرجع الثالث السابق، ص77 والمرجع الرابع السابق، ص49.

(2) تاريخ الصحافة، فرانسوا تيرو، مرجع سابق، ص16 و20. وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص78 – 79. وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص50.

(3) إبراهيم عبده: دراسات في الصحافة الأوربية تاريخ وفن، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، 1951، ص89 وما بعدها. وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص337.

الصحافة في أمريكا:

وبالنسبة لنشأة الصحافة في أمريكا، فبالرغم من أن ظهور أول آلة طباعة في أمريكا يعود إلى عام 1638، فقد مضت 52 سنة قبل أن تظهر إلى الوجود أول جريدة أمريكية. وتكمن وراء هذه الجريدة قصة طريفة، خلاصتها أن الناشر البريطاني "بنيامين هاريس" كان يعمل رئيسًا لتحرير إحدى جرائد حزب الأحرار في لندن، ولكنه بسبب تجاوز كبير على القانون دخل السجن مدة، هاجر بعدها إلى أمريكا، حيث استوطن في بوسطن، كطابع وكبائع لأشياء مضمونة، مثل التقاويم السنوية، وكتب مبادئ القراءة. إلا أن رغبته القديمة في نشر جريدة عاودته من جديد .. وهكذا أصدر يوم 25 سبتمبر 1690 جريدة "بابليك أوكيرنس بوث فورين أند دوميستيك Public Occurrences Both Foreign and Domestic"، أي الوقائع الخارجية والمحلية. وقد وعد بإصدار صحيفته مرة في الشهر أو أكثر من مرة إذا حصلت وقائع مهمة. ولكن هذه الجريدة كانت قصيرة العمر، فبعد أربعة أيام من صدور العدد الأول، أصدر الحاكم ومجلس المستعمرة بيانًا، ألغى بموجبه الصحيفة، وشجبها لنشرها بعض الشائعات عن ملك فرنسا، ولانتقادها الحكومة في بعض تصريفها لأمر الحرب الهندية الفرنسية. وهكذا انتهت حياة أول صحيفة أمريكية بعد صدور عدد واحد منها(1).

وبعد إلغاء تلك الجريدة، مضى نحو 14 عامًا قبل أن تظهر إلى الوجود في أمريكا جريدة أخرى. ففي 24 أبريل 1704 أسس جون كامبل مدير البريد في بوسطن - وهو من أصل أسكتلندي - جريدة "ذي بوسطن نيوزلتر The Boston News Letter"، وعندما فقد كامبل منصبه كمدير للبريد، ادعى خلفه "ويليام بروكر" بأن ملكية الجريدة يجب أن تصبح لمن يشغل المنصب. وعندما رفض كامبل التخلي عن جريدته، استاء بروكر، فأصدر في 31 ديسمبر 1719 جريدة إخبارية أسبوعية منافسة باسم "بوسطن جازيت Boston Gazette"، وفي العام التالي أعفي بروكر من منصبه كمدير للبريد، فقام بتسليم جريدته إلى خلفه؛ تطبيقًا للمبدأ الذي أعلنه من قبل، وهو أن مدير البريد هو صاحب الحق في إصدار الصحيفة الإخبارية. وتعاقب على إصدار تلك الجريدة خمسة من مديري البريد، ابتداءً من بروكر.

---

(1) توماس بيرى: الصحافة اليوم - تطورها وتطبيقاتها العملية، ترجمة مروان الجابري، بيروت، نيويورك، مؤسسة بدران 1964، ص12 - 13. وكذلك تاريخ الصحافة، فرانسوا تيرو، مرجع سابق، ص17.

وظلت هذه الجريدة صامدة مستمرة في الصدور حتى 1741، عندما دمجت في جريدة "نيو إنجلند ويكلي جورنال"[1].

وعندما كان بروكر يصدر جريدة "بوسطن جازيت"، كان الذي يتولى طبعها "جيمس فرانكلين"، الأخ الأكبر للسياسي المشهور "بنيامين فرانكلين" الذي كان في ذلك الحين صبيًّا يتمرن في المطبعة. على أن خلف بروكر قرر أن ينقل طباعة الجريدة إلى مطبعة أخرى. فأصدر جيمس فرانكلين جريدة "ذي نيو إنلجند كورانت The New England Courant" في 7 أغسطس 1721، وكانت تلك الجريدة بمثابة انطلاقة في الصحافة الأمريكية؛ بفضل أسلوبها المرح، الخفيف الروح في تغطية مواد كانت الصحافة حتى ذلك الحين تتجاهلها، باعتبارها غير جديرة بالنشر. وغابت هذه الجريدة عن الوجود خلال عام 1726.

وكانت أول صحيفة تؤسس خارج بوسطن هي جريدة "ذي أمريكان ويكلي مركوري The American Weekly Mercory"، التي أصدرها "أندرو برادفورد" في فيلادلفيا يوم 22 ديسمبر 1719. أما أول صحيفة نشرت في نيويورك، فكانت جريدة "نيويورك جازيت New York Gazette"، التي أصدرها وليام برادفورد – والد الناشر الفيلادلفي أندرو السابق ذكره – في 8 نوفمبر 1725، ولم تكن أكثر من نشرة رسمية، استمرت في الصدور ثمانية أعوام بمساعدة من الحكومة.

أما الصحيفة الأكثر أهمية، فكانت جريدة "نيويورك ويكلي جورنال New York Weelky Journal" الأسبوعية التي أصدرها "جون بيتر زنجر" في 5 نوفمبر 1733، وكانت أول صحيفة أمريكية حاولت الصدر في مواعيد تقل عن الأسبوع، هي جريدة "بنسلفانيا جازيت Benselvania Gazette"، التي أصدرها بنيامين فرانكلين[2]. وكانت هذه الجريدة استمرارًا لمطبوعة دورية كتبها فرانكلين، بعنوان "المرشد العام إلى جميع الفنون والعلوم"،

(1) المرجع الأول السابق، ص13 – 14. وكذلك وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص17، والمرجع الثاني السابق، ص17.

(2) **بنيامين فرانكلين (1706 – 1790):** سياسي وناشر وعالم وكاتب وفيلسوف أمريكي، عاون في تأسيس جامعة بنسلفانيا عام 1751، واشترك في صياغة وتوقيع وثيقة إعلان الاستقلال، واختير لتوقيع الصلح عام 1781 مع بريطانيا، الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص1281.

وكذلك "بنسلفانيا جازيت"، التي كان "صامويل كيمر" أول من أصدرها يوم 24 ديسمبر 1728، إلا أنه بعد أن واجه الإفلاس والفشل باعها إلى فرانكلين بعد تسعة أشهر فقط من إصدارها. فقام فرانكلين بتجربة إصدار الجريدة مرتين في الأسبوع، إلا أنه عاد بعد مدة قصيرة إلى إصدارها أسبوعيًّا(1).

وتميز النصف الأول من القرن التاسع عشر، بزيادة عدد الصحف في أمريكا، وظهور الصحف الشعبية رخيصة الثمن، والتقدم الآلي في الطباعة.

فقد تم في هذه الفترة تأسيس بعض أكثر الصحف نجاحًا، منها جريدة (نيويورك هيرالد New York Herald) التي أصدرها جيمس جوردون بنيت (1795-1872) في 6 مايو 1835، كما أصدر هوارس جريلي، جريدة (نيويورك تريبيون New York Tribune) في 10 أبريل 1841 وثمة جريدة كبرى أخرى هي (نيويورك تايمز New York Times) التي أصدرها ريموند - وكان أحد العاملين في التريبيون - في 18 سبتمبر 1851، وقد أولت هذه الجريدة الأخبار الخارجية اهتمامًا مماثلا لاهتمامها بالأخبار الداخلية(2).

الجرائد رخيصة الثمن:

وكانت الصحف في مستهل القرن التاسع عشر، تباع باشتراك سنوي، يتراوح بين ثمانية دولارات وعشرة. ولكن تغييرًا طرأ على سعر الجرائد في أول يناير 1833؛ ففي ذلك اليوم اشترك هوارس جريلي في محاولة مهمة لبيع صحيفة رخيصة الثمن نقدًا في شوارع نيويورك، وقد أسهم معه في ذلك فرانسيس ستوري والدكتور شيبارد، الذي اقترح الفكرة على جريلي؛ حيث استلهمها من مراقبته للبائعين الجوالين وهم يبيعون الحلوى والفستق والحلي الرخيصة الثمن، وقد طبقوا ذلك على جريدة (مورننج بوست Morning Post) التي أصدروها وحددوا سعر النسخة في البداية بسنتين، وبعد أسبوعين من الفشل خفض سعر النسخة إلى سنت واحد، ولكن المبيع ظل ضئيلا شحيحًا، وعلى ذلك فقد آل إلى الفشل أول مشروع لبيع

---

(1) الصحافة اليوم، مرجع سابق، ص14 و15 و18 و19. وكذلك تاريخ الصحافة، فرانسوا تيرو، مرجع سابق، ص17.

(2) المرجع الأول السابق، ص39 و40. وكذلك المرجع الثاني، ص47 و 48.

جريدة رخيصة الثمن في الشوارع. ولكن صحيفة أخرى نجحت بعد مدة من العام نفسه في تحقيق ما أخفق فيه جريلي، وهي جريدة "نيويورك صن New York Sun"، التي أصدرها بنجامين هنري داي، أحد أصحاب المطابع في 3 سبتمبر 1833[1].

وفي فرنسا كانت الصحف قبل أول يوليو 1836 صحف رأي، ومخصصة للطبقة الغنية. وكان الاشتراك فيها ثمانين فرنكًا في السنة. وقد احتكر السوق في ذلك الوقت حوالي عشر صحف، كان كل همها إرضاء الطبقة البورجوازية الغنية. ثم دخل الميدان (إميل دي جيرار دان)، وكان صحفيًّا ذكيًّا، تفتق ذهنه عن حيلة، تتضمن تخفيض قيمة الاشتراك في الصحف لزيادة عدد المشتركين. فأسس صحيفة "لابرس La Presse" في أول يوليو 1836، وخفض قيمة الاشتراك فيها إلى أربعين فرنكًا بدلا من ثمانين فرنكًا، أي إلى نصف قيمة الاشتراك في أغلب الصحف المعاصرة. وأصبح سعر العدد الواحد (10 سنتيمات) وقد عمل جيرار دان بالنظرية التي أصبحت اليوم أساس كل مشروع صحفي، والتي تقول إن بيع الصحيفة بثمن رخيص، يرفع عدد نسخها المبيعة، وكلما ارتفع هذا العدد ازداد إقبال المعلنين، وارتفع سعر الإعلان، وبذلك يتحقق الربح للصحيفة، وصدقت نظرية جيرار دان؛ حيث وصل عدد المشتركين في صحيفته خلال ثلاثة أشهر إلى عشرة آلاف مشترك، وسرعان ما تضاعف هذا العدد. وقد اضطرت الصحف الأخرى أن تتبع السياسة نفسها، وتخفض بدل اشتراكاتها .. والواقع أن نجاح هذه المحاولة كان كبيرًا؛ إذ تدل سجلات إدارة البريد الفرنسية، على أن الصحافة المحلية كانت تتألف من عشرين جريدة، بلغ عدد مشتركيها سبعين ألف مشترك في عام 1835، وتجاوز عدد المشتركين في باريس في عام 1836 مائتي ألف مشترك في ستة وعشرين جريدة يومية[2].

ولقد كان تأثير الصحيفة رخيصة الثمن في تاريخ الصحافة، ذا ثلاثة اتجاهات أساسية هي: أن المنافسة على بيع الصحف في الشوارع أوجدت منافسة مثيرة بين الصحف على تسجيل السبق الصحفي، والانفراد بنشر الأخبار؛ مما أدى إلى المزيد من تغطية الأحداث صحفيًّا، وكذلك ظهر إلى الوجود بائع الجرائد، الذي أصبح من المعالم المألوفة في زوايا

(1) الصحافة اليوم، مرجع سابق، ص36 – 38.

(2) تاريخ الصحافة، إميل بوافان، مرجع سابق، ص74 و 75. وكذلك تاريخ الصحافة، فرانسوا تيرو، مرجع سابق، ص38 و39. وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص82 و 83.

الشوارع؛ نتيجة لوجود تلك الصحف رخيصة الثمن .. كما أدى هذا السعر المنخفض إلى أن أصبحت الجرائد في متناول جميع الطبقات، بعد أن كانت في متناول القادرين على دفع الاشتراك المرتفع من قبل. وبعد أن أصبحت الجرائد في متناول أصحاب الدخل المنخفض، صارت مؤسسات شعبية؛ ذلك لأنها وسعت من ميدان تغطيتها للأخبار، لإرضاء القراء في مختلفة المستويات الاقتصادية[1].

تقدم الطباعة آليًّا:

وفي ذلك العهد أثر التقدم التقني للطباعة تأثيرًا كبيرًا في مجرى الصحافة ؛ فقد ظلت طباعة الصحف حوالي مائتي سنة دون تغيير يذكر، وكان العمال يسبكون الحروف بأيديهم، وبالرغم من مهارتهم فلم يكن في متناولهم إلا جمع وطبع عدد صغير من النسخ في الساعة، وكانت جميع الصحف عند مستهل القرن التاسع عشر، تستخدم المطبعة اليدوية القديمة الطراز. فلما جاء عام 1812، كان فردريك كونج ومساعده توماس بنسلي، قد اخترعًا مطبعة بأسطوانة دوارة، تتم بموجبها الطباعة بتدوير الأسطوانة فوق فراش الصفحة المصفوفة، وانتقل الاختراع إلى أوربا. وتم إحراز مزيد من التقدم عام 1832 عندما اخترع (دانيال تريدويل) من بوسطن، مطبعة تدار بالبخار، ثم أدخل عليها (آدامز) تحسينات من ناحية هيكلها وعملها وفاعاليتها؛ مما جعل العديد من العمليات المطلوبة أقرب إلى الآلية.

ثم جاء (روبرت هوي) – الذي امتلك فيما بعد براءات اختراعات آدامز عام 1858 – فزاد من التحسينات على المطبعة، وواصل تحسين عمليات الطباعة. وأصبحت الطاقة الطباعية لهذه الآلة بعد التحسينات عشرين ألف ورقة في الساعة. وعندما كان القرن التاسع عشر يقترب من عقده الأخير، ظهر تقدم ميكانيكي أحدث طفرة في عملية طباعة الجرائد، عندما تمكن (أوتومار مرجنتالر) – الألماني الذي هاجر إلى مدينة بلتيمور بولاية ماريلاند الأمريكية – من اختراع آلة (اللينوتيب)، التي تصب الحروف وتنضدها في أسطر مسبوكة متماسكة.

(1) الصحافة اليوم، مرجع سابق، ص38.

وقد استخدمت هذا الاختراع على نطاق واسع - لأول مرة - جريدة (نيويورك تريبيون) عام 1886، وما لبث (اللينوتيب) أن انتشرت في جميع أنحاء العالم، وعمل المخترعون على تحسينها، وأصاب عملية طباعة الجرائد تغيير كلي، باستخدام هذه الآلة؛ ذلك لأن الجريدة أصبحت قادرة على أن تزيد من عدد صفحاتها، وقل الوقت الذي كان يفصل بين تحرير الصحيفة وطباعتها.

كذلك استنبط (لوريو) الفرنسي في عام 1818 حبرًا خاصًّا بالمطابع، يمتصه الورق ويجف بسرعة. وفي العصر نفسه اخترع (سنفلدر) الطباعة الحجرية، التي استغلها كبار رسامي الكاريكاتير، وتغير مظهر الصحف اليومية نتيجة لذلك[1].

وهناك اختراعات أخرى، لم يكن الغرض منها خدمة الصحف مباشرة، إلا أن أثرها كان كبيرًا على تقدمها .. فالسكك الحديدية، والبواخر ساعدت على انتشار الصحف، ووصولها إلى كل مكان، وجاءت السيارة ثم الطائرة، فأصبحتا من وسائل النقل السريع، ولا تستطيع الصحف الاستغناء عنها .. ثم جاء اختراع التلغراف عام 1837 بفضل مورس، فكان بمثابة قفزة هائلة في عالم الاتصال، غيرت وجه الفن الصحفي، واستخدمته بعض الصحف الأوربية ابتداء من سنة 1845، وارتبطت فرنسا بإنجلترا تلغرافيًّا سنة 1851، عن طريق خط من الأسلاك الممتدة تحت سطح البحر بين كيب جرينيه ودوفر. وفي سنة 1858 ارتبطت أوربا بأمريكا عن طريق خط من الأسلاك الممتدة تحت مياه المحيط الأطلسي؛ بفضل سبيروس فيلد. وشمل هذا الاختراع الصحف جميعًا منذ افتتاح الكابل البحري عبر الأطلنطي عام 1866، واستخدمته الصحافة على نطاق واسع. وفي العقد السابع من القرن التاسع عشر، تم الاتصال برًّا وبحرًا بين بريطانيا والهند واليابان، كما امتدت الخطوط بين أمريكا وجزر الهند الغربية من جهة، وبينها وبين أمريكا الجنوبية من جهة أخرى[2].

---

(1) الصحافة، مرجع سابق، ص 80، 81، 87، 88؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 53؛ وكذلك الصحافة اليوم، مرجع سابق، ص 40، 41، 51.

(2) وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص 19 – 21؛ والمرجع الأول السابق، ص 81، والمرجع الثاني السابق، ص 54.

وفي سنة 1875 اخترع ألكسندر جراهام بيل التليفون، فكان بمثابة دفعة قوية للفن الصحفي بصفة عامة. ومنذ سنة 1927 أصبح التليفون عاملا مهمًّا ورئيسًا لنقل الأخبار عبر المسافات الطويلة، عن طريق دوائر تربط القارات سلكيًّا ولا سلكيًّا، وأصبحت المدن البعيدة تتصل ببعضها البعض في ثوان معدودة، وخاصة بعد أن امتدت خطوط الاتصالات عبر المحيط الهادي، ويعتبر اختراع الراديو أخطر ثورة في تاريخ الاتصال، وقد انعكس أثره بشكل واضح على الصحافة. ويرجع اختراع الراديو إلى ماركوني، الذي تمكن في سنة 1896 من استخدام هذه الوسيلة اللاسلكية للاتصال لأول مرة في التاريخ، وتلاه آخرون في تطوير استخدامه .. وقد استخدم التليفون اللاسلكي في أول الأمر بطريقة بدائية، إلا أنه أخذ في التطور حتى أصبح حقيقية عملية، مع بداية عام 1900، وقد ارتبط تطور الراديو ارتباطًا وثيقًا بعمليات جمع الأخبار، وأصبح من الممكن للصحفيين الاتصال بصحفهم مهما بعدت المسافات.

وبصفة عامة، فقد أحدث التقدم التقني تطورات هائلة في عالم الصحافة، وحوّلها من أوضاعها التقليدية القديمة، إلى حالتها الراهنة، التي تقوم على الحركة والمرونة، والسبق الصحفي، اعتمادًا على الخبر كعنصر أساسي في الصحيفة الحديثة.

وعندما تحول الاهتمام من المقال إلى الخبر، ارتفعت أرقام توزيع الصحف ارتفاعًا كبيرًا. وتعددت مصادر الأخبار لتشمل الأسواق، والبورصات، والمحاكم، والوزارات والمؤسسات والشركات والمنظمات الدولية، ولم تقتصر الأخبار على الجوانب السياسية والاقتصادية، وإنما تجاوزتها إلى الأخبار المحلية والاجتماعية والثقافية، وأخبار الحوادث والرياضة، والأخبار الإنسانية والطريفة، وغيرها[1].

وكالات الأنباء[2]:

وهكذا أصبحت الأخبار هي السلعة الرئيسة التي تبيعها الصحف للقراء، ولكنها سلعة غالية الثمن باهظة التكاليف. ومن هنا نشأت ضرورة التعاون بين الصحف؛ لمواجهة هذه

(1) انظر المرجع الأول السابق، ص 21 - 26.

(2) راجع الباب الخامس بفصليه عن وكالات الأنباء في كتاب وسائل الإعلام السعودية والعالمية "للمؤلف"؛ وكذلك كتاب (وكالات الأنباء المعاصرة) للمؤلف أيضًا، (دار الفكر العربي، القاهرة، عام 2006).

النفقات بطريقة تعاونية. ووجدت الصحف ضالتها في وكالات الأنباء، التي اتخذت اسمها من طبيعة عملها، كوكيل أو ممثل للصحف، وهي بمثابة جمعية تعاونية، تشترك فيها الصحف لجمع الأخبار؛ لأن كل صحيفة بمفردها لا تستطيع أن تقوم بهذا العمل، ولابد من المشاركة في النفقات .. فكانت وكالة (هافاس Havas) الفرنسية أول وكالة للأنباء في العالم، وقد أنشأها (شارل لوي هافاس Charles Louis Havas) عام 1835، ثم أصبحت تحمل اسم (وكالة الأنباء الفرنسية)، اعتبارًا من 30 سبتمبر 1944، ومركزها الرئيس في باريس. وتلتها وكالة (ولف Wolf)، التي أنشأها (برنهارت ولف Bernhart Wolf) عام 1849 في برلين بألمانيا. ووكالة (رويتر Reuter)، التي أنشاها (بول جوليوس رويتر Paul Julios Reuter) في لندن عام 1851، ووكالة (الأسوشيتد برس Associated Press)، التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام 1848 في نيويورك. وأنشئت فيما بعد وكالة (يونايتد برس إنترناشونال United Press International)، وهي وكالة أنباء أمريكية، تأسست في 21 يونيو 1907 باسم (يونايتد برس أسوسيشن)، وأصبحت تحمل اسمها الحالي في عام 1958، بعد أن انضمت إليها وكالة (إنترناشيونال نيوز سرفيس)، التي كانت قد تأسست بدورها في عام 1909. ووكالة (تاس) السوفيتية (Tass)، التي تأسست في 10 يوليو 1925 في موسكو، وتتبع الحكومة عن طريق مجلس الوزراء(1).

وكل هذه الوكالات السابقة وكالات أنباء دولية، ويوجد إلى جانبها أكثر من مائتي وكالة أنباء محلية في مختلف أنحاء العالم، حيث ساعدت الأوضاع التي استقرت بعد تقسيم العالم في نهاية الحرب العالمية الأولى - ثم زيادة عدد الدول المستقلة بعد الحرب العالمية الثانية - على قيام هذه الوكالات المحلية التي أصبحت كالعلم والنشيد القومي والتمثيل الخارجي؛ رمزًا للهيبة والاحترام. وترتبط الوكالات المحلية ارتباطًا وثيقًا بالسلطات العامة، وتعمل على تغطية الأخبار المحلية بصفة خاصة في البلد التي توجد فيها الوكالة بصورة شبه كاملة.

---

(1) راجع معلومات عن هذه الوكالات جميعها في قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف" ص 15، 36، 292، 330، 350؛ وانظر تفاصيل أكثر مطولة عن تلك الوكالات في كتاب (وكالات الأنباء)، مرجع سابق، كل وكالة في موضعها على امتداد الكتاب؛ وكذلك (وكالات الأنباء المعاصرة) "للمؤلف"، مرجع سابق؛ وكذلك كتاب (دراسات في الصحافة الأوربية)، مرجع سابق، عن وكالة الأنباء الفرنسية، ص 36 وما بعدها، ووكالة رويتر، ص 148 وما بعدها.

وعندما بلغت الصحافة مستوى رفيعًا من التقدم والنضج، أنشئت أيضًا وكالات متخصصة في النصوص التحريرية، والوسائل الإيضاحية؛ كالصور والخرائط والرسوم البيانية، وغيرها من الفنون الصحفية. وتغطي تلك الوكالات المتخصصة قطاعًا كبيرًا من الأعمال التي يصعب حصرها، والتي تبدأ من المواد الإعلامية بالمعنى الدقيق من جهة، كما تشتمل أيضًا على مجال آخر من الأعمال، مثل الآداب والفنون والقصص. وهذا النوع من الوكالات المتخصصة لا ينجح إلا في الدول ذات النشاط الصحفي الواسع؛ حيث تكون السوق الإعلامية غنية ومتعددة المشارب والاتجاهات(1).

صحافة القرن الحالي:

وإذا واصلنا مسيرتنا مع الصحافة إلى القرن العشرين الماضي، نجد أن طابع ذلك القرن كان له تأثيره القوي على تطور الصحافة. فإن هذا العصر هو عصر التقدم التقني، والشركات الكبرى، وعصر الصناعة. وقد نمت فيه المدن نموًّا هائلا، وأدى فيه تحسن وسائل الاتصال والمواصلات وتقدمها، إلى إلغاء عامل الزمن، وتقلص المسافات النائية إلى أبعد الحدود، وكان للاكتشافات التقنية العديدة في هذا الزمن تأثيرها في كل قسم من أقسام الجريدة.

ففي مكاتب التحرير، تضافرت عوامل كثيرة على تغيير عملية جمع الأخبار كلية، ومن هذه العوامل الآلات الكاتبة، التي أدخلت عليها تحسينات زادت من قيمتها العملية، وظهور المبرقة الكاتبة، وتدعى بالإنجليزية (تيليتيب)، وهي جهاز لاسلكي بآلة كاتبة يلتقط البرقيات المرسلة على موجة خاصة من وكالة الأنباء للجريدة، وتسجيلها رأسًا بشكل آلي على لفافة من الورق. وكذلك ظهور جهاز نقل الصور التليفوني، وهو جهاز يشبه آلة تليفزيونية، ولكنه يسجل ويطبع على الورق الصور التي ترسل جزئياتها على خطوط الهاتف بواسطة جهاز مماثل، يمكن وصله بسهولة إلى الشريط الهاتفي.

ثم زيادة الاعتماد على استخدام الهاتف والبرقيات، وهكذا أصبح في الأمكان جمع الأخبار بشكل أسرع من ذي قبل، وأصبحت المواد الأخبارية تصل من أماكن أبعد من المألوف، وتبعًا لذلك تغيرت طرق السعي وراء الأخبار وتحريرها، وأصبحت السرعة في العمل هي الأساس. ومن أجل ذلك يتم تبني أي جهاز أو طريقة تحقق السرعة في الإنتاج.

---

(1) وكالات الأنباء، مرجع سابق، ص 40، 41، 43، 44.

كذلك كانت تحسينات التقنية في الأقسام الآلية من الجريدة، ذات تأثير بعيد المدى، فلم تتحسن آلة (اللينوتيب) فقط، بل ظهر إلى جانبها اختراع جديد، هو المبرقة المنضدة. وهذا الجهاز هو مزيج من اللينوتيب ومن المبرقة الكاتبة، يستخدم ليؤدي عمليتين: العملية الأولى، يدير فيها شخص واحد الجهاز الأم، الذي يرسل إشارات لاسلكية تجعل الأجهزة المرتبطة بموجته اللاسلكية، والمقامة في مكاتب نائية، تصف آليًّا الأخبار التي يرسلها الجهاز الأم .. أما العملية الثانية، فيدير شخص واحد آلة تنتج شريطًا مثقبًا، يستخدم في تشغيل جهاز لصف الحروف آليًّا في آلة لينوتيب مجهزة لهذه الغاية.

كما تم اختراع آلة (الأوتوبليت) وهي آلة تطبع على الزنك بشكل آلي سريع صورة الصفحة الكاملة للجريدة؛ وذلك للإسراع بعملية الطباعة، بينما مكن ظهور الآلات الطابعة البالغة السرعة، الجريدة من أن تطبع آلاف النسخ أكثر من ذي قبل. وهكذا فإن أرقام التوزيع التي لا تصدق، والتي سجلتها الصحف الكبرى في أيامنا هذه، كانت شيئًا مستحيلا لولا السرعة التي يمكن بها صف الجريدة وطبعها. وقد أثر نمو الشركات الكبرى والصناعة في الجريدة، حيث عمدت المؤسسات الكبرى إلى التوسع في الإعلام، فساعدت على تأمين مصدر مالي ضخم للصحف، كما أصبحت الجريدة ذاتها عملا تجاريًّا ضخمًا.

فلولا دخل الإعلانات المتزايدة، لما استطاعت الجريدة قط أن تسد النفقات الباهظة التي تتحملها الآن. وهكذا فإن الجريدة تدين – إلى حد كبير – بقدرتها على النمو ماليًّا، للشركات الكبرى، كما أنها أصبحت عملا تجاريًّا ضخمًا؛ بسبب رأس المال الضخم الذي يتطلبه إصدارها، ولم يعد في إمكان جريدة أن تنافس زميلاتها بنجاح، إلا إذا كانت تستطيع شراء المعدات الحديثة الغالية الثمن، واستخدام الجهاز الصحفي والإداري والفني اللازم لهذه العملية [1].

وفي القرن الحادي والعشرين الحالي، أحدث التطور في تكنولوجيا الاتصال، تأثيرًا كبيرًا في أساليب معالجة المعلومات (Data Processing)، وقد تمثلت هذه التأثيرات التي أحدثتها تكنولوجيا الاتصال بعناصرها ومكوناتها العديدة – وأبرزها الحاسبات الإلكترونية، والأقمار

(1) الصحافة اليوم، مرجع سابق، ص 52 – 55.

الصناعية، والاتصالات السلكية واللاسلكية - في تغيير الأساليب التقليدية اليدوية، أو الميكانيكية في معالجة المعلومات، وظهر هذا التغيير على مستويين:

المستوى الأول: هو تطوير المؤسسات التقليدية لمعالجة المعلومات، من خلال توظيف الحاسبات الإلكترونية داخلها.

المستوى الثاني: هو استحداث مؤسسات جديدة؛ لمعالجة المعلومات وتوصيلها، مثل بنوك المعلومات، وقواعد البيانات، وشبكة المعلومات.

وهكذا أثرت تكنولوجيا المعلومات - بتطوراتها - على عملية الاتصال الجماهيري، من خلال إحداث ثورة في أساليب معالجة أو تجهيز المادة الخام الأساسية لها، أو محتواها الثقافي والاجتماعي، والفكري، وهي المعلومات أو الرسالة الاتصالية (Message) .. كذلك امتد هذا التأثير إلى الرسائل الاتصالية نفسها، أو أدوات الأجهزة، أو المؤسسات التي تقوم بإنتاج، وتجهيز ونشر هذه المعلومات، أو الرسالة المطبوعة، بحيث تطورت صناعة النشر المطبوع، خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، تطورًا يزيد في درجاتها وعمق تأثيرها عن التطورات التي حدثت في صناعة النشر منذ اختراع الطباعة، وإلى بداية السبعينيات من القرن العشرين، وبذلك مثلت - وبحق - الثورة الاتصالية الثالثة في تاريخ البشرية؛ فقد كانت الثورة الأولى في تاريخ الاتصال البشري هي اختراع (الكتابة) .. والثورة الثانية هي اختراع (الطباعة) .. وجاءت تكنولوجيا المعلومات - بمحورها الأساسي وهو الحاسبات الإلكترونية – لتحدث الثورة الثالثة، تلك الثورة الإلكترونية التي غيرت من شكل وأسلوب ومنتج صناعة النشر المطبوع النهائي، بحيث أصبح النشر المطبوع أيضًا نشرًا إلكترونيًّا، ولم يعد كله مطبوعًا، بل أصبح مرئيًّا على شاشة التليفزيون.

ومن هنا يمكن رصد تأثير تطور تكنولوجيا الاتصال على صناعة النشر المطبوع، الذي أصبح أيضًا نشرًا إلكترونيًّا، من خلال ثلاثة مستويات، يقدم كل منها مفهومًا للنشر الإلكتروني، يتراوح فيه التأثير من التطوير، إلى التغيير، إلى الاستحداث.

المستوى الأول: هو تطوير صناعة النشر المطبوع نفسها، وإدخال الحاسبات الإلكترونية في مراحل نشر الصحيفة. بحيث أطلق البعض على صحافة السبعينيات من القرن العشرين، مسمى الصحافة الإلكترونية (Electronic Journalism)، وعلى صالة التحرير أو صالة

الأخبار حجرة الأخبار الإلكترونية، وهذا يمثل المفهوم الأول للنشر الإلكتروني (Electronic Publishing).

المستوى الثاني: هو ابتكار أو استحداث أساليب وأنظمة جديدة لإنتاج النصوص المتنية والمصورة، وتجهيزها للطباعة ونسخها، من خلال أجهزة صف وتوضيب وإنتاج، تعتمد بشكل أساسي على الحاسبات والتجهيزات الأخرى المساعدة، بحيث يستطيع شخص بمفرده داخل غرفة مكتب، إنتاج كل الوثائق، والخطابات، والتقارير، والمطبوعات الخاصة بمؤسسة، والعمل على هذه التجهيزات غير المعقدة، والرخيصة نسبيًّا، مقارنة بالمطابع المتكاملة. وهذا يمثل المستوى أو المفهوم الثاني للنشر الإلكتروني، والذي يطلق عليه مهنيًّا وتجاريًّا، أنظمة النشر المكتبي، وأحيانًا النشر المنضدي (Desk Top Publishing).

المستوى الثالث: هو استحداث أساليب جديدة لإنتاج النصوص المطبوعة، وتوضيبها ونشرها، ليس من خلال الصفحة المطبوعة المقروءة، كما يحدث خلال المستويين السابقين، ولكن من خلال إبراقها على شاشات تليفزيونية للمشاهد في منزله، وهذا يمثل المستوى الثالث أو المفهوم الثالث للنشر الإلكتروني، والذي يطلق عليه مهنيًّا وتجاريًّا، أنظمة نشر النصوص المتلفزة (Televised Texts Publishing).

وقد وظفت الحاسبات الإلكترونية في كل خطوات إنتاج الصحيفة، أو مراحل النشر الصحفي، بحيث شملت الجمع (صف الحروف) للمادة التحريرية والإعلانية .. والمراجعة والتصحيح .. وإخراج الصفحات والتوضيب .. والتجهيز والطباعة .. ويتم إنتاج العمل في مرحلة واحدة.

وقد لا يكون للحاسبات الإلكترونية في مجال التحرير الصحفي، نفس ما تحظى به المجالات السابق الإشارة إليها، إلا أن ذلك لم يعرقل مسألة دخول الحاسبات إلى مجال التحرير الصحفي؛ حيث أصبحت عمليات تصحيح الأخطاء التحريرية – مثلا – تتم على شاشات الحاسب الإلكتروني، وبذلك تم تحويل عملية كانت تتم يدويًّا إلى عملية آلية.

وفي إطار عملية جمع الصحفي للمادة الصحفية، ونقلها إلى الصحف، فإن الصحفي يستخدم جهاز كمبيوتر صغير، لإرسال المواد الصحفية المطبوعة إلى المركز الرئيس للجريدة، عن طريق الاتصال التليفوني، بالإضافة إلى ما تتيحه حاليًا شبكة الإنترنت للصحفيين، من

استخدامات عديدة في مجال جمع المادة الصحفية، وإجراء الحوارات، وعمل التحقيقات الصحفية، والتعامل مع مصادر الأخبار والمعلومات، والحصول على كم هائل من المعلومات بسرعة، ومن مصادر متعددة، وتيسر له القيام بعدد كبير من التغطيات الصحفية .. كذلك استفاد الأرشيف الصحفي من تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية وسرعتها الفائقة في تحرير المعلومات واستدعائها بسهولة ويسر.

وبذلك تحولت الصحيفة (جريدة أو مجلة) إلى نظام معالجة المعلومات إلكترونيًّا، بدءًا من الحصول على المعلومات من مصادر متعددة داخلية وخارجية، أو تخزينها في الحاسب الإلكتروني المركزي للمؤسسة الصحفية، حتى تطبع بشكل يتحكم فيه الحاسب الإلكتروني [1].

الصحافة في العالم العربي:

نشأت الصحافة المطبوعة في أوربا – لأول مرة – في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر – كما سبق إيضاحه – وبالرغم من ذلك، فإن الصحافة المطبوعة لم تظهر في العالم العربي إلا "في ختام القرن الثامن عشر بمدينة القاهرة، وكان ذلك على يد الحملة الفرنسية التي جاءت وادي النيل في عام 1798 بقيادة الجنرال بونابرت، الذي ارتقى بعد ذلك إلى العرش القيصري في فرنسا باسم نابليون الأول، وهكذا أتيح لأمة غربية أن تدخل هذا الفن. إلى البلاد العربية، مع سائر جراثيم التمدن الحديث" [2].

في مصر:

من ذلك يتضح أن مصر كانت أول بلد عربي يعرف الصحافة المطبوعة .. فعندما احتل الفرنسيون مصر عام 1798، كانوا قد أحضروا معهم مطبعة من باريس. وأول عمل باشرته البعثة العلمية المرافقة للحملة الفرنسية "أنها نشرت جريدتين في المطبعة المذكورة باللغة الفرنسية إحداهما (لايكادا إجيبسين La Decade Egyptinne)، والجريدة الثانية بالفرنسية

---

(1) راجع محمود علم الدين، تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، (القاهرة – العربي للنشر والتوزيع 1990)، ص 93؛ وكذلك شريف (درويش اللبان ومحمود خليل، اتجاهات حديثة في الإنتاج الصحفي، (القاهرة العربي للنشر والتوزيع، 2000)، ص 17 وما بعدها.

(2) الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية (بيروت، المطبعة الأدبية، 1913، ج 1، ص 45.

أيضًا وهي (كوربيه دوجبيت Courrier De l"Egypt)، وأنشئت عام 1798، وقد انقرضت هاتين الصحيفتين عندما جلا الفرنسيون عن مصر، وأخذوا معهم مطابعهم في 8 أكتوبر 1801[1].

وبعد أن خرجت الحملة الفرنسية من مصر، بانكسارها أمام جيوش تركيا وإنجلترا في الإسكندرية، ظلت مصر نحو عشرين عامًا بدون طباعة ولا صحافة، إلى أن تولى محمد علي باشا الكبير حكم البلاد منذ 13 مايو 1805، وضع حجر أساس مطبعة (بولاق) الشهيرة في عام 1819، ثم رأى محمد علي باشا أن الحاجة ماسة إلى إيجاد جريدة تقوم بنشر أوامر الحكومة، وإذاعة إعلاناتها وسائر الحوادث الرسمية. فأنشأ في 3 ديسمبر 1828 - بعناية الدكتور كلوت بك، مؤسس مدرسة قصر العيني الطبية - جريدة (الوقائع المصرية)، التي جعلها لسان حال الحكومة الخديوية، ولا تزال حية إلى الآن.

وقد فوض إدراتها وتحريرها إلى العالم الكبير رفاعة بك الطهطاوي بعد عودته من باريس؛ حيث تلقى الدروس الكاملة على نفقة الحكومة المصرية. وكان رفاعة بك مؤسسًا وناظرًا لمدرسة الألسن. وقد تولى تحريرها بعد الطهطاوي الكثيرون من أرباب الشهرة الواسعة في العلم، وهم: أحمد فارس الشدياق، وحسن العطار، والسيد شهاب الدين محمد بن إسماعيل المكي، والشيخ أحمد عبد الرحيم، والشيخ مصطفى سلامة، وصالح مجدي بك، والشيخ محمد عبده، وعبد الكريم سلمان، والشيخ سليمان العبد وسواهم.

والوقائع المصرية هي الجريدة الرسمية للحكومة المصرية حاليًا. وكانت في أول عهدها تحرر باللغة التركية، ثم حررت باللغتين العربية والتركية، ثم حذفت اللغة التركية. كما كانت في أول عهدها تنشر مقالات وأخبارًا وفصولا مترجمة. أما الآن فتقتصر على المراسيم والقوانين واللوائح التي يصدرها مجلس الوزراء والوزارات المختلفة، فضلا عن الإعلانات الرسمية[2].

---

(1) المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 45، 48، 49؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 85؛ وكذلك الصحافة مرجع سابق، ص 93؛ وكذلك محمد فريد عزت، تاريخ الصحافة المصرية، عام 2003، ص30، 34.

(2) تاريخ الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص 36، 37؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ص 49، 50؛ وكذلك المرجعان الثاني والثالث السابقان؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع=

وأول صحيفة يصدرها فرد في مصر، كانت صحيفة باللغة الفرنسية اسمها (لومونيتور إجيبسيين Le Moniteur Egyptien)، أصدرها أحد أفراد الجالية الفرنسية بالإسكندرية، بتشجيع من الوالي، الذي جعلها لسان حاله، وجهازًا من أجهزة الدعاية لحكمه في أوربا، ولكنها لم تعش سوى بضعة شهور.

وفي سنة 1865، ظهرت أول مجلة طبية في مصر والوطن العربي، وهي مجلة (يعسوب الطب) الشهرية، لصاحبها محمد علي باشا الحكيم، رئيس الأطباء في مصر، وإبراهيم الدسوقي.. وصدرت في السنة نفسها (الجريدة العسكرية المصرية)، وبعد ذلك بثماني سنوات صدرت في 11 يوليو 1873، مجلة (أركان حرب الجيش المصري)، وفي نطاق الحكومة صدرت كذلك (روضة المدارس) في 17 فبراير 1870، وهي صحيفة ديوان المدارس، وكان يصدرها رفاعة رافع الطهطاوي.

أما أول صحيفة يصدرها مواطن مصري، فهي مجلة (وادي النيل)، سياسية علمية أدبية، أنشأها عبد الله أبو السعود، ناظر المدرسة العلمية التي أسسها محمد علي في القاهرة، وأحد تلاميذ رفاعة الطهطاوي. وقد صدر العدد الأول منها في 5 يوليو 1867. وكانت هذه الصحيفة همزة الوصل بين الصحافة الرسمية والصحافة الشعبية. وتوقفت عن الصدور في عام 1878، بوفاة صاحبها.

كما صدرت صحيفة (نزهة الأفكار)، سياسية أسبوعية، في القاهرة عام 1869، لصاحبها ومحررها إبراهيم بك المويلحي ومحمد عثمان بك جلال، وتعطلت هذه الصحيفة بعد صدور العدد الثاني منها. وفي أغسطس 1873 صدرت في الإسكندرية جريدة (كوكب الشرق) الأسبوعية، لصاحبها سليم حمدي، وتحولت بعد ذلك إلى يومية، وهي أول صحيفة يومية

= سابق، ص 26". وجدير بالذكر أن أول رجل عربي الأصل أصدر جريدة عربية كان هو (رزق الله حسون الحلبي) منشئ جريدة (مرآة الأحوال) الأسبوعية السياسية عام 1855 في الآستانة بتركيا. كما أصدر (إسكندر شلهوب) السوري الأصل جريدة (السلطنة) عام 1857 في الآستانة أيضًا، وهي ثانية الصحف العربية السياسية في عاصمة الخلافة العثمانية، وقد عطلها صاحبها قبل بلوغها السنة من عمرها. وصدرت كذلك في باريس جريدة عربية أخرى هي (برجيس باريس)، سياسية نصف شهرية، بتاريخ 24 يونيو 1858، لمحررها الكونت رشيد الدحداح اللبناني. وبرزت في الآستانة أيضًا جريدة (الجوائب) الأسبوعية السياسية باللغة العربية في يوليو 1860، لمنشئها أحمد فارس الشدياق (راجع في ذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ص 47، 55، 60، 61.



تصدر في مصر. وفي سنة 1875 صدرت صحيفة (روضة الأخبار)، لصاحبها محمد أنسي بن عبد الله أبو السعود.

ومن الصحف المصرية التي ظهرت في أواخر عهد الخديوي إسماعيل جريدة (الأهرام)، التي أسسها سليم وبشارة تقلا بمدينة الإسكندرية. وقد صدر العدد الأول منها في 5 أغسطس 1876. وصدرت الأهرام في أول عهدها أسبوعية، ثم صارت يومية في 3 يناير عام 1881، ونقلت إلى القاهرة عام 1898.

كذلك صدرت في 21 مارس 1877 أو ل صحيفة كاريكاتورية سياسية في الشرق العربي، وهي صحيفة (أبو نظارة)، لصاحبها يعقوب صنوع. وقد انتقدت الخديوي إسماعيل وسياسته، فأغلقها الخديوي، واضطر صاحبها إلى السفر إلى فرنسا، حيث استأنف إصدار صحيفته تحت أسماء مختلفة؛ لتفلت من رقابة حكام مصر. كما صدرت جريدة (المقطم) في 14 فبراير 1889، سياسية تجارية أدبية، لأصحابها: يعقوب صروف، وفارس نمر، وشاهين مكاريوس، وكانت تسير في فلك الاحتلال البريطاني؛ تعزز أركانه، وتناصره في مبادئه، وتنطق بلسان حاله، وتوقفت عن الصدور في عام 1952. وكذلك صدرت جريدة (المؤيد) اليومية السياسية التجارية في أول ديسمبر 1889م = 8 ربيع الثاني 1307هـ، لصحابها ومحررها الشيخ علي يوسف. وهي أرسخ جريدة إسلامية وأقدمها عهدًا بين الجرائد المعاصرة لها في مصر. وكانت تقاوم الاحتلال البريطاني، وواسعة الانتشار [1].

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن نشأة المجلات في مصر، وجدنا أنها قد زخرت بها منذ أواخر القرن التاسع عشر، ومنها مجلة (المقتطف)، شهرية علمية صناعية زراعية، أنشأها في عام 1876 بالقاهرة وبيروت الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر. ومجلة (الهلال) الشهرية التي أنشأها في القاهرة جورجي زيدان في أول سبتمبر 1892، وكذلك مجلة (المنار) التي أصدرها صاحبها محمد رشيد رضا في 15 مارس 1898. ومجلة (اللطائف)، شهرية

---

(1) المرجع الثاني السابق، ج 1 ص 67، 69، 78، وج 2، ص 254، وج 3، ص 8، 34، 37، 70؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 93 – 95؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 85، 86؛ وكذلك ترويسة جريدة (الأهرام)، حيث يوجد بها تاريخ تأسيسها، وراجع كذلك تاريخ الصحافة المصرية، "للمؤلف" مرجع سابق، ص 74 وما بعدها؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص19، وانظر في هذه المراجع أيضًا أسماء عشرات الصحف المصرية التي صدرت بعد ذلك.

علمية أدبية تاريخية فكاهية، التي صدرت في القاهرة في 15 مايو 1886 لصاحبها شاهين مكاريوس، وتوقفت عن الصدور بوفاة صاحبها في 12 يونيو 1910، هذا إلى جانب عدد كبير من المجلات الدينية والمجلات الساخرة، وغيرها [1].

وبعد تأميم الصحافة في مصر بتاريخ 24 مايو 1960 آلت إلى الدولة ملكية مؤسسات دور صحف: (الأهرام – الهلال – أخبار اليوم – التحرير – روز اليوسف)، ويوجد في مصر حاليًا شبكة واسعة من المطبوعات، يصل عددها إلى نحو 400 جريدة ومجلة، بما فيها الصحف الحزبية المختلفة. ومن أهم الصحف اليومية والأسبوعية التي تصدر في مصر حاليا هي [2]:

1- **جريدة (الأهرام)**: يومية صباحية، تصدر منذ 5 أغسطس 1876 - كما سبق ذكره - وهي من أكبر الصحف المصرية، وذات اطلاع واسع؛ نظرًا لعلاقتها الوثيقة مع أوساط الحكومة.

2- **جريدة (الأهرام المسائي)**: يومية منذ 17/1/1991؛ وجريدة (الأهرام ويكلي): أسبوعية إنجليزية منذ فبراير 1991.

3- **جريدة (أخبار اليوم)**: أسبوعية صباحية، أسسها في القاهرة مصطفى أمين عام 1944، وهي تصدر حاليًا عن دار أخبار اليوم بالقاهرة.

4- **جريدة (الأخبار)**: يومية صباحية، تصدر عن دار أخبار اليوم بالقاهرة، وكان قد أصدرها مصطفى أمين وعلي أمين في 15 يونيو 1952.

5- **جريدة (الجمهورية)**: يومية صباحية، تأسست في القاهرة عام 1953، وتصدر عن دار التحرير للطبع والنشر.

---

(1) الصحافة، مرجع سابق، ص 97؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 2، ص 4، 52، ج 3، ص76، 86، وج 4، ص 174؛ وكذلك تاريخ الصحافة المصرية، مرجع سابق.

(2) انظر قاموس المصطلحات الإعلامية (للمؤلف) في صفحات مختلفة كل جريدة أو مجلة في موضعها حسب الترتيب الأبجدي لأسمائها بالإنجليزية. وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، ص 52 - 54. وكذلك تاريخ الصحافة المصرية "للمؤلف" صفحات مختلفة؛ وكذلك:

The Europa World Year Book (2006) pp. 1580, 1587.

6- **جريدة (المساء):** يومية مسائية تصدر في القاهرة عن دار التحرير للطبع والنشر منذ عام 1956.

7- **جريدة (إجيبشيان جازيت):** يومية تصدر باللغة الإنجليزية منذ عام 1880، وتصدر حاليًا عن دار التحرير للطبع والنشر.

8- **جريدة (جورنال ديجيبت):** يومية، تصدر باللغة الفرنسية منذ عام 1936 في القاهرة.

وفي نوفمبر 1976 - بعد تحويل التنظيمات السياسية إلى أحزاب - بدأت تصدر الصحف الحزبية إلى جانب الصحف المسماة بالقومية السابق عرضها، وتوجد حاليًا عدة جرائد من هذه الحزبية، ومنها:

1- **جريدة (الأحرار)**: وهي جريدة حزب الأحرار الاشتراكيين، وكانت أول جريدة معارضة في مصر في نهاية السبعينيات من القرن العشرين الماضي، وصدرت في 14 نوفمبر 1977.

2- **جريدة (الأهالي)**: وهي جريدة حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدودي، وصدرت في أول فبراير 1978.

3- **جريدة (الشعب)**: صدرت في أول مايو 1979، ناطقة باسم حزب العمل الاشتراكي، وتوقفت عن الصدور بعد العدد (1466) بتاريخ 19 مايو عام 2000.

4- **جريدة (مايو)**: صدرت في 2 مارس 1981، ناطقة بلسان الحزب الوطني الديمقراطي، وهو الحزب الذي شكله الرئيس محمد أنور السادات بعد إلغاء حزب مصر العربي الاشتراكي، وتوقفت جريدة مصر التي كانت تنطق باسمه بعد 5 سبتمبر 1978.

5- **جريدة (الوفد)**: صدرت في 22 مارس 1984 لسان حال حزب الوفد، وكانت تصدر أسبوعيًّا، وأصبحت تصدر يوميًّا منذ 9 مايو 1985.

كذلك يصدر حاليًا عدد من الصحف المستقلة، ومنها ما يلي:

1- **جريدة (الأسبوع)**: وهي أسبوعية عامة مستقلة، تصدر عن شركة الأسبوع للصحافة والطباعة والنشر، وصدر عددها الأول بتاريخ 17 فبراير 1997.

2- **جريدة (صوت الأمة):** أسبوعية عامة مستقلة، وتصدر عن شركة صوت الأمة للصحافة والنشر، وفقًا لنظام الشركات المساهمة، وصدر العدد الأول في إصدارها الثاني بتاريخ 200/12/6، وكان عدلي المولد قد أسسها في 12 يناير 1997 في إصدارها الأول، وصدر منها مائة عدد، وانتقلت ملكيتها للمشترين الجدد بعد وفاة مؤسسها.

وإلى جانب ذلك صدرت عدة صحف منها: جريدة (الأمة) بتاريخ 12 مايو 1984 لسان حال حزب الأمة، وجريدة (القاهرة) عن وزارة الثقافة بتاريخ 1984/11/1، وجريدة (الحقيقة) يصدرها حزب الأحرار منذ 1988/3/29 وجريدة (حديث المدينة) عن حزب الأحرار أيضًا بتاريخ 1993/1/16، وجريدة (العربي) عن الحزب العربي الديمقراطي الناصري بتاريخ 1994/2/2، وجريدة (المواجهة) عن حزب الأحرار بتاريخ 1994/2/8، وجريدة (الميدان) مستقلة تصدر عن شركة الميدان للطبع والنشر بتاريخ 1995/9/16، وجريدة (الزمان) مستقلة تصدر عن شركة دار الشاعر للصحافة والطباعة والنشر بتاريخ 1998/11/15، وجريدة (الوطن) يصدرها حزب الخضر بتاريخ 2000/12/12.

كما يوجد في مصر عدد من المجلات الأسبوعية والنصف شهرية، منها ما يلي:

1- **مجلة (المصور):** أسبوعية، مصورة تهتم بالقضايا السياسية والاجتماعية، وتصدر عن دار الهلال بالقاهرة منذ عام 1924، ومجلة (الهلال) من أول سبتمبر 1892 شهرية، وكتاب الهلال الشهري منذ عام 1952.

2- **مجلة (روز اليوسف):** أسبوعية سياسية مصورة. أسستها السيدة فاطمة اليوسف عام 1925 بالقاهرة. وتصدر حاليًا عن دار روز اليوسف.

3- **مجلة (آخر ساعة):** أسبوعية، سياسية مصورة. تصدر حاليًا عن دار أخبار اليوم بالقاهرة، وكان محمد التابعي قد أنشأها عام 1934، ثم اشتراها منه علي أمين ومصطفى أمين عام 1944.

4- **مجلة (صباح الخير):** أسبوعية، اجتماعية ثقافية مصورة، تصدر حاليًا عن مؤسسة رزو اليوسف منذ عام 1956.

5- **مجلة (الإذاعة والتليفزيون)**: أسبوعية، سياسية مهنية، كانت قد تأسست بالقاهرة عام 1935 لنشر برامج الإذاعة وكذلك التليفزيون منذ افتتاحه في مصر عام 1960، ويصدرها حاليًا اتحاد الإذاعة والتليفزيون بوزارة الإعلام بالقاهرة.

6- **مجلة (حواء)**: أسبوعية نسائية، تصدر عن دار الهلال بالقاهرة، وقد تأسست عام 1955. ومجلة(الكواكب) فنية، عن دار الهلال أيضًا منذ 8 فبراير 1949.

7- **مجلة (الكورة والملاعب)**: أسبوعية، رياضية، تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر منذ عام 1976.

8- **مجلة (الأهرام الاقتصادي)**: نصف شهرية، وتصدر عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة منذ عام 1951؛ حيث كانت تصدر شهرية، ثم تحولت إلى نصف شهرية في عام 1958.

9- **وتصدر عن مؤسسة الأهرام عدة مجلات أخرى، منها**: مجلة (السياسة الدولية) وهي ربع سنوية منذ يوليو 1965، ومجلة (الشباب) شهرية منذ أغسطس 1977، ومجلة (الأهرام الرياضي) أسبوعية منذ 3 يناير 1990، ومجلة (نصف الدنيا) نسائية منذ 18 فبراير 1990، ومجلة (علاء الدين) للأطفال أسبوعية منذ 15 يوليو 1993، ومجلة (الأهرام العربي) أسبوعية منذ عام 1996، ومجلة (الديمقراطية) من يناير 2001، ومجلة (البيت)، ومجلة (لغة العصر) وتصدران شهريًّا منذ أول عام 2001.

10- **وتصدر عن دار أخبار اليوم أيضًا**: جريدة (أخبار الرياضية) من عام 1989 وجريدة (أخبار الحوادث) من 9 أبريل 1992، وجريدة (أخبار النجوم) من 10 أكتوبر 1992، وجريدة (أخبار الأدب) من 18 يوليو 1993.

11- **مجلة (أكتوبر)**: صدرت عام 1976 عن مؤسسة دار المعارف، وهي مجلة أسبوعية.

في السودان:

في خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان السودان تابعًا لمصر. وتنيجة لذلك كان السودان يعتمد على الصحف المصرية، وخاصة جريدة (الوقائع المصرية)، وعندما أعيد فتح السودان صدرت فيه (الغازيتة السودانية) 1899، جريدة رسمية، أما أول جريدة غير رسمية فهي جريدة (السودان)، وقد أصدرها أصحاب جريدة المقطم المصرية، في الخرطوم عام

1903 باللغتين العربية والإنجليزية. ويوجد بالسودان حاليًا بعد استقلاله عن مصر عام 1954 عدد من المطبوعات الدورية، من أهمها ما يلي[1]:

1- جريدة (أخبار اليوم Akhbar Al Yowm)، يومية سياسية، تصدر بالخرطوم.

2- جريدة (الأنباء Al Anbaa) يومية بالخرطوم من عام 1998.

3- جريدة (النصر An- Nasr) يومية بالخرطوم.

4- جريدة (الرأي الآخر Ar Ra Al Akhar) يومية سياسية، تصدر بالخرطوم.

5- جريدة (الرأي العام Ar Rai al Amm) يومبة سياسية، تصدر بالخرطوم.

6- جريدة (الخرطوم مونيتر Khartowm Monitor) يومية سياسية، تصدر بالخرطوم.

7- جريدة (سودان ميرور Sundan Miror) يومية بالخرطم من عام 2003.

8- جريدة (سودان ستاندر Sundan Standerd) يومية تصدرها وزارة الإعلام والثقافة باللغة الإنجليزية.

9- جريدة (ألوان Al Wan) يومية مستقلة بالخرطوم.

10- جريدة (القوات المسلحة Al Guwat Al Musallaha)، تأسست بالخرطوم عام 1969، أسبوعية، وتصدر معها مجلة شهرية بالاسم نفسه.

11- مجلة (نيوهوريزون New Horison) شهرية باللغة الإنجليزية، تأسست بالخرطوم عام 1976.

12- مجلة (سودانو SUDANOW شهرية باللغة الإنجليزية تأسست بالخرطوم عام 1976، وتعنى بالشئون السياسية والاقتصادية الفنية والاجتماعية.

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة: مرجع سابق، ص 1116؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 114؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 129؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 32؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 20 – 25؛ وكذلك:
The Europa World Year Book 2006, p405.

في المغرب[1]**:**

عرف المغرب الصحافة على يد الإسبان، عندما أصدروا في أول مايو 1820 جريدة (الإفريقي الليبرالي) باللغة الإسبانية، وفي عام 1889 أصدر أديبان لبنانيان في المغرب جريدة باسم (المغرب)، غير أنها توقفت عن الصدور بعد فترة قصيرة. وفي عام 1905 أنشأ الاحتلال الفرنسي جريدة (السعادة) الرسمية. وبعد إعلان استقلال المغرب في عام 1956، صدرت عدة صحف جديدة إلى جانب الموجود منها قبل ذلك. وتصدر في المغرب حاليًا 15 صحيفة يومية، منها سبعة في الرباط العاصمة وثمانية في الدار البيضاء، بالإضافة إلى نحو 20 مطبوعة دورية أخرى. ومن بينها ما يلي:

1- **جريدة (العلم)**: يومية، تصدر في الرباط عن حزب الاستقلال المغربي، وقد تم تأسيسها في عام 1946.

2- **جريدة (الأنباء)**: يومية تصدر باللغة العربية في الرباط عن وزارة الإعلام المغربية، وقد تأسست عام 1963.

3- **جريدة (الفجر)**: يومية، تصدر في الرباط، وتأسست عام 1960.

4- **جريدة (الاتحاد الاشتراكي)**: تأسست عام 1983 في الدار البيضاءن ويصدرها حزب الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية. كما يصدر الحزب صحيفة أسبوعية باللغة الفرنسية باسم (لاليبيراسيون)، أي التحرير في عام 1964.

5- **جريدة (البيان):** يومية، تصدر في الدار البيضاء بالمغرب، ولها طبعة باللغة العربية وأخرى باللغة الفرنسية، وقد تأسست عام 1672، وتنطق باسم حزب التقدم والاشتراكية.

6- **جريدة (المغرب):** يومية تصدر بالرباط باللغة الفرنسية منذ عام 1981، وتنطق باسم حزب الأحرار المغربي، وعن الحزب نفسه تصدر في الرباط باللغة العربية جريدة (الميثاق الوطني Al Mithq al Watani) منذ عام 1977.

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1117؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 153؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 117؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 56، 57؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص 20، 23، 25؛ وكذلك:
The Europa World Year Book (2006) p. 4105.

7- **جريدة (السياسية الجديدة Assyassa al Gadida)**: يومية عربية في الرباط العاصمة، وهي لسان حال الحزب الديمقراطي.

8- **جريدة (لوبينيون L'onipion)**: يومية، وتصدر باللغة الفرنسية، وتنطق باسم حزب الاستقلال، وتأسست عام 1965.

9- **جريدة (النضال الديمقراطي An NBidal ad Dimokrati)**: لسان الحال الحزب الوطني الديمقراطي، وتأسست في الرباط عام 1984 باللغة العربية.

10- **جريدة (لوماتين دو صحراء LE Matin Du Sahara)**: يومية تصدر باللغة الفرنسية، وتعبر عن آراء الحكومة، وتأسست عام 1971 في الدار البيضاء.

11- **جريدة (ماروك سوار Maroc Soir)**: يومية، مسائية، وتصدر باللغة الفرنسية، تأسست في الدار البيضاء عام 1971، وترتبط بالأوساط الرسمية.

12- **جريدة (الكفاح الوطني)**: أسبوعية، تصدر عن حزب التحرير والاشتراكية، تأسست عام 1996، ولها طبعتان، وتصدر باللغة العربية والفرنسية.

13- **جريدة (الاتحاد الوطني)**: أسبوعية، سياسية، تأسست عام 1972، وتنطق باسم الاتحاد الوطني للقوى الشعبية.

14- **جريدة (الشعب)**: أسبوعية، تصدر في الرباط، وتتعاطف مع الأوساط الحكومية.

15- **جريدة (الصحراء المغربية Assahra Al Maghribia)**: في الدار البيضاء، عام 1989 باللغة العربية.

16- **جريدة (لوايكوتميست L' E Conomist)**: تأسست عام 1991 في الدار البيضاء باللغة الفرنسية.

17- **مجلة (النور)**: نصف شهرية، وهي مجلة إسلامية باللغة العربية، تصدرها جمعية البعث الإسلامي بمدينة تطوان المغربية.

18- **جريدة (رسالة الأمة Rissalat al Omma)**: في الدار البيضاء يومية باللغة العربية، مع طبعة أسبوعية باللغة الفرنسية، وهي لسان حال حزب الاتحاد الدستوري.

في الجزائر[1]:

عرفت الجزائر الصحافة في 14 يونيو 1830، عندما أصدرت القوات الفرنسية التي احتلت البلاد، جريدة (بريد مدينة الجزائر) .. كما أصدر الفرنسيون في 15 سبتمبر 1847 جريدة (المبشر) الرسمية باللغتين العربية والفرنسية "لعموم ولاية الجزائر في المغرب الأوسط"، وفي عام 1907 أصدر محمود كحول جريدة (كوكب أفريقيا)، فكانت أول جريدة عربية يصدرها جزائري في بلاده.

ولما أعلن استقلال الجزائر في سنة 1962، أنشئ عدد من الصحف. ويوجد في الجزائر حاليًا عدد من الصحف اليومية وغير اليومية، بالإضافة إلى نحو مائة دورية أخرى. ومن الصحف اليومية ما يلي:

1- **جريدة (الشعب)**: يومية باللغة العربية، حكومية تصدر في العاصمة منذ عام 1962.

2- **جريدة (المجاهد)**: يومية، تصدر باللغة الفرنسية والعربية، تأسست في العاصمة في عام 1965، وهي واحدة من أكبر الصحف في العالم الثالث.

3- **جريدة (النصر)**: يومية، صدرت في عام 1963 في مدينة قسطنطينة لغاية عام 1972، وكانت باللغة الفرنسية، أما الآن – بعد التعريب – أصبحت تصدر بالعربية.

4- **جريدة (الجمهورية الجديدة La Nouvelle Republiqe)**: يومية، تصدر في وهران باللغة الفرنسية. وهناك نية لتعريبها.

5- **جريدة (الجمهورية Al Goumhouria)**: تأسست بالعاصمة الجزائر عام 1963 باللغة العربية،.

كما يوجد بالجزائر عدد من الصحف الأسبوعية، منها ما يلي:

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1/18؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 144؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 114؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 1، ص 51؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 27 – 29؛ وكذلك:
The Europa World Year Book (2006) p. 513.

1- **جريدة (المجاهد)**: وهي اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وقد بدأت في الصدور بشكل سري أثناء النضال ضد الاستعمار الفرنسي، ثم انتقلت إلى تونس العاصمة لتصدر هناك. وبعد الاستقلال في عام 1962، عادت إلى الجزائر العاصمة لتصدر أسبوعيًّا.

2- **جريدة (ريفوليسيون أفريكان Revolution Apricaine)**: أسبوعية، تصدر باللغة الفرنسية عن جبهة التحرير الوطني الجزائرية، تأسست عقب الاستقلال عام 1962، وتعتبر من أكبر الصحف الأسبوعية.

3- **وتوجد صحف أخرى أسبوعية باللغة الفرنسية، ومنها**: الجيرى أكتواليتية Algerie Actualite، تأسست عام 1965؛ وصحيفة (الهدف Al Hadef)، رياضية، تأسست عام 1972؛ وصحيفة (لاناسيون La Nation)، تأسست عام 1992.

وقد صدر في الجزائر عدد من الصحف الجديدة، منها: صحيفة (الشروق اليومي Elchourouk El Yaoumi)، تأسست يومية عام 2000؛ وصحيفة (لو إكسبريسيون L'Expression)، تأسست عام 2000 بالفرنسية؛ وجريدة الفجر، تأسست عام 2000 باللغة العربية؛ وجريدة (نوربزونس)، تأسست عام 1985، مسائية باللغة الفرنسية في العاصمة الجزائر؛ وجريدة (المساء El Massa)، تأسست عام 1977، مسائية باللغة العربية، وجريدة (لوسواردو الجيري Le soir D' Algerie)، تأسست عام 1990 مسائية مستقلة باللغة الفرنسية؛ وجريدة (لاتريبيون La Tribune)، تأسست عام 1994 باللغة الفرنسية.

في تونس:

عرفت تونس الصحافة على أيدي الإيطاليين، عندما أصدرت الجالية الإيطالية هناك في عام 1838 جريدة (تونس وقرطاجة) باللغة الإيطالية، ثم صدرت في تونس العاصمة جريدة (الرائد التونسي) في 9 يوليو 1860 (غرة محرم 1277هـ، على يد محمد الصادق باشا الباي الثالث عشر للدولة التونسية؛ لتكون لسان حاله، ولتنشر القوانين واللوائح. وظلت الصحافة في تونس وقفًا على الدولة حتى عام 1888، حين أصدر أحد التونسيين، ويدعى حسين المقدم صحيفة (نتائج الأخبار). وعندما نالت تونس استقلالها في 1956 احتجبت صحف الفرنسيين، وصدر قانون يقصر إصدار الصحف على الأحزاب الوطنية دون غيرها .. وفي

تونس حاليًا أربع صحف يومية، وتسع صحف أسبوعية، و 73 مطبوعة دورية، ومن بينها ما يلي[1]:

1- **جريدة (العمل)**: يومية، باللغة العربية، أسسها الحزب الاشتراكي الدستوري في العاصمة تونس، عام 1934.

2- **جريدة (الصباح)**: يومية باللغة العربية، حكومية تصدر في تونس العاصمة، وقد تأسست عام 1951.

3- **جريدة (المرأة Al Maraa)**: تأسست في العاصمة التونسية عام 1961 للشئون النسائية، وهي شهرية باللغتين العربية والفرنسية، يصدرها الاتحاد الوطني للمرأة التونسية.

4- **جريدة (لابرس دي تونس)**: أي الصحافة التونسية: يومية، حكومية باللغة الفرنسية، تأسست عام 1936 بالعاصمة.

5- جريدة (الصحافة **As Sahafe**)، يومية باللغة العربية من عام 1936.

6- **جريدة (الشروق Ach Chourouk)**: يومية بالعاصمة التونسية.

7- **جريدة (الحرية El Horria)**: يومية باللغة العربية بالعاصمة.

8- **جريدة (لونامب Le Temps)**: يومية في تونس عام 1975 بالفرنسية.

9- **جريدة (لورينوفو Le Renouveau)**: يومية من عام 1988 بالفرنسية.

10- **جريدة (الأخبار Al Akhbar)**: تأسست عام 1984، أسبوعية عامة.

11- **جريدة (الأنوار التونسية Al – Anowr at Tounissia)**: أسبوعية من عام 1980.

---

(1) عمر بن قفصية: أضواء على الصحافة التونسية (تونس 1970)، ص 6 – 8؛ وكذلك الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1116؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 138؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 115 – 116؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 1، ص 64 – 66؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 20 – 188؛ وكذلك:
The Eunopa World Year Book (2006) p. 4355.

في لبنان:

بدأت الصحافة في لبنان على يد الأفراد. وأول صحيفة صدرت في بيروت هي (حديقة الأخبار) في أول يناير 1858، على يد مؤسسها خليل الخوري. وهي أول صحيفة يصدرها مواطن عربي في بلد عربي، وقد احتجبت تلك الصحيفة عامًا كاملا قبل وفاة صاحبها في 26 أكتوبر 1907، ثم تحول امتيازها إلى أخيه حنا الخوري، وأصدرها يومية، في 18 ديسمبر 1908، ثم احتجبت عن الصدور في 20 أبريل 1911. كما أصدر بطرس البستاني (نفير سوريا) في عام 1860. وكانت أول مجلة لبنانية هي (النشرة الشهرية)، التي أصدرها يوسف الشلفون عام 1866، ثم توالت الصحف والمجلات بعد ذلك في الصدور في لبنان[1].

ويوجد في لبنان حاليًا أكثر من مائة جريدة يومية، وأسبوعية ومجلة أسبوعية ومطبوعة دورية .. والخاصة الأساسية للصحف اللبنانية، هي امتداداتها العربية وغير العربية، من حيث مصادر التمويل وأسواق التوزيع، وحتى المواقف السياسية.

وقد أثرت الحرب اللبنانية – التي بدأت عام 1975 – بشكل ملحوظ على الصحافة في لبنان؛ إذ اضطرت بعض الجرائد إلى التوقف عن الصدور، ووجدت صحف أخرى نفسها مضطرة على إصدار صحف أسبوعية لها في عواصم أوربا الغربية، وهي: صحيفة (النهار العربي والدولي) في باريس، وصحيفة (الوطن العربي) في باريس، وصحيفة (المستقبل) في باريس، وصحيفة (المنار) في لندن، وصحيفة (الدستور) في لندن، وصحيفة (إيفنتس) في لندن. ومن بين الصحف اللبنانية الحالية ما يلي[2]:

---

(1) تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 1، ص 55 – 60؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص102؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 103 وما بعدها؛ حيث توجد صحف لبنانية عديدة.

(2) دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 44 – 48؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، في صفحات مختلفة، كل صحيفة تحت اسمها حسب الترتيب الأبجدي بالإنجليزية. وكذلك:
The Europa Europa World Year Book (2006) p 2703.

1- **جريدة (النهار)**: يومية، تأسست في بيروت باللغة العربية، عام 1933، وهي من أكثر الصحف اللبنانية اطلاعًا، وتتعاطف مع الغرب، ومع الأوساط اليمينية.

2- **جريدة (الأنوار) يومية:** تأسست عام 1959 في بيروت، وتصدر عن دار الصياد، وتتعاطف مع اليمين، وتعكس مواقف بعض الأقطار العربية.

3- **جريدة (السفير)**: يومية، تصدر في بيروت منذ عام 1974، وتتعاطف مع القوى اليسارية في لبنان والعالم العربي.

4- **جريدة (الأنباء):** يومية، تصدر في بيروت منذ عام 1948.

5- **جريدة (الحياة):** يومية، تصدر في بيروت منذ عام 1946، وتتعاطف مع مواقف الغرب السياسية، وتؤيد الأوساط اليمينية في العالم العربي.

6- **جريد (الأمل)**: يومية باللغة العربية، يصدرها حزب الكتائب، وتعكس وجهات نظره، وتأسست في بيروت عام 1939.

7- **جريدة (الجمهورية):** يومية، تأسست عام 1924 في بيروت.

8- **جريدة (المحرر):** يومية سياسية، تصدر في بيروت، وتأسست عام 1951.

9- **جريدة (الأحرار):** يومية، سياسية، تصدر عن حزب الوطنيين الأحرار منذ عام 1940.

10-**جريدة (الشرق):** يومية باللغة العربية، تأسست عام 1926.

11-**جريدة (النداء)**: اليومية، تصدر في بيروت عن الحزب الشيوعي اللبناني منذ عام 1959، وكانت قد تأسست عام 1949.

12-**جريدة (أوريان لوجور)**: من أكبر الصحف الناطقة بالفرنسية في الشرق الأوسط، تأسست عام 1942 في بيروت، وتتعاون مع جريدة (النهار) اللبنانية، وتوجد كذلك جريدة (المستقبل Al Mustqubal)، تأسست عام 1999.

13-**جريدة (الريفاي):** يومية سياسية، تنطق بالفرنسية، وتتعاطف مع جزب الكتائب، وتأسست عام 1977.

14-**جريدة (صندي لبدنان):** باللغة العربية، تأسست عام 1951.

15-**جريدة (الزمان):** باللغة العربية، تأسست عام 1947.

16-**جريدة (الكفاح العربي):** يومية، سياسية، تأسست في بيروت عام 1957.

ويوجد في لبنان أيضًا عدد كبير من المجلات، منها ما يلي:

1- **مجلة (الأسبوع العربي)**: أسبوعية، سياسية مصورة، تصدر عن (المؤسسة الشرقية للطباعة والنشر)، وتأسست عام 1959 في بيروت.

2- **مجلة (الحوادث)**: أسبوعية سياسية، إخبارية مصورة، تأسست في بيروت عام 1911، وتوزع معظم أعدادها في الدول العربية.

3- **مجلة (الصياد)**: أسبوعية سياسة اجتماعية، تصدر عن (دار الصياد للطباعة والتوزيع) اللبنانية. وقد تأسست عام 1943، وتوزع معظم أعدادها في الدول العربية.

4- **مجلة (الحرية)**: أسبوعية، سياسية، تأسست عام 1951، وتصدر عن (دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر) اللبنانية، وتنطق باسم حزب العمل الاشتراكي.

5- **مجلة (الشبكة)**: تأسست عام 1956 باللغة العربية.

6- **مجلة (الأحد)**: باللغة العربية، أسبوعية، لسان حال حزب الله.

7- **مجلة (العالم اللبناني)**: تأسست عام 1964، سياسية أدبية اجتماعية اقتصادية باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

8- **مجلة (الأخبار)**: أسبوعية، سياسية، تأسست عام 1953، وتصدر عن الحزب الشيوعي اللبناني.

9- **مجلة (دراسات عربية)**: شهرية، سياسية واقتصادية، تأسست عام 1963، وتصدر عن (دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع).

10-**مجلة (الجمهور)**: تأسست عام 1936، أسبوعية باللغة العربية، إخبارية مصورة.

11- **مجلـة (المجلـة Magazine)**: تأسـست عـام 1956 بالفرنـسية، سياسـية اقتـصادية اجتماعية.

12- **مجلة (الحوار)**: تأسست عام 2000 باللغة العربية.

في سوريا:

كان أول عهد السوريين بالصحافة، عندما صدرت جريدة (سورية)، أسبوعية رسمية في 19 نوفمبر 1865 في دمشق بعناية راشد باشا الوالي العثماني، وكانت تحرر باللغتين العربية والتركية، وتختص بنشر أوامر الحكومة ونظمها، والحوادث الرسمية في الولاية، والإعلانات الحكومية. وتوقفت هذه الجريدة عن الصدور عام 1918 بعد خروج العثمانيين من البلاد. وفي عام 1867 أصدر المؤرخ التركي المشهور جودت باشا والي حلب جريدة رسمية باسم (غدير الفرات)، وتغير اسمها فيما بعد إلى (الفرات)، وكانت تحرر بالعربية والتركية والأرمنية، ثم اقتصرت على العربية والتركية. وتخصصت في نشر أخبار ولاية حلب وأوامر الحكومة وإعلاناتها .. وتعتبر جريدة (الشهباء) أول صحيفة سورية غير حكومية، وقد أصدرها في حلب يوم 10 مايو 1877 عبد الرحمن الكواكبي (1849- 1902)، وأخذ الأفراد بعد ذلك في إصدار الجرائد والمجلات في حلب ودمشق وغيرهما من المدن السورية .. ويوجد في سوريا حاليًا نحو 60 مطبوعة دورية، منها 11 جريدة يومية، و 13 جريدة أسبوعية، ونحو 40 مجلة أسبوعية ونصف شهرية وشهرية، ومنها ما يلي(1):

1- **جريدة (البعث)**: يومية سياسية، تصدر في دمشق وتنطق باسم حزب البعث العربي الاشتراكي منذ عام 1947 وتصدر عن (دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع).

2- **جريدة (الثورة)**: يومية سياسية، تصدر في دمشق منذ عام 1963، وتصدر عن (مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر).

---

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 114؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 107؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 17/11؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 1، ص 67– 69، وج 2، ص 200؛ وكذلك: The Europa World Year Book (2006), p 4204.

3- **جريدة (تشرين)**: يومية سياسية، تأسست عام 1975، وتصدر عن (دار تشرين للطباعة والنشر والتوزيع). وهي أول صحيفة سورية تصدر سبع مرات في الأسبوع.

4- **جريدة (الجماهير)**: يومية، تصدر في مدينة حلب عن فرع (مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر)، وتهتم بشئون محافظة حلب.

5- **جريدة (الفداء)**: يومية، تصدر في مدينة حماة، وتتبع مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، وتهتم بشئون سكان المنطقة.

6- **جريدة (العروبة)**: يومية، تصدر في مدينة حمص، وتبرز أحداث المحافظة وأخبارها الرسمية وتتبع مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.

7- **جريدة (المسيرة)**: أسبوعية، تصدر عن اتحاد شبيبة الثورة، وتأسست عام 1974، وتطبع في دمشق.

8- **جريدة (كفاح العمال الاشتراكي)**: أسبوعية سياسية نقابية، تصدر عن الاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا، وتأسست عام 1963.

9- **جريدة (نضال الفلاحين)**: أسبوعية نقابية، تصدر عن الاتحاد العام للفلاحين في سوريا، وتأسست عام 1965.

10- **جريدة (جيل الثورة)**: أسبوعية سياسية ثقافية، تصدر عن الاتحاد الوطني لطلبة سورية، وتأسست عام 1977.

11- **جريدة (الموقف الرياضي)**: أسبوعية، تهتم بالشئون الرياضية، وتصدر عن (مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر) منذ عام 1963.

12- **جريدة (الثقافة الأسبوعية)**: أسبوعية، تهتم بالقضايا الثقافية، وصاحبها مدحت عكاش، وتأسست عام 1958.



13- **مجلة (جيش الشعب)**: أسبوعية، تصدر عن الإدارة السياسية في الجيش السوري، تهدف إلى تعبئة القوات المسلحة، وتأسست عام 1967، وكانت تصدر قبل ذلك باسم (الجندي العربي) من عام 1966.

14- **مجلة (هنا دمشق)**: نصف شهرية ثقافية فنية، تصدر عن (المديرية العامة لهيئة الإذاعة والتليفزيون)، وتأسست عام 1954.

15- **مجلة (المرأة العربية)**: نصف شهرية اجتماعية ثقافية، تصدر عن (الاتحاد العام النسائي)، وتأسست عام 1968.

16- **مجلة (الأجواء)**: تأسست عام في دمشق نصف شهرية باللغة العربية.

17- **مجلة (أسامة)**: نصف شهرية للأطفال، تصدر عن وزارة الثقافة، وتأسست عام 1970.

18- **مجلة (البرميري)**: أي مشعل المصابيح، تأسست في دمشق عام 2001، أسبوعية ساخرة هجائية.

19- **مجالة (الضاد)**: شهرية ثقافية اجتماعية، تصدر في حلب منذ سنة 1930. وتوزع أغلب أعدادها بين أفراد الجاليات السورية في المهجر، وكذلك الكتاب العرب.

20- **مجلة (أبيض وأسود)**: تأسست في عام 2000، أسبوعية باللغة العربية.

21- **مجلة (المعرفة)**: شهرية ثقافية سياسية، تصدر عن وزارة الثقافة، وتأسست عام 1962.

22- **مجلة (الأسبوع الرياضي)**: أسبوعية في دمشق، رياضية باللغة العربية.

23- **مجلة (الموقف الأدبي)**: شهرية أدبية، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سوريا، وتأسست عام 1970.

24- **مجلة (المعلم العربي)**: شهرية ثقافية، تصدرها وزارة التربية والتعليم عام 1948.

25- **مجلة (الوحداوي)**: أسبوعية في دمشق باللغة العربية عام 2001.

26- **مجلة (الآداب الأجنبية)**: فصلية، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سوريا، وتأسست عام 1974، وتنشر المجلة دراسات عن الآداب الأجنبية ونصوصًا أدبية مترجمة.

27- **مجلة (التمدن الإسلامي)**: شهرية، تعالج القضايا الدينية، وتصدر عن جمعية التمدن الإسلامي في دمشق.

28- **مجلة (الفكري العسكري)**: تأسست في دمشق عام 1995 مجلة عسكرية رسمية باللغة العربية، تصدر كل شهرين.

في ليبيا:

عرفت ليبيا الصحافة لأول مرة عام 1866، عندما صدرت صحيفة (طرابلس الغرب) كأول صحيفة رسمية في العهد العثماني، وكانت تحرر بالتركية. وأول جريدة أصدرها مواطن ليبي هي جريدة (الترقي)، لصاحبها محمد البوصيري في عام 1897، ويوجد في ليبيا حاليًا نحو 20 جريدة ومجلة. وكان قد صدر في عام 1973 مرسوم بتأميم ملكية جميع وسائل الإعلام الخاصة في ليبيا .. وفيما يلي أهم الصحف التي تصدر حاليًا[1]:

1- **جريدة (الفجر الجديد)**: يومية سياسية، تنطق باسم الحكومة، وتأسست في طرابلس عام 1969، وأصبحت منذ يناير 1978، تصدر عن وكالة أنباء الجماهيرية.

2- **جريدة (الوطن العربي الكبير)**: تأسست عام 1987.

3- **جريدة (الجهاد)**: يومية سياسية، تصدر عن إدارة الإعلام الرسمية.

4- **جريدة (الطليعة)**: أسبوعية، تصدر في العاصمة، وتنطق باسم اتحاد نقابات العمال.

5- **جريدة (الدعوة الإسلامية)**: أسبوعية عربية وإنجليزية وفرنسية عام 1980.

6- **جريدة (الرأي)**: أسبوعية، تصدر في العاصمة عن منظمة الشباب.

---

(1) هذا العرض يعرض للصحف الموجودة قبل ثورة 2011، والإطاحة بالقذافي، انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1116؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 116؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 50 – 51. وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 21؛ وكذلك:

The Europa World Year Book, (2006), p 2756.

7- **جريدة (الزحف الأخضر)**: يومية تصدرها اللجان الثورية الليبية.

8- **مجلة (الأمل)**: شهرية اجتماعية للأطفال.

9- **جريدة(الجماهيرية)**: أسبوعية سياسية تأسست عام 1980.

10- **مجلة رسالة الجهاز**: تأسست 1983، شهرية عربية إنجليزية وفرنسية، يصدرها حزب الدعوة الإسلامي العالمي.

في العراق:

كانت أول جريدة تظهر في العراق هي (الزوراء) الأسبوعية، التي أنشأها في بغداد سنة 1868 مدحت باشا الوالي العثماني، وجعلها لسان حال الولاية؛ لنشر الأخبار، والأوامر الرسمية، والإعلانات باللغتين العربية والتركية .. وفي سنة 1885 أصدر العثمانيون جريدة (الموصل) الرسمية في الموصل. وبعد ذلك بعشر سنوات أصدروا في البصرة جريدة (البصرة) الرسمية. وظلت الصحافة في العراق وقفًا على الولاة العثمانيين إلى أن صدر الدستور العثماني في عام 1908، فأتاح لأحرار العراق إصدار الصحف التي تعبر عن رأيهم. وأول صحيفة يملكها[1] فرد في العراق، كانت صحيفة (بغداد)، التي صدرت بالعربية والتركية في عام 1908.

وعندما قامت ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 في العراق، أطلقت حرية النشر، بعد أن قامت بإلغاء ثلاثة أرباع الصحف التي كانت تصدر قبل الثورة، وأعادت إصدار جميع الصحف التي كانت معطلة، وقامت الثورة بإصدار عدد من الصحف، أهمها جريدة (الجمهورية)، ممثلة لفكر حزب البعث الاشتراكي المسيطر على البلاد والصحافة. تم تولي صدام حسين رئاسة الجمهورية ورئاسة حزب البعث في 16 يوليو 1979، وتعددت الصحف في عهده، وأهمها جريدة (الثورة)، لسان حال حزب البعث الذي يحكم البلاد.

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1116؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 1، ص 78، وج 2، ص 4؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 117؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 108؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 35، 36؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 22، 26، 42.

وبـاحتلال بغـداد مـن جانـب القـوات (الأنجلـو أمريكيـة) في 9 أبريـل 2003 توقفـت الصحف العراقية جميعها عن الصدور، وقبل مرور أقل من أسبوعين على الاحتلال تعددت الصحف وتنوعت حتى قاربت المائتي صحيفة ومجلة؛ ومنها صحافة معبرة عن عرقيات وقوميات داخل العراق، ومنها صحيفة (الاتحاد) الناطقة بلسان الحزب الكردستاني، وتلتها صحيفة (التآخي) الناطقة بلسان الحزب الديمقراطي الكردستاني؛ ومنها صحف للمنشقين على الحكم العراقي السابق، مثل صحيفة (الزمان) من 14 أبريل 2003؛ وصحافة مواليه للاحتلال، ومنها صحيفة (الصباح)، وصحيفة (بغداد)؛ وصحافة ذات ميول كويتية، منها صحيفة (سومر) اليومية؛ ومنها صحافة مستقلة، مثل صحيفة (المستقلة)؛ وصحف ساخرة، منها صحيفة (الصحاف) الأسبوعية المستقلة .. وإزاء تعدد الصحف أصدر الحاكم المدني للعراق في 2003/6/11 أمرًا إداريًا، شمل السيطرة على الإعلام العراقي[1].

في الجمهورية اليمنية:

كانت اليمن قبل الحرب العالمية الأولى جزءًا من دولة الخلافة العثمانية. وقد عرفت الطباعة والصحافة منذ عام 1877، عندما أمر السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء أول مطبعة في مدينة صنعاء، قاعدة ولاية اليمن في الجزيرة العربية، وكانت تطبع فيها جريدة (صنعاء) الأسبوعية الرسمية، لسان حال الحكومة التركية، وتحرر باللغتين العربية والتركية، وبعد أن نالت اليمن استقلالها استخدمت هذه المطبعة في إصدار جريدة اسمها (الإيمان):

وعندما قامت ثورة 26 سبتمبر 1962، وأعلنت الجمهورية، صدرت عدة صحف جديدة، وفي 22 مايو 1990 قامت الوحدة بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي باسم (الجمهورية اليمنية)، وتدعمت تلك الوحدة في 7 يوليو 1994 بعد الحرب بين شطري اليمن، وانتصار اليمن الشمالي، ومن أهم الصحف الحالية[2]:

1- **جريدة (الثورة)**: يومية، حكومية، تأسست عام 1962، وتصدر في صنعاء.

---

(1) مرعي مدكور: محاضرات في الصحافة العربية، (بدون تاريخ) ص 49-55.

(2) تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 2، ص 206؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 110-111؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 123؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 60؛ وكذلك:

The Europa World Year Bool (2006), p 4866.

2- **جريدة (الجمهورية)**: يومية حكومية، تأسست عام 1948، ومنذ عام 1962 حملت اسمها الحالي، وتصدر في تعز.

3- **جريدة (الرابع عشر من أكتوبر)**: يومية، تأسست عام 1968.

4- **جريدة (الشرارة)**: يومية في عدن.

5- **جريدة (الجريدة الرسمية)**: مطبوعة دورية حكومية، تأسست عام 1969، تتضمن القرارات والأوامر الرسمية.

ويوجد عدد من الصحف الأسبوعية، من أهمها ما يلي:

1- **جريدة (البلاد)**: أسبوعية، تصدر في صنعاء العاصمة.

2- **جريدة (دار السلام)**: أسبوعية، تأسست عام 1948، سياسية اقتصادية عامة.

3- **جريدة (الميثاق)**: أسبوعية في صنعاء، لسان حال مؤتمر الشعب العام.

4- **جريدة (الرأي العام)**: أسبوعية في صنعاء مستقلة.

5- **جريدة (الرسالة)**: أسبوعية، تأسست عام 1968 في تعز.

6- **جريدة (الصحوة)**: أسبوعية في صنعاء، تصدر عن المؤسسة الإسلامية.

7- **جريدة (الثوري)**: أسبوعية في عدن.

8- **جريدة (اليمن)**: أسبوعية في صنعاء منذ عام 1971.

9- **جريدة (اليمن أوبزيرفر Yamen Olserver)**: أسبوعية في صنعاء من عام 1996 مستقلة باللغة الإنجليزية.

10- **جريدة (ذي يمن تايمز)**: في الحديدة من عام 1991 باللغة الإنجليزية.

ويوجد عدد من الدوريات الشهرية، منها ما يلي:

1- **مجلة (الفنون)**: شهرية، تأسست عام 1980 في النواهي بعدن، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة.

2- **مجلة (الحكمة)**: شهرية في عدن، يصدرها اتحاد الكتاب.

3- **مجلة (المعين)**: بمعنى البئر، شهرية، تصدرها وزارة الإعلام في صنعاء.

4- **مجلة (الجيش)**: شهرية، تصدرها وزارة الدفاع.

5- **مجلة (المسيرة)**: شهرية، تصدرها وزارة الإعلام.

6- **مجلة (الوحدة الوطنية)**: شهرية عمالية، تأسست عام 1982.

7- **مجلة (المرأة اليمنية)**: شهرية، تصدر في عدن.

في المملكة العربية السعودية[1]:

كانت شبه الجزيرة العربية قبل الحرب العالمية الأولى جزءًا من الإمبراطورية العثمانية (التركية)، وكانت توجد بها ولايتا الحجاز ونجد وملحقاتهما، واللتين أصبحتا تعرفان باسم (المملكة العربية السعودية) منذ 18 سبتمبر 1932.

وكان الحجاز قد عرف المطبعة لأول مرة عام 1882، عندما أسس والي الحجاز التركي عثمان نوري باشا مطبعة الولاية في مكة المكرمة. وكان أول ثمار تلك المطبعة، الكتاب الدوري الرسمي لولاية الحجاز (حجاز ولايتي سالنامة)، وصدر منها خمسة أعداد فقط، آخرها في عام 1891.

ولم تظهر الصحافة في الحجاز خلال العهد العثماني، إلا بعد إعلان الدستور العثماني في عام 1908، حيث ظهرت ست جرائد دفعة واحدة خلال ذلك العام والذي تلاه، وهي ذات طبيعة حكومية أو شبه حكومية، وهذه الجرائد هي: حجاز عام 1908، وهي أسبوعية في مكة المكرمة، رسمية تنطق باسم الولاية، وجريدة (شمس الحقيقة) أسبوعية، صدرت في مكة المكرمة في 16 فبراير 1909، وجريدة (الإصلاح الحجازي) أسبوعية صدرت في مدينة جدة في 17 مايو 1909، وجريدة (صفا الحجاز)، أسبوعية في مدينة جدة، بتاريخ 29 أغسطس 1909، وكذلك جريدة (الرقيب)، صدرت في المدينة المنورة في يناير 1909، وجريدة (المدينة المنورة)، صدرت في المدينة المنورة أيضًا في 16 نوفمبر 1909، ولم يكن لها موعد محدد للصدور.

---

(1) راجع محمد فريد محمود عزت: وسائل الإعلام السعودية والعالمية، (جدة، دار الشروق، 1990) صفحات متعددة، من ص 177 وما بعدها؛ وراجع كذلك:

The Europa World Year Book (2006), p3781.

وانتهى الحكم العثماني التركي في الحجاز عام 1915، وقام الحكم الهاشمي (الأشراف)، وصدرت في هذا العهد الهاشمي أربع جرائد، هي: جريدة (القبلة) بمكة المكرمة في أغسطس 1916، تصدر مرتين في الأسبوع، وجريدة (الحجاز)، التي أصدرها الحاكم التركي بالمدينة المنورة في 7 أكتوبر 1916 ثلاث مرات في الأسبوع ثم خمس مرات ثم يومية. وجريدة (الفلاح) في مكة المكرمة في 8 سبتمبر 1920، وصدرت أسبوعية، وجريدة (بريد الحجاز) في جدة بتاريخ 26 نوفمبر 1924.

وكان دخول الحجاز تحت الحكم السعودي إيذانا ببداية عهد من الاستقرار، فواكبت الصحافة النهضة الحديثة في مختلف مرافقها، وكانت جريدة (أم القرى) أول جريدة صدرت في العهد السعودي، وهي جريدة أسبوعية رسمية، وصدر العدد الأول في 12 ديسمبر 1924 في مكة المكرمة.

وبعد ذلك مرت الصحافة السعودية بثلاث مراحل، أطلق على الأولى منها: **عهد صحافة الأفراد (1928 – 1959)**، ومن أهم الصحف التي صدرت خلال هذا العهد: جريدة (الحرم)، أسبوعية في 4 ديسمبر 1930، وجريدة (صوت الحجاز) في مكة المكرمة من 4 أبريل 1932، وجريدة (المدينة المنورة) في 8 أبريل 1937، وجريدة (اليمامة) في الرياض من أغسطس 1953، وجريدة (أخبار الظهران) بالمنطقة الشرقية في 26 يناير 1954، وجريدة (الفجر الجديدة)، صدرت في الدمام في 11 رجب 1374 هـ.، وجريدة (حراء) في مكة المكرمة في 8 ديسمبر 1956، وجريدة (الأضواء) في مدينة جدة في 4 يونيو 1957، وجريدة (عرفان) في جدة بتاريخ 23 ديسمبر 1957، وجريدة (الندوة) في مكة المكرمة في 26 فبراير 1958، وجريدة (الخليج العربي) بمدينة الخبر في عام 1957، وجريدة (القصيم) في مدينة بريدة في أول ديسمبر 1959.

والمرحلة الثانية هي: **عهد إدماج الصحف (1959 – 1964)**، ومن صحف هذا العهد جريدة (البلاد) في مدينة جدة، وصدرت بتاريخ 26 يناير 1959، وجريدة (الندوة) في مكة المكرمة بتاريخ 30 يناير 1959، وجريدة (المدينة المنورة)، بقيت بالاسم نفسه، ولم يدمج معها أي صحف أخرى، وجريدة (عكاظ) في جدة بتاريخ 28 مايو 1960، وجريدة (الأسبوع التجاري) في جدة، بتاريخ 27 أكتوبر 1962، ومجلة (الرائد) في مدينة جدة بتاريخ 4 سبتمبر 1959، ومجلة (الروضة) في مكة المكرمة للأطفال في أكتوبر 1959، ومجلة (قريش) في مكة

المكرمة في نوفمبر 1959، ومجلة (الجزيرة) في الرياض من أبريل 1960، ومجلة (راية الإسلام) في الرياض من غرة ذي الحجة 1379هـ، ومجلة (الرياضة) في مكة المكرمة بتاريخ 2 أكتوبر 1960، ومجلة (العرب) من سبتمبر 1966، ومجلة (كلمة الحق) في مكة المكرمة بتاريخ أبريل 1967.

وكانت المرحلة الثالثة هي: **عهد المؤسسات الصحفية الأهلية (من 13 يناير 1964 وحتى الآن)**. وفي ظل هذا النظام تم إنشاء ثماني مؤسسات صحفية أهلية، منها ثلاث مؤسسات في مدينة الرياض العاصمة، وهي:

1- مؤسسة اليمامة الصحفية، وتصدر عنها جريدة (اليمامة) من 20 مارس 1964، ومجلة (اليمامة) الأسبوعية، وجريدة (الرياض ديلي) باللغة الإنجليزية من عام 1967، وجريدة (الرياض) اليومية من أول مايو 1965.

2- مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، وتصدر عنها جريدة (الجزيرة) يومية من أبريل 1960.

3- مؤسسة الدعوة الإسلامية للصحافة والنشر، وتصدر جريدة (الدعوة) من 9 محرم 1385هـ.

وكذلك ثلاث مؤسسات في مدينة جدة، وهي:

1- مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، وتصدر عنها جريدة البلاد بتاريخ 14 مارس 1964، وكذلك مجلة (اقرأ) بتاريخ 6 ديسمبر 1974.

2- مؤسسة المدينة للصحافة، وتصدر عنها جريدة (المدينة) من 14 مارس 1964.

3- مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، وتصدر عنها جريدة (عكاظ) بتاريخ 17 أكتوبر 1964، وجريدة (سعودي جازيت) بالإنجليزية 1976.

وكذلك مؤسسة واحدة في مكة المكرمة، هي مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، وتصدر جريدة (الندوة) في 14 مارس 1964.

ومؤسسة واحدة في مدينة الدمام، هي مؤسسة دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر، وتصدر جريدة (اليوم) من 21 فبراير 1965.

وإلى جانب الصحف السابق الحديث عنها، تصدر حاليًا بالمملكة العربية السعودية صحف يومية ومجلات أسبوعية أخرى، منها: جريدة (الوطن)، تأسست عام 1998، وتصدر عن مؤسسة عسير للصحافة والنشر، وجريدة (الشمس)، تأسست في الرياض عام 2005، وجريدة تصفية (تابلويد)، رياضية ثقافية ترفهية.

كما تصدر بعض المحلات الشهرية والفصلية، ومنها مجلة (المنهل) من فبراير 1937، ومجلة الفيصل عام 1976 رجب 1397هـ، ومجلة (الحرس الوطني) من عام 1400 هـ، مجلة عسكرية، وكذلك (المجلة العربية)، من شعبان 1395 ومجلة (الدارة) من مارس 1975، ومجلة (الحج – التضامن الإسلامي من مايو 1947، ومجلة (الرياض) من عام 1953) .

وتصدر (الشركة السعودية للأبحاث والتسويق) من لندن عدة صحف ومجلات سعودية، ومنها جريدة (الشرق الأوسط) اليومية، وجريدة (عرب نيوز) بالإنجليزية عام 1977، والمجلة أسبوعية عام 1979، ومجلة (سيدتي) نسائية عام 1981، كما توجد مجلة (الشرقية) نسائية شهرية من عام 1974، ومجلة (التجارة) شهرية عام 1960 عن الغرفة التجارية والصناعة في جدة.

في الأردن:

أول صحيفة عرفها الأردن هي صحيفة (الحق يعلو)، التي أصدرها محمد الأنسي في معان (مدينة تقع جنوب الأردن) عام 1920، وكانت تطبع بالبالوظة في مخيم الأمير عبد الله، ثم انتقلت إلى عمان العاصمة. أما أول صحيفة مطبوعة فهي صحيفة (الشرق العربي) الرسمية، التي صدرت في 28 مايو 1923، وتغير اسمها فيما بعد إلى (الجريدة الرسمية).

وكانت أول صحيفة أردنية يملكها فرد هي (جزيرة العرب)، التي أسسها حسام الدين الخطيب في 23 يونيو 1927. وتبعتها جريدة (الشريعة)، التي أسسها كمال عباس ومحمود الكومي في 25 يونيو 1927، ثم جريدة (صدى العرب)، التي أسسها صالح العمادي، وعلي منصور في 13 أكتوبر 1927.

وبعد تلك السنة بدأ عدد الصحف يزداد في تلك البلاد، ويوجد في الأردن حاليًا 8 صحف يومية وأسبوعية و 23 مجلة أسبوعية وشهرية وفصلية، ومنها ما يلي[1]:

1- **جريدة (الدستور)**: يومية سياسية صباحية تصدر عن (الشركة الأردنية للصحافة والنشر)، تأسست في عمان عام 1967، وهي من الصحف المطلعة؛ نظرًا لعلاقاتها الوطيدة بالحكومة.

2- **جريدة (الرأي)**: يومية سياسية مستقلة، تصدر عن (المؤسسة الصحفية الأردنية)، تأسست في عمان عام 1971.

3- **جريدة (الأخبار)**: يومية، تصدر في عمان عن (الشركة العربية للصحافة) عام 1976.

4- **جريدة (الأنباء)**: تأسست عام 2005 في عمان، مستقلة.

5- **جريدة (الأردن) يومية سياسية**. وهي من أقدم الصحف الأردنية؛ حيث تأسست عام 1909، وتطبع في عمان.

6- **جريدة (أخبار الأسبوع)**: أسبوعية، تهتم بالقضايا السياسية، وتأسست عام 1959.

7- **جريدة (العرب اليوم)**: تأسست عام 1997 في عمان.

8- **جريدة (اللواء)**: أسبوعية، سياسية تأسست عام 1972 في عمان العاصمة.

9- **جريدة (الغد)**: تأسست عام 2004 مستقلة.

10- **جريدة (الصحفي)**: أسبوعية، تهتم بالمسائل السياسية والاجتماعية، تأسست عام 1969 في عمان العاصمة.

11- **جريدة (الديار)**: تأسست عام 200 في عمان.

12- **جريدة (الأرض)**: أسبوعية تهتم بالشئون العسكرية، وتأسست عام 1969.

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1117؛ وكذلك تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج 4، ص 64؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 128؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 113؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 20، 21؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 19 – 25؛ وكذلك:

The Europa World Year Book (2006), p 2471.

13- **جريدة (الأهالي)**: تأسست عام 1990.

14- **مجلة (المجلة العسكرية)**: شهرية، تصدر عن وزارة الدفاع الأردنية، تأسست في عمان عام 1954، وتعالج المسائل العسكرية والسياسية.

15- **جريدة (الحقيقة الدولية)**: عربية وإنجليزيةو مستقلة إسلامية.

16- **جريدة (المجد)**: سياسية، تأسست عام 1994.

17- **جريدة (الوحدة)**: تأسست عام 2002 في عمان، مستقلة.

في الكويت[1]:

أول صحيفة عرفتها الكويت هي مجلة (الكويت)، التي أصدرها ورأس تحريرها الشيخ عبد العزيز الرشيد، الرائد الأول للصحافة الكويتية. وصدر العدد الأول منها في رمضان 1346هـ،الموافق فبراير 1928، وهي مجلة شهرية تاريخية أخلاقية لغوية. وكانت تطبع في مطبعة الشورى بالقاهرة؛ لعدم وجود مطابع بالكويت في ذلك الوقت[2]، واستمرت في الصدور لمدة سنتين.

كما أصدر الشيخ عبد العزيز الرشيد، ويونس بحري مجلة خارج الكويت هي مجلة (الكويت والعراقي) التي صدرت في إندونيسيا في جمادى الأولى 1350 هـ، الموافق سبتمبر 1931، واستمرت في الصدور ست سنوات، وكانت مجلة شهرية دينية أدبية أخلاقية تاريخية.

---

(1) انظر في ذلك: كريم السماوي: رحلة مع الصحافة الكويتية (الكويت، دار الخليج للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1984) على امتداد الكتاب؛ وكذلك الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1117؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 162؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 118؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 42، 43؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق في صفحات متفرقة، كل صحيفة تحت اسمها حسب الترتيب الهجائي الإنجليزي، وكذلك: The Europa World Year Book (2006) p. 2626..

(2) من الجدير بالذكر أن الصحافة الكويتية قد سبقت وجود المطبعة في الكويت بعشرين سنة؛ حيث إن أول مطبعة جلبت للكويت سنة 1947 كانت تابعة للمعارف غير تجارية، ومع ذلك كانت تقوم بشئون التجار، وطبعت فيها مجلة (كاظمة) سنة 1948 وهي أول مجلة تطبع في الكويت كما سيأتي بيانه فيما بعد في صلب الدراسة (رحلة مع الصحافة الكويتية، مرجع سابق، ص 53 - 143).

وأصدر الشيخ عبد العزيز الرشيد كذلك مجلة أخرى خارج الكويت، هي مجلة (التوحيد)، التي أصدرها في جاوا بإندونيسيا أيضًا في 5 ذي القعدة 1351 هـ، الموافق 3 مارس 1933م، وهي مجلة دينية أخلاقية أدبية، وصدر منها أحد عشر عددًا.

وبعد فراغ صحفي في الكويت، استمر ثماني سنوات، منذ وفاة الشيخ عبد العزيز الرشيد في عام 1938، صدرت مجلة (البعثة) في ديسمبر 1946، واستمرت في الصدور حتى سنة 1954، وهي مجلة شهرية ثقافية، وكان صدورها في القاهرة، على أيدي أبناء الكويت الذين ارتحلوا ببعثة للدراسة في مصر. وهذا هو سبب تسميتها بالبعثة. وقد صدرت في أول عهدها على شكل نشرات مطبوعة على الإستنسل، وهدفها نقل أخبار الطلبة لأهلهم في الكويت، وتطورت بعد ذلك في طباعتها ومضمونها، ثم توقفت عن الصدور عام 1954.

وصدرت مجلة (كاظمة) [1] في يونيو 1948، وهي أول مجلة تطبع في الكويت بعد قدوم أول مطبعة للبلاد، وهي مطبعة المعارف. وكانت مجلة شهرية، تبحث في الآداب والعلوم والفنون والاجتماع، وصاحبها عبد الحميد الصانع. ولم تعمر هذه المجلة طويلا؛ حيث توقفت عن الصدور بعد تسعة أشهر فقط.

وقد أصدرت الحكومة الكويتية مجلة (الكويت اليوم)، أسبوعية رسمية، في 11 ديسمبر 1954، ولا تزال تصدر حتى الآن. وهي أطول مجلة معمرة في الكويت، وتنشر القرارات والمراسيم الحكومية والإعلانات الرسمية.

ويوجد في الكويت حاليًا 17 صحيفة سياسية منها سبع صحف يومية، خمس باللغة العربية واثنتان بالإنجليزية، وكذلك عشر صحف أسبوعية و 17 مجلة، منها تسع مجلات أسبوعية، وواحدة نصف شهرية، وجدير بالذكر أن الحكومة الكويتية تقدم مبلغ 12 ألف دينار كويتي مساعدة سنوية إلى كل صحيفة سياسية، و 6 آلاف دينار كويتي لغير السياسية، ومن الجرائد اليومية التي تصدر حاليًا ما يلي:

---

(1) سبب تسمية المجلة باسم (كاظمة) يرجع إلى الموقع الجغرافي الذي اشتهرت به المنطقة الواقعة شمال الكويت في التاريخ القديم باسم (كاظمة)، وهذا الاسم من الأسماء المشهورة التي تعتز بها الكويت. وأطلق اسم (كاظمة) على أول طائرة كويتية، وأول ناقلة بترول كويتية (رحلة مع الصحافة الكويتية، مرجع سابق، ص 137).

1- **جريدة (الرأي العام)**: يومية سياسية اجتماعية، تأسست في 16 أبريل 1961، وقد صدرت أسبوعية في سنتها الأولى، كما أنها طبعت في أول عهدها في لبنان.

2- **جريدة (السياسة)**: يومية سياسية، تأسست عام 1965، وتصدر عن (مؤسسة دار السياسة للطباعة والصحافة والنشر).

3- **جريدة (القبس)**: يومية سياسية مستقلة، تأسست عام 1972، وتصدر عن (شركة دار القبس للصحافة والطباعة والنشر).

4- **جريدة (الوطن)**: يومية سياسية، تأسست عام 1962.

5- **جريدة (الأنباء)**: يومية سياسية. تأسست عام 1976، وتصدر عن (دار الكويت للصحافة).

6- **جريدة (كويت تايمز)**: يومية سياسية، تصدر باللغة الإنجليزية، تأسست عام 1961.

7- **جريدة (عرب تايمز)**: يومية رسمية، تصدر باللغة الإنجليزية، تأسست عام 1977.

ومن المجلات التي تصدر حاليًا في الكويت ما يلي:

1- **مجلة (العربي)**: شهرية مصورة عربية علمية أدبية ثقافية جامعة، وتصدر عن وزارة الإعلام الكويتية. وقد صدر العدد الأول منها في جمادى الأولى 1378هـ، الموافق ديسمبر 1958، وهي من أوسع المجلات انتشارًا في العالم العربي، وتساهم دولة الكويت في تسهيل انتشارها.

2- **مجلة (الرسالة)**: أسبوعية سياسية، اجتماعية، صدر العدد الأول منها في أبريل 1961.

3- **مجلة (البلاغ)**: أسبوعية عامة وسياسية وإسلامية، تأسست عام 1969.

4- **مجلة (الاقتصاد الكويتي)**: صدرت في عام 1960 أولا باسم نشرة غرفة تجارة وصناعة الكويت، ثم باسم مجلة غرفة تجارة الكويت، وأخيرًا باسمها الحالي.

5- **مجلة (الهدف)**: تأسست عام 1964، أسبوعية.

6- **مجلة (اليقظة)**: أسبوعية سياسية، تصدر عن (دار اليقظة الكويتية للصحافة والطباعة والنشر) منذ عام 1967.

7- **مجلة (المجتمع)**: أسبوعية إسلامية، تأسست عام (1390هـ = 1970م).

8- **مجلة (أسرتي)**: أسبوعية نسائية، تأسست عام 1978.

9- **مجلة (النهضة)**: أسبوعية سياسية، تصدر عن (دار الرأي العام بالكويت)، تأسست عام 1967.

10- **مجلة (الطليعة)**: أسبوعية سياسية اقتصادية اجتماعية، تأسست عام 1966.

في البحرين[1]:

كانت أول صحيفة عرفتها هذه البلاد هي جريدة (البحرين)، التي أسسها عبد الله الزايد سنة 1939. وبعد ذلك بعشر سنوات صدرت صحيفة (صوت البحرين)، وصدرت بعد ذلك صحف: (القافلة) و (الوطن) و (الخليج العربي) الشبيهة بالرسمية، والتي تصدرها شركة الخليج المحدودة منذ عام 1957، ويصدر حاليًا عدد من الصحف من بينها ما يلي:

1- **جريدة (أخبار الخليج)**: يومية سياسية، تصدر في المنامة العاصمة من عام 1976.

2- **جريدة (الأيام)**: تأسست عام 1989.

3- **جريدة (أخبار البحرين)**: يومية إخبارية رسمية، تصدر عن وزارة الإعلام.

4- **جريدة (جلف ديلي نيوز)**: تأسست عام 1978 باللغة الإنجليزية.

5- **مجلة (البحرين اليوم)**: أسبوعية، تصدرها وزارة الإعلام.

6- **جريدة (خليج تايمز)**: تأسست عام 1978 باللغة الإنجليزية.

7- **مجلة (الأضواء)**: أسبوعية سياسية، تأتسست عام 1965.

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1118؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 162؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 118؛ وكذلك قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 19، 20، 24؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 24؛ وكذلك:
The Europa World Year Book (2006) p. 710.

8- **مجلة (هنا البحرين)**: تصدرها وزارة الإعلام من عام 1957.

9- **مجلة (المواقف)**: أسبوعية، تهتم بالشئون الدينية، وتأسست عام 1973.

10- **مجلة (البحرين الثقافية)**: تصدرها وزارة الإعلام.

11- **مجلة (صدى الأسبوع)**: سياسية أسبوعية، تأسست عام 1969.

في قطر[1]:

عرفت قطر الصحافة في أواخر عام 1961، عندما صدرت (المشعل)، نشرة إخبارية شهرية لموظفي شركة نفط قطر وعمالها، ولا تزال تصدر حتى الآن، وفي العام نفسه أيضًا صدرت في قطر (الجريدة الرسمية)؛ لنشر القوانين واللوائح والقرارات الرسمية.

ومن بين الصحف التي تصدر في قطر حاليًا ما يلي:

1- **جريدة (العرب)**: يومية سياسية، تصدر منذ 1972 عن دار العروبة للطبع والنشر.

2- **مجلة (العروبة)**: أسبوعية سياسية، تأسست عام 1957، وتصدر عن دار العروبة.

3- **مجلة (الدوري)**: أسبوعية رياضية، تأسست عام 1978.

4- **مجلة (الدوحة)**: تأسست عام 1969، وتصدرها وزارة الإعلام القطرية.

5- **جريدة (الوطن)**: يومية سياسية، تأسست عام 1995.

6- **مجلة (الراية)**: أسبوعية باللغة العربية، تأسست عام 1979.

7- **مجلة (الخليج الجديدة)**: شهرية تصدرها وزارة الإعلام القطرية.

8- **مجلة (الصقر)**: شهرية رياضية باللغة العربية.

9- **مجلة (الجوهرة)**: شهرية نسائية، تأسست عام 1977.

10- **مجلة (التربية)**: شهرية تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، تأسست عام 1391هـ = 1970م.

---

(1) قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 19، 22، 25، 26؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 41؛ وكذلك الصحافة، مرجع سابق، ص 118؛ وكذلك:
The Europa World Year Book (2006).

11- **مجلة (سيدة الشرق)**: نسائية شهرية، تأسست عام 1993.

12- **مجلة (المشعل)**: شهرية، تصدرها الجهات البترولية في قطر باللغتين العربية والإنجليزية منذ عام 1961.

13- **مجلة (الأمة)**: تأسست عام 1982، نصف شهرية للشئون الإسلامية.

في الإمارات العربية[1]:

عرفت دولة الإمارات العربية المتحدة الصحافة قبل قيامها بنحو ست سنوات، حيث صدرت (أخبار دبي) عام 1966 عن دائرة الإعلام، التي كانت تابعة لبلدية دبي. وفي السنة نفسها صدرت (الجريدة الرسمية) لحكومة دبي وتوابعها، وبمناسبة قيام الاتحاد في ديسمبر 1971 صدر العدد الأول من (الجريدة الرسمية) لدولة الاتحاد.

ويوجد في دولة الإمارات العربية المتحدة حاليًا عدد من الصحف اليومية السياسية والمجلات الأسبوعية، والشهرية، موزعة على الإمارات، ومنها ما يلي:

1- **جريدة (الاتحاد)**: يومية سياسية، تنطق باسم الحكومة، ومقرها في (أبو ظبي). وقد بدأت هذه الجريدة رسمية، ثم تحولت إلى مؤسسة شبه رسمية، لها ميزانية مستقلة رصدتها لها الدولة. وقد صدر العدد الأول منها في 20 أكتوبر 1969، وكانت أسبوعية، وتطبع في بيروت، وتوزع بالمجان. وأصبحت تطبع في (أبو ظبي) عام 1971، ثم تحولت إلى يومية في 22 أبريل 1972، وأصبحت تصدر عن (مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر) منذ تأسيس تلك المؤسسة عام 1977. وتصدر هذه المؤسسة أيضًا جريدة (أخبار الإمارات)، يومية بالإنجليزية، ومجلة (ماجد) الأسبوعية للأطفال منذ 28 فبراير 1979، ومجلة (زهر الخليج) الأسبوعية النسائية منذ 31 مارس 1979.

---

(1) عبد الله النويسي: الإعلام والتنمية الوطنية في دولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي، الطبعة الأولى 1981)، ص 54-60؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 168، 169؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 22؛ وكذلك صالح أبو أصبع: إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، (دمشق، الطبعة الأولى، 1984)، ص 263، 264، 266؛ وكذلك:
The Europa World Year Book (2006) p 4480.

2- **جريدة (الخليج تايمز)**: يومية تصدر في دبي بالإنجليزية عام 1978، وتعد من أقوى الصحف اليومية في الإمارات.

3- **جريدة (جلف نيور)**: يومية، تصدر في دبي بالإنجليزية من عام 1978، وتهتم بإبراز الأخبار الهندية والباكستانية.

4- **جريدة (أخبار دبي)**: أسبوعية عام 1965 في دبي.

5- **جريدة (الوحدة)**: يومية سياسية ذات ملكية خاصة مستقلة، تأسست عام 1973.

6- **جريدة (البيان)**: يومية تأسست عام 1980 في دبي.

7- **جريدة (الفجر)**: يومية سياسية مستقلة، تصدر عن دار الفجر في (أبو ظبي) عام 1978.

8- **جريدة (الخليج)**: يومية، تأسست عام 1970 في الشارقة.

9- **جريدة (الشروق)**: أسبوعية، تأسست عام 1970 في الشارقة.

10- **مجلة (الظفرة)**: أسبوعية، تهتم بالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتصدر عن (مؤسسة الظفرة) في (أبو ظبي) منذ 26 يناير 1974.

11- **مجلة (التجارة)**: شهرية تأسست عام 1970 بالعربية والإنجليزية في الشارقة.

في موريتانيا[1]:

صدرت أول صحيفة في الجمهورية الإسلامية الموريتانية عقب استقلالها في 28 نوفمبر 1960، وهي صحيفة (موريتانيا الحديثة) يومية سياسية، تصدر عن الحكومة .. كما توجد جريدة (الشعب) اليومية السياسية، الناطقة بلسان حزب الشعب الموريتاني، وظهرت في أول يوليو 1975، وتصدر عن الشركة الموريتانية للصحافة في طبعتين؛ إحداهما بالعربية والأخرى بالفرنسية، ومن بين 400 صحيفة مسجلة رسميًّا في موريتانيا، يوجد نحو 30 منها فقط منتظمة في الصدور، ومنها: جريدة (نواكشوت إنفورميشن)، تأسست عام 1995، يومية

---

(1) محمد فريد محمود عزت: وكالات الأنباء في العالم العربي، (جدة، مكتبة العلم، الطبعة الأولى، 1403 هـ = 1983م)، ص 85 وهامشها؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 59؛ وكذلك:
The Europa World Year Book (2006) p. 2949.

مستقلة باللغتين العربية والفرنسية، وجريدة (الراية)، أسبوعية مستقلة منذ عام 1997، وجريدة (الكلام)، أسبوعية، تأسست عام 1994، مستقلة عربية وفرنسية.

وجريدة (الأخبار)، أسبوعية، تأسست عام 1995 بالعاصمة نواكشوط وجريدة (اشتري)، ساخرة، وجريدة (المغرب إيدو) أسبوعية عام 1994، ومجلة (لورينوفايتر Le Renovateur)، تصدر كل شهرين، وقد تأسست عام 2001.

في سلطنة عمان[1]:

يصدر في سلطنة عمان عدد من المطبوعات الدورية اليومية والأسبوعية، ومنها جريدة (عمان) يومية سياسية، تصدر عن (دار جريدة عمان للصحافة والنشر)، التابعة لوزارة الإعلام في مسقط، وصدر عددها الأول بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطني الأول في 18 نوفمبر 1972. وكذلك مجلة (تايمز أوف عمان)، أسبوعية، تصدر في مسقط عن (مؤسسة آل عيسى للطباعة والنشر) باللغة الإنجليزية منذ 23 فبراير 1975، كما تصدر مجلة (نحو تربية أفضل)، والتي تأسست عام 1975، وجريدة (الوطن) يومية، تأسست عام 1971، وجريدة الشبيبة، يومية ثقافية ورياضية وترويحية، وجريدة عمان ديلي أوبزيرفر (Oman Daily Observer)، يومية تأسست عام 1981 باللغة الإنجليزية، ومجلة (النهضة)، أسبوعية مصورة، ومجلة (العمانية) نسائية شهرية، ومجلة (الأسرة)، تأسست عام 1974 نصف شهرية مصورة.

وكذلك مجلة (الأضواء)، أسبوعية سياسية اقتصادية اجتماعية ومجلة (عمان تودي Oman Today)، شهرية تأسست في عام 1981 باللغة الإنجليزية، وكذلك جريدة (أخبار عمان) أسبوعية، باللغة الإنجليزية، وتصدر عن (المطابع العالمية للصحافة والنشر) منذ عام 1978، ومجلة (التجارة)، شهرية عربية وإنجليزية، تأسست عام 1978، ومجلة (عمان)، شهرية، تأسست عام 1974، وتصدرها وزارة الدفاع، ومجلة (المركزي)، شهرية عام 1975 عربية وإنجليزية، ويصدرها البنك المركزي العماني.

---

(1) قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 236 – 339؛ وكذلك دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 37؛ وكذلك:

The Europa World Year Book (2006),p. 3358.

في الصومال[1]:

يصدر في مقديشيو عاصمة جمهورية الصومال الديمقراطية عدد من الدوريات المطبوعة، منها جريدة (حدكت أكتوبر)، أي (نجمة أكتوبر) يومية، تنطق باسم الحاكم والسلطة، وتصدرها وزارة الإعلام الصومالية، باللغتين العربية والصومالية. كما توجد جريدة (هيجان)، أي (اليقظة)، التي تأسست في مقديشيو عام 1978، وهي أسبوعية تصدرها وزارة الإعلام باللغة الإنجليزية، وجريدة (ذي كانتري The Country)، تأسست عام 1991 بالعاصمة، وجريدة (الحرية(يومية في هرجيسيا، وجريدة (الجمهورية) يومية في هرجسيسا، ومجلة (صوماليا تايمز) في العاصمة مقديشو، أسبوعية باللغة الصومالية.

صحف المقاومة الفلسطينية[2]:

في فلسطين كانت جريدة (النفير العثماني) لصاحبها إبراهيم زكا، أقدم جريدة؛ حيث أنشئت في مدينة الإسكندرية بمصر عام 1904، ثم نقلت إلى القدس عام 1908، وآل امتيازها إلى أخيه إيليا زكا فيما بعد، وأسماها (النفير).

وفي عام 1909 أصدر جورج حبيب حنانيا مجلة (الأصمعي) .. وقد ظهرت صحف المقاومة الفلسطينية في بداية التسينيات، وذلك عندما برزت إلى الوجود أول منظمات المقاومة الفلسيطنية ضد العدو الصهيوني. وعدم الاستقرار هو الذي يميز هذه الصحف عن غيرها؛ بسبب الظروف الخاصة التي تمر بها المقاومة الفلسطينية .. ومن أهم تلك الجرائد والمجلات ما يلي:

1- **جريدة (الهدف)**: أسبوعية سياسية، بدأت في الصدور عام 1969 في بيروت، وتنطق باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

2- **جريدة (الأيام العربية)**: يومية، تأسست عام 1999 في رام الله.

---

(1) المرجع الأول السابق، ص 160، وص 364؛ والثاني السابق، ص 34.

(2) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 1117؛ وكذلك: دليل أجهزة الإعلام في العالم، مرجع سابق، ص 38-40؛ وكذلك:

The Europa World Year Book (2006) 3437.

3- **جريدة (الحرية)**: أسبوعية سياسية، تصدر في بيروت منذ عام 1959، وكانت آنذاك تنطق باسم حركة القوميين العرب. ومنذ عام 1967 أصبحت تعبر عن وجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتنطق باسمها.

4- **جريدة (القدس)**: يومية، وهي أكبر الصحف الفلسطينية انتشارًا، وتصدر من لندن من ديسمبر 1979.

5- **مجلة (الطلائع)**: أسبوعية، تصدر عن طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة - تأسست عام 1969 في دمشق.

6- **مجلة (إلى الأمام)**: أسبوعية سياسية، تصدر في بيروت منذ عام 1970 عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة.

7- **مجلة (فلسطين الثورة)**: أسبوعية سياسية، تأسست عام 1972، كانت تصدر في بيروت عن حركة فتح، وانتقلت للصدور في قبرص نوفمبر 1982.

8- **مجلة (صوت فلسطين)**: شهرية سياسية عسكرية: تأسست عام 1968، وتصدر عن إدارة التوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني.

9- **مجلة (الوطن المحتل)**: سياسية، ثقافية، شهرية، تصدر منذ عام 1965 عن منظمة التحرير الفلسطينية.

10- **مجلة (شئون فلسطينية)**: شهرية، تعنى بالبحوث السياسية الاقتصادية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وتصدر عن مركز الأبحاث الفلسطينية في بيروت منذ عام 1971.

11- **مجلة (الثورة الفلسطينية)**: دورية، تصدر باللغة الإنجليزية عن منظمة التحرير الفلسطينية منذ عام 1967.

12- **مجلة (الكاتب الفلسطيني)**: سياسية أدبية، تصدر كل شهرين عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وتأسست في بيروت عام 1978.

13- **جريدة (المقاومة العربية الفلسطينية)**: شهرية، تصدر بالإنجليزية عن جيش التحرير الفلسطيني منذ عام 1968.،

14- **جريدة (الحياة الجديدة)**: تصدر في الضغة الغربية من 1994/11/10، أسبوعية، تحولت إلى يومية في إطار السلطة الوطنية.

15- **جريدة (الرسالة):** أسبوعية بمدينة غزة.

16- **جريدة (الوطن):** أسبوعية من عام 1972 بمدينة غزة، تدعم حركة حماس الإسلامية.

17- **جريدة (الاستقلال):** أسبوعية بمدينة غزة، لسان حال حركة الجهاد الإسلامي.

18- **جريدة (فلسطين):** أسبوعية بمدينة غزة، صدرت في 1994/9/23.

19- **جريدة فلسطين ريبورت (Palestine Report):** أسبوعية في القدس باللغة الإنجليزية.

20- **مجلة (يوث تايمز Youth Times):** شهرية في القدس من عام 1998 باللغتين العربية والإنجليزية.

21- **جريدة (البلاد):** تأسست في القدس في ديسمبر 1995.

وفي صدد هذه الصحافة الفلسطينية، فإنه يجب ملاحظة أن هذه الصحف من جرائد ومجلات ودوريات، يغلب عليها صفة عدم الاستقرار والثبات والاستمرار؛ مما يعرض معظمها إلى التوقف والتعثر والانقطاع وعدم الانتظام في الصدور؛ بسبب ما تخضع له من ظروف صعبة، يتمثل معظمها في قلة الإمكانات البشرية والفنية والمهنية والمادية، إلى جانب ما تخضع له من القهر المستمر، والحرب الشرسة من المحتل الصهيوني الغاشم للأراضي الفلسطينية، وكل هذا وغيره كثير، يكفي ويزيد للتأثير في هذه الصحافة المجاهدة الصامدة حتى النصر إن شاء الله.

وظائف الصحافة[1]:

بعد أن تحدثنا باستفاضة - على امتداد الصفحات السابقة من أول هذا الفصل - عن نشأة الصحافة في العالم وتطورها، مع التركيز على أهم الصحف التي تصدر حاليًا في العالم وخاصة

(1) مراجع هذه الجزئية هي: فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة، القاهرة، عالم الكتاب، 1986، ص 58 وما بعدها. وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 181 – 183؛ وكذلك إجلال خليفة، الصحافة، (القاهرة، 1976، ص 6 وما بعدها)؛ وكذلك علي عجوة وآخرون، مقدمة في وسائل الاتصال، جدة مكتبة مصباح، الطبعة الأولى، 1989، ص 236 - 138؛ وكذلك صليب بطرس، إدارة الصحف (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1974، ص 85 - 88).

في العالم العربي، يجدر بنا أن نتحدث عن وظائف تلك الصحافة، باعتبار أن لها أهميتها في المجتمع وتأثيرها الخطير في حياة الأمم. ولأن الصحافة في وضعها الصحيح رسالة ترتبط بمبدأ وبخطة، أساسها حق الشعب ومصلحته، وربط الشعب بحياته الداخلية، وبما يجري من حوله في بيئته المحلية، وبما يجري في العالم كله، وبخاصة النواحي والاتجاهات التي تتصل بحياته وتؤثر فيها.

وانطلاقًا من ذلك، نجد أن الصحافة لها وظائف عديدة، تؤديها للمجتمع .. وقد نمت تلك الوظائف وزادت بتعدد المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الذي تصدر فيه الصحيفة، حيث تضيف كل مرحلة تاريخية وظائف جديدة للصحافة؛ لتلبي احتياجات التطور، الذي يحققه المجتمع خلال هذه المرحلة التاريخية .. ومن أهم وظائف الصحافة ما يلي:

أولا: وظيفة الإعلام ونشر الأخبار، أو مراقبة البيئة والتعرف على الظروف المحيطة بها:

وقد برزت هذه الوظيفة، مع ظهور الصحافة المطبوعة في غرب أوربا، في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، حيث كانت تلك الصحافة تقتصر على نشر الأخبار فقط، دون التعليق عليها. وبذلك تكون الصحافة قد ظهرت في البداية لتؤدي وظيفة أساسية واحدة، هي نشر الأخبار، وإعلام الناس بما يهمهم ويتصل بحياتهم العامة والخاصة، سواء في مجتمعهم الداخلي أو في المجتمع العالمي. وهذا هو المعنى الذي أراده بعض رجال الإعلام حين عرف الصحيفة الجيدة، بأنها أمة تتحدث عن نفسها.

ويرجع سبب بداية الصحافة الخبرية، إلى أن ظهور الصحافة المطبوعة قد عاصر تحول المجتمعات في غرب أوربا، من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي، وظهور الطبقة البرجوازية[1]، التي قامت في مرحلتها الأولى على النشاط التجاري، والتاجر محب

(1) كلمة برجوازية، أطلقت على سكان المدن الفرنسية، وعممت فيما بعد بحيث أصبحت تطلق على الطبقة الوسطى في جميع البلاد، وتنصرف الكلمة بمعنى عام على المتوسطين من التجار والملاك وأصحاب الأسهم والسندات وأصحاب المهن الحرة من المحامين والأطباء والمهندسين، وقد لعبت تلك الطبقة في أوربا دورًا خطيرًا في القضاء على النظام الإقطاعي، ومقاومة فكرة الحق الإلهي للملوك، وإرساء قواعد الحكم على أساس الدستور والمساواة بين الأفراد، والنظام النيابي، وتعتبر الثورة الفرنسية، وما صاحبها من إعلان حقوق الإنسان، مظهرًا لقوة هذه الطبقة، واكتسبت كلمة برجوازية دلالة خاصة لدى أصحاب الفكر الاشتراكي، ولا سيما الماركسيون، الذين تنصرف عندهم على الطبقة الرأسمالية، التي تملك أدوات الإنتاج؛ تمييزًا لها على طبقة البروليتاريا أو طبقة العمال الذين لا يملكون، ويعتمدون على كدهم في كسب عيشهم، راجع الموسوعة العربية الميبسرة، مرجع سابق، ص 429.

للاستطلاع، والوقوف على أخبار غيره من التجار المنافسين في السوق؛ وذلك بحكم مهنته القائمة على أساس التبادل والتعامل بينه وبين الناس.

وقد لبت الصحف المطبوعة منذ نشأتها، حاجات الطبقة البورجوازية النامية، إلى أخبار التجارة والمال وتغيرات السوق، حيث لم تعد النشرات الخبرية المنسوخة، التي كانت تقوم بتلك المهمة قبل الصحافة المطبوعة، تسعف في مثل هذه الأمور.

فقد أمكن - عن طريق الصحف الخبرية المطبوعة - نشر عدد أكبر من الأخبار، وفي عدد كبير من النسخ، وهو الأمر الذي جعل الأخبار تصل إلى أكبر عدد من الناس. وقد ساعد إنشاء الخدمات البريدية على سرعة وصول الصحف الخبرية إلى المشتركين، وكذلك سرعة وصول الأخبار من مختلف الأماكن إلى البلد الذي تصدر فيه الصحيفة؛ تمهيدًا لنشرها.

ولقد تكررت الظاهرة الأوربية في الوطن العربي؛ حيث نشأت الصحافة العربية أيضًا صحافة خبرية. فأول صحيفة صدرت في الوطن العربي هي (الوقائع المصرية)، التي أصدرها محمد علي باشا والي مصر عام 1828 - كما سبق ذكره - وكانت منذ بدايتها - ولفترة طويلة بعد ذلك - صحيفة خبرية، تكتفي بنشر أخبار الدولة وأوامرها وتعليماتها لكبار الموظفين وللجمهور .. وكذلك كان الأمر مع الصحف الأولى التي صدرت في بقية البلاد العربية؛ حيث بدأت جميعها إخبارية؛ وذلك تلبيه لاحتياجات الحكومات القائمة في ذلك الوقت لتوصيل أخبارها وأوامرها وتعليماتها إلى موظفيها وشعوبها.

وبالنسبة للصحافة الحالية، فتوجد منافسة ملموسة في هذه الوظيفة، وهي تقديم الخبر الجديد، وعدم تأخير نشر حصول حدث ما؛ نظرًا لأن الراديو على سبيل المثال - يمكنه الإذاعة مباشرة، دون انتظار عمليات معقدة في الإنتاج مثل الصحيفة. ولكن يظل للصحيفة - بما لها من إمكانات أيضًا، تتمثل في الوقت والمساحة - القدرة على أن تقدم الأخبار الأكثر تفصيلا، والإجابة عن عدد من التساؤلات التي قد يثيرها القارئ أثناء استماعه للأخبار في الأوقات المحددة لإذاعتها.

ثانيًا: وظيفة الشرح والتفسير والتوعية والتثقيف والتأثير في الرأي العام:

ظهرت هذه الوظيفة الثانية للصحافة، إلى جانب وظيفتها الأولى السابقة؛ نتيجة لما شهدته المجتمعات الأوربية من تطور هائل في أبنيتها الاجتماعية، وفي أنظمتها السياسية، وذلك في

الفترة التي تمتد من نهاية القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر؛ فقد أخذت الطبقة البرجوازية تستكمل سيطرتها على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والثقافية. وقد ارتبط ذلك بتحولها إلى برجوازية صناعية. وقد تسلحت البرجوازية في معركة صمودها بالدعوة إلى الديمقراطية السياسية، وحرية الفكر، والقول، والتعبير، والاجتماع، والخطابة، وحرية النشاط الاقتصادي.

وقد احتاجت هذه الفلسفة - في سعيها لإحكام سيطرتها على الفكر الأوربي - إلى أداة تمكنها من تغيير المجتمعات الأوربية، وتحطيم بقايا الفكر الإقطاعي، وكانت الصحف أداة جاهزة لأداء هذه المهمة، وأفسحت صفحاتها للرأي بجانب الخبر.

وظهر المقال الصحفي وألوان أخرى من فنون الكتابة الصحفية الملائمة للترويج للفلسفة الجديدة. وبدأت الصحافة بالتدريج في التأثير في الرأي العام؛ وذلك بما تثيره من مناقشات حول القضايا والمشكلات التي تشغل أذهان الناس.

وبذلك أصبح للصحافة وظيفة ثانية، لا تقل أهمية عن وظيفة الإعلام ونشر الأخبار، وهو وظيفة التوعية والتثقيف، والتأثير في الرأي العام. وقد نمت هذه الوظيفة الجديدة للصحافة، وتطورت حسب تطور الصراع الاجتماعي والسياسي في المجتمعات الأوربية.

ويمكن اعتبار قيام الثورة الفرنسية بداية التاريخ الحقيقي لصحافة الرأي، أو لاحتلال الرأي مرتبة الوظيفة الثانية للصحافة. فقبل الثورة الفرنسية - حيث سيطرت الصحافة الخبرية - كان ينظر إلى الصحافة من جانب النخبة المثقفة، نظرة عدم تقدير واحترام. وقد حدث العكس تقريبًا بعد الثورة، حيث تغيرت نظرة المثقفين إلى الصحافة، وأصبحت نظرة احترام وتقدير، حتى أن عددًا كبيرًا من المثقفين الفرنسيين قام بإصدار الصحف للتعبير عن أفكارهم.

وفي الوطن العربي، ظلت الصحافة خبرية، حتى نشأت الصحافة الشعبية؛ ففي مصر مثلا عرفت الصحافة وظيفة التوعية والتثقيف والتأثير في الرأي العام، بظهور الصحف الشعبية في عصر الخديوي إسماعيل، مثل صحف: وادي النيل، وروضة الأخبار، والأهرام، ومصر والتجارة ... إلخ.

وجاء ذلك انعكاسًا للنهضة السياسية والفكرية التي شهدتها البلاد في تلك الفترة؛ حيث بدأت تتكون في مصر منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر طبقة مثقفة، أخذت تلعب دورًا مؤثرًا في شئون البلاد، ومنهم رفاعة رافع الطهطاوي، الذي قاد حركة التنوير المصري، وتتلمذ على يديه الجيل الأول من كتاب الرأي في الصحافة المصرية، أمثال عبد الله أبو السعود، الذي أصدر صحيفة (وادي النيل)، ومحمد أنسي الذي أصدر صحيفة (روضة الأخبار).

وجاء بعدهم الجيل الثاني من كتاب الرأي في الصحافة المصرية، الذين التفوا حول السيد جمال الدين الأفغاني، في نهاية عصر إسماعيل، من أمثال الشيخ محمد عبده، الذي تولى رئاسة تحرير (الوقائع المصرية). وعبد الله النديم، الذي أصدر صحف (التنكيت والتبكيت والطائف والأستاذ). وكذلك يعقوب صنوع الذي أصدر جريدة (أبو نظارة) في مصر، ثم انتقل بها بعد ذلك إلى باريس.

ثالثًا: وظيفة الإعلان وتقديم الخدمات التسويقية:

ظهر الإعلان في الصحف منذ نشأتها، ولكن لم يتحول إلى وظيفة مهمة من وظائف الصحافة، إلا في حوالي منتصف القرن التاسع عشر .. فقد ظلت الصحف فترة طويلة تنشر الإعلان باعتباره (نصائح Advices) ولم تستخدم كلمة الإعلان (Advertiusement) بمعناها المألوف الآن إلا منذ عام 1655، أي في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وكانت إعلانات متواضعة عن الكتب والأدوية والشاي والبن والشيكولاته والأشياء المفقودة، والصبيان الصناع الهاربين، وغير ذلك.

ومن الأسباب التي أعاقت الصحافة عن التوسع في نشر الإعلانات، وأصابت الإعلانات الصحفية بضربة شديدة، هو استخدام الحكومات أسلوب فرض الضرائب على الإعلان، ليس بقصد زيادة الموارد المالية للدولة، ولكن بهدف الحد من نمو نفوذ الصحافة، وكبح جماحها كوسيلة من وسائل المعارضة .. في إنجلترا مثلا، فرضت ضريبة دمغة قدرها 12 بنسًا عن كل إعلان في عام 1712، وظلت هذه الضريبة مفروضة حتى تم إلغاؤها في عام 1853.

وعلى الرغم من فرض هذه الضريبة، فقد ازدهرت الإعلانات الصحفية في القرن الثامن عشر .. ففي سنة 1758 كتب صمويل جونسون يقول: "لقد أصبحت الإعلانات في الوقت

الحاضر من الكثرة، بحيث لم تعد تلفت النظر، وأصبح من الضروري - تبعا لذلك - أن تكون عباراتها فصيحة ومدعاة للاحترام وإثارة المشاعر، وأن تحمل الإعلانات بشير النجاح".

ونتيجة للتطور الاقتصادي في المجتمعات الأوربية - وخاصة بعد الثورة الصناعية - أخذت أهمية الإعلان تزداد في الصحف؛ حيث أدت هذه الثورة الصناعية إلى زيادة الإنتاج زيادة كبيرة، بحيث احتاج الأمر إلى الإعلان للمساعدة في تصريف هذا الإنتاج، فعن طريق الإعلان يعرف جمهور المستهلكين طريقه إلى السعة المطلوبة.

ويؤدي هذا - بالتالي - إلى التقدم الاقتصادي للبلاد، وذلك في حالة قيام الإعلان بمهمته الإعلانية الصادقة، دون محاولة غش جماهير المستهلكين، بإعطاء السلعة صفات لا توجد فيها. فالإعلان الناجح يؤدي - بالتالي - إلى زيادة الاستهلاك، وتحسن الخدمة الاستهلاكية، والخدمات الأمينة التجارية الصادقة، تعمل على كسب ثقة المتسهلكين تجاه القدرة الإنتاجية للمؤسسات، وهذا يؤدي - بدوره - إلى ترويج إنتاجها من السلع، ورفع مستوى هذا الإنتاج.

رابعًا: وظيفة التسلية:

لقد برزت التسلية كوظيفة مهمة للصحافة؛ نتيجة لظهور صحافة التوزيع الكبير والانتشار الواسع؛ بسبب زيادة إيرادات الصحف من الإعلان، الذي أدى إلى تخفيض سعر بيعها للقراء، وتخفيض قيمة الاشتراك فيها.

وقد أحدث هذا التطور تغييرًا كبيرًا في محتوى الصحف، ودفعتها المنافسة في جذب أكبر عدد من القراء، إلى استخدام مواد صحفية جديدة، تستهدف تسلية القراء وإمتاعهم، وتجعلهم يقبلون على الصحيفة.

وإذا نظرنا إلى المطالعة، وجدنا أنها تسلية في حد ذاتها. وقد تبين من استبانة أجريت على عينة من قراء الصحف، أن 90٪ منهم يطالعونها من أجل قضاء الوقت والاسترخاء. كما تعمل الصحافة - إلى جانب ذلك - على تسلية قرائها بالمسابقات والألغاز والأحاديث والتحقيقات الصحفية، والأخبار الطريفة، والفكاهات وغيرها، فإنسان اليوم - وهو يؤدي أعماله التي تسير على وتيرة واحدة صباحًا ومساءً - لا شك بحاجة إلى من يأخذ بيده ليبعده عن الرتابة المملة، ومن إرهاق العمل والجهد الذهني إلى الراحة النفسية، فالقارئ الآن لم يعد يرضى بالخبر



أو بتفسيره، أو بالرأي فقط، بل يطلب - إلى جانب ذلك - الترفية عن نفسه، وبهذا الترفيه يتجدد نشاطه، ويعود إلى استئناف عمله بهمة ونشاط.

والتسلية والترفيه البريء مطلب إنساني طبيعي وأساسي في حياة الأفراد والجماعات والشعوب؛ لأن الإنسان يمل من استمرار الجد. ولأجل هذا عني الإسلام بتلبية هذا الجانب .. ولكن الواجب نشر الحد المعقول من هذا اللون؛ حتى لا يطغى على غيره من المواد الإخبارية الثقافية والتعليمية، وغيرها مما يفيد القراء، ويكون الرأي العام الراشد، كما ينبغي أن يؤخذ به داخل إطار من الأخلاقيات السليمة والأصول الثقافية الصحيحة. وبدون تعارض مع الجوانب الجادة والمثل والقيم الصحيحة، أو على حسابها .. وإذا كانت الجوانب الجادة في الحياة الاجتماعية مهمة، وكانت الجوانب الخفيفة في الحياة الاجتماعية مهمة كذلك، فإن التوازن بينهما يمثل مطلبًا أساسيًّا ويحتل مكانة مهمة.

خامسًا: وظيفة تسجيل وقائع الحياة لتكون مصدرًا للتاريخ:

وبمرور الوقت وبتعدد وظائف الصحافة وتنوع أغراضها، وشمول مادتها لغالبية أوجه النشاط الإنساني، صارت الصحافة تقوم بوظيفة مهمة أخرى، وهي تسجيل وقائع الحياة الاجتماعية، وبالتالي صارت مصدرًا من مصادر التاريخ.

فلقد شهد ربع القرن الأخير من القرن العشرين ما يمكن تسميته بثورة المعلومات، التي تجاوزت كل توقعات المؤرخين، ولم يعد في قدرة الكتاب المطبوع - بشكله المعروف - أن يلبي حاجة المؤرخين إلى رصد الوقائع التاريخية المتلاحقة، وهو الدور الذي نجحت الصحافة في القيام به؛ حيث تقدم الجريدة اليومية للمؤرخ وقائع الحياة الاجتماعية في حركتها اليومية، وتقدم المجلات الأسبوعية تلخيصًا لهذه الوقائع وتحليلها، والكشف عن أبعادها ودلالاتها، وهكذا باقي الدوريات حسب فترات صدورها..

والصحافة - كمصدر للتاريخ - تقوم بعمليتين؛ أولاهما: رصد الوقائع وتسجيلها وتصنيفها، والاحتفاظ بها للأجيال القادمة؛ كي تصير أحد مصادر التاريخ، والأخرى: القيام بقياس الرأي العام، وآراء الجماعات والتيارات المختلفة إزاء وقائع أو قضايا تاريخية مهمة.

سادسًا: وظائف أخرى:

وتمارس الصحافة - إلى جانب تلك الوظائف السابق عرضها - وظيفة المنظم في الهيئة الاجتماعية. فالمواظبة على قراءة الجرائد والمجلات والدوريات، تساعد على إدماج الفرد في الهيئة الاجتماعية؛ ذلك أن قراءة الجريدة هي نوع من الحوار مع العالم، وتحطيم عزلة الفرد، وهي فعل من أفعال المشاركة.

كما تقدم الصحافة العديد من الخدمات العملية لقرائها، بمساعدتهم على تنظيم استخدام أوقاتهم، بتسهيل أعمالهم اليومية، وببذل النصح فيما يختص بنشاطهم الفردي. ووظيفة تقديم المعلومات تعتبر أساسية في مجتمع تزيد ظروف الحياة فيه من تعقيد الروابط بين الفرد والجماعة، وتؤدي هذه الخدمات أبواب: حالة الطقس، ومواعيد وصول الطائرات وإقلاعها، ووصول السفن وإبحارها، والنصائح المتنوعة، وتسعيرة المواد الغذائية، والصيدليات المناوبة ليلا، وأوقات الصلاة، ومفاتيح الاتصال بمختلف دول العالم ... إلخ.

وجدير بالذكر أن ظهور وظيفة جديدة للصحافة، في مرحلة تاريخية معينة، لا يلغي الوظائف التي عرفتها الصحافة في مراحل تاريخية سابقة. كما أن التطور في وظائف الصحافة حسب التطور التاريخي، لم يقتصر على ظهور وظائف جديدة للصحافة فقط، وإنما يشمل أيضًا ظهور مجالات جديدة للوظيفة الواحدة نفسها.

وعلى سبيل المثال، فإن وظيفة التثقيف التي ظهرت في المرحلة الثانية في التطور التاريخي للصحافة، اقتصرت في مرحلتها الأولى على القارئ العادي، الذي كان - ولا يزال - يحصل على ثقافته من خلال ما تنشره الصحف من معلومات حول مجالات النشاط الإنساني المختلفة؛ كالسياسة والاقتصاد، والاجتماع والأدب والفن والفكر .. ولكن في مرحلة تاريخية لاحقة، تطورت وظيفة التثقيف؛ بحيث شملت أيضًا القارئ المثقف ثقافة عالية أو متخصصة، والذي كان يعتمد على الكتاب في تحصيل ثقافته، وذلك إلى جانب القارئ العادي.

فقد أصبح القارئ المثقف أو المتخصص، يحصل حاليًا على ثقافته أيضًا من الصحف والمجلات المتخصصة الشهرية أو الفصلية أو السنوية. وهي صحف تتابع نشر أحداث الأبحاث والدراسات الجديدة، التي وصل إليها التطور في كل تخصص.

وقد انتشرت تلك الصحف المتخصصة، بحيث صارت تغطي معظم مجالات النشاط الإنساني المعاصر؛ فهناك مثلا صحف تتخصص في الطب، وثانية في الهندسة وثالثة في القانون... وهكذا، وبمرور الوقت يزداد التخصص الدقيق لهذه الصحف. فلم يعد يكتفى مثلا بصحف متخصصة في الإعلام بشكل عام، وإنما صارت هناك صحف متخصصة في الصحافة، وثانية في الإذاعة، وثالثة في التليفزيون، ورابعة في الكتاب، وهكذا يتم الأمر في بقية مجالات النشاط الإنساني المتعددة.

أهمية الصحافة ومميزاتها:

تستمد الصحافة أهميتها من وظائفها التي سبق عرضها؛ حيث إن الصحافة لها رسالة يجب أن تؤديها لمصلحة المجتمع الذي توجد فيه .. وتتمتع الصحافة بعدد كبير من المميزات، منها ما يلي:

أولا: توفر الصحافة للقارئ اختيار المطبوعة التي تتفق مع حاجاته وإمكاناته؛ فهو يختار من بين عشرات من الصحف ما يتفق مع رغبته، من حيث محتواها أو ثمنها أو حجمها ... إلخ. وبجانب ذلك، فإن الصحافة توفر للقارئ كذلك الحرية في اختيار المادة الصحفية التي تتفق مع حاجاته واهتماماته الأساسية من بين عشرات الأنواع من المواد الصحفية المنشورة.

كما توفر الصحافة للقارئ السيطرة على ظروف التعرض لها؛ فالقارئ يقرأ الجريدة أو المجلة في الوقت الذي يختاره، ويتفق مع ظروفه، وفي المكان الذي يناسبه. ويحدد بنفسه من أين يبدأ ومتى ينتهي. إذا سئم القراءة أو طرأ ما يشغله، فيمكنه أن يترك الصحيفة ليقرأها في أي وقت آخر.

كذلك توفر الصحافة للقارئ السيطرة على ظروف القراءة؛ حيث تنفرد الوسائل المطبوعة بخاصية سهولة الحفظ والاقتناء، والاحتفاظ بالمعلومات أطول مدة ممكنة. وهي بهذا تتيح الفرصة لمستقبل الرسالة الإعلامية لكي يرجع إليها عند الحاجة، وأكثر من مرة؛ ليتثبت من بعض النقاط التي يود التركيز عليها، كما أنها تساعد على النقد البناء؛ حيث تتيح للقارئ تكرار القراءة والتفكير بروية فيما يقرؤه، ثم تخيل ما يمكن تخيله، وبعد ذلك يسهل عليه أن يقوم بنقد ما قرأه.

ثانيًا: تمتاز الصحف بسعة الانتشار؛ حيث توزع في كافة أنحاء البلد الذي تصدر فيه. وغالبًا ما توزع في البلدان المجاورة أيضًا. كما أسهم البريد العادي والجوي في سرعة إيصال الصحف إلى جميع المناطق، حتى أصبحت السرعة في التوزيع صفة لازمة للصحافة، وفوق ذلك نجد الآن بعض الصحف، يتم نقل صفحاتها بالأقمار الصناعية، وطبعها في عدد من البلاد المختلفة في الوقت نفسه الذي يتم فيه طبعها في مقرها الرئيس بالبلد الذي تصدر فيه أصلا .. علاوة على أن بعض الصحف تترجم إلى عدة لغات غير لغتها الأصلية، وهذا يسهم في الانتشار الواسع لها بين مختلف الطبقات، ويمكن تبادل الاستفادة مما فيها، والانتفاع بمضمونها الإعلامي أكثر من مرة على يد أكثر من شخص. وهي من هذه الناحية مفيدة في تثبيت الرسالة الإعلامية، عن طريق التكرار، وعن طريق التعدد.

كما تعتبر الصحافة مرآة يشاهد فيها كل من كان يعيش خارج الدائرة المكانية للدولة صورة نابضة بالحياة والحركة، ويرى فيها محيطًا هادرًا بالنشاط المتنوع للأفراد والجماعات، وتستطيع الصحف أن تقدم لقرائها أخبار اللحظة الأخيرة؛ بسبب تقدم وسائل الطباعة والنقل، عن طريق إصدار طبعات متعددة منها.

ثالثًا: الصحف سهلة التناول؛ فحجمها صغير وموضوعاتها متعددة متنوعة، تقرأ بسرعة، فهي تتألف من الأخبار، وما يتصل بها من تحليل وتعليق ومقالات وأحاديث وتحقيقات صحفية ... إلخ. والسعر الزهيد للصحيفة عامل مهم من عوامل انتشارها؛ لأن بإمكان أي قارئ أن يشتريها بالرغم من انخفاض مستوى معيشته.

رابعًا: تتميز الصحافة بمجموعة من السمات والخصائص، التي تجعل لها أهمية خاصة في ميدان الإعلام؛ فهي مصدر فياض للمعرفة الناضجة الطازجة، وذلك بالنسبة للعامة والخاصة على السواء. وتساعد في محو الأمية الثقافية لدى أنصاف المتعلمين، بما تنشره من أفكار ومعلومات ودراسات. ولها أيضًا أثر عميق في تحقيق الوحدة الثقافية للأمة، ومنها تتوصل إلى الوحدة الاجتماعية إذا توفرت لها مجموعة أخرى من المقومات الأساسية، التي تعتبر الوحدة الثقافية على رأسها دون شك.

كما أن الصحافة ذات خاصية منشطة للحركة الاقتصادية، عن طريق ما ينشر فيها من تحقيقات وبحوث ولقاءات وندوات وإعلانات ذات طابع اقتصادي، وهي أيضًا وسيلة

سريعة وسهلة لتعميم البيانات والقرارات الحكومية. وتصلح مرجعًا لما ينشر من البيانات والقرارات، إذا أمكن جمعها وترتيبها، وهي مرآة يشاهد فيها كل ما كان.

خامسًا: تتميز الصحافة بأن قارئها يقوم بنفسه بتحصيل فحواها، فهو لا يحتاج إلى وسيط لنقل ما فيها من معلومات إلى ذهن القاري، بل يكفي أن يعرف المتلقي القراءة أو يجيدها؛ ليستطيع الإحاطة بمضمون المواد التي تنشرها الصحيفة، ويقوم على إدراك معانيها دون حاجة إلى استيعاب المهارات القرائية الأخرى؛ كسرعة القراءة، أو القدرة على اختزان المقروء، أو الإجادة في تلخيص ما يقرأ ... إلخ. وهكذا يستطيع القارئ - دون أي وسيط آخر - أن يحصل مضمون ما في الصحيفة بنفسه ولنفسه؛ ومن ثم يتوفر لديه الدافع الشخصي ليحدد لنفسه موقفًا مما تنشره الصحيفة دون وصاية أخرى مفروضة عليه في هذا الصدد.

سادسًا: تؤثر المواد المقرءة في نفس المتلقي، من ناحية حفزه على تأكيد ذاته، وشحذ قواه العقلية في فهم ما يقرأ، وفك رموزه، وقيامة بمهمة المعلم لنفسه، ومن المعلوم سيكولوجيًّا أن قيام المتلقي بمهمة التلقين والتعليم لنفسه، يزيد ما يتلقاه عمقًا وثباتًا وقوة، سواء في محاولة تحليله للرموز القرائية، أو مجهوده الذي يبذله في فهم المعميات والعبارات الغامضة؛ مما يعطيه إيجابية في الفهم، وتأكيدًا للذات، وقدرة عقلية على الإقناع والاقتناع.

سابعًا: يرى البعض أن هناك نقاط ضعف في الوسائل المطبوعة، تعتبر في الوقت نفسه مصدر قوة أكثر من غيرها؛ حيث يتطلب من القارئ جهدًا أكبر من أية وسيلة اتصالية أخرى؛ ذلك أن جهد القراءة يعتبر كبيرًا بالنسبة للكثيرين غير المتدربين على القراءة السريعة، إلا أن كثرة القراءة توفر للقارئ هذا التدريب، وتقلل من الجهد المبذول فيها، بالإضافة إلى أن الصحافةتوفر حاليًا بين أشكالها المتعددة، ما يتناسب مع كل المستويات التعليمية.

ثامنًا: تتميز الصحافة بوجود عنصر له أثر مهم في رفع مكانتها، يكمن في الوزن الثقيل لكثير من الأشخاص ذوي العلاقة بالمهنة. فقد كان بعض أقدر الكتاب في القرن العشرين من رجال الصحافة المحترفين .. وقد كان من دواعي فخار وليام ألن هوايت، وفرانكلين أدامز ووالتر ليبمان، وكثيرين غيرهم، على سبيل المثال - أن يعرفوا ويشتهروا كصحفيين، ونتيجة لذلك أصبح كبار المبرزين من الصحفيين في العالم يقومون بأدوار المستشارين لدى رؤساء دولهم وكبار المسئولين فيها من القادة والزعماء.

تاسعًا: في البلاد الإسلامية عندما تكون الصحافة في يد مسلمة واعية، فإنها يمكنها أن تقوم بدور مهم في الدعوة الإسلامية؛ فهي ميدان خصب لطرح الفكر الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، ومناقشة الآراء المعادية؛ لأن هذا الأمر يحتاج إلى بسط للأمور، وبيان لكافة الجوانب، وتزداد أهمية ذلك إذا كتبها أصحاب الاختصاص.

والصحف تسمح بعرض المسائل المعقدة، ولكن بشرط أن تكون اللغة مبسطة؛ لأنها لكافة الطبقات والفئات، كما تتميز بقدرتها على التصرف في المادة التي تنشرها في أي حجم، وبأية تفصيلات تظهر الحاجة إليها .. والصحافة كذلك مجال واسع لملاحقة أخبار العالم الإسلامي، مع تحليلها من وجهة النظر الإسلامية. وقد علمنا مما سبق أن نقل الأخبار وتحليلها والتعليق عليها، من أهم وظائف الصحافة .. فكل صحيفة تعالج موضوعاتها من وجهة نظرها، أو بالأصح من وجهة نظر الجهة التي تنتمي إليها أو ترتبط بها أو تدور في فلكها.

كذلك فإن الصحافة - كما رأينا من قبل عند ذكر وظائفها - تصبح وثيقة يعتمد عليها في التاريخ لتلك الفترة. والمؤرخون المسلمون المعاصرون في حاجة ماسة لهذه الوثائق؛ لتكون عونًا لهم وللآتين من بعدهم مستقبلا، لعرض الحقائق من وجهة نظر إسلامية، خاصة وأن كثيرًا من الحقائق قد طمست عبر وسائل الإعلام الجاهلي، سواء أكان عن عمد أو عن غير عمد.

سلبيات الصحافة:

كانت تلك بعض مميزات الصحافة، وعلى الجانب الآخر يوجد للصحافة عدد من السلبيات، من بينها ما يلي[1].

أولا: يقول البعض إن السلطات تتصارع من خلف الستار على شراء الصحف، وبدون أن يشعر القارئ تتغير وجهة الصحيفة، ويتغير معها حاكمه؛ فالمال ينتصر هنا أيضًا ويسخر العقول لخدمته.

ثانيًا: ويقول هذا البعض أيضًا إنه لا يوجد مروض يتمتع بالسيطرة على وحوشه مثل الصحيفة. وإذا ترك جمهور القراء فإنه يحتل الشوارع، ويقتحم الهدف الذي عينته له الصحيفة،

(1) راجع في ذلك كتاب (الصحافة)، مرجع سابق، ص 314، وما بعدها بتصرف.

ويهدد ويحطم كل ما تصل إليه يده. وتكفي إشارة من عصا الصحيفة لكي تسكت هذا الجمهور فورًا ويعود من حيث أتى.

ثالثًا: كما يقولون إن الصحافة اليوم جيش منظم بدقة، يقوم فيه الصحفيون بدور الضباط، ويقوم القراء بدور الجنود. وكما يحدث في كل جيش حيث يطيع الجندي الأوامر طاعة عمياء، يتغير هدف الحرب، وتتغير خطط العمليات الحربية دون علم الجندي .. ويحدث الشيء نفسه في الصحافة.

رابعًا: تستطيع الصحافة أن تحكم بالإعدام على أية حقيقة برفض نشرها .. إنها رقابة السكوت المريعة، ومما يزيد من قوتها أن جمهور القراء يجهلون وجودها.

خامسًا: يأتي تأثير الصحافة كذلك من شكلها المادي؛ فالصحيفة تتمتع بقوة الكلمة المطبوعة. وبهذا العامل النفسي، فإن القارئ يعتقد أن الصحيفة لن تخدعه، حيث يوجد ملايين من القراء يصدقونها بسرعة.

وإذا لم تكن الصحيفة تتمتع بالسحر الذي يتمتع به الخطيب، وبالتأثير الوجداني الذي يربطه بالمستمع ويشيع الإيمان فيه، فإن الصحيفة تتفوق على الخطيب، في أنها تستطيع أن تكرر بصفة مستمرة الحجج التي تسوقها، وتقدمها بحيل مختلفة، وعلى شكل جرعات صغيرة.

وتواصل الصحيفة تأكيد الأفكار نفسها والحقائق ذاتها، حيث ينتهي المطاف بالقارئ إلى اعتبارها أشياء ثابتة، لا يرقى إليها الشك، فلا يفكر حتى في مناقشتها.

سادسًا: الصحيفة لا تستطيع أن تعين مراسلين لها في كل أنحاء العالم؛ ولذلك تحصل على أغلب أخبارها من وكالات الأنباء، وهذه الوكالات تقع في أيدي اتحادات خاصة، تعمل في خدمة مصالح اقتصادية أو تحت وصاية الحكومات ... والصحف في البلاد الرأسمالية تسير وفق خط، ترسمه مداولات مجالس التحرير، الذي يختفي وراءه المديرون الحقيقيون للصحيفة، وهم الأحزاب ورجال المال .. وللصحافة تأثيرها الذي يتزايد ضرره، فالدعاية تختفي وراء الخبر الذي يبدو في الظاهر أنه موضوعي، ووراء الرسم والفكاهة ... إلخ. كما أن أحسن المطابع وأهم مخازن الورق في أيدي أصحاب رءوس الأموال، وشراء دور النشر ورشوة الجرائد أمر ميسور للاحتكارات المالية.

سابعًا: يقال بعدم وجود الصحافة التي تخدم الصالح العام؛ ذلك أن الاهتمام بالحقائق الموضوعية، يأتي بعد الاهتمام بعدد النسخ الموزعة، ولم تعد الصحيفة سوى مشروع تجاري واسع، لا يستطيع أن يعيش إلا ضمن اتحاد رأسمالي أو حكومي، يقوم في الوقت نفسه بصنع الورق والحبر والأخبار والرأي والعملاء؛ مما حدا ببعضهم أن يقول: "لو استطاع الطاعون أن يتجسد ويتصرف برءوس أموال ضخمة، لسرعان ما ظهرت صحف تمجد الطاعون ورسالته التاريخية وأياديه البيضاء".

ويتفق المعنيون بشئون الإعلام على أن تصنيع الصحافة، هو الذي يعرض استقلالها للخطر؛ لأنه يوجهها وجهة التجارة والإثارة، فالصحافة المصنعة تتطلب توظيف رءوس أموال ضخمة، يحاول أصحابها استغلال الصحف إلى أقصى حد ممكن، ومن هنا نشأت الحاجة إلى التوزيع الضخم للصحف؛ فتصنيع الصحافة وضعها أمام مشكلات مالية جديدة، لم تكن تعرفها في أول عهدها، كما أن حاجتها إلى رءوس أموال ضخمة يعرضها لخطر الوقوع تحت سيطرة رجال المال ونفوذهم.

ثامنًا: يضاف إلى ذلك أن المنافسة القائمة بين الصحف على توزيع أكبر عدد من النسخ، جعلها تلجأ إلى طرق مخالفة تمامًا للمبادئ التي وجدت للدفاع عنها؛ فهي تفضل تخصيص مساحات كبيرة لأخبار الجريمة التي يقبل عليها السواد الأعظم من القراء، على المقالات الهادفة الرصينة التي تزيد القارئ علمًا، يرفع من مستواه الثقافي، وتعده ليكون مواطنًا صالحًا، ولهذا السبب دالت دولة صحف الرأي أو كادت، ولم يعد يوجد إلا الصحف التي تعنى بالأخبار المثيرة والمسلية.

تاسعًا: يقول أحد الصحفيين: إن الشراء المنتظم لصحيفة يومية واحدة أو لعدة صحف، هو بالنسبة لعدد كبير من الناس عملية لا شعورية، شبيهة بالتي تصدر عن مدمن التدخين، الذي يشعل سيجارته، أكثر من كونها رغبة حقيقة في العلم أو التسلية، وأن أصحاب الصحف الذين يرزحون تحت أعباء مالية ثقيلة، يرون أنفسهم مضطرين إلى زيادة التوزيع، فيقدمون للجمهور السلعة التي يطلبها .. والجمهور يريد كل ما هو جديد وغريب، وقد استفادت الصحف من ذلك، وأصبحت تنشر كل ما يرضي هذا الميل عند القراء؛ فالصحافة كظاهرة اجتماعية لابد أن تعكس حال المجتمع الذي تعيش فيه.

وأخيرًا .. وبعد هذا المشوار الطويل الذي قطعناه مع الصحافة عبر هذا الفصل من أوله

حتى الآن .. نستطيع أن نذهب باطمئنان إلى ما ذهب إليه الدكتور خليل صابات[1]، من أن الصحافة قد وصلت الآن إلى مرحلة دقيقة من مراحل تطورها .. وأنها معرضة لأخطار عديدة في هذا العصر المتقلب.

فإذا أرادت الصحافة أن تعيش، فيجب عليها أن تحافظ على حريتها، وأن تظل مسئولة عما تنشره من أخبار وآراء وأفكار، وأن على الحكومات والمشتغلين بالصحافة، وكذلك القراء أنفسهم، أن يعملوا جاهدين ليكفلوا استقلال الصحف وكرامتها. ولكن العبء الأكبر يقع على الصحفيين أنفسهم، والمهيمنين على شئون الصحف المالية والاقتصادية؛ فهم المسئولون قبل غيرهم عن هذا الاستقلال وهذه الكرامة.

وبالرغم من كثرة العوامل التي تهدد الصحافة، فتوجد أسباب تحمل على الثقة بمستقبل الصحافة؛ حيث إن المشتغلين بها يعملون جاهدين للارتفاع بمهنتهم، وتخليصها من الأدران التي علقت بها خلال الشوط الطويل الذي قطعته على مر الأجيال. كما أن المؤتمرات التي تعقد بين الحين والآخر، والمعاهد العلمية التي تعنى بمشكلات الصحافة، لتطمئن – إلى حد كبير – على مستقبلها، ولكن هذه الجهود لن تثمر إلا إذا تعاون الجمهور معها؛ فإن الشعب له الصحافة التي يستحقها.

فالشعب الجاهل لا يمكن أن تكون لديه إلا صحافة فارغة مثله، والشعب الناضج يرفض قراءة الصحف التافهة التي تعتمد على إثارته وتسليته فقط، ولا تستهدف إلا الربح المادي. ولذلك تقع على عاتق الرأي العام مهمة مساعدة الصحافة؛ لتخليصها من الأخطار التي تهددها .. وهكذا يقوم بين الجمهور والصحافة تعاون، أساسه الثقة المتبادلة، وهدفه العمل على تنقية الصحافة من كل الشوائب التي تضرها.



وإلى هنا نكون قد انتهينا من استعراض تطور الكتاب التقليدي .. وتطور الصحافة التقليدية.. وهما من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية المطبوعة والمقروءة .. وننتقل بعد ذلك إلى استعراض تطور وسائل الاتصال المسموعة، والمسموعة المرئية التقليدية، وهي السينما والإذاعة والتليفزيون في الباب التالي بفصوله الثلاثة ... وتبدأ بالوسيلة المسموعة المرئية التقليدية الأولى، وهي السينما حسب تاريخ أقدميتها ونشأتها بالنسبة لتلك الوسائل، وذلك على النحو التالي.

(1) المرجع السابق، ص 327 – 339.

الباب الثالث
وسائل الاتصال المسموعة والمرئية التقليدية

يتضمن هذا الباب ثلاثة فصول هي:

الفصل الخامس: تطور السينما التقليدية، وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها.

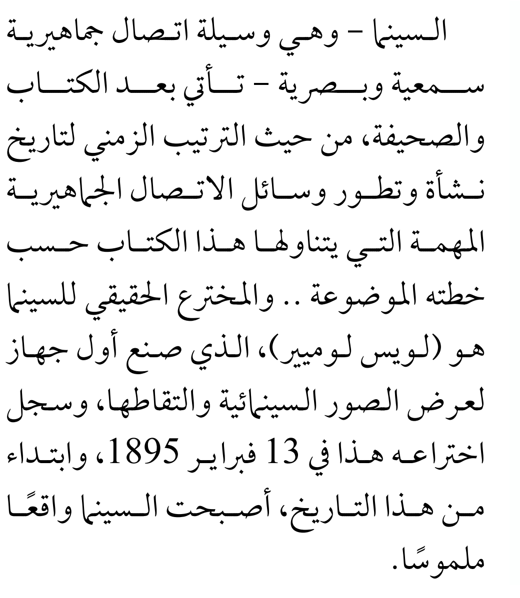
الفصل السادس: تطور الإذاعة التقليدية، وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها.

الفصل السابع: تطور التليفزيون التقليدي، وأهميته ومميزاته وسلبياته.



الفصل الخامس
تطور السينما التقليدية
وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها(•)





السينما - وهي وسيلة اتصال جماهيرية سمعية وبصرية - تأتي بعد الكتاب والصحيفة، من حيث الترتيب الزمني لتاريخ نشأة وتطور وسائل الاتصال الجماهيرية المهمة التي يتناولها هذا الكتاب حسب خطته الموضوعة .. والمخترع الحقيقي للسينما هو (لويس لوميير)، الذي صنع أول جهاز لعرض الصور السينمائية والتقاطها، وسجل اختراعه هذا في 13 فبراير 1895، وابتداء من هذا التاريخ، أصبحت السينما واقعًا ملموسًا.

وقد شاهد الجمهور أول عرض سينما توغرافي في يوم 28 ديسمبر 1895، وكان ذلك في قبو (الجران كافيه)، أي المقهى الكبير الواقع في شارع الكابوسين في باريس .. وكان البرنامج الأول لهذا العرض عبارة عن عشرة أفلام، يتراوح طول كل منها بين 15 و 20 مترًا، ويستغرق البرنامج نحو عشرين دقيقة .. ولم يكن مخترع هذا الجهاز يعقد آمالا كبيرة على

(•) اعتمدنا في هذا الصدد - بصفة أساسية وبتصرف - على كتاب خليل صابات وجمال عبد العظيم: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة - الأنجلو المصرية، الطبعة التاسعة، عام 2001)، ص 397، وما بعدها؛ وكتاب إلهامي حسن: محمد طلعت حرب رائد صناعة السينما المصرية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986)، ص 31، وما بعدها؛ وكذلك رشاد كامل: طلعت حرب، ضمير وطن (القاهرة، سوزانا للنشر، 1993)، ص 147 وما بعدها، وبعض المراجع الثانوية الأخرى.

مع ضرورة مراجعة الفصلين الثامن والحادي عشر من هذا الكتاب؛ لصلتهما الوثيقة بهذا الفصل.

نجاحه تجاريًّا .. ومع ذلك لم يمض على العرض الأول ثمانية أشهر، إلا ودخل هذا الاختراع جميع عواصم أوربا. وانتقلت سينما (لوميير) إلى اليابان والهند وأستراليا .. ولم تمض سنة على أول حفلة عرض في باريس، حتى كانت العروض السينمائية تغزو العالم كله.

وفي إطار ذلك ركز الأمريكيون جهدهم للمضي في هذا الاختراع الجديد، وعقد رجال الأعمال العزم على مقاومة المنافسة الأجنبية بكل الطرق الشرعية وغير الشرعية .. وقاد (توماس أديسون) نشأة السينما الأمريكية؛ ففي عام 1891 سجل اختراع جهاز لمشاهدة الأفلام السينمائية، يعمل بوضع قطعة من العملة في ثقب خاص، وكان اسم هذا الجهاز (كينيتوسكوب)، ولكن الإنتاج الصناعي للأفلام بدأ بعد ذلك بثلاث سنوات .. وقبل (أديسون) صنع جهاز العرض الذي اخترعه (جنكنز وأرمات) تحت اسم أديسون فيتاسكوب .. وتم أول عرض عام على شاشة في 23 مارس 1896، أي بعد عرض لوميير بثلاثة أشهر، وكان ذلك في أحد مسارح نيويورك .. ويعتبر هذا اليوم بداية السينما في أمريكا.

ويلاحظ أن السينما في إنجلترا قد انتشرت بسرعة؛ لأنها وجدت المشاهدين الذين يقدرونها، بل ويتلهفون عليها، فأخذت تنمو وتزدهر .. وفي الوقت نفسه كانت فرنسا تحتل مكان الصدارة في عالم السينما، سواء بالنسبة لتوزيع الأفلام، أو لبيع أجهزة السينما .. وكانت أمريكا تغذي سوقها الواسعة، وتتطور بسرعة كبيرة، ومع ذلك ظلت تستورد عددًا كبيرًا من الأفلام الفرنسية. وخلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، تقدمت أمريكا الصفوف، وأصبحت هوليود عاصمة السينما دون منازع، وارتفع - بالتالي - وتضاعف إنتاج الأفلام، كما اهتمت الصحف بأخبار السينما ونجومها وفضائحهم، وأصبح لكل صحيفة مراسل في هوليود.

وبرزت في العشرينيات من القرن العشرين الماضي أفلام المخرج سيسيل دي ميل، الذي قدم إلى جمهوره ما يتفق وذوقه دون أي اعتبار آخر .. وفي منتصف العشرينيات كان 90٪ من الأفلام السينمائية المعروضة في العالم أمريكية الإنتاج .. وفي أواخر العشرينيات قل الإقبال على الأفلام السينمائية، بعد أن ظهر لها منافسان قويان، هما: الراديو والسيارة، فما كان من الشركات الكبرى إلا أن أخذت تبحث عن وسيلة جديدة، تستعيد بها الأموال التي خسرتها. وقد وجدت ضالتها في أفلام (الفيتافون) والناطقة والغنائية القصيرة. وقد عرض أول فيلم من هذا النوع سنة 1926، ولم يلبث أن مات الفيلم الصامت فجأة في أمريكا، بينما ظل في

أوربا فترة أطول. ويمكن القول إن السينما الناطقة رسخت أقدامها في أمريكا ابتداء من سنة 1928، وتضاعف عدد المشاهدين الذين أقبلوا على الأفلام الناطقة بحماس، وفي بداية الثلاثينيات من القرن العشرين الماضي، أصبح الفيلم الناطق ينتج في كل مكان من العالم..

أما الجريدة السينمائية الناطقة، فقد ظهرت في سنة 1927؛ بفضل الجهد الذي بذلته شركة فوكس، ولاقت الجريدة السينمائية الناطقة إقبالا واسعًا. ومع أن الفيلم الملون كان قد عرف منذ بداية القرن العشرين الماضي، إلا أنه لم يثبت إلا بعد سنة 1929. وابتداء من سنة 1935، أصبحت صناعة السينما في هوليود تمتلك الأموال الضخمة والتنظيم الراسخ والتجربة الطويلة وأصحاب الأفكار الجديدة والمبتكرين اللامعين.

وكل ذلك كان في خدمة وسيلة اتصال جماهيرية سمعية بصرية في قمة نجاحها .. وكانت أهم أستوديوهات ذلك العهد الذي عرف بالعهد الكلاسيكي هي: مترو جولدوين مايرو البرامونت، وفوكس القرن العشرين وأخوان وارنر، وآركي أو ... وكانت هذه الأستوديوهات الكبرى تملك ربع قاعات العرض في الولايات المتحدة. وتأتي بعدها من حيث الضخامة والقدرة شركات: يونيفرسال وكولومبيا، واليونايتد أرتستس، أي الممثلون المتحدون.

وقدمت هوليود في عام 1952 ابتكارين جديدين، هما: السينما البارزة والشاشة ذات الأبعاد الثلاثة، أي السينيراما. ثم أدخلت شركة فوكس الشاشة العريضة أو السينما سكوب سنة 1953. وكذلك الصوت الستريو فوني؛ كل ذلك من أجل انتزاع الجماهير من أمام الشاشة الصغيرة (التليفزيون).

كما بدأت هوليود تنتج أفلامًا قصيرة للتليفزيون، ثم أفلامًا طويلة لتعرض على شاشته الصغيرة أيضًا. وبين سنة 1969 وسنة 1971 حدث تحول مهم في هوليود؛ حيث أصبح لعاصمة السينما في أمريكا بنايات جديدة، وأصبح الإنتاج أكثر استقرارًا .. ولكن الأمور في هوليود لم تسر على هذا المنوال طويلا؛ حيث اشترت شركة سوني اليابانية في أكتوبر 1989 شركة كولومبيا السينمائية في هوليود، تدعيمًا لمركزها في السوق الأمريكية.

السينما في مصر:

لقد تمثلت إرهاصات دخول السينما إلى مصر، في عروض الفانوس السحري في أول الأمر، ثم في الشرائط الصامتة المستوردة والمحلية .. وكان أول فيلم سينمائي عرض في مصر مصنوعًا في فرنسا .. وقد عرض في إحدى قاعات بورصة طوسون بالإسكندرية، مساء يوم الخميس 5 نوفمبر 1896، أما القاهرة فقد عرفت العروض السينمائية بعد الإسكندرية بثلاثة وعشرين يومًا؛ حيث تم أول عرض سينما توغرافي بها يوم السبت 28 نوفمبر 1896، داخل صالة (حمام شنيدر) في عمارة حليم باشا بحي الأزبكية. ويقول أحمد شفيق باشا في كتابه "مذكراتي في نصف قرن، ج، 2، ط 1، القاهرة 1936، ص 232) إن هذا الحمام كان بالقرب من لوكاندة شبرد (بشارع الجمهورية الحالي، والذي أحرق في يناير 1952)، وأطلق عليه اسم "الفوتوغراف المتحرك"، وكانت أجرة دخوله خمسة قروش للكبار وقرشين للصغار.

لقد كانت السينما في مصر في ذلك الحين عبارة عن عروض سينمائية لأفلام مستوردة، يعرضها الأجانب في دور العرض التي يملكونها .. وإلى جوار ذلك كانت هناك بعض المحاولات لعمل أفلام قصيرة، قام بها الأجانب أيضًا .. وأول صور متحركة التقطت في مصر هي التي التقطها (المسيو برومير) مبعوث (دار لوميير) في مدينة ليون بفرسنا، حيث صور مشاهد بالإسكندرية ثم بالقاهرة، وبدأ عرضها في الإسكندرية في 20 مايو 1897.

وبدأت (محلات عزيز ودوريس) بالإسكندرية في 29 نوفمبر 1906 بتقديم أول عروض سينمائية ناطقة قصيرة، باستخدام جهاز (كرونو ميجافون جومون) من باريس، والتي تعتمد على الاستماع إلى صوت أسطوانة متزامنة مع شريط الصورة. أما في القاهرة فقد عرضت (سينما توغراف إكسلسيور) في 22 ديسمبر 1906 أفلامًا قصيرة ناطقة أيضًا بالطريقة ذاتها.

وفي 30 أكتوبر 1917 تكونت أول شركة سينمائية باسم (الشركة الإيطالية المصرية) لإنتاج أفلام مصرية محلية، وساهم في تمويل هذا المشروع (بنك دي روما)، وقامت الشركة ببناء أول أستوديو بجوار حديقة النزهة بالإسكندرية، وأنتجت فيلمين، هما "شرف البدوي"، و "الأزهار المميتة"، مدة عرض كل منهما 40 دقيقة. وفي أواخر سنة 1918، عرض الفيلمان في سينما (سانت كلير) بالإسكندرية، ولم يحققا نجاحًا يذكر، وتكبدت الشركة

خسائر قيمتها 125 ألف جنيه؛ مما جعل (بنك دي روما) يتخلى عن المشروع، وقد فشلت هذه الأفلام؛ بسبب ضعف مواضيعها، وعدم وجود أي رابط بين المناظر المختلفة، إضافة إلى أن الممثلين كانوا من الأجانب.

ثم بدأ بعد ذلك بعض الأجانب أيضًا عمل أفلام قصيرة أخرى في الفترة من سنة 1919 إلى سنة 1925، ونجح بعضها، وفشل البعض الآخر. وفي هذه الفترة لم يظهر في المجال السينمائي أي مصري يعمل في الناحية الفنية، التي كانت وقفًا على الأجانب. إلى أن جاء (محمد بيومي)، الذي درس السينما في أوربا وعاد إلى مصر سنة 1923، وبدأ نشاطه السينمائي كمصور في الفيلم القصير "في بلاد توت عنخ آمون" في العام نفسه. وفي العام التالي 1924 قام (محمد بيومي) بإخراج وتصوير فيلم "الباشكاتب"، وبدأ في عام 1925 عمل فيلم من إنتاجه، وإخراجه وتصويره، وهو فيلم "المعلم برسوم يبحث عن وظيفة"، وأنشأ (أستوديو بيومي) في شبرا، وجهزه بأحدث ماكينات التحميض والطبع التي أحضرها معه من أوربا؛ ليكون هذا الأستوديو بداية مشروعاته الفنية وأعماله السينمائية، ولكن تشاء المقادير أن يتوفى ابنه وهو في السابعة من عمره، وكان يقوم بدور مهم في الفيلم، وكانت الصدمة شديدة على إحساس الفنان، لدرجة أنه أغلق أبواب الأستوديو .. وعندما ظهرت (شركة مصر للتياتر والسينما)، وهي إحدى شركات بنك مصر في عام 1925، وتعتبر أول شركة مصرية لإنتاج الأفلام القصيرة. ذهب محمد بيومي إلى طلعت حرب، وعرض عليه معدات الأستوديو، فاشتراها لحساب شركة مصر، وعين محمد بيومي مديرًا للمعامل ولقسم التصوير بالشركة، وقام محمد بيومي بعمل بعض الأفلام القصيرة التسجيلية والدعائية والإعلانية لبنك مصر وشركاته.

وكان الاقتصادي الكبير محمد طلعت حرب قد قرر في سنة 1924 أن يضم النشاط السينمائي إلى الأنشطة المختلفة التي يقوم بها بنك مصر وشركاته. وفي 13 يونيه 1925، صدر مرسوم ملكي، "يرخص لكل من أحمد مدحت يكن باشا، وفؤاد سلطان بك، وعبد الحميد السويفي بك، وإبراهيم بك طاهر، وطلعت حرب بك بتأليف شركة مساهمة مصرية تحت اسم (شركة مصر للتياترو والسينما)، وهي إحدى شركات بنك مصر، وحدد رأسمال الشركة بمبلغ (15) خمسة عشر ألف جنيه، قسمت إلى (3750) سهمًا، قيمة كل سهم أربعة جنيهات، ونصيب بنك مصر (2500) سهم".

وقد نشر هذا المرسوم الملكي في جريدة الوقائع المصرية بتاريخ 20 يوليو 1925، ونشرته جريدة الأهرام في اليوم التالي نقلا عنها، وكان هدف الشركة العمل في مجال المسرح والسينما وتركيز الصناعة في أيدي المصريين، واستغلال دور التمثيل والسينما والأفلام، وعمل الأشرطة السينمائية، سواء لحسابها أو لحساب الغير.

وفي هذه الأثناء كان القارئ (محمد كريم) – الذي سيصبح فيما بعد شيخ المخرجين المصريين، وسيحتل مساحة لها مكانتها في تاريخ السينما المصرية والعربية .. كان محمد كريم (29 سنة وقتها) – في ألمانيا يزاول التمثيل، ويحاول الإخراج السينمائي، بل وقبلته نقابة الممثلين الألمانية عضوا بها، ورقم عضويته (444)، فقرأ هذا الخبر في جريدة الأهرام، وفي 8 أغسطس 1925 كان محمد طلعت حرب في برلين بألمانيا، واستطاع مقابلته يوم 12 أغسطس 1925، وقدم له نفسه، فرحب به طلعت حرب، وذكر له أنه متابع لمشواره الفني التمثيلي، سواء في مصر أو في ألمانيا.

وبعد أن عاد طلعت حرب من زيارته لأوربا إلى مصر، قام بتجهيز مكان على شكل مصنع صغير، عبارة عن شقة فوق عمارة مطبعة مصر، رقم 40 بشارع الدواوين، معد بالآت التصوير. وماكينات لتحميض الأفلام وطبعها، وباقي الأجهزة التي يحتاجها العمل السينمائي. وعندما عاد (محمد كريم) من ألمانيا إلى مصر سنة 1927، التحق بالشركة، وعمل في هذا الأستوديو الصغير، وقام بإخراج أفلام قصيرة، وفي نهاية سنة 1928 ترك العمل، عندما وجد أن الشركة لا تعتزم في الوقت الحاضر عمل أفلام روائية طويلة.

ويمكن أن يقال إن صناعة السينما في مصر لم ترسخ إلا في سنة 1927، عندما أسست عزيزة أمير – ممثلة المسرح المعروفة – مع وداد عرفي – الكاتب التركي المقيم في مصر – شركة سينما توغرافية، وكان باكورة إنتاج هذه الشركة فيلم (ليلي) .. وواصلت عزيزة أمير نشاطها السينمائي، بتأسيس شركة (إيزيس فيلم)، فقدمت سنة 1929 فيلم (بنت النيل) .. وأول فيلم روائي قدمه توجو مزراحي هو (الهاوية) في 25 نوفمبر 1930 .. وقد عرض هذا الفيلم في 23 فبراير 1931 على شاشة سينما الكوزموجراف، بشارع عماد الدين بالقاهرة، بعنوان جديد هو (الكوكايين). وأنتج يوسف وهبي فيلم (زينب)، إخراج محمد كريم، وبطولة بهيجة حافظ وسراج منير، وقصه الدكتور محمد حسين هيكل. وهو أول فيلم يتم تصويره وتحميضه وطبعه بالآت شركة مصر للتياترو والسينما، واستغرق العمل فيه حوالي عامين،

وعرض يوم 9 أبريل 1931، وقامت بهيجة حافظ بتأسيس شركة (فنار فيلم)، التي أنتجت (الضحايا)، وهو فيلم يهدف إلى مكافحة تعاطي المخدرات .. وعرض في 25 نوفمبر 1931 فيلم (وخز الضمير)، من إنتاج آسيا، وبطولتها، وإخراج إبراهيم لاما. وقامت شركة مصر للتياترو والسينما بتصويره وتحميضه وطبعه.

أستوديو مصر:

أنشئ أستوديو مصر في منطقة الأهرامات بالجيزة على مساحة 17 فدانًا. ووضع حجر الأساس يوم 7 مارس 1934، وبدئ في التشييد في أغسطس 1934، وأقيم يوم السبت 12 أكتوبر 1935 حفل لافتتاح الأستوديو رسميًّا.

ويعتبر أستوديو مصر أول الأستوديوهات التي عرفتها السينما المصرية، والمزود بأحدث الأجهزة الأوربية، إذا استثنينا (أستوديو النزهة) في الإسكندرية و (أستوديو بيومي) في شبرا بالقاهرة؛ لأنهما ظهرا قبل بداية ظهور أول فيلم مصري، كما توقف نشاطهما بعد عام من إنشائهما.

أما الأستوديوهات التي ظهرت مع بداية ظهور أول فيلم مصري في 1927/11/16، فلم تكن أستوديوهات بمعنى الكلمة، بل كانت أستوديوهات تتماشى وحالة السينما في ذلك الوقت، ومنها: (أستوديو اللفيزي)، الذي أنشأة المصور اللفيزي أورفانللي سنة 1927 في المنشية بالإسكندرية .. و(أستوديو توجو)، أنشأة المخرج توجو مزراحي سنة 1929 في باكوس برمل الإسكندرية .. و(أستويو لاما)، وقد أنشأه الشقيقان إبراهيم وبدر لاما، ثم نقلا نشاطهما إلى القاهرة في حدائق القبة، وظل الأستوديو يعمل حتى توفي إبراهيم سنة 1952 .. و(أستوديو هليوبوليس)، الذي أنشاته عزيزة أمير سنة 1929 بمصر الجديدة .. و(أستوديو رمسيس)، أنشأه يوسف وهبي عند نهاية كوبري الزمالك في إمبابة، على مساحة أربعة أفدنة داخل مدينة رمسيس الضخمة، وكان هذا الأستوديو جاهزًا للتصوير في أول يناير 1932، وبعد ظهور أستوديو مصر أقفل هذا الأستوديو، ثم أنشأ يوسف وهبي (أستوديو وهبي) في الجيزة سنة 1937، واستأجره توجو مزراحي سنة 1939 .. وكذلك (أستوديو الشرق)، الذي أنشأته شركة الشرق في شبرا سنة 1932، وتوقف هذا الأستوديو بعد توقف الشركة عن الإنتاج .. وكذلك (أستوديو لوتس)، أنشأته الممثلة آسيا في الجزيرة

سنة 1933، وبعد ظهور أستوديو مصر انتهى ذكر هذا الأستوديو في نحو عام 1936 .. وكذلك (أستوديو الأفلام الناطقة المصرية) في سنة 1932 في حدائق القبة. ويعتبر أول أستديو به تسجيل الصوت على الآلات التي ابتكرها محسن سابو المجري الأصل، وأحد أصحاب الأستوديو، الذي انتهى العمل فيه سنة 1935.

وكذلك (أستوديو هليوبوليس)، أنشأه كل من (ماربو أبولوني)، و(كارل بويا) في مصر الجديدة سنة 1936، وصور فيه نحو خمسة أفلام، وانتهى ذكره في نحو عام 1940 .. وكذلك (أستوديو كاتساروس) في شارع أبو السباع وسط القاهرة سنة 1934، وظل يعمل بعد ظهور أستوديو مصر وصور خمسة أفلام، عرض آخرها في 1937/4/8، ثم تحول بعد ذلك إلى صالة مزادات.

معامل التحميض والطبع وتسجيل الصوت:

كانت الأستوديوهات في الإسكندرية بها معامل للتحميض والطبع. أما في القاهرة فكان يتم تحميض الأفلام وطبعها في شركة مصر للتياترو والسينما، وشركة كوداك، وبعض الشركات الأجنبية الأخرى التي تقوم ببيع الأفلام. وكان لكل شركة منها معاملها الخاصة، وقسم تصوير كامل، يشرف عليه مصور وفنيون أجانب.

وعندما استطاع المهندس المصري محسن سابو المجري الأصل، أن يصنع آلة تسجيل الصوت محليًّا للأفلام السينمائية في مصر في نهاية سنة 1932، انتقلت السينما المصرية من مرحلة الأفلام الصامتة إلى مرحلة الأفلام الناطقة، وأمكن للفيلم المصري أن ينطق في مصر بعدما كان العاملون في السينما. يسافرون إلى فرنسا لتسجيل الصوت، ومعروف أن السينما الناطقة كانت قد رسخت أقدامها في أمريكا ابتداء من عام 1928 - كما سبق عرضه.

وبفضل الفيلم السينمائي الناطق انطلقت صناعة السينما المصرية انطلاقة جديدة. وأول فيلم مصري من هذا النوع هو (أنشودة الفؤاد)، الذي أنتجته (أفلام بهنا)، وجمع نخبة من نجوم التمثيل والغناء في مصر، منهم المطربة نادرة، والملحن زكريا أحمد وجورج أبيض ودولت أبيض وعبد الرحمن رشدي. وألف أغاني الفيلم عباس محمود العقاد. وتم تصويره في باريس، وعرض بالقاهرة عام 1932، ولكن نجاحه كان متوسطًا، وكان أن ترك (أخوان بهنا) الإنتاج السينمائي، وأنشأوا شركة للتوزيع في العالم العربي.

مجلات شئون السينما:

وفي العشرينيات من القرن العشرين الماضي، كانت تصدر في مصر عشرات المجلات الفنية .. وكان الأجانب في مصر يهتمون – حينئذ – بالفن السينمائي؛ مما جعل أحدهم يصدر في الإسكندرية مجلة متخصصة في شئون السينما وأخبارها تحت اسم (سينجراف جورنال)، وكانت شهرية باللغة الفرنسية، وصدر العدد الأول منها بتاريخ أول أغسطس 1919، ومن هذه المجلات أيضًا (سينما)، باللغة الفرنسية (التياترو)، باللغة العربية، و(معرض السينما) باللغة العربية، وأيضًا (الصور المتحركة).

وفي أبريل 1925 نشرت مجلة (الصور المتحركة) صفحة كاملة بعنوان "بنك مصر والصور المتحركة"، أوضحت فيه كيف عرفت مصر بدايات السينما التسجيلية، وإيمان طلعت حرب بأهميتها وخطورتها، ودور (محمد بيومي) نفسه، وتعاونه مع طلعت حرب في هذا المضمار بعد عودته من برلين عام 1927، حيث درس هناك الفن السينمائي عمليًّا وعلميًّا مع كثير من الشركات الألمانية – كما سبق ذكره.

الجريدة السينمائية الناطقة:

يعود الفضل في إنتاج أول جريدة سينمائية ناطقة عرضت على الشاشة، ابتداء من سنة 1935، إلى شركة (مصر للتمثيل والسينما)، وكانت هذه الجريدة نصف شهرية، وهدفها الأساسي عرض أهم أحداث الحياة الرسمية والاجتماعية في مصر والعالم العربي. وكانت الحكومة المصرية تقدم لهذه الجريدة إعانة شهرية، وبعد قيام ثورة 23 يوليو 1952، أصبحت هذه الجريدة أسبوعية، وزادت الإعانة التي كانت تقدم لها إلى أربعة أضعاف .. وكانت تتبادل أخبارها وتحقيقاتها السينمائية مع الجرائد السينمائية العالمية، مثل: فوكس موفيتون نيوز – بارامونت – متروجولدوين ماير.

الحرب العالمية الثانية:

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتقطع العلاقة فجأة بين مصر وأوربا، واضطرت السينما المصرية – نظرًا إلى عدم تمكنها من الاستعانة بالخبراء الأجانب – إلى الاكتفاء بالفنيين المصريين، والذين كانوا قد اكتسبوا خبرة طويلة في مختلف فروع الصناعة السينمائية؛ ولذلك فقد نجحوا بلا جهد كبير، في القيام بعملهم على خير وجه، وهكذا لم تتأثر هذه الصناعة من

غياب الأجانب عنها. وأن الممثلين السينمائيين والمطربين العرب الذين لمعت أسماؤهم بفضل ظهورهم في الأفلام السينمائية المصرية كثيرون .. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وسحر السينما المصرية والعربية يزداد قوة وجاذبية، إلى الحد الذي دفع عددًا كبيرًا من رجال الأعمال إلى أن يستثمروا جانبًا كبيرًا من أموالهم في هذه الصناعة .. وكان الإنتاج السينمائي في جملته مرضيًا، ويضع مصر في مستوى يسمح لها بأن تشارك في بعض المهرجانات السينمائية الدولية.

السينما وثورة يوليو:

وبعد قيام ثورة 23 يوليو 1952، أولت الحكومة المصرية السينما اهتمامًا كبيرًا، واعتبرتها وسيلة مؤثرة من وسائل الاتصال بالجماهير. ففي أواخر عام 1952، أنشئت مراقبة للأفلام والسينما، ولكن نشاطها توقف عام 1954؛ حيث تكونت في مصلحة الاستعلامات مراقبة الشئون الفنية.

وفي عام 1957، أنشأت الدولة مؤسسة دعم السينما، وتم في عام 1959 إنشاء معهد للسينما، والذي أصبح الآن جزءًا من أكاديمية الفنون، وفي عام 1960 تم تكوين المؤسسة المصرية العامة للسينما، وأنشئ بعد عامين معهد السيناريو. وفي 6 يناير 1963، أدمجت المؤسسة المصرية العامة للسينما مع مؤسسة الإذاعة والتليفزيون، تحت اسم المؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون.

وبعد هزيمة يونيو 1967، توقف الإنتاج السينمائي في مصر لينتقل إلى دمشق وبيروت، ولكن هذه الهزيمة أفرزت تيار السينما الجديدة بشكل واضح في عدد من أقطار الوطن العربي.. وبعد توقيع المعاهدة بين مصر وإسرائيل في 26 مارس 1979، ومقاطعة الدول العربية لمصر - مر الفيلم السينمائي المصري بأزمة، ولكنه استطاع أن يتغلب عليها؛ بسبب الرواج الاقتصادي الذي عم تلك الفترة .. ومع ذلك فقد طغت السينما المصرية على العالم العربي بدرجة كبيرة، وطبعت المجتمعات العربية بمسحة من الحياة والبيئة المصرية، يحس الباحث بأثرها في النكتة واللهجة والموسيقى والغناء، بل أسلوب الحياة.

السينما في العالم العربي:

كانت **حلب** أول مدينة سورية تعرف السينما، وكان ذلك عام 1908، وفي عام 1912 قام صاحب مقهى في دمشق بعرض بعض الأفلام السينمائية القصيرة. وفي سنة 1916 افتتح

بعض الأتراك دارًا للسينما، سرعان ما شب فيها حريق دمرها. وفتحت بعد ذلك دور للسينما خلال الحرب العالمية الأولى، ويعود إنتاج أول فيلم سوري إلى سنة 1928، وعنوانه (المتهم البريء)، وتكللت هذه المحاولة بالنجاح.

وتعود صناعة السينما في لبنان إلى سنة 1929، وكانت الأفلام محاولات فردية، لم يحالفها النجاح، وأنشئ أول أستوديو في لبنان عام 1933، وبدأ الإنتاج السينمائي اللبناني يرسخ في سنة 1952.

وعرفت **تونس** السينما مع مصر في العام نفسه 1896 قبل غيرها من البلاد العربية .. فبعد أن أعلن الفرنسيون الحماية على تونس في 12 مايو 1881، قام أحد معاوني (الإخوة لوميير) سنة 1896، بتصوير 12 فيلمًا تسجيليًّا عن تونس .. وبعد ذلك بسنة – أي (1897) – تم تنظيم حفلات العرض السينمائية الأولى في مدينة تونس العاصمة. أما أول قاعة عرض سينمائي دائمة، فقد أقيمت في مدينة تونس، كانت قد أسستها شركة (أرمنيا باتيه) سنة 1907.

وتأسست في سنة 1928 شركة الأفلام التونسية. وعرضت تونس السينما الناطقة لأول مرة سنة 1929، وفي السنة نفسها عرفت كذلك أول مجلة سينمائية ناطقة، وكان اسمها (أفلام المجلة السينما توغرافية الأفريقية الشمالية).

وفي **العراق** كان أول عرض سينمائي شاهده العراقيون، بدار سينما (بلوكي) عام 1909، وبدأت (سينما توغراف بغداد) عروضها في عام 1911، في أحد بساتين العاصمة العراقية بغداد .. وأول فيلم ناطق عرض في بغداد هو فيلم (ملك الموسيقى) الغنائي، وكان ذلك في (دار السينما الوطني) في شتاء عام 1931، وأخذ الفيلم الصامت يختفي تدريجيًّا، تاركًا مكانة للفيلم الناطق.

وقد أصبحت العراق بعد الحرب العالمية الثانية سوقًا رائجة للأفلام المصرية، غير أن العراقيين بدأوا يشعرون في تلك الفترة بحاجتهم إلى سينما وطنية، تعكس حياتهم، وتعبر عن أمانيهم، وتدعو لحضارتهم خارج حدودهم.

وأول فيلم عراقي باسم (القاهرة بغداد)، كان إنتاجًا مشتركًا بين مصر والعراق، وقد عرض لأول مرة في مارس 1947. ويعود اهتمام العراق بالسينما جديًّا إلى عام 1959، حين

تم إنشاء (مصلحة السينما والمسرح)، التي أدمجت بعد ذلك بالمؤسسة العامة للإذاعة والتليفزيون عام 1970، غير أنها ما لبثت أن استقلت مرة أخرى عام 1973، وعرفت باسم (المؤسسة العامة للسينما والمسرح).

ويعود اهتمام دولة **الكويت** بالسينما إلى عام 1950، حين تأسس قسم للسينما في وزارة المعارف، لينتقل بعد ذلك في عام 1959 إلى وزارة الشئون الاجتماعية، ثم إلى وزارة الإعلام في عام 1961، كما يوجد قسم للسينما في التليفزيون، تأسس عام 1961. وبعد ذلك انتقل قسم السينما بوزارة الإعلام في عام 1964؛ لينضم إلى قسم السينما بالتليفزيون، ليدخل مرحلة أكثر تطورًا. وفي سنة 1965، تم إنتاج أول فيلم درامي قصير، اسمه (العاصفة)، وأنتجت شركة (أفلام الصقر) عام 1972 أول فيلم روائي كويتي، وهو فيلم (بس يا بحر)، وهو يصف الحياة في الكويت قبل ظهور البترول.

وفي الإمارات العربية المتحدة عرفت دبي أول دار للعرض السينمائي المنتظم سنة 1938، حين افتتحت (سينما الوطن).

وفي **البحرين** عرض أول فيلم سينمائي روائي بحريني في أكتوبر 1990 بعنوان (الحاجز)، وهو دراما اجتماعية، تحاكم مجتمعات دول الخليج النفطية الاستهلاكية.

وعرفت **ليبيا** الإنتاج السينمائي منذ عام 1955، حين قررت حكومتها إصدار جريدة سينمائية. وبعد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969، أنشئت في وزارة الثقافة والإعلام إدارة للأفلام، وبدئ في سنة 1979 إنتاج أول فيلم روائي طويل على مستوى الإنتاج العالمي الضخم، تدور أحداثه حول (معركة تافرت)، التي خاضها الشعب الليبي ضد الاستعمار الإيطالي. وفي 21 يوليو 1979 صدر قرار اللجنة الشعبية العامة بإنشاء (الشركة العامة للخيالة)؛ لتصبح الجهة المختصة فيما يتعلق بالنشاط السينمائي وجميع دور العرض في ليبيا.

وفي **الجزائر** بدأت السينما الجزائرية الوطنية فعلا، بعد صدور قانون تنظيم الفن والصناعة السينمائية عام 1969، وكانت الدولة قد أنشأت قبل ذلك بخمس سنوات أرشيف السينما الجزائرية، وهو أكبر وأهم أرشيف سينمائي على الصعيدين العربي والأفريقي.

وقبل حصول **المغرب** على استقلاله عام 1956، كان قد أنشئ فيه عام 1944 مركز للسينما، كان أغلب إنتاجه أفلامًا قصيرة وجريدة سينمائية أسبوعية. أما عدد الأفلام الطويلة المنتجة في المغرب فلا يزال قليلا.

أهمية السينما ومميزاتها وسلبياتها:

مما لا شك أن السينما – وهي وسيلة اتصال جماهيرية سمعية وبصرية – يكاد ينطبق عليها جانب كبير من المميزات والسلبيات التي تنطبق على التليفزيون، وهو وسيلة سمعية وبصرية أيضًا، مع متغيرات قليلة تتناسب مع كل وسيلة من الاثنين، ولا يحتاج الأمر أن نكرر هنا بالنسبة للسينما تفاصيل كل تلك المميزات والسلبيات التي سترد مفصلة عند الحديث عن التليفزيون في موضعه من هذا الكتاب فيمكن الرجوع إليها.

ولكني أسجل هنا الآن بعض مميزات وعيوب السينما التي أعجبتني، وقد حددها لنا طلعت حرب، رائد صناعة السينما في مصر منذ عام 1924، عندما قرر هذا الاقتصادي الكبير أن يضم النشاط السينمائي إلى الأنشطة المختلفة التي كان يقوم بها بنك مصر وشركاته حينذاك، وما زالت تلك المميزات والعيوب التي ذكرها طلعت حرب تناسب وقتنا الحاضر، بالرغم من مرور تلك السنوات الطويلة.

يقول طلعت حرب(1): إذا كان اختراع السينما قد أدى حاجة نفسية من حاجات البشر، فإنه ككل اختراع له محاسنه وله عيوبه؛ له محاسنه في خلق صناعات جديدة، وفي خلق ميادين للذكاء الإنساني أو الذوق الفني، يعمل فيها بنشاط غريب. وله محاسنه أيضًا في تسلية الناس، والتفريج عن صدورهم بالضحك والسرور، وفي تلقينهم معلومات مفيدة كانوا يجهلونها قبل أن يروها على اللوحة (الشاشة) البيضاء.

وفي وقوفهم على مناظر بديعة للطبيعة والبلدان كان من المتعذر الوقوف عليها بغير عرض الأشرطة المتحركة (الأفلام السينمائية)، وفي إثارة الحماسة في نفوسهم في مواقف الحماسة، وتحبيذ الشجاعة والهمة والمروءة في مواقف الأخلاق الفاضلة.

---

(1) محمد طلعت حرب، رائد صناعة السينما المصرية، مرجع سابق، ص 87 وما بعدها.

ولاختراع السينما من الجانب الآخر عيوبه، فإن الفضائل لا تعرف إلا بمقابلتها بالرذائل، فالشجاعة بالجبن، والمروءة باللؤم، والبراءة بالإجرام، والإحسان بالإساءة، ومن هنا ظهرت على اللوحة (الشاشة) البيضاء المحاسن والأضداد.

فظهرت صورة منحطة من الناس، وأعمال منطوية على خبث نياتهم. وظهرت الجرائم كيف تدبر، والجنايات كيف ترتكب، والجنايات كيف يحيك شباكها الخائنون، فكان لعرض هذه المساوئ تأثيرها السيئ في بعض النفوس الساذجة أو المستعدة للشر، لأي سبب طبيعي، أو خلقي، أو اجتماعي حتى أثارت – في بعض الأحيان – عاطفة الشر منهم، فاندفعوا بعامل التقليد إلى ارتكاب الجرائم، بجرأة مأخوذة تمامًا مما شاهدت العيون على اللوحة (الشاشة) البيضاء. بل قد ترتكب معايب لا تذهب إلى حد الإجرام المعاقب عليه، ولكنها تذهب فقط إلى الحط من الأخلاق دون التعرض لعقاب القانون.

ويضيف طلعت حرب قائلا: ومن أجل الإغراق في عرض هذه الأضداد التي أصبحت المبالغة فيها عيوبًا ظاهرة من عيوب السينما، قررت الرقابة على الأشرطة في معظم البلدان. ومع هذا فإن الرقابة خفيفة في بلاد الغرب، وهي خفيفة بالمثل في بلادنا وهي لو تشددت عندنا في اختيار الروايات لدور السينما، لوجب أن يقضى على معظم ما يرد إلينا من الغرب، وللمؤلف في البلاد الغربية أن يؤلف في أي موضوع يشاء؛ لأن حرية الفكر مطلقة لأهل الغرب. فضلا عن أن الوارد من روايات الغرب، كثيرًا ما يحوي أشياء لا يصح عرضها على الكبار. ولهذا فإننا فكرنا عند تأسيس شركتنا (1924) – ولا زلنا نعتقد – أن الخطة المثلى لمقاومة الفاسد من روايات السينما التي تصل إلينا من الغرب، هو أن تنجح شركتنا في أعمالها المتواضعة التي تزاولها الآن، ثم تكبر وتقوى حتى تكون قادرة على إخراج روايات مصرية ذات موضوعات مصرية، وآداب مصرية، وجمال مصري، تكون في منزلة عالية من الفن، نسمح بعرضها في بلادنا وفي البلاد الشرقية المجاورة، وتكون أقرب لعاداتنا وطقوسنا وأحوالنا الاجتماعية من الروايات الأجنبية التي تكتظ بها دور السينما في الشرق، والتي كثيرًا ما تحوي حوادثها ومناظرها ما لا يتفق مع عاداتنا وآدابنا الشرقية.

ويقول طلعت حرب: وفي الخارج – ولا سيما في أوربا وأمريكا – فإننا نسعى لإقامة روابط مع الشركات المشتغلة بالسينما؛ لعرض أقصى ما يستطاع عرضه في دور السينما

الأجنبية من صورنا المتحركة (أفلامنا) التي نصنعها في مصر. وغرضنا من هذه المساعي في الخارج هو أن تظهر مصر على حالتها الحقيقية.

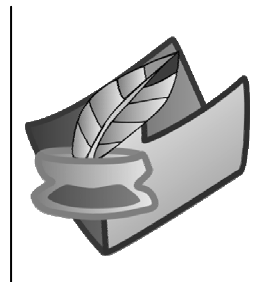
فإنه من العيب الفاضح أن تأتي شركة كبيرة أجنبية من شركات صنع الأشرطة، ولا تجد في تصوير القاهرة في مجموعة مدن العالم إلا رسم (تصوير) رجل حاو، يلعب بثعبان أمام السياح عند مدخل فندق الكونتنتال؛ كأن القاهرة كلها ليس فيها غير هذا المنظر لتصويرنا نحن المصريين في عاصمة بلادنا .. ومن العيب الفاضح أن تستمر الدعاية الفاسدة في الخارج تصورنا في شكل أمة قريبة من حالة الهمجية، حتى أن بعض السياح الذين اجتمعنا بهم أعربوا لنا صراحة أنهم كانوا لا يتصورون مصر كما رأوها، بل كانوا يتصورونها قطعة من شعوب إفريقيا الوسطى.

ومن العيب الفاضح أن يصورنا المغرضون من الأجانب في صورة أمة تفتك بها الأمراض، ويتعرض السائحون فيها للأوبئة؛ حتى يمنعوا السياح من زيارة بلدنا، ولإبقائهم في الشتاء في بلاد أخرى قل أن يبلغ جوها مناعة جونا في مصر خريفًا وشتاء، وشريط الصورة المتحركة (الفيلم) وحده هو الذي ينبغي استخدامه في الغرب للقضاء على هذه الدعاية الفاسدة .. ومن العيب الفاضح أن يصورنا الأجانب المغرضون في الخارج من طينة منحطة عن طينة البشرية المتمدينة، وأن نبقى مكتوفي الأيدي لا نعمل شيئًا لإظهار أن المصري المتمدن كبقية الشعوب، ولإظهار آثاره العملية الماضية والحاضرة في حياته المهذبة.

وشريط الصور المتحركة (الفيلم السينمائي) وحده هو الذي يتحتم استخدام قوته لإظهار الأمة المصرية في صورتها الراقية الصحيحة. ونستطيع استخدام قوة السينما في زيادة التقارب بين مصر وجاراتها الشرقية لمصلحة الثقافة المشتركة والمنافع التجارية المتبادلة.

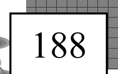
وكان تأسيس شركة مصر للتمثيل والسينما لتكون من الدعامات القوية عن شركاتنا ومنتجاتنا، فترتبط بعضها، وتكون وسيلة حسنة أيضًا من وسائل الإذاعة عن مفاخر بلادنا، ومظاهر تقدمها، ومقدار نشاطها الإنساني في كل نواحي الحياة، مما لإذاعته تأثير مفيد ونفع عظيم، ولا يخفى علينا أن قوة السينما - وخاصة بعد أن أصبحت ناطقة - تفوق في الدعاية والإذاعة والإعلان أي قوة أخرى، وتأثير السينما في هذه الناحية تأثير ناجح وسريع.

***



وننتقل بعد ذلك للحديث عن (الإذاعة) التقليدية؛ باعتبارها وسيلة اتصال جماهيرية سمعية، جاءت بعد السينما في الترتيب الزمني التاريخي في نحو عام 1900، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * *



الفصل السادس
تطور الإذاعة التقليدية[1]، وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها





هناك مقولة أثبتتها الأيام، وهي أن كل وسيلة اتصالية، هي نتيجة مباشرة لاختراع علمي أو تكنولوجي .. ويضيف البعض لها، أن تطوير هذه الوسيلة أو تلك، مرهون بالجهد العلمي والتكنولوجي، الذي يعمل على الارتقاء بها .. فلولا نجاح (جوتنبرج) في مينز بألمانيا عام 1454م في اكتشاف الطباعة بالحروف المتحركة، لما كانت الصحافة .. ولولا ابتكار (صامويل مورس) للتلغراف في سنة 1835م، واختراع (ألكسندر جراهام بل) للتليفون في سنة 1876م لما وجدت وكالات الأنباء .. ولولا اكتشاف موجات الراديو سنة 1888م والبث البرقي عبر هذه الموجات سنة 1896، لما تم بث الكلمة المنطوقة عبر موجات الراديو سنة 1900م، ولما أصبح هناك وسيلة اسمها الإذاعة[2].

فكل هذه المخترعات، من طباعة، وتلغراف، وتليفون، كانت مقدمة صحيحة لظهور الإذاعة (الراديو)، التي تجمع كل هذه الخدمات، وتحققها بأيسر السبل، وأقل التكاليف ..

(1) يرجى مراجعة الفصلين الثامن والثاني عشر بالباب الرابع من هذا الكتاب؛ لصلتهما الوثيقة بهذا الفصل.

(2) فائق فهيم: التطور التاريخي للتليفزيون وموقعه بين وسائل الإعلام، (العدد الأول من سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية)، إصدار جهاز تليفزيون الخليج (الرياض 1403 هـ، 1983م)، ص 4، وانظر أيضًا جيهان أحمد رشتي: النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، دراسة في الإعلام الدولي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1978م)، ص 3، 4.

فالإنسان يستمع الآن إلى موجات أية إذاعة في العالم، بمنتهى السهولة واليسر، فما عليه إلا أن يدير مفتاحًا صغيرًا، ثم يحرك مؤشرًا إلى أي اتجاه؛ ليستمع إلى أي الإذاعات شاء[1].

وإذا كانت الإذاعة (الراديو) كوسيلة إعلامية جماهيرية سمعية، أصبحت ظاهرة لها صفة الشيوع والانتشار، وتحتل مركزًا مهمًّا بين غيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية، قد توحي بعراقة تاريخها، وقدم اكتشافها واستخدامها - إلا أنها في الواقع وليدة العصر الحديث، وهي تطبيق لنظريات واستنباطات لبحوث وتجارب أجريت في أواخر القرن التاسع عشر، حول إرسال واستقبال الموجات الكهرومغناطيسية من خلال الفضاء، فالإذاعة (الراديو) كوسيلة للاتصال، هي مجرد تطور للتليفون والراديو، وليست ظاهرة جديدة في حد ذاتها؛ فقد استخدم الراديو في مجالات أخرى عديدة، ولم يكن للإذاعة أسبقية في استخدام الموجات الهوائية. فقد استخدمت السفن والطائرات اللاسلكي، واستخدمه رجال الأعمال في عقد الصفقات، وتبادل الأخبار، ولكن استخدام الراديو بهذه الطريقة لا يعتبر إذاعة.

والإذاعة (الراديو) لم تبلغ سن الرشد، إلا في الربع الأول من القرن العشرين الماضي، واستطاعت هذه الوسيلة في مدة لا تتجاوز نصف قرن، أن تكون في المركز الأول بين كافة وسائل الإعلام الأخرى حينئذ؛ من حيث الانتشار، وقوة التأثير، ونشر الثقافة والتوجيه، وأصبح جهاز الراديو - خاصة بعد انتشار (الترانزستور) ورخص سعره، بالإضافة إلى عدم اعتماده على الكهرباء - جزءًا لازمًا لحياة الإنسان في أي مكان، وأصبح أداة هائلة من أدوات التأثير على الملايين، يعتمد على الكلمة المذاعة، التي لها سحرها وقوتها الإيحائية[2].

ولكن ما هي قصة تلك البدايات، التي أدت إلى اكتشاف الإذاعة؟

يرجع الكثيرون اكتشاف الراديو إلى سنة 1896، حينما أظهر مخترع إيطالي شاب يبلغ من العمر عشرين عامًا، وهو (جوجليلمو ماركوني، Juglelmo Marconi)[3] عمليًّا، أنه في

---

(1) المرجع الثاني السابق، ص 5؛ وكذلك بدر أحمد كريم: نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، (جدة – تهامة الطبعة الأولى 1402 هـ 1982م)، ص 17.

(2) يوسف مرزوق: الخدمة الإخبارية في الإذاعة الصوتية، دراسة حول القائم بالأخبار، القاهرة 1986، ص 18؛ وانظر كذلك، يوسف مرزوق: جرفية الفن الإذاعي، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1975م، ص 5، 6.

(3) **ماركوني (1874-1937):** عالم فيزيقي إيطالي، حصل عام 1909 على جائزة نوبل بالاشتراك، للتحسينات التي أدخلها على الإرسال التلغرافي في اللاسلكي، أما إسهاماته الرئيسة فتقوم على عمله الأخير في الموجات الألكترومغناطيسية، ونقل إشارات الموجة الطويلة عام 1895، والإشارات عبر الأطلنطي عام 1901م.

الإمكان إرسال إشارة كهرومغناطيسية من خلال الفضاء، ولكن الواقع أن العلماء كانوا يجرون التجارب قبل ذلك بنصف قرن، في مجال الكهرباء، والكهرومغناطيسية، ووضعت تلك التجارب الأساس لتجربة ماركوني الناجحة .. ومن أولئك العلماء الذين سبقوا ماركوني في هذا المجال نجد (ميخائيل فراداي)، و(تشارلس وينستون)، و (وليم أوف كوك)، و (صامويل مورسي)؛ فقد ساهم أولئك العلماء وغيرهم، في دراسة الكهرومغناطيسية، وانتشار الأمواج الكهرو مغناطيسية.

وقد اكتشف (جيمس ليندزي) أن الماء موصل للكهرباء، وأنه من الممكن الاتصال بالطرف الغربي من المحيط الأطلنطي، بدون استخدام الكابل، بإقامة محطات إرسال في المحيط كل عشرين ميلا[1].

وقد عاونت ماركوني، اكتشافات مهمة توصل إليها كل من: عالم طبيعيات إنجليزي لامع هو (جيمس كلارك ماكسويل Jam s Clark Maxcuell)، الأستاذ في كلية الملك بلندن، وكذلك العالم الألماني (هينريش هيرتز Heinrich Hertz)، والعالم (إدوارد برانلي Edward Branly). فقد توصل ماكسويل في عام 1865 في دراسته للكهرباء، والكهرومغناطيسية، إلى نظرية تقول: إن موجات الكهرومغناطيسية، يمكن أن تنتقل من خلال الهواء بسرعة الضوء.

وبعد ذلك بعشرين عامًا أثبت هيرتز صحة نظرية ماكسويل، وقام بإجراء عدة تجارب في السنوات العشر التالية، على طرق إنتاج هذه الموجات الكهرومغناطيسية، واستطاع قياس طولها، وسرعتها قياسا صحيحًا. فقد اكتشف أن سرعة تلك الموجات، مثل سرعة الضوء (186 ألف ميل في الثانية) .. أما إدوارد برانلي، فقد عاون على اكتشاف الراديو[2]، حينما أعد جهازًا صالحًا للعمل، قادرًا على اكتشاف موجات هيرتز الكهربائية[3].

---

(1) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 6.

(2) الراديو هو الإرسال والاستقبال اللاسلكي للنبضات أو الإشارات الكهربائية بواسطة موجات كهربائية .. واستخدام هذه الموجات لنقل النبضات الكهربائية التي يحول إليها الصوت نقلا لاسلكيًا.

(3) المرجع السابق نفسه، ص 6؛ وانظر كذلك، والتركينجستون وروم كاوجيل ورالف اليفي: الإذاعة بالراديو والتليفزيون (ترجمة نبيل بدر)، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، (بدون تاريخ)، ص 183.

ولقد عاونت اكتشافات أولئك العلماء، ماركوني على الوصول إلى اختراعه، الذي سجله في إنجلترا في يونيو 1896، فقد حفز أحد التقارير التي نشرت عن نتائج أبحاث هيرتز في عام 1894 ماركوني، فأقام معملا في منزله؛ ليجري تجارب على الاستخدام العملي للموجات الكهرومغناطيسية.

وفي يوليو 1896 نجح جهاز ماركوني (اللاسلكي) في إرسال واستقبال إشارة على بعد مائة ياردة، من غير أن يستعمل الأسلاك .. وكانت تلك هي الحلقة الأولى من سلسلة التجارب حول الاتصال اللاسلكي.

وأقام شركة لتطوير اختراعه على أساس تجاري، ولزيادة المسافة التي يمكن إرسال الإشارات اللاسلكية إليها، حيث تمكن في غضون عامين بعد ذلك، من زيادة المسافة بين الإرسال والالتقاط اللاسلكي، إلى 34 ميلا في أغسطس سنة 1897، وأخذت هذه المسافة تزداد شيئًا فشيئًا عامًا بعد عام.

وبدأت البواخر البريطانية تستخدم اكتشاف ماركوني للاتصال فيما بينها، وفي عام 1898 قدم ماركوني عرضًا لما يستطيع الراديو أن يحققه في إرسال الرسائل اللاسلكية، عندما كلفت جريدة "ديلي إكسبريس"[1] في دبلن، شركة ماركوني، بنقل أخبار بعض المسابقات الرياضية بالراديو، من كنجز تاون. وأرسلت فعلا تقارير عن تلك المباريات بواسطة (كود رموز مورس Morse Code)[2]، من السفينة إلى محطة الشاطئ، ومن تلك المحطة نقلت التقارير الصحفية تليفونيًّا إلى مكتب جريدة الديلي إكسبريس .. وبهذا تلقى قراء الجريدة تقريرًا عن هذا الحدث الرياضي في اليوم نفسه؛ الأمر الذي ألهب خيال الجمهور، وفي عام 1900 منح ماركوني امتيازًا خاصًّا باكتشافه.

ولم يمض زمن طويل، حتى كان العالم الإيطالي الشاب (ماركوني) قد أوجد طريقًا إلكترونيًّا، يصل بين القارتين الأوربية والأمريكية؛ حيث استمع ماركوني في عام 1901إلى

---

(1) **ديلي إكسبريس:** جريدة يومية صباحية بريطانية مستقلة، تأسست في لندن عام 1900، وتملكها مؤسسة (إكسبريس نيوز بيبرز)، وهي رفيقة لجريدة (صنداي إكسبريس) الأسبوعية. (قاموس المصطلحات الإعلامية)، للمؤلف، ص 103 – 132.

(2) **رموز مورس:** نظام مؤلف من نقط وقواطع، يستخدم لتوجيه الرسائل البرقية وغيرها، قاموس المصطلحات الإعلامية، للمؤلف، ص 216.

رسالة كان قد بعث بها عبر الأطلنطي، من محطة إرسال في (كورنوول) بإنجلترا إلى (سان جون) في ولاية نيوفوند لاند بالولايات المتحدة الأمريكية .. وفي البداية استخدم الاتصال بالراديو في العام نفسه (1901) بين الفنارات البحرية في الشاطئ الشمالي لأيرلندا؛ لمعرفة السفن القادمة.

وسرعان ما استخدم الراديو في إرسال الرسائل للسفن وهي في البحر؛ حتى تغير اتجاهها، واستقبال إشارات الاستغاثة، في حالة حدوث كارثة بعيدًا عن الشاطئ[1].

ولقد تأكد الدور الذي يمكن أن يلعبه الإرسال اللاسلكي بالراديو، بعد أن قام هذا الإرسال بدور حيوي في تفادي أخطار سلسلة من الحوادث، وقعت في فترة زمنية قصيرة، أو التقليل من أخطارها .. ففي سنة 1899 أقامت إحدى شركات منشآت ماركوني الأولى، منارة عائمة على مضايق دوفر؛ لتمكن السفن من الاتصال بالشاطئ، وبعد إنشائها بشهر، استخدم جهاز الإرسال فيها؛ لنقل أخبار حدوث أضرار شديدة بالمنارة العائمة نفسها؛ بسبب عاصفة شديدة، وأرسلت إليها معونة سريعة .. وبعد ذلك بثلاثة شهور، دخلت سفينة شحن في الضباب الكثيف، واستخدم الراديو في طلب النجدة .. وفي سنة 1900، اصطدمت السفينة الإيطالية (فلوريدا) بالسفينة البريطانية (تيتانيك) على بعد 175 ميلا من نيويورك، وأرسلت مباشرة إشارات الاستغاثة، التي التقطتها محطة على الشاطئ الأمريكي، وأعادت إرسالها إلى السفن التي كانت موجودة في المنطقة؛ حيث تم إنقاذ كل المسافرين والبحارة على السفينة (ريبلك) قبل أن تغرق، كما نقل ركاب السفينة (فلوريدا) التي أصيبت إصابات شديدة إلى سفينة أخرى .. وفي أبريل 1912 تعرضت السفينة (تتيتانيك) إلى كارثة ذهب ضحيتها ألف وخمسمائة راكب، ولكن بسبب استخدام الراديو، أمكن إنقاذ سبعمائة راكب آخرين قبل أن يغرقوا[2].

---

(1) المرجع الأول السابق، ص 6، 7؛ وكذلك المرجع الثاني السابق، ص 183؛ وانظر كذلك، جون فلوهرني: قصة التليفزيون، ترجمة أسعد نجار (بيروت – دار الثقافة للطباعة والنشر 1959)، ص 17.

(2) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 7؛ وكذلك الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 184.

نشأة الإذاعة:

إن الإذاعة - كوسيلة اتصال جماهيرية - تعتبر تطورًا للراديو والتليفون، وليست ظاهرة فنية جديدة في حد ذاتها؛ فقد استخدم الراديو في مجالات أخرى عديدة، ولم يكن للإذاعة أسبقية في استخدام الموجات الهوائية؛ فقد استخدمت السفن والطائرات اللاسلكي، واستخدمه رجال الأعمال في عقد الصفقات وتبادل الأخبار - كما سبق إيضاحه - ولكن استخدامات الراديو بهذه الطريقة لا يعتبر إذاعة[1].

ففي الوقت الذي كانت تجري فيه التجارب، لإرسال الإشارات باللاسلكي، كان رجال آخرون يقومون بإجراء تجارب على استخدام اللاسلكي؛ لنقل الصوت البشري بدلا من الإشارات اللاسلكية .. فقد اخترع (سير جون فلمنج Sir John Fliming) في عام 1904 الصمام الكهربائي، واخترع العالم الأمريكي (لي دي فورست Lee de Forest) المكبر ذا الصمام الثلاثي، وهي خطوة كبرى في تنمية الإلكترونيات .. وفي العام نفسه (1904)، نجح عالم أمريكي آخر، هو (ريجنالد فندن)، في إرسال الكلام عن طريق اللاسلكي، بإذاعة صوت إنسان من المحطة التي أقامها في ولاية (ماساشوستس Massachusetts) الأمريكية.

وبعد ذلك بعامين ذهب (دي فورست) إلى فرنسا، وأقام محطة إذاعة (برج إيفل)، وتمكن من إذاعة الموسيقى في عام 1910، وقد بينت هذه التجارب المبكرة، إمكان إرسال الصوت والموسيقى عن طريق اللاسلكي، إلا أن قيمتها العلمية لم تكن قد تقررت بعد. ومع استمرار الأبحاث وتحسن الإرسال والاستقبال، بدأ الناس في تجربة طرق استعمال الراديو، وكان ذلك هواية، يمارسها بعض المتحمسين للراديو؛ من أجل المنفعة العامة[2].

وعلى سبيل المثال، استمع آلاف من الهواة في منطقة نيويورك إلى الإذاعات الإخبارية عن انتخابات الرئاسة الأمريكية في سنة 1916، من محطة (دو فورست) في برونكس .. وفي عام 1917 دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الأولى، وقد عانى التطور العام للراديو نكسة مؤقتة؛ نتيجة للحرب، حيث سيطرت أغلب الدول المتحررة، على كل أجهزة اللاسلكي التجارية، وأجبرت محطات الهواة على إبطال أجهزتها.

---

(1) المرجع الأول السابق، ص 8.

(2) الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 184.

وحينما انتهت الحرب، كان الوقت مهيئًا لتطور الإذاعة بشكل منتظم. فالتجارب التي سبقت الحرب، واستخدامات الراديو أثناء الحرب، والتدريب الفني الذي تلقاه كثير من الشباب – عاون كل ذلك على تكوين جيش من الهواة المتعطشين لتطوير الإذاعة(1). وفي عام 1919، بدأت ثلاث شركات اتصال كبرى، وهي: شركة (جنرال إلكتريك General Electric) وشركة (وستنجهاوس Westinghouse) وشركة (وسترن إلكتريك Western Electric) في صناعة المعدات والأجهزة، بعد أن اشترت امتياز اختراع شركة ماركوني الأمريكية، وأنشأت هذه الشركات الثلاثة (هيئة الراديو الأمريكية آر. سي. إيه. Radio Corporation of America "RCA")، التي تتولى بيع منتجاتها(2).

ولكن الإذاعة (الراديو) لم تصبح حقيقة واقعة إلا في عام 1920، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولي التي أجريت فيها أول تجارب في هذا الحقل. وقد تبعتها بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، ونشطت أستراليا، وكندا في هذا المضمار في تاريخ يعتبر مبكرًا نسبيًّا؛ ففي عام 1920 بدأ الدكتور (فرانك كوفراد)، المهندس في شركة وستجنهاوس في مدينة بتسبرج بولاية بنسلفانيا الأمريكية على نهر الأوهايو، بتشغيل محطة راديو KDKA التي تملكها الشركة؛ حيث كان يذيع الموسيقى المسجلة، ونتائج المباريات الرياضية، وما يشبه – إلى حد ما – برنامج ما يطلبه المستمعون.

وقد أثارت برامجه غير الرسمية هذه اهتمامًا شديدًا؛ مما دعا الصحافة إلى كتابة تقارير إخبارية عنها، كما شجع نجاح تلك الإذاعة أحد أصحاب المحال التجارية في بستبورج، على عرض أجهزة استقبال جاهزة، أعلن عنها في صحف المدينة، وحدد ثمن الجهاز بعد تجربته في المحل بعشرة دولارات فقط(3).

ولكن يؤرخ عادة تاريخ الراديو في الولايات المتحدة الأمريكية كخدمة إذاعية اعتبارًا من يوم 2 نوفمبر 1920 حيث قامت تلك المحطة (KDKA)، والتي افتتحتها شركة وستنجهاوس كأول محطة تجارية تحمل ترخيصًا بالإذاعة.

(1) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 9.

(2) المرجع السابق، ص 46؛ وكذلك الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 185.

(3) خليل صابات: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 1982)، ص 239.

وكان أول برامجها إذاعة نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية بين كوكس وهردنج (Cox – Harding)، وفي الوقت نفسه بدأت تذيع برامج منتظمة. وخلال الأشهر القليلة الأولى لتشغيلها، أذاعت وصفًا صوتيًّا لمباريات رياضية في الملاكمة والبيسبول والمسرحيات، وغيرها.

ونتيجة لذلك أصبحت الإذاعة محورًا لحديث الناس، وأثارت اهتمام أعداد كبيرة منهم. وازدهر بيع أجهزة الراديو، وأجزائها التي تصنع منها أجهزة الاستقبال في المنازل. وتبع ذلك – على الفور – زيادة كبيرة في عدد محطات الإرسال. وفي عام 1922، كانت هناك خمسون محطة تجارية مرخصة، ووصل العدد في عام 1923 إلى خمسمائة وخمسين محطة[1].

ومن الولايات المتحدة الأمريكية، انتقلت الإذاعة إلى أوربا، وقد أثر في ذلك التطور الذي حدث في أجهزة الإرسال والاستقبال، وكانت (بريطانيا) أول دولة أوربية تنشئ محطة إذاعة، حيث قامت جريدة (الديلي ميل Daily Mail) [2] البريطانية في 15 يونيو 1920 بتنظيم برنامج إذاعي من تشلنسفورد.

وفي ديسمبر عام 1922، تم إنشاء (شركة الإذاعة البريطانية)؛ لتبث برامجها من لندن يوميًّا، وسرعان ما انتشرت محطات الإرسال في كل أنحاء بريطانيا؛ مما دفع الحكومة للتدخل في أول يناير 1927، بإنشاء (هيئة الإذاعة البريطانية British Broadcasting Corporation "BBC")[3]. وتم حل شركة الإذاعة البريطانية، وتعويض حملة أسهمها من الأفراد، وتحويل

---

(1) المرجع السابق نفسه؛ وكذلك الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 185؛ وأيضًا النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 47.

(2) **جريدة الديلي ميل:** بريطانية يومية صباحية، تأسست في لندن عام 1806، وقد ضمت إليها جريدة (نيوز كرونيكل) في عام 1960، وجريدة (ديلي سكتش) عام 1971، وهي مستقلة وتمتلكها مؤسسة (أسوشيتد نيوز بيبرز جروب لمتد)، (قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص 103).

(3) **هيئة الإذاعة البريطانية:** تعمل الإذاعة في بريطانيا حاليًا كامتياز منح بمرسوم ملكي إلى هيئة الإذاعة البريطانية، والتي أنشئت في أول يناير 1927، باعتبارها هيئة عامة عليها التزامات معينة تجاه الحكومة، ولكنها لا تخضع لأي إشراف حكومي، ويرأسها رسميًّا مجلس أمناء، تعينه الملكة عن طريق رئيس الوزراء. ويتم تمويل الهيئة من رسوم رخص الراديو، ودخل مجلة الإذاعة الأسبوعية التي تنشر برامج الإذاعة، ولا تهدف لتحقيق الربح ولا تقدم الإعلانات، ولها (57) محطة تبث برامجها على نطاق الجزيرة البريطانية كلها، إلى جانب ست محطات إقليمية (قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص 44.

كل رأسمالها إلى الهيئة الجديدة .. وقد توافرت إلى (روسيا) إمكانات إرسال الصوت قبل الحرب العالمية الأولى بوقت قصير. وبدأت أولى المحطات تعمل في موسكو سنة 1914، وبعد انتهاء الحرب بدأت في أغسطس 1922 إذاعة تجريبية، ولكن الإذاعة المنتظمة لم تبدأ في روسيا إلا في أكتوبر 1924م.

وإذا انتقلنا إلى (فرنسا) وجدنا أن القطاعين العام والخاص قد قاما بتطوير الإذاعة، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولي. حيث قدم الكولونيل (فرييه) في عام 1921 برامج إذاعية من برج إيفل في باريس، والذي يبلغ ارتفاعه ألف وستة أقدام. ثم ظهرت في عام 1923 ثلاث خدمات إذاعية حكومية وخاصة .. وفي النصف الثاني من عام 1923 أصبح في (ألمانيا) محطة إذاعة تقدم برامج منتظمة من برلين. وفي السنة نفسها (1923) دخلت (أستراليا) ميدان الإذاعة الصوتية. وما أن انتصفت سنة 1924 حتى كانت هناك محطة راديو على الأقل، في كل دولة من دول العالم المتقدم. وفي السنة التالية (1925)، أصبح في العالم حوالي ستمائة محطة إذاعة، وفي سنة (1935) ارتفع عدد المحطات إلى أكثر من الضعف بقليل.

وفي سنة (1960)، قفز عدد هذه المحطات إلى أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة محطة، ولا تكاد توجد اليوم منطقة في العالم لا يغطيها برنامج إذاعي منتظم[1].

اتحادات ومنظمات إذاعية:

وجدير بالذكر أنه يوجد حاليًا، عدد من الاتحادات والمنظمات الإذاعية، الدولية والإقليمية، تهتم بتنظيم الإذاعة عبر الحدود، وتعمل على تحقيق التنسيق، والتعاون بين المنظمات الإذاعية المختلفة .. وغالبية تلك الاتحادات والمنظمات، التي أنشئت في مختلف القارات، لها طبيعة دولية وغير حكومية، وقد تأسس بعضها على أساس جغرافي، بينما تأسس البعض الآخر لتجمع الدول التي تشترك في استخدام لغة واحدة. ومن بين تلك الاتحادات والمنظمات ما يلي:

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 230؛ وانظر أيضًا النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 256، ص 370 – 374؛ وكذلك جيهان أحمد رشتي، النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية (القاهرة – دار الفكر العربي، 1979)، ص 89 – 90؛ وكذلك إجلال خليفة، الوسائل الصحفية وتحديات المجتمع الإسلامي المعاصر، (القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1980)، ص 48.

1- الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية (ITU):

International Telecommunication Union

وهو وكالة خاصة تابعة للأمم المتحدة، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام 1865، عندما اجتمع مندوبو عشرين دولة في باريس، وعقدوا اتفاقية دولية، تقرر بمقتضاها إنشاء (اتحاد تلغراف دولي). ووقعت على فترات زمنية مختلفة عدة اتفاقات دولية للتغراف، والتليفون، والراديو. وكان آخرها الاتفاقية التي وقعت في مدريد في 9 ديسمبر 1932، وأصبحت نافذة في أول يناير 1934، وبمقتضاها حل (الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية) محل اتحاد التلغراف الدولي. ويوجد مقر هذا الاتحاد في مدينة جنيف بسويسرا.

ومن أغراضه: العمل على وضع تنظيم دولي للتلغراف والتليفون والراديو، وتشجيع التعاون الدولي لتحسين وسائل الاتصال السابقة، والعمل على تقدم الإمكانات الفنية للمواصلات السلكية واللاسلكية، وتوزيع الموجات اللاسلكية وتسجيلها، وتعزيز التدابير المتخذة للمحافظة على الأرواح بواسطة تعاون جميع المحطات اللاسلكية[1].

2- المنظمة الدولية للراديو والتليفزيون (OIRT):

Internatyional Radio and Television Organization

يشار إلى هذه المنظمة بالحروف الأولى لاسمها باللغة الفرنسية (OIRT)، وقد تأسست في سنة 1946، وسكرتيريتها العامة ومركزها الفني في براغ، وأعضاؤها الأساسيين في أوربا.

وقد خرجت منها الدول الأوربية الغربية سنة 1950؛ لتشكل اتحاد الإذاعات الأوربية. ومنذ ذلك الحين أصبحت المنظمة مؤسسة تصب فيها دول أوربا الشرقية براجها؛ لتوفرها للدول الأعضاء فيها، أو للدول المحايدة، ومن أعضائها: ألبانيا، وبلغاريا، وكوريا الديمقراطية، ومالي، ومنغوليا، وبولندا، ورومانيا، وفيتنام، والاتحاد السوفيتي[2].

---

(1) دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة، الطبعة الثانية، 1972)، ص 48.

(2) جيهان أحمد رشتي: الإعلام الدولي بالراديو والتليفزيون، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1979)، ص 158، وص 175، وهامش ص 248.

3- اتحاد الإذاعات الأوربية (EBU):

European Broadcasting Union

تأسس في 12 فبراير 1950، وحل محل (الاتحاد الدولي للإذاعة)، الذي كان قد أنشئ في عام 1950 في جنيف، وصادف عقبات كثيرة خلال الحرب العالمية الثانية، حتى انتهى وجوده رسميًّا في مايو 1950، ومقر الاتحاد الإداري حاليًا في جنيف، ومركزه الفني في بروكسل، ويضم في عضويته إذاعات الدول الأوربية الغربية[1].

4- الرابطة الأمريكية للإذاعة:

American Broadcasting League (ABL)

تأسست في سنة 1946، وهي مكونة من الجمعيات الإذاعية القومية في القارة الأمريكية. ومقرها في مدينة مونتيفيديو، عاصمة أوروجواي بأمريكا الجنوبية[2].

5- اتحاد هيئات الراديو والتليفزيون القومية الإفريقية (URTNA):

Union of National Radio and Television Organization of Africa:

ويشار إليه دائمًا بالحروف الأولى لاسمه بالفرنسية (URTNA)، وقد أنشئ عام 1962، ومقره في (داكار) بالسنغال، وله مركز فني منفصل في مالي. وحقوق العضوية مقصورة فيه على الدول الإفريقية فقط[3].

6- اتحاد الإذاعات الآسيوية (ABU):

The Asian- Pacific Broadcasting Union:

تأسس هذا الاتحاد رسميًّا في يوليو 1964، ومقره في طوكيو، ولغته الرسمية الإنجليزية، وينتمي إليه المنظمات الإذاعية في الدول الآسيوية، ودول المحيط الهادي[4].

---

(1) المرجع السابق، ص 158 و 162 وما بعدها.
(2) المرجع السابق، ص 159.
(3) المرجع السابق، ص 159، و181.
(4) المرجع السابق، ص 159، وص 177 وما بعدها.

الإذاعة في العالم العربي[1]:

وبالنسبة للعالم العربي، فقد كانت (مصر) أول بلد عربي يعرف محطات الإذاعة، وكان ذلك في عام 1925، أي بعد إنشاء أول محطة إذاعية منتظمة في العالم بحوالي خمس سنوات، وكانت هذه المحطات الإذاعية أول الأمر ملكًا لبعض الأفراد من الهواة، وتعتمد في تمويلها على الإعلانات التجارية.

وفي 10 مايو 1926، صدر مرسوم ملكي، يحدد الشروط التي يمكن بموجبها استخراج التراخيص باستخدام الأجهزة اللاسلكية في "القطر المصري"، طبقًا للاتفاقيات الدولية. وبموجب هذا المرسوم أخذ هواة اللاسلكي ينشئون محطات إذاعة أهلية في القاهرة والإسكندرية. وكان بعضها يذيع باللغة العربية، وأصحابها من المصريين و"الشوام"، وبعضهم الآخر يذيع باللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية للأجانب في مصر، وأصحابها من الأجانب المتمصرين[2].

وقد تم إيقاف هذه المحطات جميعًا عن البث في 29 مايو 1934؛ لضعف إمكاناتها، لتترك مكانها للمحطة الحكومية التي بدأت إرسالها بعد ذلك بيومين، أي في 31 مايو 1934،

---

(1) راجع في ذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، من ص 233 حتى ص 255؛ وكذلك ماجي الحلواني، الإذاعات العربية (القاهرة – دار الفكر العربي، 1982)، كل إذاعة دولة في موضعها من الكتاب؛ وكذلك فوزية فهيم، الفن الإذاعي عن العدد (51) من سلسلة كتابك الذي تصدره دار المعارف بمصر، (بدون تاريخ)، ص 8 وما بعدها.

(2) كانت هذه المحطات تذيع تحت أسماء مختلفة، ومنها على سبيل المثال: راديو صايغ وراديو الأميرة فوزية وراديو فاروق وراديو فؤاد وراديو فريد وراديو مصر الملكية وراديو مصر الحرة وراديو سابو وراديو فيولا وراديو أبو الهول وراديو نفرا وراديو مصر الجديدة وراديو القاهرة وراديو حبش وراديو ماجستيك وراديو رمسيس وراديو لويس وراديو ماجزين إجيبسين ... وكانت المنافسة على أشدها بين تلك المحطات الأهلية التجارية، ومعظم برامجها ترفيهية منخفضة المستوى، (انظر في ذلك الفن الإذاعي، المرجع الثاني السابق، ص 8-11؛ وكذلك الوسائل الصحفية، مرجع سابق، ص 50).

وتتـولى تـشغيلها شركـة (مـاركوني التلغرافيـة اللاسـلكية) البريطانيـة لحـساب الحكومـة المصرية[1].

ولقد دب الخلاف بين الرؤساء الإنجليز والموظفين المصريين، وعلى رأسهم مدير الإذاعة المصر ي (محمد سعيد لطفي)، الذي كان قد عين مديرًا للإذاعة بجانب المدير الإنجليزي، وبدافع من الوطنية أبى المصريون أن يذعنوا للتصرفات الاستعمارية لهؤلاء الإنجليز[2]، ويقال إن (محمود فهمي النقراشي باشا) في أثناء توليه رئاسة الوزارة المصرية، استمع يومًا إلى أحد المذيعين الإنجليز، يذيع كلامًا ضد مصر في البرنامج الأوربي، فطلب من وزير الشئون الاجتماعية، الذي كان يشرف على الإذاعة في ذلك الوقت، اتخاذ اللازم فورًا لتمصير الإذاعة في أسرع وقت ممكن.

فتقدمت وزارتا الشئون الاجتماعية والمواصلات بمذكرة إلى هيئة قسم الرأي بمجلس الدولة في 12 فبراير 1947، تطالب فيها بإلغاء عقد شركة ماركوني؛ لأن الحالة أصبحت تدعو إلى قيام الحكومة بإدارة محطات الإذاعة اللاسلكية المملوكة لها، وأن الظروف التي سوغت إسناد هذه المهمة إلى شركة ماركوني، لم تعد قائمة، وبذلك تستطيع الحكومة توجيه الإدارة توجيهًا يتحقق على أكمل وجه.

(1) جاء في مذكرة وزارة المواصلات المقدمة إلى مجلس الوزراء المصري في 15 يوليو 1932: "أنه نظرًا لعدم توفر الوسائل الحكومية اللازمة لتشغيل المحطة، رأت الحكومة أن تعهد إلى شركة ماركوني بتشغيلها نيابة عنها، بمقتضى عقد مدته عشر سنوات من بدء التشغيل، نظير 60٪ من حصيلة رسوم أجهزة الاستقبال" (120 قرشًا للجهاز سنويًّا). ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية جدد العقد مرة ثانية لمدة خمس سنوات أخرى. ولكن بشروط تسمح بإلغائه في أي وقت بالتفاهم بين الطرفين. ولم يشر العقد إلى مهمة الإذاعة الإخبارية، ونص على أن هذه المهمة تثقيفية وترفيهية فقط. وبعد حوالي شهر من بدء التشغيل بدأت الإذاعة تقدم نشرتين إخباريتين في الثانية والنصف ظهرًا وفي الثامنة والنصف مساء. وكانت النشرات تعد بالإنجليزية ثم تترجم إلى العربية؛ لأن اللغة الإنجليزية كانت هي المستعملة داخل الإذاعة؛ لأن مديرها وكبار موظفيها من الإنجليز.

(2) على سبيل المثال عندما ألقى علي ماهر باشا خطبة في مجلس الشيوخ، وأعلن فيها "أن معاهدة عام 1936 التي جعلت من مصر حليفًا لبريطانيا، لا تعني أن نكون ملزمين بدخول الحرب إلى جانب بريطانيا"، أصدر السفير البريطاني في مصر إلى مدير الإذاعة الإنجليزية الأمر بمنع إذاعة الخطبة، ولكن مدير الإذاعة المصري أصر على إذاعة الخطبة، وهدد المدير الإنجليزي بأن منع إذاعتها سيزيد الشعور الوطني ضد الإنجليز، وسيقلب الوضع إلى ثورة.

وفي 4 مارس 1947، قررت وزارة الشئون الاجتماعية المصرية إنهاء عقد شركة ماركوني، لتبدأ مرحلة تمصير الإذاعة، وأنشأت لها إدارة مستقلة، يشرف عليها مجلس أعلى، يمثل وزارة الشئون الاجتماعية، ووزارة المواصلات، ووزارة الداخلية، ووزارة الخارجية، ووزارة المعارف العمومية، ومصلحة التلغراف والتليفونات، والإذاعة اللاسلكية، ويمكن اعتبار ذلك اليوم (4 مارس 1947) التاريخ الذي زالت فيه السيطرة البريطانية على هذا المرفق الخطير[1].

وكانت الجزائر هي الدولة العربية الثانية بعد مصر، التي عرفت الإذاعة، وذلك عام 1925 أيضًا، عندما قام أحد الفرنسيين بإنشاء محطة إرسال. وفي 28 أكتوبر 1962 أصبحت الإذاعة خاضعة لإشراف الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال .. وفي عام 1928، بدأت الإذاعة المغربية بثها في (الرباط) العاصمة .. ولم تعرف تونس البث الإذاعي إلا في عام 1935، بواسطة محطات للبث ضعيفة المدى، أقامها بعض الأشخاص، واعتبارًا من 31 مارس 1957، انتقلت إدارة الإذاعة إلى الحكومة. وفي 25 أبريل 1957 أصدرت الحكومة التونسية مرسومًا جعل الإذاعة للدولة دون غيرها.

وقد عرفت (العراق) الإذاعة في عام 1936 .. وكانت أول محطة إذاعة عرفتها (لبنان) قد أنشأتها حكومة الانتداب الفرنسي في 3 سبتمبر 1938؛ وذلك للرد على دعاية ألمانيا النازية، الموجهة إلى سوريا ولبنان من القسم العربي في راديو برلين. وفي سنة 1946، سلمت فرنسا هذه المحطة إلى الحكومة اللبنانية رسميًّا، ويعود تاريخ الإذاعة في ليبيا لعام 1939، حين أنشأ

---

(1) أعلن وزير الشئون الاجتماعية من خلال الميكروفون يوم أن تسلمت الحكومة المصرية الإذاعة من شركة ماركوني: أن الدولة ستعمل على وضع النظام الأساسي للمحطة، وتعديل البرامج تعديلا شاملا، سواء من ناحيتها الإخبارية، أو من ناحية التوجيه الثقافي والعرض الموسيقي، وأن النظام الجديد يقضي بإنشاء قسم للأخبار، يمد الإذاعة بالأخبار الصادقة التي يأتي بها مراسلون في الداخل والخارج، وكذا معلقون سياسيون ودبلوماسيون، كما هو حادث في معظم الإذاعات في العالم .. وبدأت ملامح التمصير تظهر شيئًا فشيئًا في الإذاعة؛ فقد عدل الأسبوع الإذاعي ليكون ابتداء من يوم السبت من كل أسبوع، بدلا من يوم الاثنين .. كما حل الموظفون المصريون محل الأجانب تباعًا. وقد عاصرت هذه المرحلة أحداث مهمة، من أبرزها حرب فلسطين سنة 1948، سجلتها الإذاعة، وخاصة بطولات رجال الجيش المصري على أرض فلسطين. كما شهدت أحداث إلغاء معاهدة 1936 في 26 أكتوبر 1951، ومطالبة القوات البريطانية بالجلاء عن منطقة القناة .. وكذلك قيام ثورة 23 يوليو 1952، وكانت الإذاعة هي أو ل وسيلة إعلام تنقل للمصريين وللعالم قيام الثورة.

المحتلون الإيطاليون محطة في مدينة طرابلس تذيع بالإيطالية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أنشئت محطة أخرى في مدينة بنغازي، وبعد استقلال ليبيا أنشئت في 28 يوليو 1958 محطة قوية باسم (خدمة الإذاعة الليبية).

وبدأت أول محطة إذاعة في (السودان) بثها في أبريل عام 1940 .. وبدأ البث الإذاعي في (البحرين) أيضًا عام 1940 .. وأنشئت محطة إذاعة في (سوريا) عام 1941 بعد انسحاب القوات الفرنسية الموالية لحكومة فيشي[1]، ودخول القوات البريطانية، ومعها القوات الفرنسية الموالية لحكومة فرنسا الحرة، برئاسة الجنرال شارل ديجول .. وعرف (الصومال) الإذاعة عام 1943 .. وعرفت اليمن الإذاعة منذ عام 1947 .. وبدأ الإرسال الإذاعي في (الأردن) في رام الله في 24 أبريل عام 1948، ثم افتتحت إذاعة أخرى في عمان عام 1956.

وفي (المملكة العربية السعودية) افتتحت أول محطة إذاعية بمدينة جدة في أول أكتوبر 1949، واستمر البث من أستوديوهات جدة إلى عام 1965، عندما بدأ البث أيضًا من إذاعة الرياض العاصمة في 3 يناير 1965، وبذلك أصبحت للملكة إذاعتان؛ الأولى في جدة، والثانية في الرياض، وفي 23 أغسطس 1979 تم دمج وتوحيد البث الإذاعي من جدة والرياض معًا، ثم في 18 أكتوبر 1982 انفصل بث البرامج من إذاعة الرياض عن بثها من إذاعة جدة، وبدأ بث البرنامج العام مستقلا من الرياض، وافتتح في جدة في الوقت نفسه البرنامج الثاني، وتم توحيد إذاعة القرآن الكريم لتبث برامجها من الرياض؛ حيث كانت قبل ذلك إذاعتان في الرياض وفي مكة المكرمة منذ 16 مارس 1972، وكانت توجد قبل ذلك إذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة منذ 11 مايو 1962.

---

(1) مدينة بوسط فرنسا، تشتهر بينابيعها الساخنة، ولمياهها المعدنية شهرة في علاج اضطرابات الكبد والمعدة، كانت مقر "حكومة فيشي" (1940 – 1944)، التي حكمت فرنسا بعد سقوط باريس في الحرب العالمية الثانية في يد الألمان، وقد ألفها المارشال بيتان. وكان نفوذها الفعلي مقصورًا على الجزء الذي تحتله ألمانيا من الأراضي الفرنسية، وعلى الأجزاء التي لم تخضع لحكومة "فرنسا الحرة"، برئاسة شارل ديجول من أراضي الإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار. أصبحت هذه الحكومة أداة لألمانيا في يد بيير لافال وجان فرانسوا دولان. وبعد غزو الحلفاء لشمال إفريقيا (نوفمبر 1942)، احتل هتلر كل فرنسا. وظلت حكومة فيشي حكومة شكلية، ولجأت إلى ألمانيا عام 1944، ثم انهارت عام 1945 بعد تحرر فرنسا.

وبدأ البث الإذاعي في (الكويت) في مطلع عام 1951 .. وبعد استقلال (موريتانيا) عن فرنسا في 28 نوفمبر 1960 أصبح لها محطة إذاعة خاصة بها في العاصمة نواكشوط، وذلك في عام 1961 .. وبدأت إذاعة (قطر) بثها في 25 يونيو 1968.

وفي (الإمارات العربية المتحدة)[1] كانت (دبي) أول إمارة قبل قيام هذا الاتحاد، تنشئ لها محطة إذاعة منذ عام 1966، وتلتها (أبو ظبي) في 25 فبراير 1969، وعندما قام هذا الاتحاد في 2 ديسمبر 1971 أصبحت (إذاعة أبو ظبي) تعرف باسم (إذاعة صوت الإمارات العربية المتحدة من أبو ظبي) .. وافتتحت أول محطة إذاعة في (سلطنة عمان) في العاصمة مسقط، في 23 يوليو 1970، بالإضافة إلى إنشاء محطة أخرى في (صلالة) في نوفمبر من العام نفسه، وجدير بالذكر أن بعض إذاعات الدول العربية أعضاء في (اتحاد هيئات الراديو والتليفزيون القومية الإفريقية (URTNA)، وبعضها الآخر أعضاء في (اتحاد الإذاعات الآسيوية (ABU)، السابق الإشارة إليهما، وجميع الإذاعات العربية أعضاء في (اتحاد إذاعات الدول العربية) (ASBU)، وكذلك أعضاء في (اتحاد إذاعات الدول الإسلامية) (ISBO)، كما يوجد تعاون بين تونس والجزائر والمغرب في مجال الإذاعة، ضمن إطار (المغربفزيون) وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل من هذين الاتحادين والمغربفزيون:

1- اتحاد إذاعات الدول العربية (ASBU)[2]

Arab States Broadcasting Union:

تأسس هذا الاتحاد في عام 1969، ومقره في القاهرة، ومركزه الفني في الخرطوم بالسودان، وتمنح عضويته الكاملة للإذاعات العاملة في الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية .. وهو بهذا اتحاد إقليمي، يضم الدول الناطقة باللغة العربية، ويعمل تحت مظلة جامعة الدول العربية.

---

(1) يضم هذا الاتحاد الذي أنشئ في 2 ديسمبر 1971 سبع إمارات هي: أبو ظبي - دبي - الشارقة - عجمان - أم القوين - الفجيرة - رأس الخيمة.

(2) الإعلام الدولي بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 159، 182، 183.

وليس للاتحاد أهداف تجارية، ولكن يهدف إلى زيادة قدرات الدول العربية الإذاعية، وتبادل الخبرات والمعلومات المفيدة للمنظمات الإذاعية، وتنسيق استخدام ترددات الراديو في المنطقة العربية، وتوحيد موقف الدول العربية في المؤتمرات الدولية. وفي الجلسة الثانية للجمعية العمومية للاتحاد، التي عقدت سنة 1970، وافق الأعضاء على ميثاق الإذاعات العربية، الذي وضع أسس التعاون الإذاعي في العالم العربي، خاصة تلك المتصلة بتحقيق الأهداف القومية، وحماية القيم الدينية والأخلاقية، وتطوير الثقافة والتعليم، ومسئولية الإذاعيين والإعلان الإذاعي.

2- اتحاد إذاعات الدول الإسلامية (ISBO) [1]

Islamic States Broadcasting Organization:

أنشئ هذا الاتحاد عام 1977، ومقره في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، ويضم 42 عضوًا من المنظمات الإذاعية في الدول الإسلامية، وهو منبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، وهدفه نشر رسالة الإسلام، والتنسيق بين الإذاعات الإسلامية الأعضاء، وتبادل الخبرات والمعلومات المفيدة لها.

3- المغربفزيون (التعاون التليفزيوني بين تونس والجزائر والمغرب)[2]:

يوجد تعاون في مجال الإذاعة بين تونس والجزائر والمغرب، ضمن إطار (المغربفزيون)، الذي بدأت أول بادرة لإقامته بين الدول الثلاثة في 31 مايو 1966م. ويلاحظ أن هناك تبادلا نشطًا بين البلدان الثلاثة عن طريق البرامج الأسبوعية واللقاءات الشهرية، ولا يتوقف هذا التبادل إلا في خلال الأزمات السياسية التي تمر بها تلك الدول. كما يتم التعاون في مجال تبادل منتجي البرامج والإنتاج المشترك والدراسات التقنية والحلقات الدراسية، وإقامة حفلات موسيقية يتم نقلها مباشرة بين البلدان الثلاثة؛ نظرًا لشغف هذه البلاد بالموسيقى الأندلسية وخاصة المغرب.

---

(1) المرجع السابق، ص 161؛ وكذلك: قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 187.

(2) الإذاعات العربية، مرجع سابق، ص 222، 223؛ وانظر تفاصيل أخرى في موضعه من الكتاب تحت العنوان نفسه في الفصل الأول من الباب الرابع.

أهمية الإذاعة ومميزاتها[1]:

لقد ظلت الإذاعة ينظر إليها في العالم، على أنها وسيلة ترفيهية بالدرجة الأولى، حتى عام 1936، عندما أذاع (الملك إدوارد الثامن)[2] تنازله عن العرش البريطاني، من أجل (المرأة الأمريكية التي أحبها)، فمنذ ذلك الوقت تحولت النظرة الترفيهية للإذاعة إلى نظرة إخبارية.

وقد ظل العالم يتابع قصة الملك إدوارد الثامن، عن طريق الإذاعات فترة طويلة حتى جاءت أزمة ميونخ، وإعلان الحرب العالمية الثانية[3]، حين بلغت الإذاعة ذروة أهميتها في جميع أنحاء العالم.

ومنذ ذلك الحين أخذت الإذاعات ترسخ وتتطور شيئًا فشيئًا؛ لتأخذ أشكالها التقليدية المعروفة، حتى أصبحت الإذاعة حاليًا من أشد وسائل الإعلام الجماهيرية فاعلية وأهمية، وتلعب دورًا خطيرًا في تشكيل عقلية الجماهير العريضة .. وتحظى الإذاعة بمجموعة من المميزات والخصائص، التي تنفرد بها عن سائر وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى. ومن أهم هذه المميزات والخصائص ما يلي:

---

(1) مراجع هذه الجزئية هي: النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص هـ، ص 3؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، من ص 255 حتى ص 271؛ وأيضًا الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص 41 - 45؛ وكذلك وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص 147 – 151؛ وكذلك الخدمة الإخبارية في الإذاعة الصوتية، مرجع سابق، ص 18 – 21؛ وكذلك حرفية الفن الإذاعي، مرجع سابق، ص 8 – 10؛ وكذلك أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، مرجع سابق، ص 23-25؛ وكذلك فوزية فهيم، الفن الإذاعي العدد (51) من سلسلة (كتابك) التي تصدرها دار المعارف بالقاهرة، ص 23 – 29؛ وكذلك عمر الخطيب، الإعلام التنموي (الرياض الطبعة الأولى 1983)، ص 57 وما بعدها؛ وكذلك محمد إسماعيل محمد، الكلمة المذاعة، القاهرة، النهضة المصرية 1960، ص 25 - 32.

(2) هو أكبر أبناء الملك جورج الخامس، صار ملكًا لبريطانيا عام 1936 بعد وفاة والده الذي حكم بريطانيا من عام 1910 حتى 1936، وقد عجلت قضية زواجه من (واليس وور فيلد سمبسون، دوقة وندسور) بوقوع أزمة بينه وبين الوزارة التي كان يرأسها ستانلي بالدوين، ونجم عن خوفهم من مخالفة الأصول الدستورية إجبار الملك في عام 1936 على الاستقالة، فتزوج من (واليس وورفيلد سمبسون) بصفته دوق وندسور (انظر الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 103، 661).

(3) وقعت الحرب العالمية الثانية في عام 1939 حتى 1945 بين قوات المحور (ألمانيا – إيطاليا – اليابان) وأنصارهم، وقوات الحلفاء (بريطانيا – فرنسا – أمريكا – روسيا) وأنصارهم، وانتهت بانتصار الحلفاء واستسلام (إيطاليا) في سبتمبر 1943، و (ألمانيا) في 7 مايو 1945، و (اليابان) في 14 أغسطس 1945، وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية.

أولا: الإذاعة هي الوسيلة الوحيدة القادرة على تخطي الحواجز الثلاثة المهمة، وهي: الأمية، والمسافة، وقصور وسائل المواصلات، وأصبحت بشكل خاص وسيلة كبيرة الأهمية في الدول النامية التي تنتشر فيها الأمية، وينقصها وسائل المواصلات المتكاملة التي تربط جميع أجزاء المجتمع بعضه ببعض .. فما تبثه الإذاعة يصل عبر موجات الأثير، إلى كل بقعة في أرجاء الأرض، بواسطة الموجات شديدة القصر، وبذلك تتخطى الحواجز: المكانية، والثقافية، والجنسية.

(أ) فإن فاعلية الاتصال الإذاعي تتجاوز الحواجز المكانية، وقد ثبت علميًّا أن موجة الأثير تدور حول الكرة الأرضية ثماني مرات في الثانية، أي بسرعة تعادل سرعة الضوء، متخيطة في ذلك الحواجز الجغرافية، والتضاريس الطبيعية، والمسافات الشاسعة، وبذلك يستطيع المصلحون الاجتماعيون والقادة السياسيون وغيرهم الوصول إلى الجماهير العريضة من المستمعين أينما وجدوا.

وهذا ما نحن كمسلمين في حاجة ماسة إليه؛ لنوصل دعوة الإسلام إلى جميع الشعوب بلغاتها الحية، وخاصة الشعوب الإسلامية التي مزقتها مناهج البشر وأهواؤهم، فهذه الشعوب بحاجة إلى التذكير بالمنقذ الذي يخلصهم مما هم فيه من ضياع وفرقة.

فلقد انتشر الجهل بالإسلام في كثير من البلاد التي يشكل المسلمون فيها الأغلبية العظمى لسيطرة فئات من أعداء الإسلام عليها؛ وبذلك عظمت المسئولية بالنسبة للقادرين على التبليغ والبيان.

وبما أن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فإن استخدام الإذاعة في هذا المجال يصبح واجبًا؛ لتبليغ الدعوة للموطن الذي لا نستطيع إبلاغها إليه؛ إما لبعده أو لسيطرة النظام الكافر عليه؛ لأن وسائل الإعلام الأخرى مثل الكتاب أو الجريدة أو المجلة، تمنع من الدخول بقوة الحاكم المتسلط على هذا البلد.

(ب) كما أن فاعلية الاتصال الإذاعي تتخطى الحواجز الثقافية؛ حيث يصل البث الإذاعي إلى جميع الفئات والطوائف، مهما اختلفت درجة التعليم بينها، سواء منهم الأمي أو المتوسط الثقافة أو المثقف. وتستهوي فئة الأميين بشكل خاص؛ لأنهم يتلقون منها الأخبار، والتعليق عليها، ويحصلون على الكثير من المعلومات العامة والخاصة. وسبب ذلك واضح، وهو أنهم لا يعرفون القراءة؛ ولذلك فهم لا يتعرضون للوسائل الإعلامية المقروءة، أما الراديو فإنه لا

يتطلب سوى الإصغاء، وقد يحمله معه إلى مكان عمله في الحقل أو المعمل، وبذلك يستمر سماعه له لفترات طويلة، وكل هذا يجعل الإذاعة ذات مسئولية خطيرة في تكوين الرأي العام، وتقوية العلاقات بين مختلف الفئات، وفي تحقيق مستوى معقول من الثقافة العامة.

(ج) كذلك فإن فاعلية الاتصال الإذاعي تتخطى الحواجز الجنسية، وحواجز الأجناس البشرية؛ فالإرسال الإذاعي يصل إلى الكبار والصغار، من الذكور والإناث. ويصل إلى مسافات شاسعة، وبذلك يمكن التحدث من خلال الإذاعة إلى مختلف الأجناس البشرية بلغاتهم الحية، حيث تجد جميع فئات العمر واللون واللغة طلبها من الرسائل المتعددة للاتصال الإذاعي .. وهذه الطاقة الإذاعية سلاح ذو حدين؛ إذ بالإمكان استخدامها من قبل قوى الخير والشر على حد سواء. وها نحن نشهد في هذا العصر انتقال الصراع الفكري الرهيب عبر موجات الأثير، حتى أصبح الإنسان يعيش في دوامة هذا الصراع.

ومهمة المسلمين أصبحت خطيرة، خاصة وأن المنصرين يقومون بجهد كبير لإبعاد المسلمين عن دينهم، وكذلك ما يبثه الملحدون والشيوعيون وغيرهم من الفئات الضالة المضلة، من سموم فتاكة للقضاء على الإسلام والمسلمين .. ومهمة المسلمين الأساسية هي استخدام هذه الوسيلة والاستفادة منها؛ لبيان أثر الدعوات الجاهلية في تمزيق وحدتهم، واستمرار الشقاق بينهم، والعمل في دعوة الناس بالإسلام؛؛ للتحرر من كل ألوان العبوديات، لتكون العبودية لله وحده، ودعوة المسلمين عبر هذا الجهاز للوحدة والتضامن، وذلك بالرجوع إلى الإسلام من جديد؛ عقيدة وشريعة؛ لأن هذا أساس وحدتهم ومنطلقها السليم.

ثانيًا: لقد ظل تأثير الكلمة المنطوقة محدودًا بطاقة الصوت البشري، وبمدى ما يمكن أن يصل إليه هذا الصوت من الإسماع، إلى أن تم اكتشاف مكبرات الصوت، التي توصل الكلمة المنطوقة إلى عدد أكبر من الآذان. ولكن الكلمة المنطوقة بلغت قمة التأثير وذروة القوة، بعد اكتشاف الراديو؛ فقد خلص الكلمة المذاعة من كل ما يمكن أن يعوق انتشارها من قيود، وأفسح أمامها المجال، وجعلها تتسلل إلى المنزل والمكتب أو المقهى أو النادي، وتصل إلى أماكن نائية كالصحاري والجبال، وتخترق الحواجز والسدود، وتفرض نفسها على أذن المستمع فرضًا .. فإذا علمنا أن موجة الأثير القصيرة تدور حول الكرة الأرضية ثماني مرات



في الثانية، أي بسرعة تعادل سرعة الضوء، أدركنا أنها أصبحت - من غير شك - أعلى الكلمات شأنًا وأقواها أثرًا.

وهكذا أصبح من الممكن - عن طريق الإذاعة - نشر أنباء الأحداث التي تقع في العالم، بين جميع أركانه وكل أصقاعه في وقت قصير جدًّا، ودون أن يتمكن حائل أو رقيب من إعاقتها، أو الحيلولة دون سريانها وانتشارها، ويساعد على ذلك أيضًا تعطش الرأي العام العالمي للأنباء، ومطالبته المستمرة بحرية تداولها؛ حتى يقف أولا بأول على حقيقة الأمر، بالنسبة لكل المسائل والمشكلات الداخلية والخارجية على حد سواء.

ثالثًا: إن الاتصال عن طريق الإذاعة لا يحتاج إلى وسيط، والرسالة الإذاعية تصل مباشرة من المذيع إلى المستمع، ولا يحتاج الراديو إلى أي مجهود من جانب المستمع، فهو لا يتطلب تركيزًا كاملا لمتابعة برامجه. ولا يلزمه بالجلوس مقيدًا في مكان واحد؛ حيث إنه من الممكن للمستمع أن يمارس أي عمل يدوي أثناء استماعه للراديو .. وحيث إن غالبية الناس أصبحوا مشغولين، وليس لديهم وقت للتفرغ للقراءة أو المشاهدة، أصبح الراديو هو الوسيلة السهلة التي تبقيهم على علم دائم بما يدور حولهم من أحداث.

رابعًا: الكلمة المذاعة لها سحرها وتأثيرها الخطير، فهي تصدر من أقوى الوسائل في التأثير على الجماهير، ولها قوتها الإيحائية؛ فهي تصل إلى كل إنسان في كل مكان، وفي أي زمان. كما أن المادة الإذاعية تتميز بإمكانية تسجيلها وإعادة إذاعتها أكثر من مرة، وفي كل مرة تكسب قوة إضافية؛ مما يجعل لها تأثيرها الفعال على مستمعيها.

هذا علاوة على أن المستمع يستطيع - بواسطة الراديو - أن يتابع الأحداث المهمة فور حدوثها، ومن أماكن حدوثها، وأينما وجد الإنسان فإنه يمكن الوصول إليه عن طريق الراديو. كما أن الإذاعة أرخص الوسائل في نقل المعلومات والأخبار إلى كل أجزاء العالم، خاصة في الأجزاء النائية كالجزر المنعزلة، وقمم الجبال، وميادين القتال؛ حيث يوجد أناس في أشد الحاجة إلى الثقافة والمعرفة والترفيه.

ونتيجة لانتشار الإذاعة، فقد أصبحت ظاهرة الإحساس بالعزلة تكاد تكون منعدمة؛ فسكان الريف، والأماكن المنعزلة عن الناس أو عن العالم، جاء الراديو وقطع حبال الصمت،

وملأ الوحدة، وغير أسلوب حياة الفلاحين وغيرهم من الذين يضطرهم عملهم إلى البقاء بعيدًا في أماكن نائية.

خامسًا: أن موجات الإذاعة لا تكتفي بالتنقل في الفضاء، بل تبحث عن المستمع، وتسعى إليه في بيته، وتقتحم عليه خلوته في أي مكان، وتتسلل إلى حياته الخاصة، على عكس الحال بالنسبة للسينما والمسرح والمعرض والندوة، وما إليها؛ فهي وسائل يسعى إليها الفرد، ويذهب إلى مكان وجودها عندما يشاء .. أما الراديو فإنه ينتقل إلى بيته، ويدخل والأبواب والنوافذ مغلقة.

وصحيح أن لدينا حرية تركه مفتوحًا أو إغلاقه، إلا أن استسلامنا لإغرائه كبير، يضاف إلى ذلك سهولة نقله من مكان إلى آخر؛ لوجود أنواع عديدة منه وبأحجام مختلفة، فيوجد الجهاز (الترانزستور) صغير الحجم، الذي يحمل في الجيب أو اليد، إلى جانب أن الاستماع للبرامج يمكن أن يتم في المنزل أو في الأماكن العامة. أو خلال أوقات الفراغ، أو أوقات العمل أو السفر.

ويمكن أن يتم الاستماع انفراديًّا أو جماعيًّا، وغير ذلك من الأمور التي سهلت الاستماع كثيرًا، خاصة وأن الإرسال الإذاعي يتم من الصباح الباكر، ويستمر طوال النهار وإلى ساعة متأخرة من الليل. أو ربما يتم طوال الليل والنهار دون انقطاع، علاوة على وجود إرسال إذاعة ما في مختلف أنحاء العالم على مدار الساعة بصفة مستمرة.

سادسًا: تعتبر الإذاعة المصدر الرئيس للأخبار، سواء أكانت تعمل في دولة متقدمة أو دولة نامية، فمن خلال الإذاعة يستقي الناس أخبارهم اليومية، خاصة في الدول التي تتفشى فيها الأمية، أو تلك التي تقل فيها أعداد الصحف، أو المناطق التي لا تصلها الصحف بصورة منتظمة أو في الوقت المناسب لعدم توفر وسائل النقل السريع، أو بالنسبة لمن يعرفون القراءة من ذوي الدخل المحدود، لعدم مقدرتهم الشرائية على اقتناء الصحف أو الكتب.

فالإذاعة هي مصدر مهم للأخبار بالنسبة للملايين، خاصة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. ولا ننسى ما نشاهده في الأحداث الكبيرة والأمور الجسيمة، عندما يتجمع الناس في موعد الأخبار حول أجهزة الراديو في الأندية والمنازل والشوارع والأماكن العامة، وإنصاتهم باهتمام لما يذاع.

فالإذاعة وسيلة سهلة سريعة، تجعل المستمعين إليها على علم بما يحدث حولهم؛ لأنها تتخطى الحدود والحواجز والسدود؛ لتنقل إلى المستمع إلى أي مكان، الخبر فور حدوثه، بل لحظة حدوثه، ومن مكان حدوثه مباشرة، فأحداث العالم تتلاحق في سرعة مذهلة، وتطير في كل مكان، وإلى أي مكان من خلال الراديو.

سابعًا: يتميز الإعلام الإذاعي بأن تأثيره يزداد عمقًا وخطورة، كلما كانت البيئة قليلة الحظ من الثقافة والتعليم، وكذلك كلما انخفض المستوى الاقتصادي والمعيشي للأفراد؛ وذلك لأن أجهزة الراديو تتوافر في غالبية البيوت، ولا يكاد يخلو منها مقهى أو مطعم أو سيارة أو قطار أو باخرة .. والإذاعة تقدم برامج عديدة منوعة، ترضي كل الفئات والأعمار .. فهناك برامج خاصة بالفلاحين، وأخرى خاصة بالعمال، وغيرها خاصة بالجنود والشباب والأطفال والنساء ... إلخ، أي أن الحصول على الخدمة الإذاعية ميسور جدًّا لدى جميع الفئات، وفي جميع الأوقات، وفي شتى الأمكنة.

ثامنًا: يتميز الراديو، بأنه يثير الخيال، ويساعد المستمع على التخيل .. فمع الراديو تختفي الصورة المرئية، ويتركز الانتباه في حاسة واحد فقط، هي حاسة السمع (الأذن)، والإنسان حينما يريد تركيز ذهنه في فكرة ما، فإنه يغمض عينيه، كأنه بذلك يتيح لذاكرته أن تنشط، ولمخليته أن تعمل بجد وقوة؛ حتى يستطيع أن يعمق في ذهنه تلك الفكرة بصورة أشد وأقوى، فلا ينساها ولا تضيع من ذاكرته ملامحها وتفصيلاتها الجزئية.

وهذا هو ما يفعله الراديو بجمهور المستمعين؛ فهو ينقل الرسائل الإعلامية بطريقة الترسيب في الذهن، عن طريق حاسة السمع وحدها، ويكون نتيجة ذلك أن تستقر محتويات الرسالة الإعلامية في ذهن السامع.

وليس هذا فقط، بل إن هذه الطريقة أيضًا تساعد المتلقي على المزيد من التصور والتخيل، وتقليب الفكرة على جميع وجوهها، فيصل إلى فكرة مستقرة ثابتة الجذور في مخيلته بدون تشويه ولا اهتزاز ولا تفرق.

تاسعًا: تعتبر الإذاعة أقوى سند للدولة، في دفاعها عن مطالبها، وشرح مواقفها المختلفة إزاء المشكلات الداخلية والخارجية، وإسماع صوتها للعالم أجمع، في كل مناسبة وفي كل وقت، وكلما وقع عليها عدوان، أو أحاق بها شيء.

ولقد مرت بمصر تجربة مريرة حين وقع العدوان الثلاثي عليها في 29 أكتوبر 1956، وكانت الإذاعة من أول الأهداف التي سدد إليها المعتدون ضرباتهم؛ حتى يسكتوا صوتها؛ لأنهم يعلمون أن الكلمة المذاعة إذا صدرت عن الحق، كان تأثيرها أقوى من مدافعهم وطائراتهم ودباباتهم.

وتستخدم الإذاعة في وقت الحرب كذلك لتوصيل التعليمات إلى وحدات الجيش المقاتلة.. ففي يوم 8 يونيو 1967 - على سبيل المثال - أذاعت القيادة العليا للجيش المصري النداء التالي إلى بعض وحداتها المقاتلة: "جلال وحلمي .. عودا إلى قواعدكما"، وتكرر هذا النداء عدة مرات .. وفي حرب السادس من أكتوبر 1973، استخدمت الإذاعة المصرية لتوجيه النداءات للمقاتلين .. ومن أمثلة تلك النداءات ما أذيع من (صوت العرب) يوم 16 أكتوبر 1973: "من قيادة الأرض المحتلة إلى كامل العنصي إلى نزار أبو فرج، إلى فهيم أبو غزالة .. الشمس مشرقة، حطموا الأغلال" .. و "من دمشق إلى صلاح الدين .. نفذ الخطة (57) قيادة الأرض المحتلة".

عاشرًا: تتوفر للإذاعة - إلى حد كبير - فرصة السبق الإخباري على وسائل الإعلام الأخرى؛ فالإرسال الإذاعي متصل على مدار اليوم، ولا يحتاج إذاعة خبر ما - إذا استثنيا ظروف الرقابة - لأكثر من قطع البرنامج، وفتح الميكروفون على الهواء؛ لإذاعته في اللحظة ذاتها، أما بالنسبة للصحيفة، فإذا أصدرت ملحقًا من أجل خبر مهم، فتحتاج إلى ما لا يقل عن ساعتين.

حادي عشر: تعتبر الإذاعة بمثابة جامعة شعبية كبيرة على الهواء .. وهي تمتاز عن غيرها من الجامعات، بأنها لا تتقيد بمكان، ولا بزمان، وأن المنتسبين إليها يعدون بالملايين؛ ذلك أنها تخاطب المتعلم والأمي، والأماكن النائية والمنعزلة التي لا تصل إليها سيارة أو قطار أو طائرة أو باخرة.

ومن ثم فقد اتجه الاهتمام في جميع دول العالم، إلا استغلال الإذاعة في نشر الثقافة بين مختلف طبقات الشعب، وتوجيهه في شتى نواحي المعرفة، عن طريق إعداد برامج في العلوم والآداب والفنون، منسقة تنسيقًا يحقق أكبر فائدة منها، وعن طريق دعوة كبار العلماء والأدباء والمتخصصين في كل فرع من فروع المعرفة، إلى التحدث في كبريات المسائل التي تشغل بال

العالم عامة، والتي تعرض للوطن على وجه الخصوص، وتهدف هذه الأحاديث إلى الاهتمام بالمواطن في حياته اليومية، وما يعرض له من مشكلات اقتصادية، واجتماعية، ومنزلية، وتربوية ... إلخ.

وتهتم الإذاعات أيضًا بتزويد الشعب أولا بأول، بأخبار الأحداث المهمة الداخلية والخارجية، ونشر الأخبار الصحيحة عن الوطن في جميع أنحاء العالم، مع التعليق عليها بما يتفق ووجهة نظرها، ودحض ما يشاع عنها من مفتريات وأكاذيب، ومقاومة الدعايات المضادة في الداخل والخارج، وشرح القضايا الوطنية في كل النواحي الثقافية والفنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ حتى يقف المواطن والأجنبي على السواء على الحقيقة ومدى النهضة التي وصلت إليها البلاد.

ثاني عشر: وبالإضافة إلى ما ورد في البند السابق، فإن الراديو يتمتع بالاشتراك مع التليفزيون، بقدرات كبيرة على المساهمة في حل المشكلات الخاصة بالتحسين النوعي، والتوسع الكمي للنظم التعليمية المدرسية الرسمية، وخاصة في الدول النامية .. فلا يخفى على أحد حالة فصول المدارس حاليًا في تلك الدول، والتي تضم أعدادًا كبيرة من التلاميذ، إلى جانب زيادة عدد السنوات الدراسية، وقلة عدد المدرسين الأكفاء، وقلة المباني وضيقها، وغير ذلك من المعوقات الكثيرة .. ويستطيع الراديو أن يساهم في عملية إثراء الدروس التي يقدمها مدرس الفصل، في حالة ما إذا كانت المدارس متوفرة، ومزودة بكل حاجاتها من المدرسين المؤهلين، وعلى ذلك تعمل البرامج المذاعة على تدعيم عملية التعليم، عن طريق شحنها بعناصر الاهتمام والتشويق والحيوية.

كذلك تستطيع الإذاعة القيام بالتدريس المباشر، خاصة في المواد التي لا يتوافر لتدريسها معلمون مؤهلون، أو حيث يوجد نقص أو قصور في المواد التعليمية اللازمة .. ويقوم المدرس بدور مهم في البرامج الإثرائية والتعليمية على حد سواء؛ إذ إنه يعد ويطبق مهاراته التعليمية؛ لكي يساعد الطلبة على استيعاب المعلومات الواردة في البرامج المذاعة.

وفي حالة عدم وجود مدارس أصلا، فيمكننا أن نتخيل الفصول الدراسية في الدول النامية .. ملتقى حول جهاز الراديو في الهواء الطلق، ويكفي استخدام مراقبين يتمتعون بالقدرة على القراءة والكتابة؛ للإشراف على الدراسة. والتعليم بهذا الأسلوب، قد لا يحقق

الغرض المطلوب، ولكنه - على أي حال - يؤدي في النهاية إلى تضييق الفجوة الخطيرة لانتشار الأمية في كثير من الدول النامية.

ويمكن فوق ذلك استخدام الراديو في مجال التعليم أو التدريب المهني، باقترانه بالتدريس بالمراسلة؛ حيث يعد الراديو الأداة الرئيسة المتوفرة للاتصال مع الجماعات المتناثرة في مناطق بعيدة، تتفشى فيها الأمية، وبذلك لا تترك هذه الجماعات في عزلة عن الحياة العامة، فالانتماء إلى الجماعة يساعد على بناء المواطن الصالح.

ولقد حققت برامج الإذاعة لتعليم اللغات في مختلف أنحاء العالم نجاحًا كبيرًا، وقد أدى ذلك إلى اعتبار الإذاعة أداة مناسبة، ومعترفًا بها في تعليم اللغات، والتدريب على التحدث بها.. وقد لا تهدف بعض برامج تعليم الكبار إلى تعليمهم كيف يتقنون لغة ما، ولكنها تستطيع أن تعلمهم كيف يتخاطبون مع بعضهم، بمعنى أنها تعلمهم لغة مشتركة، ويحتل هذا الهدف أهمية خاصة في الدول التي يوجد بها أقليات كثيرة، لا تتحدث اللغة الوطنية .. ويمكننا أن نتخيل أهمية ذلك، إذا علمنا - على سبيل المثال - أن دولة مثل الهند يوجد بها (12 لغة) في الأقاليم الرئيسة، وتوجد في كل إقليم لغوي عدة لهجات مختلفة.

ثالث عشر: وعندما يتجاوز الراديو الإطار الوطني، يصبح قوة عالية، تعادل قوة تسلله إلى العقول، وإلى القلوب .. فالموجات التي تنتشر فيها وراء الحدود، حاملة نداء الشعوب بعضها إلى بعض، حيث يستمعها مستمعون لا حصر لهم ولا عدد .. والكل يعلم الدور الذي قام به الراديو خلال الحرب العالمية الثانية .. وفي الحرب الباردة تحاول الدول المتعادية التشويش على موجاتها الإذاعية؛ وذلك لحماية مواطنيها من التأثر بدعايات الأعداء، والحيلولة بينهم وبين التدخل الخارجي. وإن الحرب الإذاعية القائمة بين الأنظمة الرأسمالية، والأنظمة الشيوعية، لأصدق برهان على الدور السياسي الذي يلعبه الراديو في عصرنا الحاضر .. ولقد تحول الراديو في بعض الأنظمة إلى سلاح حرب أيديولوجية ونفسية، وأن قادة أي بلد من بلاد العالم، يستطيعون إذاعة برامج موجهة إلى بلد أجنبي بلغته؛ ليصلوا إلى شعبه كما لو كان يعيش بين ظهرانيهم. وإذا كان الراديو يثير الشعوب بعضها على بعض، فإنه بالمقابل يدعوها إلى الوحدة، وإلى التضامن، والعمل من أجل السلام بدلا من الخلاف والتناحر، والحكومات وحدها هي التي في يدها أن تجعل من الراديو أداة سلام أو أداة حرب؛ لأنها هي التي تسيطر على الإذاعة في معظم الأحوال.

سلبيات الإرسال الإذاعي[1]:

إن الإعلام الإذاعي ليس عملية بسيطة ومباشرة، بمعنى أنها تحدث أثرها في الجماهير بطريقة تشبه إطلاق النار على شخص لإصابته، فالاتصال الإذاعي يتم من طرف واحد وسط سلسلة من الظروف المختلفة، التي قد تحول دون وصول الرسالة الإعلامية إلى المستمع بالصورة المرجوة، فالمرسل هنا يخاطب أفرادًا لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يستطيع أن يتلقى منهم ما يفيد استقبالهم وتقبلهم لرسالته.

ولقد أثبتت الدراسات أن الصورة التي يعتنقها الإعلامي عن الجمهور الذي يخاطبه، تؤثر على الطريقة التي ينظم بها مادته الإعلامية .. وإذا كان المرسل يختار الفئة التي يوجه إليها رسالته، فإن هذه الفئة - بدورها - ترفض وتختار ما تشاء من هذه الرسالة، وليس هناك من وسيلة لمعرفة ردود فعل المستمعين، وهم الهدف الأول والأخير للإذاعة، وطريقة تقبلهم للرسالة المسموعة، إلا عن طريق بحوث المستمعين، وهو نظام تأخذ به جميع الإذاعات المتقدمة؛ لإيجاد تفاعل مستمر بينها وبين سامعيها. وكما سبق أن رأينا أن الإذاعة لها مميزات عديدة، فإنها أيضًا لها سلبيات ومعوقات عديدة، نستعرض منها ما يلي:

أولا: الأسباب الفنية: وتنتج هذه المعوقات الفنية عن ضعف الإرسال، أو تداخل الموجات أو سوء الاستقبال الناتج عن العوامل الجوية، كما هو الحال في بعض المناطق؛ حيث لا تسمع الإذاعة على الموجات المتوسطة في الفترة من بعد ظهور الشمس بنحو ساعة إلى ما قبل غروبها بساعة؛ وذلك بسبب تأثر انتشار الموجة الشديدة لظهور الشمس التي تمتص الموجات السماوية الأثيرية امتصاصًا شبه كامل، وخاصة في المناطق الصحراوية، كلما بعدنا عن مراكز الإرسال.

ومن الممكن الوصول إذاعيًّا إلى هذه المناطق عن طريق الموجة القصيرة، إلا أنه من المتعذر على المستمع العادي، استقبال الإرسال على هذه الموجة؛ لما تحتاج إليه من جهاز استقبال جيد، وهوائي ثابت، وضبط للمحطة، بالإضافة إلى كثرة تعدد المحطات على ميناء

(1) اعتمدنا في هذه الجزئية على: (الفن الإذاعي للدكتورة فوزية فهيم)، مرجع سابق بتصرف، من ص 25 حتى ص 42.

جهاز الاستقبال؛ مما يتعذر معه على المستمع العادي التقاط المحطات بوضوح .. غير أنه بالإمكان تغطية هذه المناطق غير المستهدفة إذاعيًّا، عن طريق إنشاء محطات صغيرة لنقل الإرسال عن طريق الخطوط التليفونية في كل تجمع سكاني لا يقل عن عشرة آلاف نسمة.

ثانيًا: التشويش: والتشويش نوعان؛ النوع الأول: هو ما ينتج عن أي تداخل صوتي مع الرسالة المذاعة، مثل: رنين جرس وما إلى ذلك.

والنوع الآخر: هو ما تلجأ إليه الحكومات، لمنع مواطنيها من الاستماع إلى الإذاعات المعادية، وهذه الحالة لا تنطبق بالطبع على الإذاعات المحلية في الداخل، ولكنها تنطبق عليها إذا تعذر على المواطنين الموجودين في الخارج الاستماع إلى إذاعاتهم الوطنية للأسباب المذكورة. ونظرًا لما للإذاعات السرية أو العلنية المعادية، من أثر كبير في بلبلة الأفكار وتحطيم الروح المعنوية للأفراد، وخاصة عن طريق الأخبار، فقد عمدت الدول إلى منع الاستماع إلى هذه الإذاعات بشتى الطرق؛ كالتشويش، أو صنع أجهزة الاستقبال ذات الموجة المتوسطة فقط؛ حتى لا تسمع غير البرامج المحلية، أو عن طريق استخدام الإذاعة السلكية، كما كان يفعل الاتحاد السوفيتي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. ومن هذه الطرق أيضًا تحريم بيع الأجهزة ذات الموجات القصيرة. كما كانت تفعل ألمانيا واليابان خلال الحرب العالمية الثانية أيضًا. وبالرغم من هذا التحريم الذي كانت مخالفته تعد جريمة عقوبتها الإعدام، كانت المحطات الأجنبية تسمع بشغف في الخفاء.

ويقال إن أول تشويش إذاعي في العالم حدث عام 1934 عندما وضعت حكومة النمسا صفارة قوية، على الموجة التي تذيع عليها محطة الإذاعة الألمانية؛ لتمنع الدعاية النازية من الوصول إلى الأراضي النمساوية، وبالرغم من إدانة الأمم المتحدة للتشويش الإذاعي، فقد اعتبرت بعض الدول مثل بولندا، أن لكل دولة الحق المطلق في حماية نفسها، ضد هذا النوع من الاعتداء، مثل حقها في منع تهريب المخدرات، وبيع كتب الدعارة، والتهريب عن طريق الأشخاص.

والمعروف أن الاتحاد السوفيتي (سابقًا)، كان من أكثر البلاد استخدامًا للتشويش الإذاعي، ويقال إن الاتحاد السوفيتي كان قد أنشأ ألف محطة للتشويش الإذاعي عام 1949، ويرى البعض أن التشويش عملية هدامة، سواء من الناحية المعنوية أو من الناحية المادية،

ويعتقدون عدم جدواها؛ لأن محطات التشويش غالبًا لا تستطيع تغطية جميع المناطق المستهدفة. ويرون أيضًا أن التشويش يحرم الفرد حق تلقي المعلومات، كما يثير الشكوك، ويساعد على تناقل ما يمكن الاستماع إليه من الإذاعات المعرضة للتشويش، وغالبًا ما تكون دعايات مسمومة، من الأفضل الرد عليها عن طريق تبصير الشعب بالحقائق وتحصينه بالأخبار الصحيحة.

كما أن عملية التشويش تحتاج إلى موجات قصيرة، ذات قدرة عالية، وهي بذلك تقلل من عدد الموجات المتاحة للإرسال على الموجة القصيرة، من الأفضل لو استخدمت لتقوية الإرسال. يضاف إلى كل ذلك، التكلفة الباهظة التي تتطلبها محطات التشويش؛ إذ تبلغ تكاليف إنشاء المحطة الواحدة منها، ما يعادل تكاليف إنشاء محطة للإرسال.

ثالثًا: العوامل الاقتصادية: وهي المتمثلة في عدم مقدرة الفرد على شراء جهاز استقبال، أو العجز عن دفع رسوم الحيازة، وخاصة في الدول النامية المعدمة، وتعمل الحكومات جاهدة على تخفيض أسعار أجهزة الاستقبال، كما يقوم بعضها بإلغاء رسوم الحيازة، وعلى سبيل المثال فقد ألغت مصر هذه الرسوم في سنة 1960، وتم فرض رسم زهيد على كل مستهلك للكهرباء.

رابعًا: الرقابة: وهذه الرقابة تفرض على ما يذاع من أخبار في وقت الحرب، في جميع البلاد تقريبًا، كما تفرض في وقت السلم في البلاد التي تتبع النظام الشيوعي في الإعلام.

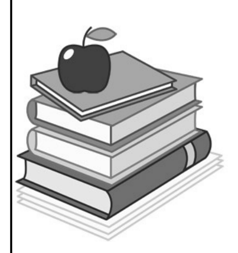
خامسا: العوامل الاختيارية: وأهم تلك العوامل، فتح الجهاز وإغلاقه. وهذه العوامل تتأثر بموعد تقديم المادة الإذاعية، وكثيرًا ما يقال إن الفترة الزمنية التي يقدم فيها البرنامج الإذاعي أكثر أهمية من المضمون. كما تتأثر هذه العوامل أيضًا بما يقدم في الوقت نفسه من برامج في خدمات أخرى، بل بما يسبق هذه المادة أو يعقبها من برامج محبوبة أو مكروهة. كما قد يؤثر على التشجيع على الاستماع أيضًا صوت الشخص الذي يذيع وطريقة إلقائه. إلى جانب أن حوالي 75٪ من المستمعين يفعلون شيئًا آخر وهم يستمعون.

كل هذا ينبه إلى حقيقة ثابتة اليوم في جميع إذاعات العالم، وهي أن برامج الإذاعة – توقيتها وموضوعها، وأسلوبها، وطريقة عرضها – تبنى على العلم والدراسة؛ لتحقيق الهدف الذي تسعى إليه كل إذاعة، وهو استمرار العلاقة الإيجابية بينها وبين الجمهور؛ لزيادة أعداد

المستمعين، والاحتفاظ بثقتهم؛ فالمستمع يود دائمًا أن يجني أكبر قدر من الفائدة نظير أقل ما يبذل من مجهود.

وأخيرًا .. فإن عصر الراديو - الذي انتهينا الآن من استعراض تاريخه، منذ الإرهاصات الأولى لهذا الاختراع حتى الآن، بكل خصائصه ومميزاته وسلبياته - لم ينته بعد .. حيث لا يزال وسيلة الاتصال الجماهيرية الأوسع انتشارًا؛ لرخص ثمنه، وقلة تكاليفه، وسهولة نقله وحمله مع الإنسان أينما كان.. وما على الراديو إلا أن يجدد نوعيات البرامج التي يذيعها. ويبحث عن أساليب وخدمات جديدة غير الأساليب والخدمات التقليدية التي اعتادها الجمهور؛ حتى يستمر في أداء دوره الخطير في حياة البشرية عامة، وشعوب الدول النامية خاصة .. وهذا الدور يتمثل في المساهمة في تطوير تلك الشعوب وتنميتها، عن طريق ما ينقله الراديو إليهم من قيم، ومبادئ، وأفكار، ومعلومات؛ ليستنير الإنسان وتتسع آفاقه، ويعيش عصره، متأثرًا به ومؤثرًا فيه .. وهذا الدور المهم والخطير، يمكن أن تؤديه أية إذاعة في العالم، إذا توفرت لها الإمكانات التقنية، والبشرية، والمالية اللازمة، وهذا ما سيتضح لنا في الباب الرابع من هذا الكتاب.

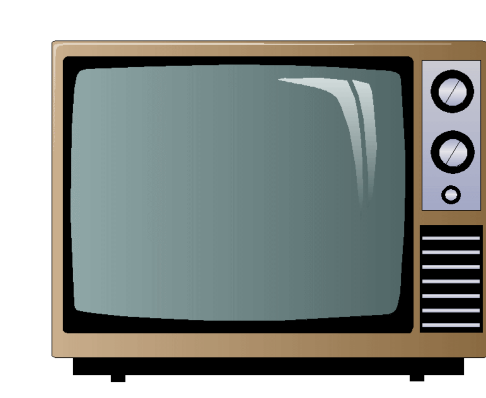
وبعد أن سرنا مع الإذاعة المسموعة (الراديو)، منذ اختراع الراديو عام 1896، عندما تمكن ماركوني من استخدام هذه الوسيلة اللاسلكية للاتصال لأول مرة في التاريخ، وتطور استخدام هذا الاختراع في إنشاء الإذاعات في العالم في العشرينيات من القرن العشرين الماضي، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى التي أجريت فيها التجارب في هذا الحقل .. بعد ذلك تقتضي طبيعة الكتاب وفق خطته أن نتحدث عن وسيلة اتصال جماهيرية مهمة أخرى، وهي الإذاعة المسموعة المرئية (التليفزيون)، وهذا ما سنتعرض إليه في الفصل التالي إن شاء الله.



الفصل السابع

تطور التليفزيون التقليدي[1]، وأهميته ومميزاته وسلبياته





يعتبر التليفزيون التقليدي - وهو وسيلة اتصال جماهيرية سمعية وبصرية - من وسائل الاتصال الجماهيرية المهمة المعاصرة؛ حيث يتفوق بقدرته على جذب الانتباه، والإبهار، وشدة التأثير، عن طريق استخدام الصوت، والصورة، والحركة، في وقت واحد .. وبالتالي فإنه يقوم بدور اتصالي خطير؛ باعتباره من أقوى وسائل الاتصال مقدرة على الإقناع، بعد الاتصال الشخصي؛ لأنه يشغل حاستي السمع والبصر معًا، وبذلك يشد المشاهد إليه، بحيث لا يسمح له بالقيام بنشاط آخر، ويدمجه إدماجًا شديدًا في المادة الإعلامية المقدمة .. إضافة إلى امتيازه بقدرته على استقطاب قطاعات عريضة من فئات مختلفة السن، والمستويات الثقافية، والفكرية، والتعليمية، وخاصة الأطفال، والعوام، والطبقة غير المتعلمة بوجه عام[2].

وكل ذلك ساعد على تطور التليفزيون في العالم بصورة مذهلة، وأدى إلى انتشاره بسرعة هائلة في الوقت الحاضر .. ويكفي أن نعلم أنه في عام 1950 - على سبيل المثال - لم يكن يوجد في إفريقيا، وفي أمريكا الجنوبية، وآسيا، وأستراليا، جهاز استقبال تليفزيون واحد، أما اليوم فقد أصبحت تلك الأجهزة، موجودة في كل مكان من الكرة الأرضية، حتى أصبح

---

(1) يرجى مراجعة الفصلين الثامن والثالث عشر من الباب الرابع لهذا الكتاب؛ لصلتهما الوثيقة بهذا الفصل.

(2) محيي الدين عبد الحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية (القاهرة، الخانجي بمصر، 1980)، ص 45؛ وكذلك يحيى بسيوني مصطفى وعادل الصيرفي، التليفزيون الإسلامي ودوره في التنمية (الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1985)، ص 13.

جهاز التليفزيون، عند بعض الناس، من الأجهزة المنزلية الضرورية .. وقد يعتبر عند بعض المجتمعات من الأجهزة الترويحية التي لا غنى عنها، وفي الوقت نفسه يعتبر لديهم الوسيلة الأولى إلى الثقافة والإعلام[1].

وكلمة (تليفزيون) من الأعجمي الدخيل، دخلت العربية حديثًا عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وقد أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، واستعملت بلفظ (تليفزيون) في المعجم الوسيط الذي أصدره هذا المجمع، وعرف هذا الجهاز بأنه: جهاز نقل الصورة، والأصوات بواسطة الأمواج الكهربية[2].

ولكن ما هو التليفزيون[3]؟ وما هي مراحل نشأته وتطوره؟

إن التليفزيون هو نقل وإعادة إخراج مشاهد ومناظر، لأناس، أو (أشياء) يؤدون عملا، وذلك بواسطة ابتكار يحول أشعة الضوء المتباينة، إلى ذبذبات إلكترونية ذات كثافات مختلفة، ثم يعود فيحول تلك الذبذبات ثانيًا، إلى أشعة ضوئية منظورة؛ ليتم إخراج المشهد الأصلي في أماكن بعيدة.

ولقد وجد التليفزيون بدايته الأولى عام 1873، ولكن بصورة جزئية؛ حيث ساهم العلماء قبل ذلك التاريخ بزمن طويل، بإيجاد معلومات حول القوى والظواهر الكهربائية، التي لولاها لظل التليفزيون حلمًا يداعب مخيلة العلماء.

ففي عام 1600 أكد العالم (وليم جيلبرت)، أن الأرض الدائرة حول نفسها، إنما هي قطعة مغناطيسية ضخمة، تولد قوة خفية، ولها قطبان مغناطيسيان .. وفي عام 1780 في مدينة بولونيا بإيطاليا، اكتشف العالم (جالفاني) أن تيارًا كهربائيًّا قد انطلق من بطارية قد اخترعها .. وكذلك قام العالم (فولتا) عام 1794 بابتكار جهاز يتولد منه التيار الكهربائي؛ نتيجة التفاعلات الكيماوية .. وفي عام 1831 تمكن العالم (فاراداي) من اكتشاف القوانين

---

(1) خليل صابات: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة 1982)، ص 289؛ وكذلك المرجع الثاني السابق، ص 9.

(2) محمد موفق الغلاييني: وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة (جدة، دار المنار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1405 هـ = 1985م)، ص 136.

(3) جون فلوهرتي: قصة التليفزيون، ترجمة أسعد نجار (بيروت 1959)، ص 8-16.

الخاصة بالتحول الكهربائي المغناطيسي .. وكل هذه الاكتشافات والابتكارات، كانت بمثابة مخطط، تمكن العلماء اللاحقون بواسطته، من متابعة الاكتشافات في آفاق كانت في الواقع غير مطروقة.

وفي عام 1817م، قام عالم يدعى (بارز بليوس)، بتكريس جهوده لفصل عنصر غريب، كانت حساسيته الكهربائية تتباين، باختلاف كثافة الضوء المسلط عليه. وأطلق بارز بليوس على ذلك العنصر اسم (سيلينيوم)، أي ما معناه باللغة اليونانية (القمر)؛ ذلك لأنه تبين أن للعنصر الجديد هذا توهجًا، أشبه بتوهج القمر .. غير أن هذا الاكتشاف سرعان ما أصبح في عالم النسيان.

وفي عام 1857، تم وضع أول خط تلغرافي بين الولايات المتحدة الأمريكية وأيرلندا، فوصل بذلك بين قارتين متباعدتين بسلك، كانت الرسائل تنقل عبره بسرعة الضوء. فاعتبر ذلك الحدث - آنذاك - من عجائب العالم الجبارة، غير أن ذلك الخط ظل عرضة لظواهر غريبة مبهمة، أهمها أن الإشارات التلغرافية كانت تضعف بين وقت وآخر وتضمحل.

ومرت سنوات عديدة، قبل أن يتمكن الإنسان من تذليل هذه الصعوبات، واكتشاف العوامل الرئيسة المسببة لها .. فبعد ستة عشر عامًا من مد ذلك الخط التلغرافي، أي في عام 1873، قرر شخص أيرلندي يدعى (ماي) - كان موظفًا في شركة التلغراف تلك - تقوية هذه الإشارات الضعيفة، فبذل جهوده لإيجاد جهاز فعال للمقاومة الكهربائية، مستعملا بلورة من (السيلينيوم). وشد ما كانت دهشته، عندما تبين أن بلورة السيلينيوم تلك، كانت تبعث بنبضات كهربائية قوية عندما تكون معرضة للضوء، وأن تلك النبضات كانت تضعف، كلما تضاءلت كثافة الضوء المعرضة له.

وهكذا أصبح حل المشكلة من الأمور السهلة الواضحة. فبوضع بطارية من السيلينيوم في وسط الخط التلغرافي، وبتسليط ضوء كثيف دائم عليها، تزداد النبضات الكهربائية، وبالتالي الإشارات التلغرافية قوة، فيسهل بذلك التقاطها.

وفتح ذلك الاكتشاف أمام العلماء، آفاقًا جديدة واسعة، ومهد الطريق أمام اكتشاف البطارية الكهربائية الضوئية، التي تستخدم اليوم على نطاق واسع في الصناعة. كما أن المبدأ الذي يرتكز عليه ذلك الاكتشاف، أدى إلى جعل التليفزيون في متناول الإنسان؛ ذلك أنه

أوجد حافزًا للعلماء خلال السنوات العديدة التي أعقبته، للقيام بالأبحاث، وإجراء التجارب، حول إمكانية نقل الصور، مثلما ينقل الصوت عبر الأسلاك .. وكثرت محاولات العلماء في هذا المجال، ونجح بعضهم في نقل صور مبهمة غير واضحة، ومنهم عالم أمريكي يدعى (ج. كاربي) .. وحتى ذلك الحين، كانت التجارب بأجمعها تدور حول نقل صور مفردة ثابتة .. إلى أن كان يوم أعلن فيه عالم فرنسي يدعى (موريس لابلن)، أنه بالإمكان نقل الصور المتحركة بواسطة الأسلاك لمسافات طويلة.

ولقد بدأ الأساس العلمي للتليفزيون، عندما اخترع العالم الألماني (بول نيبكوف Paul Nipkow) أسطوانة، تستطيع أن تحول ظل الأشياء إلى نبضات كهربائية، يمكن التقاطها على مسافات بعيدة، فتتكامل وتتجمع لتكون صورة .. وكان هذا الاختراع بمثابة الانطلاقة الأولى، وخطوة مهمة إلى الأمام نحو التليفزيون؛ إذ أمسك الأمريكيون بخيط البحث، وتولى العالم (تشارلز جنكنز Charles Jenkins) عملية تطوير اختراع نيبكوف، ونجح في ذلك عام 1890م نجاحًا مبدئيًّا، جعل الأساس العلمي للتليفزيون أمرًا ممكنًا. وفي عام 1900 بدأ كل من (فورنييه ورينو Fourniers- Rignoux) أبحاثهما على ما كان لديهما من معطيات نيبكوف وجنكنز، ونجحا في قطع شوط لا بأس به .. وفي العام نفسه، كان العالم الإيطالي الأصل (جو جليلموماركوني Juglielmo Marconi) قد نجح في بث الكلمة المنطوقة على موجات الراديو. وواصل هذا المخترع العبقري دراساته، إلى أن وصل إلى أن ذلك سيفتح الباب أمام جهاز، يمكن أن نستمع منه إلى الصوت، ونرى الصورة معًا في وقت واحد[1].

وثابر العلماء في محاولاتهم الموجهة إلى تذليل ما كان يعترض سبيل التليفزيون من عقبات .. وكان من بينهم عالم روسي، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذ يعمل بصمت، باحثًا عما تبين فيما بعد، أن فيه خلاص التليفزيون .. ذلك هو العالم الدكتور (فلاديمير زوريكين – Vladimir Zworykin)[2].

---

(1) انظر المرجع السابق نفسه، ص 16 – 18؛ وكذلك فائق فهيم، التطور التاريخي للتليفزيون وموقفه بين وسائل الأعلام، وهو الكتاب رقم (1) ضمن سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية، التي يصدرها جهاز التليفزيون الخليج (الرياض 1403هـ = 1983م)، ص 5.

(2) ولد زوربكين في مدينة موروم في روسيا عام 1889، وتخرج في معهد باتروجراد التكنولوجي، وهو في الثالث والعشرين من عمره، وسافر إلى فرنسا وقضى سنتين في البحث والتنقيب بكلية فرنسا في باريس، وبعد الحرب العالمية الأولى، رجع إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعاش في قرية جرينتش في ولاية نيويورك، حيث يقوم العلماء والمفكرون بعقد الاجتماعات ويناقشون مختلف الموضوعات.

فقد لفتت آراء زوريكين وأفكاره حول القضايا الإلكترونية، انتباه شركة وستنجهاوس، فعمدت إلى استخدامه في قسم الأبحاث فيها، وذلك خلال العقد الثالث من القرن العشرين. وقضى زوريكين تسع سنوات في خدمة وستنجهاوس، سطع خلالها نجمه، وذاعت شهرته، وجاءت نقطة التحول في سنة 1923، عندما تمكن زوريكين من الوصول إلى اختراع له وزنه البالغ في مسيرة التليفزيون الهندسية. وهو جهاز (الإيكونوسكوب)، أي عين كاميرا التليفزيون الإلكترونية .. وإلى جانب هذا العالم يمكن أن نذكر العالم (فليوفارنزور ورث)، الذي طور كاميرا التليفزيون الإلكترونية، والعالم (ألين ب. دومونت)، الذي طور صمامات الاستقبال، واخترع أول جهاز استقبال تليفزيون منزلي[1].

وقد أجريت تجارب على نقل الصور سلكيًّا، خلال العشرينيات أيضًا، وأدت هذه التجارب إلى نقل الصورة عبر الأسلاك في سنة 1925، واستطاع أحد الباحثين أن يرسل صورة تليفزيونية، عبر دائرة مغلقة من واشنطن إلى نيويورك عام 1927. وفي العام التالي بدأت شركة (جنرال إليكتريك) بثها التليفزيوني التجريبي. وفي سنة 1930 بدأت شركة (إن بي سي NBC) بثها في نيويورك[2].

وكان من الطبيعي أن تعمد شركة (آر سي إيه R.C.,A) [3] - وقد اشتهرت بما تقوم به من أعمال وأبحاث في الحقل الإلكتروني - إلى اجتذاب العالم (زوريكين) للعمل بها، وهو الذي كان قد تقدم بطلب للحصول على امتياز خاص بالجهاز المعروف (الإيكونوسكوب) الذي اخترعه .. ومنذ اللحظة التي التحق فيها زوريكين بشركة (آر سي إيه R.C.A) عام 1929، بدأت تظهر على التليفزيون علامات التحسن والتقدم؛ فقد قام زوريكين بتجربة أول جهاز لاقط إلكتروني. وكان نتيجة ذلك أن أصبح مصير التليفزيون مرتبطًا بشركة (آر سي إيه R.C.A) وعالمها النابغة زوريكين، الذي ذلل الإلكترونيات وطوعها .. وفي عام 1930م، أصبح فلاديمير زوريكين على رأس فريق مكون من حوالي أربعين مهندسًا، يعملون في

---

(1) المرجع الأول السابق، ص 21 – 24؛ وكذلك المرجع الثاني السابق، ص 5؛ وأيضًا وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 272.

(2) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 272؛ وكذلك الإذاعات العربية، مرجع سابق، ص 11.

(3) هي شركة الراديو الأمريكية، التي تعرف في سائر أنحاء العالم باسم (آر . سي. إيه) ومختبراتها في مدينة كامدن بولاية نيوجرسي الأمريكية (قصة التليفزيون، مرجع سابق، ص 7).

معامل شركة (آر. سي. إيه R.C.A) في مدينة كامدن بولاية نيوجرسي. وقد تكون هذا الفريق نتيجة جهود شركة (جي إي G.E) وشركة (وستنجهاوس) وشركة (آر. سي. إيه R.C.A).

وفي العام نفسه (1930) قامت هذه الشركة بإجراء أول تجربة علنية للتليفزيون في نيويورك. وفي عام 1936 كللت جهود زوريكين بالنجاح، وقامت شركة (آر. سي. إيه R.C.A) بتجربة أول جهاز تصوير إلكتروني خاص بالتليفزيون. وفي العام التالي (1937) ابتكر زوريكين جهازًا إلكترونيًّا آخر، يمكن من عرض الصور التليفزيونية على شاشة واسعة[1].

وقد استطاع فريق زوريكين، أن يقدم في المعرض العالمي الذي أقيم في مدينة نيويورك عام 1939 جهاز تليفزيون بنظام إلكتروني كامل ذي (141 خطا)، بعد أن كان ذا (60 خطا) في سنة 1930. ويعتبر الرئيس الأمريكي (فرانكلين ديلانو روزفلت)[2]، الذي افتتح المعرض، أول شخصية تظهر صورته على شاشة التليفزيون. وفي هذا المعرض شاهد الجمهور - لأول مرة في أمريكا - التليفزيون وهو يعمل[3].

وعلى الرغم من كل ذلك التقدم، ظل التليفزيون خلال عام 1939 في مرحلة الاختبار، وتعترض سبيله مشكلات ومتاعب، فالإيكونوسكوب، لم يكن بإمكانه إخراج الصور، إلا تحت تأثير أنوار كاشفة كثيفة جدًّا؛ مما كان يؤدي إلى توليد حرارة مرتفعة غير محتملة داخل

---

(1) قصة التليفزيون، مرجع سابق، ص 25-27؛ وكذلك المرجع الأول السابق، ص 272. "وجدير بالذكر أن التليفزيون كان ما زال في عام 1936 في المرحلة التجريبية الاختبارية، وكانت فئة محدودة من الناس قد سبق لها وسمعت به. ولم تكن الأجهزة - بسبب ندرتها - موجودة إلا في بعض منازل كبار موظفي شركات الراديو، يستخدمونها لتتبع تطور تقدم الاختبار العالمي في مجال التليفزيون (قصة التليفزيون، مرجع سابق، ص 8).

(2) **فرانكلين ديلانو روزفلت (1882 - 1945):** هو الرئيس الأمريكي رقم (31)، شغل منصب وكيل وزارة البحرية الأمريكية (1913 - 1920) .. رشح عام 1920 نائبًا لرئيس الحزب الديمقراطي .. أصيب عام 1921 بمرض شلل الأطفال، ولكنه استعاد استخدام قدمية، وأقام في (وارم سبرنجز) بولاية جورجيا بمؤسسة لمعالجة ضحايا هذا المرض. شغل منصب حاكم نيويورك (1929 - 1933)، وتولى الرئاسة الأمريكية لأول مرة عام 1933، وانتخب للمرة الثانية عام 1936، وأعيد انتخابة عام 1940 للمرة الثالثة بلا سابقة لذلك، ومات فجأة في عام 1945 (الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 891 - 892).

(3) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 273؛ وكذلك التطور التاريخي للتليفزيون مرجع سابق، ص 6.

أستوديو التليفزيون. أما المناظر الخارجية، فلم يكن بالإمكان التقاط صور لها، إلا تحت أشعة الشمس الساطعة.

ولم يمض وقت طويل حتى تكللت جهود زوريكين بالنجاح؛ فلقد تمكن من اختراع جهاز إلكتروني، أطلق عليه اسم (أورثيكون)، يمكن بواسطته التقاط صور واضحة تحت تأثير ضوء ضئيل جدًّا، مثل ضوء شمعة، أو ضوء عود ثقاب. وبوضع هذا الجهاز موضع الاستعمال عام 1939، انفتحت أمام التليفزيون آفاق جديدة.

فكل ما كان بالإمكان تصويره، كان باستطاعة هذا الجهاز نقله إلى مسافات بعيدة، وهكذا تم - لأول مرة - في ذلك العام (1939) نقل لعبة البيسبول (كرة القدم الأمريكية) بواسطة التليفزيون. وبعد ذلك بأربعة أسابيع عمدت الشركة الوطنية للإذاعة إلى نقل مباراة في كرة القدم، وبذلك تحقق أيضًا حلم كان يداعب مخيلة الكثيرين، ألا وهو إذاعة الأخبار مع عرض الأحداث المشار إليها في الوقت نفسه [1].

وفي عام 1940 أخذ التليفزيون يزداد شهرة وانتشارًا. وقامت شركة (آر. سي. إيه R.C.A) بتصوير مدينة نيويورك من الجو، بواسطة جهاز متنقل، وتم نقلها على التليفزيون. وبدأ السباق في الولايات المتحدة على أشده. فقد انطلقت الشركات الكبرى في مجال الإلكترونيات لتحويل اختراع التليفزيون إلى مشروع تجاري مربح. ودخل حلبة السابق شركة (آر. سي. إيه R.C.A) وشركة (سي. بي. إس C.B.S)، وعندما وصل عدد خطوط الصورة التليفزيونية إلى (525 خطًّا) في مارس 1941، صرحت الحكومة الفيدرالية الأمريكية لثماني عشرة محطة تجارية بالعمل.

ولكن قبل أن تتمكن المصانع من التزود بالمعدات اللازمة لإنتاج أجهزة الاستقبال على مدى واسع، دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية في 22 أبريل 1943، فتوقف كل إنتاج إلكتروني للاستهلاك المدني. ومع ذلك فقط ظلت ست محطات تبث برامج تليفزيونية محدودة، إلى حوالي عشرة آلاف جهاز استقبال .. وعادت الحكومة إلى منح تصاريح جديدة

---

(1) قصة التليفزيون، مرجع سابق، ص 27 – 28.

سنة 1945. وخلال عام 1948 ارتفع عدد محطات الإرسال التليفزيوني في أمريكا من 17 محطة إلى 41 محطة، واقترب عدد أجهزة الاستقبال من نصف مليون جهاز، وارتفع عدد المدن التي تبث البرامج التليفزيونية، من 8 مدن إلى 23 مدينة[1].

التليفزيون الملون:

وكانت شركة (آر. سي. إيه R.C.A) قد بدأت منذ عام 1930 - لأول مرة - في مجابهة تحدي نقل الصور بالألوان، وقامت في عام 1940 باختراع جهاز تصوير بالألوان. وفي مارس 1950 عرضت هذه الشركة - لأول مرة - أنبوب الصور الملونة في مدينة واشنطن. وفي 10 أكتوبر 1953، تم عرض طريقة شركة (آر. سي. إيه R.C.A) للتليفزيون الملون، أمام مندوبين عن مختلف شركات التليفزيون، والجهات الحكومية المختصة، ثبت فيه فعالية تلك الطريقة .. وفي مارس 1954 بدأ صنع أجهزة التليفزيون الملون، في معمل خاص بهذه الشركة. وفي منتصف صيف عام 1955 ابتدأ عهد جديد من التطور، والتوسع في التليفزيون الملون، فأدخلت إلى الأسواق أجهزة أقل تعقيدًا من الأولى، وبدأ بث البرامج المنوعة[2].

وكانت الثلاثينيات من القرن العشرين (1930) قد شهدت عملية تنافس ضخمة بين الدول في مجال التليفزيون، ودخل هذه الساحة إلى جانب أمريكا - التي استعرضنا تطور صناعة التليفزيون فيها فيما سبق - كل من بريطانيا، وألمانيا، وإيطاليا، والاتحاد السوفيتي، وفرنسا؛ حيث أجريت التجارب العديدة، التي ساعدت على ظهور التليفزيون[3].

ففي بريطانيا: بدأت التجارب على التليفزيون في عام 1924؛ بفضل عالم يدعى (جون لوجي بيرد Johon Logit Beard)، وبعد ذلك بثلاث سنوات، بدأ هذا المخترع تجاربه على

---

(1) المرجع السابق ص 28-29؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 273؛ وأيضًا التطور التاريخي للتليفزيون مرجع سابق، ص 6.

(2) قصة التليفزيون، مرجع سابق، ص 28، 106، 110، 111. و"جدير بالذكر أن استخدام التليفزيون الملون لم يقتصر على عالم الإعلام والترفيه فقط، بل تعداه إلى عالم الجراحة والطب؛ حيث استخدم لأول مرة عام 1955 فوق شبكة مغلقة، تربط كلا من فيلادلفيا وبلتيمور وواشنطن؛ لإجراء بعض التشخيصات والاستشارات الطبية المشتركة.

(3) عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية (القاهرة، الطبعة الثانية 1978)، ص 97؛ وكذلك التطور التاريخي للتليفزيون، مرجع سابق، ص 6.

التليفزيون الملون، أما أول إرسال تليفزيوني رسمي فقد قامت به هيئة الإذاعة البريطانية في 20 سبتمبر 1929، غير أن البرامج التليفزيونية لم تكن منتظمة، وكان إقبال جمهور المشاهدين عليها ضعيفًا؛ مما جعل القائمين على هذه الإذاعة يفكرون في إلغائها في سنة 1934، إلا أن العقبات التقنية، التي حالت دون تقدم الإرسال التليفزيوني، ما لبثت أن زللت. ويعتبر يوم 2 نوفمبر 1936 بداية أول إرسال تليفزيوني منتظم في بريطانيا .. وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، أغلق التليفزيون البريطاني في أول ديسمبر 1939، ولم يعد فتحه إلا في يونيو 1946، وبدأ التليفزيون التجاري بثه في سبتمبر 1955[1].

وفي فرنسا: بدأ البث التليفزيوني المنتظم في 10 نوفمبر 1935 من برج إيفل. وتعتبر هذه الخدمة من أقدم الخدمات التليفزيونية المنتظمة في العالم، حيث تبعتها بريطانيا في عام (1936)، ثم الولايات المتحدة الأمريكية في عام (1939) كما سبق إيضاحه .. وفي 16 مايو 1963 أذيع في فرنسا أول برنامج تجريبي بالألوان .. أما البداية الرسمية للتليفزيون الملون، فكانت في 31 ديسمبر 1972[2].

وفي الاتحاد السوفيتي "سابقًا": بدأت تجارب البث التليفزيوني في أبريل 1931، ثم حدث بث تليفزيوني في موسكو في 10 مارس 1931، استقبلته مائة شاشة صغيرة جدًّا لمدة نصف ساعة .. وبدأت المحطات تعمل بانتظام في موسكو ولينينجراد في سنة 1938، وبدأت المحطة الثالثة في كييف عام 1951، ثم عرقلت الحرب العالمية الثانية الخطط مؤقتا.. وتم افتتاح أول خدمة تليفزيونية بعد الحرب في عام 1948 .. وتم تنفيذ تجربة للإرسال التليفزيوني الملون في نوفمبر 1965، وبدأ الإرسال الملون في موسكو في عام 1967[3].

وفي ألمانيا: قدم التليفزيون في سنة 1935 إذاعات تجريبية ثلاث مرات أسبوعيًّا .. ولم تستطع ألمانيا تطوير التليفزيون بعد سنة 1939؛ بسبب احتياجات الحرب العالمية الثانية،

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 274 – 275؛ وكذلك الإعلام والدعاية، مرجع سابق 97؛ وكذلك النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 116؛ وكذلك الإذاعات العربية، مرجع سابق، ص 12.

(2) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 275.

(3) جيهان أحمد رشتي: النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية (القاهرة، دار الفكر العربي، 1979)، ص 110 – 113.

التي ألغت كل مشروعات تطوير التليفزيون. وبعد الحرب تم تقسيم ألمانيا .. ويرجع أساس النظام التليفزيوني في ألمانيا إلى الأمر الذي أصدرته قوات الاحتلال في سنة 1945، الذي ينص على أن تنظم جميع أوجه النشاط الإذاعية في ألمانيا على أساس إقليمي، لكن تم تجاهل ذلك في المنطقة السوفيتية، وقد سمحت قوات الاحتلال البريطاني في هامبورج، ببدء التليفزيون بشكل تجريبي في سنة 1948، وبدأت أول محطة تليفزيون في (ألمانيا الغربية) في ديسمبر 1952، وفي خلال عامين كانت محطات التليفزيون تذيع برامج في جميع أنحاء ألمانيا الغربية[1]. وقد بدأ التليفزيون في (**ألمانيا الشرقية**) في 21 ديسمبر 1952، ووجدت شبكتان للتليفزيون، تغطي الشبكة الأولى الدولة كلها، وتغطي الشبكة الثانية التي بدأت في نوفمبر 1969أغلب مناطق الدولة[2].

بعد الحرب العالمية الثانية: بدأ التليفزيون ينتظم في إرساله، في عدد من دول العالم، فبدأ في هولندا عام 1951، وبولندا عام 1952، وبلجيكا وسويسرا عام 1953، وتشيكوسلوفاكيا والدنمارك وإيطاليا عام 1954، ولكسمبورج عام 1955، والنمسا والبرتغال وإسبانيا والسويد في عام 1956، ورمانيا في عام 1957، والمجر عام 1958، وبلغاريا عام 1959، وفنلندا والنرويج عام 1960، وواصل التليفزيون انتشاره حتى أصبح يغطي كل المناطق الآهلة بالسكان في مختلف أنحاء العالم[3].

وفي العالم العربي: بدأ التليفزيون يصل إلى أجزاء من العالم العربي، في الخمسينيات من القرن العشرين .. حيث بدأت أول تجربة تليفزيونية في مصر في 3 مايو 1951، وقد أجرتها شركة فرنسية لصناعة الراديو والتليفزيون، في محطة إرسال أقيمت في سنترال باب اللوق بالقاهرة .. ثم أقيم معرض في القاهرة للراديو والتليفزيون في سنة 1953؛ مما أتاح لزواره فرصة مشاهدة جهاز التليفزيون .. ولكن الإرسال التليفزيوني المنتظم لم يبدأ إلا بعد ذلك التاريخ بعدة سنوات .. ففي أغسطس 1959 بدأ بناء مبنى التليفزيون في القاهرة، وقامت شركة (آر. سي. إيه R.C.A) الأمريكية، بإنشاء شبكة التليفزيون .. وبدأ (التليفزيون

(1) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 164.

(2) النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية، مرجع سابق، ص 155.

(3) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 116.

المصري) إرساله المنتظم في مساء 21 يوليو 1960، وغطى هذا الإرسال في البداية القاهرة، والمناطق التي تحيط بها حتى مائة كيلو متر في جميع الاتجاهات .. ثم توالى تغطية باقي مناطق الجمهورية بعد ذلك، وبدأت دراسة التليفزيون الملون منذ سنة 1966، وبدأ أول عمل بالألوان في 9 سبتمبر 1976[1].

وفي **المغرب** بدأ التليفزيون تجاريًّا عام 1954 في الرباط والدار البيضاء .. وفي العراق والجزائر، بدأ التليفزيون عام 1956 .. وعرف لبنان التليفزيون في أكتوبر عام 1959، وسوريا في 21 يوليو عام 1960، والكويت في منتصف نوفمبر عام 1961، والسودان في 20 نوفمبر عام 1963، واليمن الديمقراطية الشعبية عام 1964، والمملكة العربية السعودية في 27 يوليو 1965، وتونس في 31 مايو عام 1966، والأردن في 27 أبريل 1968، وليبيا في24 ديسمبر عام 1968، والإمارات العربية المتحدة في 6 أغسطس عام 1969، وقطر في 15 أغسطس عام 1970، والبحرين في 9 سبتمبر 1973، واليمن الشمالية في 26 سبتمبر عام 1975[2]، وفي سلطنة عمان في نوفمبر 1974.

جهاز تليفزيون الخليج Gulf vision :

وفي مجال التعاون التليفزيوني الخليجي، أنشئ (جهاز تليفزيون الخليج) كمنظمة إقليمية إعلامية، ومقره في الرياض، بمقتضى الاتفاقية التي وقعت في الاجتماع الثاني، لمؤتمر وزراء الإعلام لدول الخليج في الرياض بتاريخ 20 صفر 1397هـ = الموافق 8 فبراير 1977م، فيما بين حكومات: دولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة البحرين، والمملكة العربية السعودية، والجمهورية العراقية، وسلطنة عمان، ودولة قطر، ودولة الكويت .. ويهدف هذا الجهاز خاصة إلى تحقيق الأغراض التالية[3]:

---

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 276 – 278؛ وكذلك فاروق عبد الرحمن عمر، التليفزيون في جمهورية مصر العربية والعالم (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر 1964)، ص 56؛ وكذلك الإذاعات العربية، مرجع سابق، ص 88، 89.

(2) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 278 – 288؛ وانظر كذلك الإذاعات العربية، مرجع سابق، كل تليفزيون دولة في موضعه من الكتاب.

(3) جهاز التليفزيون الخليج، التليفزيون في دول الخليج (الرياض، الطبعة الثانية، 1983)، ص 8، 9؛ وراجع أيضًا نص الاتفاقية في المرجع نفسه، من ص 6 حتى ص 20.

1- تنسيق التعاون بين هيئات التليفزيون في الدول العربية بمنطقة الخليج؛ لتقوم برسالتها في تعزيز روح الإخاء العربي، وتنمية الاتجاهات والمقومات المشتركة في المنطقة.

2- تطوير إمكانات الدول الأعضاء في حقل التليفزيون.

3- تنمية تبادل الأخبار، والبرامج، والمعلومات، والخبرات، والأشخاص، والمواد التليفزيونية، التي تعود بالنفع العام على الدول الأعضاء.

4- تشجيع التدريب، والبحوث، والدراسات في مجال التليفزيون.

5- تعزيز دور التليفزيون في خدمة خطط التنمية في المنطقة.

6- التعاون مع الهيئات المعنية على توفير الوسائل التقنية للربط التليفزيوني، بين الدول الأعضاء، واستغلال الوسائل المتاحة؛ ليتمكن الجهاز من تنسيق بث البرامج المشتركة.

7- العمل على تحقيق أهداف اتحادات إذاعات الدول العربية، ودعم التعاون في إطاره.

8- إيجاد حلول في نطاق الجهاز، وبروح الإخاء والتعاون، لما قد ينشأ من مشاكل في الحقل التليفزيوني بين دول الخليج.

مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك[1]:

تعد مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك أول مؤسسة إعلامية خليجية مشتركة، انبثقت عن مؤتمرات وزراء الإعلام بدول الخليج، حيث وقعت اتفاقية إنشائها في المؤتمر الأول بمدينة (أبو ظبي) في 3 محرم 1396هـ = الموافق 4 يناير 1976م.

وقد نصت الاتفاقية على أن يكون المقر الدائم للمؤسسة في الكويت، وتضم هذه المؤسسة في عضويتها دول الخليج العربية السبع وهي: الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والمملكة العربية السعودية، والعراق، وعمان، وقطر، والكويت.

وتحدد أغراض المؤسسة بإنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية لعرضها بالمحطات الإذاعية والتليفزيونية للأعضاء، وكذلك الدول العربية الشقيقة والدول الصديقة، ويراعى في

(1) مجلة تليفزيون الخليج، المجلد الخامس، العدد الثاني، محرم 1405هـ = أكتوبر 1984م، إصدار جهاز تليفزيون الخليج)، تحت عنوان (لمحة تسجيلية)، ص 12 - 15.

موضوعات البرامج تحقيق أهداف إحياء التاريخ العربي والإسلامي، وإبراز المثل العليا الإسلامية. والتعريف بأمجاد الإسلام وسير أبطاله وقادته .. وإحياء التراث الخليجي، والتعريف بكل مناطق الخليج، والارتفاع بمستوى الإنتاج الفني للبرامج الإذاعية والتليفزيونة، وكشف البراعم الناشئة في مختلف مجالات الفنون والآداب والعلوم، والعمل على تدريبها، وإظهار مواهبها وتشجيعها، وإتاحة الفرصة للعاملين في المحطات التليفزيونية والإذاعية في الدول الأعضاء لرفع كفاءاتهم الفنية والمهنية، واكتساب خبرات مختلفة؛ نتيجة للاحتكاك المستمر بين العناصر المشاركة في أعمال هذا الإنتاج.

وفي إطار تحقيق هذه الأهداف أتيحت للمؤسسة منذ قيامها مجموعة متميزة من البرامج التربوية والثقافية والدرامية، أسهمت من خلالها في إثراء العمل التليفزيوني، وفي دفع عجلة التنمية والتعليم في منطقة الخليج. وكان باكورة إنتاج المؤسسة هو برنامج (افتح يا سمسم) الخاص بالأطفال ما قبل المدرسة، وذلك بعد توقيع اتفاقية في عام 1977 مع الشركة الأمريكية، حيث تم الاستفادة من البرنامج الأمريكي الشهير (شارع السمسم)، وإعطائه الطابع العربي لتلبية احتياجات الطفل تربويًّا وترفيهيًّا. وإلى جانب ذلك توجد برامج: (سلامتك) و(الكشاف) و (الحضارة العربية والإسلامية) و (المدن العربية) .. وغيرها.

المغربفزيون (التعاون التليفزيوني بين تونس والجزائر والمغرب[1]):

لقد أثيرت فكرة وضع نظام إعلامي بين هيئات الإذاعة في تونس والجزائر والمغرب، وذلك عندما أدخلت تونس الإرسال التليفزيوني في 31 مايو 1966، وحضر وقتها مدير الإذاعة في كل من المغرب والجزائر، واجتمعا بالمسئولين التونسيين في المجال الإذاعي، وكان موضوع الاجتماع هو "بذل الجهد المنسق، وتبادل الآراء؛ بهدف تعزيز أسباب التعاون بين بلدان المغرب العربي في محيطي الراديو والتليفزيون". وأكد الاجتماع على أهمية العمل في سبيل البرامج التليفزيونية. واعتبر هذا الاجتماع أول بادرة لإقامة المغربفزيون، في شكل

---

(1) الإذاعات العربية، مرجع سابق، ص 222، 223، نقلا عن مرهان الحلواني: دور اتحاد الإذاعات العربية في مجال التعاون الإعلام العربي، رسالة ماجستير كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1980؛ وكذلك مجلة الإذاعة العربية، العدد (35) سبتمبر 1972، ص 31 – 32، العدد (36) أكتوبر 1972؛ ص 35، العدد (40) فبراير 1973، ص 8.

مشروع للتعاون التلفزي بين بلدان المغرب العربي، وبعد أربع سنوات بدأ المغربفزيون في التحرك الفعلي.

وتشكل المغربفزيون من ثلاث هيئات، هي: هيئة الإذاعة والتلفزة المغربية، وهيئة الإذاعة والتلفزة التونسية، وهيئة الإذاعة والتلفزة الجزائية، وأصبح للمغربفزيون ميثاق، وتتكون أجهزته الرئيسة من مجلس مديرى العموم. ولجنة المغرب المشتركة، التي تضم فنيين وخبراء للبرامج من الدول الثلاثة لوضع خطة التعاون بينها، بناء على توصيات مديري العموم.

وفي مجال التليفزيون - ضمن إطار المغربفزيون - ارتبطت كل من تونس والجزائر والمغرب معا بوصلة (ميكروويف) منذ عام 1972 لتبادل البرامج بين الدول في أي وقت. وأدى هذا بالطبع إلى استخدام الإرسال الحي، وتبادل الأخبار التليفزيونية، والبرامج المسجلة بين البلدان الثلاثة. ويلاحظ أن هناك تبادلا نشطًا بين البلدان الثلاثة، لا يتوقف إلا خلال الأزمات السياسية التي تمر بها البلدان الثلاثة.

ومع أن التليفزيون، هو آخر وسائل الإعلام الجماهيرية من حيث النشأة، إلا أنه استطاع خلال سنوات قليلة، أن يحقق تطورًا تقنيًّا ملحوظًا .. ففي مجال الاستقبال، يوجد حاليًا أجهزة ترانزستور صغيرة الحجم ومتوسطة، تعمل بالبطارية الجافة، أو بالتيار الكهربائي العادي، وبذلك يمكن استخدام تلك الأجهزة سواء في المنازل أو في الهواء الطلق، وتوجد أيضًا أجهزة صغيرة جدًّا تنقل صورًا ملونة، وأجهزة للمنازل شاشاتها منفصلة عنها؛ مما يسمح بتركيبها على الحائط بسهولة. ومن الاختراعات المهمة، توجد أيضًا شرائط (الفيديو)، أي تسجيل الصوت والصورة، في وقت معًا على شريط ممغنط، بدلا من الشريط السينمائي، الذي يتطلب عمليات طويلة من التحميض والطبع .. وتم صنع كاميرات تليفزيونية صغيرة؛ مما سهل تقديم عدد أكبر من التقارير الإخبارية، مذاعة رأسًا على الهواء، ولكن أكبر حدث في تاريخ التليفزيون، هو الذي وقع سنة 1962، حين تم الاتصال المباشر عبر الأطلنطي، عن طريق أول قمر صناعي للاتصالات اللاسلكية[1].

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 290، 291.



وبعد أن انتهينا من استعراض نشأة التليفزيون، وتطوره في العالم .. نبدأ في استعراض أهمية هذه الوسيلة الإعلامية ومميزاتها، وسلبياتها.

(أ) أهمية التليفزيون ومميزاته[1]:

لقد احتل التليفزيون مكانة متميزة في الصف الأول، بين وسائل الاتصال الجماهيري، ففاز بعدد كبير جدًّا من المشاهدين، وهم في ازدياد مستمر؛ وذلك لعدة أسباب أساسية، في مقدمتها ما يلي:

أولا: ترجع أهمية التليفزيون إلى عمق الأثر الذي يتركه في نفس المشاهد؛ بسبب المميزات المتصلة بعناصر تكوين هذه الوسيلة .. فالرسالة، أو التجربة الإنسانية، تنتقل عن طريق التليفزيون بالصورة المتحركة، المقترنة بالصوت، فتحقق لها جاذبية خاصة، وقدرة عالية على الإقناع، يرجع بعضها إلى سهولة إدراك الرسالة والانفعال بها. وإلى انتفاء الحاجز اللغوي، حيث تصبح الصورة هي اللغة، والصورة - بطبيعة الحال - تخاطب من يجيد القراءة إلى جانب الأمي، ومن هنا دخل التليفزيون إلى بيوتنا، وأصبح نافذة نطل منها على العالم. **ويزيد من هذه الجاذبية، والقدرة، إحساس المشاهد بانعدام عنصر الزمن، بين بث الرسالة وتلقيه لها.. فالتليفزيون يعتبر امتدادًا طبيعيًّا للرؤية والعين. وهذا على نسق ما ذكره مارشال ماكلوهان، من أن الراديو امتداد الأذن، والصحيفة امتداد العين مثل التليفزيون. والشيء نفسه يصدق على السيارة والطائرة، وكل وسائل النقل؛ باعتبارها امتدادًا للساق .. والميكروفون امتداد للحنجرة، وهكذا.**

ثانيًا: تتطلب مشاهدة التليفزيون، الذي يستخدم الصوت والصورة المتحركة معًا، التفرغ الكامل لمتابعة برامجه، والتركيز الكلي لذلك من جانب مشاهديه، ومن أجل ذلك وصف التليفزيون بأنه أناني، لا يسمح بالانصراف عنه، أو أداء عمل آخر أثناء مشاهدته.

---

(1) اعتمدنا في هذه الجزئية على المرجع السابق، ص 292 – 296، 304؛ وكذلك سعد لبيب: دراسات في الفنون الإذاعية (بغداد 1973)، ص 9 – 11، 17، 18؛ وكذلك الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص 45 – 47؛ وكذلك التطور التاريخي للتليفزيون، مرجع سابق، ص 14 – 17؛ وأيضًا وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص 137 – 139؛ وكذلك الفن الإذاعي، مرجع سابق، ص 25.

وبالرغم من أن هذا الأمر يعتبر من سلبياته، إلا أنه في الوقت نفسه، يعتبر من مميزاته الأساسية؛ لأن الانتباه للرسالة الإعلامية، يساعد على فهمها وتذكرها، وهما أمران مهمان جدًّا، حتى أن جميع وسائل الإعلام تسعى جاهدة – وبشتى الطرق – لجذب الانتباه إليها، والاهتمام بمضمون ما تقدمه .. ثم إن التليفزيون – بوجوده في المنزل – يغني المشاهدين عن الذهاب إلى أماكن قد تكلفهم مجهودًا لا يريدونه، أو لا يقدرون عليه.

فهو وسيلة تيسر الإعلام للناس، وتجعل بإمكانهم الاتصال بالعالم الخارجي وهم جالسون على كراسيهم المريحة، أو راقدون في فراشهم الوثير، دون أن يتكبدوا عناء ماديًّا، أو مشقة بدنية. وهذه الإمكانات، والتسهيلات التي يتيحها التليفزيون تجعله أكثر مقدرة على الإقناع؛ لأن المشاهد يتعرض له باستمرار، وخاصة إذا كانت برامجه متنوعة، وهادفة، بحيث لا يمل المشاهد من متابعتها.

ثالثًا: يتميز التليفزيون بتفوقه الساحق، في نقل المناسبات، والأحداث المهمة على الهواء فورًا؛ مما يجعله عين المشاهد الذي تحول ظروفه في عالمنا المعقد، المليء بالمشاغل، دون أن يتوجه إلى مكان الحدث. وإذا أدركنا ،ن فيها ما يقع على سطح القمر، وفي القطبين الشمالي والجنوبي، وفي أقصى أرجاء المعمورة، لأدركنا الخدمة الكبيرة التي يقدمها التليفزيون، وهي خدمة يلمسها الجميع .. وكمثال واقعي على ذلك، أنه في الليلة الواقعة بين 20 و21 يوليو 1969 نزل رجلان من طاقم مركبة الفضاء (أبوللو الحادية عشرة) لأول مرة على سطح القمر، وقد تابع هذا المشهد على شاشة التليفزيون، أكثر من خمسمائة مليون شخص في أنحاء المعمورة.

فالتليفزيون، وهو إذ ينقل إلى المشاهد الأحداث أثناء حدوثها – في أغلب الأحيان – فإنه يربط بينه وبينها، وينقلها إليه بكل ما فيها من معان وانفعالات .. وهو إذ ينقل إلى المشاهدين معلومات بأسلوب سهل وبطريقة مشوقة. وهو إذ يعرض المشكلات الاجتماعية القائمة في المجتمع، فإنه يثير الوعي والإحساس بهذه المشكلات، ويوجد واقعًا، وحماسًا، ورغبة للمساهمة في حلها.

رابعًا: يستطيع المشاهد أن يحتفظ بذاتيته أمام جهاز التليفزيون، كما يستطيع أن يحتفظ بردود أفعاله الشخصية، وحريته في الحكم على الأشياء. وهكذا يمكنه الإفلات من اندماجه

في الجماهير، ومن ظاهرة الذوبان فيها؛ فنحن نشاهد التليفزيون، ولكن لا تصيبنا عدوى العاطفة الجماهيرية، التي نلحظها في اللقاءات الحاشدة، عندما نكون أحد أعضائها .. ففي هذه الحالة نرى الفرد يندمج فيما حوله اندماجًا كليًّا، ومثال ذلك الخطب السياسية الحماسية، أو مباريات كرة القدم في الملاعب الرياضية الكبرى.

أما في حالة مشاهدتها عن طريق التليفزيون، فالأثر الناتج يكون مختلفًا؛ إذ إنه لا يخضع لهذا التماثل مع الجماهير؛ لأنه منفصل عنها في الواقع، وينظر إليها من مختلف الزوايا، وربما من نظرة أعلى من نظرتهم. والتليفزيون من هذه الناحية يتميز بأنه يصون الأصالة الشخصية، وحاسة النقد، والاستقلال في الحكم على الأشياء. وعلى الرغم من أن التليفزيون هو أداة أو وسيلة جماهيرية، فإنه قادر على حماية الإنسان الحديث من روح الجماهير، ومن الانغماس فيها، فلا يذوب في خضمها.

خامسًا: ينتج التليفزيون أشكالا فنية مختلفة خاصة به، ولكنه يتميز بأنه جهاز نشر لبعض ما تنتجه وسائل الإعلام، التي يتلاءم نشاطها مع نشاطه، كالسينما، والمسرح، وقاعات البحث، والمحاضرات وغيرها؛ ذلك أن الإنتاج التليفزيوني، يكلف الجهات المنتجة له الكثير من الجهد والمال.

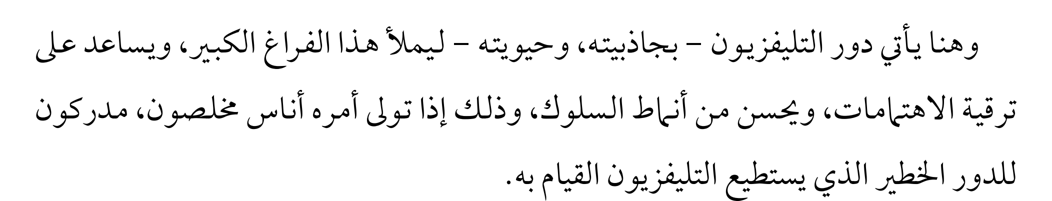
والخدمات التليفزيونية مضطرة إلى أن تقدم ساعات طويلة من الإرسال، في كل يوم على مدار السنة؛ حتى تضمن لها جمهورًا يشتري أجهزة الاستقبال؛ ولذلك نراها مضطرة إلى الاستعانة ببعض ما تنتجه وسائل الإعلام الأخرى .. هذا بالإضافة إلى أن بعض هذا الإنتاج غير التليفزيوني، الذي يعرض عن طريق التليفزيون قد تكون له قيمة كبيرة من النواحي الثقافية، أو الترفيهية، أو الإعلامية.

سادسًا: أن كل برامج التليفزيون، يمكن أن يكون لها أثر في التكوين الثقافي للفرد والمجموع، سواء أكانت برامج للأطفال، أو العائلة، أو كانت برامج سينمائية، أو حلقات مسلسلة، أو كانت أخبارًا، أو برامج متصلة بالأحداث الجارية، وسواء أكانت تمثيليات، أو برامج ترفيهية تنشر لمجرد التسلية. بل إن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك أثرها الثقافي في الفرد والمجموع - بطريق غير مباشر - بأكثر مما تفعله البرامج، والدراسات، والندوات الجادة، المتصلة اتصالا مباشرًا بالعلم والأدب وغيرهما.

والأثر الثقافي الذي تتركه هذه البرامج، قد يكون أثرًا مباشرًا أو غير مباشر. أو بمعنى آخر، أنه قد يكون عاجلا، أو يظهر على المدى الطويل، ودون وعي من المستقبِل، وقد يتصل الأثر بمجرد إضافة معلومة، أو إيجاد اتجاه جديد، أو إضعاف اتجاه قديم، أو المعاونة على إيجاد وجهة نظر محددة جديدة أو متحولة من وجهة نظر أخرى. وقد تكون في إيجاد قيمة جديدة أو تدعيمها، أو إضعاف قيمة قديمة أو التحول عنها. وقد يتمثل الأثر في تعديل سلوك قائم، أو العدول عنه إلى سلوك جديد. وفي هذا الصدد أيضًا، ينبغي ألا ننسى **نظرية (سريان المعلومات على مرحلتين)**، وهي التي تثبت أن تأثير التليفزيون، أو غيره من وسائل الاتصال الجماهيري، لا تشمل فقط الذين يتلقون عنه مباشرة؛ إذ إن هؤلاء أو بعضهم ممن لهم تأثير على الآخرين، يتولون نقل ما تلقوه، أو تأثروا به من برامج التليفزيون، إلى الآخرين الذين لم يشاهدوه .. ومن خلال رحلة التأثير الثنائية هذه، يتم تداخل مؤشرات أخرى، قد تقوى وقد تضعف، أو حتى تعكس الأثر الأول، الذي أحدثته الرسالة التليفزيونية.

سابعًا: يستطيع التليفزيون، بث الثقافة الجماهيرية، والتي تعني رفع المستوى الفكري، والروحي، والسلوكي لكافة فئات الشعب، بحيث يجد كل فرد ما ينمي قدراته واستعداداته، وبث هذه الثقافة، يحتاج إلى وسائل إعلامية تصل إلى مختلف الفئات .. وهنا يأتي دور التليفزيون، الذي أصبح جهازًا شعبيًّا؛ لأنه يدخل معظم البيوت؛ لانخفاض أسعاره، وتنوع أحجامه، بحيث أصبح شبيهًا بجهاز الراديو من وجوه عديدة. فقد تقدمت صناعته تقدمًا كبيرًا - كما سبق إيضاحه - باختراع التليفزيون (الترانزستور)، الذي يعمل بالبطاريات الكهربائية، وهو صغير الحجم؛ مما يساعد على حمله ونقله إلى كل مكان بيسر وسهولة.

وبذلك أصبح التليفزيون، أحد الوسائل المهمة، التي يمكن بث الثقافة الجماهيرية من خلاله؛ لأن باستطاعة القائمين عليه مخاطبة شتى فئات الناس، على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم. وثقافاتهم، بالأسلوب الذي يناسبهم، ويرفع من مستواهم، عن طريق لغة مشتركة، تستفيد من الصورة والحركة في الاتصال اللغوي. وهذا يساعد على سد الفجوة الثقافية بين الفئات المختلفة؛ بحيث يجعلها أكثر تفاهمًا، وتجانسًا؛ فالوسائل الإعلامية المقروءة مثل الكتاب والجريدة، والمجلة، لا يستطيع الاطلاع عليها سوى فئة معينة، هي الفئة المتعلمة، التي تتمتع بقدر من الوعي والاهتمام بالقضايا العامة، أما الغالبية فإنها محرومة من هذه النعمة.



وهنا يأتي دور التليفزيون – بجاذبيته، وحيويته – ليملأ هذا الفراغ الكبير، ويساعد على ترقية الاهتمامات، ويحسن من أنماط السلوك، وذلك إذا تولى أمره أناس مخلصون، مدركون للدور الخطير الذي يستطيع التليفزيون القيام به.

ثامنًا: يعتبر التليفزيون فتحًا جديدًا في مجال البرامج التعليمية. وقد فاق الصحيفة، كما نجح في تبسيط المناهج الدراسية، وتعليم اللغات ومحو الأمية. حيث يتم التعليم عن طريق التليفزيون بأسلوب محبب إلى الجمهور، عن طريق طرح مسائل جادة، ولكن بطريقة جذابة، تشد إليه غير المثقفين أو المتخصصين.

ويستطيع التليفزيون ذو الدائرة المغلقة، أن يلعب دورًا كبيرًا في التعليم، في الجامعات ذات الأعداد الكبيرة .. وقد بدأت بعض الجامعات في تركيب التليفزيون في مدرجاتها؛ لتتيح الفرصة لأكبر عدد من الطلاب، لمتابعة تجربة علمية يجريها أحد الأساتذة، في معمل لا يتسع إلا لعدد محدود منهم.

كما أن التعليم يمكن أن يتم جزئيًّا بواسطة التليفزيون، عن طريق إنتاج أفلام تربوية، وتعليمية، وتثقيفية، يتولى التعليق عليها الأساتذة، كما لو كانوا يشرحون أمام طلابهم ما يدق عليهم من أمور.

وسواء أكان التليفزيون أداة للتعليم، والتثقيف، بصفة دائمة أو بصفة ثانوية، فيجب عليه قبل كل شيء أن يرضي المشاهد؛ باعتبار أن الإرضاء هو القاعدة الأولى من قواعد الفن، ولكن على التليفزيون أن يقدم لمشاهديه متعة راقية، تسر الحس والروح في وقت واحد. والجودة ضرورية، بل أساسية، إن أريد إثارة الانفعال بعيدًا عن السطحية والسوقية.

تاسعًا: بالرغم من أن برامج التليفزيون، في أغلبها محلية؛ نظرًا لأنه ما زال محصورًا في دائرة قطرها محدود .. إلا أنه في مجال الأخبار، ظهرت نشرة جديدة تقدم العالم بين يدي المشاهد، وتحكي فيها الصور كل ما يحدث في العالم. وهذا حلم ما كان يتاح لولا الإمكانات المنظورة التي أوجدها التليفزيون، وشبكات التليفزيون الأمريكي (- A.B.C -C.B.S

NBC)[1]، وكذلك وكالة (فيز نيوز Vis news)[2] والتي تمارس نفوذًا عالميًّا ضخمًا لما توزعه من الأفلام الإخبارية، تنقل العالم حسب رؤيتها .. وبذلك لم يعد مشاهد التليفزيون مشاهدًا محليًّا فقط، بل أصبح مشاهدًا عالميًّا أيضًا؛ نظرًا لما يشاهده يوميًّا على شاشة التليفزيون من الأحداث الداخلية والعالمية.

عاشرًا: يكتسب الإنسان ما يقرب من 98٪ من معلوماته، ومعارفه، وتجاربه، عن طريق حاستي السمع والبصر، وهما أهم حواس الإنسان اللتين يعتمد عليهما التليفزيون، اعتمادًا يكاد يكون كليًّا، وقد دلت الاختبارات السمعية والبصرية، أن استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة 35٪ عند استخدام الصورة والصوت في وقت واحد، وأن مدة الاحتفاظ بهذه المعلومات في الذاكرة تطول عندئذ بنسبة 55٪، ومن هذا المنطلق اكتسب التليفزيون أهميته وخطورته؛ لأن ما يقدمه من برامج لا ينقطع تأثيره عند الناس بقدر اقتناعهم بها.

والكلمة المسموعة من الحدث المشاهد تترك أعمق التأثير في نفوس الناس ووجدانهم. وعلى هذا يجب أن تتنوع المادة التليفزيونية لتشمل كل نواحي الحياة، فتتضمن البرامج الدينية المتخصصة من القرآن والتفسير والحديث والفقه والتشريع، والبرامج العامة، والأركان المتخصصة في كل علم وفن والمنوعات والحديث، والحوار والندوة والفيلم التسجيلي، والفن الشعبي، وعرض التراث والتاريخ، والتحقيقات والمسلسلات الدرامية، والمواد الثقافية

---

(1) هذه الشبكات الثلاثة تسيطر على التليفزيون التجاري في أمريكا، ولكن سيطرتها ليست بالقدر نفسه على التساوي، حيث تعتبر شبكة (سي. بي. إس) في المقدمة، وتليها شبكة (إن. بي. سي) ثم شبكة (إيه . بي. سي) في المرتبة الثالثة؛ وذلك لأن الشبكة الأولى توجد المحطات التابعة لها في الأماكن المزدحمة بالسكان، ومعنى ذلك أنها تأتي في المقدمة من ناحية كثرة عدد المشاهدين لبرامجها .. وفي الستينيات بدأت شبكة (إيه. بي. سي) الأخيرة تكسب أكثر، وتصل إلى مستويات الشبكتين الأخريين. (راجع النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 84).

(2) **وكالة الفيز نيوز:** هي هيئة غير تجارية، تملكها هيئة الإذاعة البريطانية، وهيئة الإذاعة الكندية، ولجنة الإذاعة الأسترالية، وهيئة الإذاعة النيوزيلندية، ووكالة رويترز البريطانية .. ومقرها في لندن، وتخضع للملكية في إطار الكومنولث البريطاني، وهي لها طابع دولي، وتوفر خدمة من الأخبار الفيليمة أو الإذاعية لأكثر من 174 محطة إذاعية في 97 دولة. وتصل خدماتها لكل محطات التليفزيون في العالم. وهي تعتبر أهم وكالة، تقدم الأخبار المسجلة على الفيديو في العالم .. وتحمل اسمها الحالي من عام 1957، وكانت قبل ذلك تسمى وكالة أنباء الكومنولث البريطاني الدولية، منذ نشأتها في عام 1953 (قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص 354.

والترويحية المختلفة في صور جذابة مبهرة، وبحيث تتضمن في ثنايا عرض الأمور العامة من خلال التصور الإسلامي الشامل لحياة الناس، أو بمعنى آخر أن تصاغ البرامج والمضامين، والمواد المعروضة على شاشة التليفزيون في ضوء تعاليم الإسلام وتصوراته وحدوده؛ حتى يسهم هذا الجهاز بنصيب وافر في بناء الإنسان الصالح المتوازن، القادر على التطور والتقدم في كل موقع من مواقع الحياة.

(ب) سلبيات التليفزيون[1]:

ولكن مع كل تلك المميزات السابق عرض أهمها للتليفزيون، فإنه توجد له سلبيات عديدة أيضًا، في مقدمتها ما يلي:

أولا: أورث التليفزيون للمشاهدين السلبية، والتلقي لطول ساعات التعرض لوجبات جاهزة، والتهم وقت القراءة، والتحصيل، والاجتهاد الفكري، وهو بذلك يستنفد جهد المتلقي؛ حيث يقيده بالجلوس لساعات طويلة لمتابعة برامجه.

ثانيًا: أن التليفزيون بعرضه للعنف، وبعض الصور السلبية، قد نقل أفكارًا للناشئة، تؤثر على تفكيرهم، وتجنح بهم أحيانًا إلى الجريمة، وتقليد المجرمين فيما يرتكبونه من جرائم، والتي غالبًا ما يضفي عليها التليفزيون صورًا خيالية، قد لا تطابق الواقع من قريب أو بعيد؛ لتكون أكثر إثارة للمشاهدين.

ثالثًا: إن التليفزيون - وخاصة في الدول الرأسمالية - قد أوجد أنماطًا استهلاكية، بإعلانه المتوالي عن السلع، بحيث أصبح كأنه (سوبر ماركت) ضخم، مما أوجد عقلية (السوبر ماركت) التي تهدد الدول النامية، وتجنح بمتطلبات أبنائها إلى أنماط معيشية، وصل إليها أصحابها بعد فترات بناء لم يمر بها بعد أبناء الدول النامية.

والتليفزيون في ذلك يستغل تقديمه للمادة الإعلانية، بطريقة متحركة ومتجددة، بحيث تمكنه من أن يدخل إلى عقل المشاهد وقلبه، بما يقدمه من مؤثرات سمعية وبصرية، تجعل

---

(1) اعتمدنا في هذه الجزئية على وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 305؛ وكذلك التطور التاريخي للتليفزيون، مرجع سابق، ص 18، 19؛ وأيضًا وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص 142، 143؛ وكذلك إبراهيم سرسيق: أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته (مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي - بدون تاريخ)، ص 36، 37.

المتلقي أسير الصناعة، وموجها الوجهة التي يراها ويحددها مقدم الإعلان، وزد على ذلك أن عدسات التليفزيون قادرة أيضًا على تقديم المرئيات بأحجام ومقادير وألوان غير ثابتة، وغير طبيعية إذا أريد لها ذلك؛ إذ بإمكان هذه العدسات أن تظهر الكبير صغيرًا، والقبيح جميلا، والقريب بعيدًا، والبعيد قريبًا.

رابعًا: أوجد التليفزيون ديكتاتورية فكرية، تتمثل في فرض الأذواق في الترفيه والتثقيف، فضلا عن تلبية طلب مؤسسات الضغط، وأصحاب رءوس الأموال والمعلنين؛ مما جعل الملايين يلتهمون وجبات ليست من صنعهم.

خامسًا: لا يتيح التليفزيون مجالا للتخيل؛ لأنه يشغل حواس المشاهد، ولا يسمح له بأن يحلق في أجواء الخيال، وذلك بعكس الراديو، الذي يشغل حاسة السمع فقط، والمواد المقروءة التي تشغل حاسة النظر فحسب. والخيال قد يكون مفيدًا في بعض الأحيان؛ لأنه يخرج بالمرء من عالم الواقع المشحون بالمثبطات، إلى عالم الغد الزاخر بالآمال والأماني.

فمن واجب القائمين على التليفزيون أن يلاحظوا هذا الأمر، بأن يتيحوا للمشاهد فرصة للتفكير، والتخيل، من خلال المشاهد؛ لتحقق الاستفادة الكاملة، وبهذا تتلافى سلبية التليفزيون في هذا الجانب، ومن نافلة القول أن نذكر أن كثيرًا من المخترعات، ربما نبتت من بنات أفكار وتخيلات المخترعين.

سادسًا: يوصف التليفزيون بأنه أناني، أو صديق صارم في صداقته؛ لأنه لا يسمح للمشاهد بممارسة أي نشاط آخر. وهذه السلبية يمكن تلافيها بتنظيم فترات البث، بحيث تكون في أوقات الفراغ، وكذلك بنوعية البرامج ومستواها؛ ليستفيد المشاهد من الوقت. فالمفروض ألا تكون ترفيهًا كلها، بل لابد أن تشمل أمورًا أخرى ذات فائدة للجمهور؛ كالعلم، والثقافة، ومعالجة المشكلات الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، وغيرها.

سابعًا: أن التليفزيون يجمع المشاهدين حوله، ويفرقهم في الوقت نفسه .. يجمعهم من ناحية التقاء مجموعة من الأشخاص، أو الأجساد في إطار الأسرة الواحدة، أو النادي أو الجمعية بصورة اتفاقية أو عشوائية، ثم يفرقهم كذلك؛ حيث إن لكل مشاهد منهم عالمه الذي يعيش فيه، وأحلامه التي يغرق في دوامتها، وتقمصاته لشخصيات الأبطال الذين

يجبهم، وتفسيره للأحداث التي تنطبع في مخيلته .. فالتليفزيون في الوقت الذي يجمع فيه الأجساد، إنما يشتت فيه الأفكار.

ثامنًا: ومن الأخطار الكبرى التي تهدد مشاهدي التليفزيون، هو أن يصبح هذا الجهاز أداة من أدوات التسلية فقط، حيث ينظر كثير من الناس إلى التليفزيون على أنه وسيلة ترفيهية فقط، ولعل هذا الظن قد انتشر نتيجة لواقع التليفزيون، وخاصة في الدول النامية، تقليدًا لما كان عليه أول اختراعه في الغرب. ولكن التليفزيون أصبح الآن من أهم وسائل الاطلاع والمعرفة، حتى بالنسبة للاختصاصات الدقيقة في بعض البلاد المتقدمة. كما أن كثيرًا من الدول، ومنها بعض دول من العالم الثالث، قد أدخلت البرامج التعليمية إليه، ومع هذا فإنه لا يزال للترفيه الحيز الأكبر فيه؛ وذلك تلبيه لرغبة الجمهور في المزيد من هذه المادة.

والترفيه في حد ذاته، مطلب إنساني طبيعي؛ لأن الإنسان يمل من استمرار الجد، ولأجل هذا عني الإسلام بتلبية هذا الجانب.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: "كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا" [(رواه البخاري في كتاب العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا].

وعن أبي وائل، قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن: لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما أنه يمنعني من ذلك أني أكره أني أملكم وأني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا. [رواه البخاري في باب: من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة]. وقوله يتخولهم بالموعظة أي يتعهدهم، ويراعي الأوقات في تذكيرهم[1].

ولكن المشكلة الآن هي في حجم هذا الترفيه؛ لأن وسائل الإعلام – ومنها التليفزيون – يكثر فيها هذا اللون. وهو أمر خطير؛ لأن الوقت له قيمته في الإسلام .. فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ"

---

(1) متن البخاري مشكول بحاشية السندي (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر – بدون تاريخ)، الجزء الأول، ص 24، والجزء الرابع، ص 115.

[رواه البخاري في باب: ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة]. فكأنه قال: هذان الأمران إذا لم يستغلا فيما ينبغي، فقد غبن صاحبهما، أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته، أو ليس له في ذلك رأي[1].

فالحفاظ على الوقت فيما يفيد، من سمات المجتمع المسلم، والواجب إذن التقليل من الترفيه إلى الحد المعقول، والاستفادة من طاقة التليفزيون الهائلة في البرامج الإخبارية، والثقافية، والتعليمية، والإرشادية، وغيرها من المواد التليفزيونية، التي تهتم بتوعية المشاهدين، ورفع مستواهم من أجل حياة أفضل.

تاسعًا: أما الخطر الأكبر الذي يتهدد مشاهدي التليفزيون، فهو تعرضهم للإصابة بمرض السرطان، الناتج عن إشعاعات التليفزيون .. فقد نشرت جريدة (الشهاب) البيروتية في عددها الثاني الصادر في 27 ذي القعدة 1387 مقالا بقلم الأستاذ محمد علي حناوي المحامي، تحت عنوان "التليفزيون سرطان في الروح والمجتمع .. التليفزيون سرطان في الجسم والمال"، ومما قاله الأستاذ الحناوي في هذا المقال: لقد قرأت[2] أن العالم الشهير في التصوير الشعاعي الدكتور إميل كروب، قد أكد بمرارة وهو يحتضر في أحد مستشفيات شيكاغو بأمريكا، أن أجهزة التليفزيون في البيوت، هي عبارة عن عدو لدود، وأخطبوط سرطاني خطير، يمتد إلى أجسام الأطفال. وقد كان الدكتور كروب نفسه أحد ضحايا السرطان، الناتج عن إشعاعات التليفزيون، وقد أجريت له قبل وفاته 96 عملية جراحية؛ لاستئصال الدرنات السرطانية دون جدوى؛ إذ إنه وصل إلى النهاية المؤلمة، بعد أن استؤصل جزء كبير من وجهه، وبترت ذراعه، وأضاف الدكتور كروب قبل موته أن شركات التليفزيون تكذب وتخدع الناس، عندما تزعم بأن هناك حد أدنى للطاقة الإشعاعية لا تضر وتزود بها أجهزتها.

ويقول العالم أيضًا إنه بعد التجارب العديدة، فإن أية كمية من الإشعاع، مضرة بالجسم على درجات متفاوتة، وذلك حسب نسبة التعرض والجلوس أمام التليفزيون .. كما فند

---

(1) المصدر السابق نفسه، الجزء الرابع، ص 115.

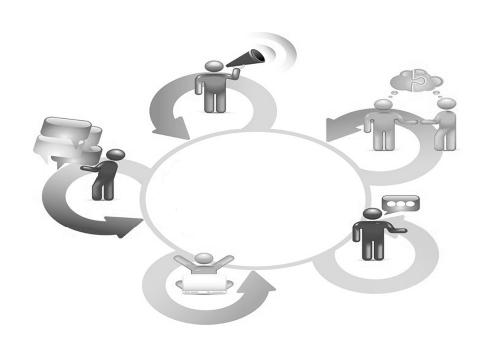
(2) ذكر الكاتب أنه قرأ هذه المعلومات في مجلة (الاقتصاد) اللبنانية في العدد (33) الصادرة في ديسمبر (كانون الأول)، عام 1967م.

كروب مزاعم الشركة التي تدعي أنها توجه الأشعة في جهازها نحو الأرض لا إلى المشاهد الذي يجلس بالقرب من جهاز التليفزيون.

واستغرب الدكتور كروب قائلا: كيف لا يهتم هؤلاء بالناس الذين يقطنون في الطوابق السفلى، علمًا بأن الإشعاعات الضوئية والذرية والنووية المستعملة في التصوير الشعاعي والتليفزيوني تخترق جميع الحواجز بما فيها الجدران السميكة؟!



وننتقل بعد ذلك إلى الباب الرابع والأخير بفصوله الستة؛ للحديث عن تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة، التي تحولت إليها كل وسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية السابق استعراضها، وبفضل ذلك تحقق لها التطور المذهل، وأمكنها القيام بأداء عملها على أفضل وجه وأحسنه.



الباب الرابع
وسائل الاتصال الإلكترونية الرقمية التفاعلية

يتضمن هذا الباب ستة فصول:

الفصل الثامن: عصر الاتصال الإلكتروني الرقمي التفاعلي.

الفصل التاسع: الكتاب الإلكتروني الرقمي التفاعلي.

الفصل العاشر: الصحافة الإلكترونية الرقمية التفاعلية.

الفصل الحادي عشر: السينما الرقمية التفاعلية.

الفصل الثاني عشر: الإذاعة الرقمية التفاعلية والفضائية

الفصل الثالث عشر: التليفزيون الفضائي والرقمي التفاعلي.



الفصل الثامن
عصر الاتصال الإلكتروني الرقمي التفاعلي(1)



تعتبر وسائل الاتصال الإلكترونية الرقمية التفاعلية الجديدة إضافة مهمة لتحقيق التقارب الإنساني، وتتيح تبادل المعلومات والخبرات والارتباط بين أجزاء العالم ببعضها بعضًا، دون أن تقلل من فرص تواجد وسائل الاتصال التقليدية الأقدم، في تأكيد أهميتها ودلالاتها في تفعيل الاتصال الإنساني .. فوسائل الاتصال الجديدة تجمع كل مزايا وسائل الاتصال التقليدية، ويزيد عليها مزايا وظائف جديدة، أهمها الرقمية، والتفاعلية المباشرة، وإزالة الفروق بين المرسل والمستقبل، فتبادل المعلومات والأفكار يتم في اتجاهين بصورة سريعة وفورية، واستقبال وإرسال الرسائل الاتصالية في أي وقت، ومخاطبة بعضهم بعضًا بسهولة ويسر.

ولقد تميزت التكنولوجيا الجديدة للاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين بمجموعة من السمات، نختصرها فيما يلي:

1) **التفاعلية Interactivity:** حيث يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار، ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين،بدلا من مصادر، وتكون ممارسة الاتصال مع المتلقي ثنائية الاتجاه وتبادلية.

---

(1) راجع إبراهيم إمام، ومحمد فريد محمود عزت: وكالات الأنباء المعاصرة، (القاهرة، دار الفكر العربي 2006)، ص27 وما بعدها. وكذلك القاموس الموسوعي للمصطلحات الإعلانية (إنجليزي / عربي) للمؤلف (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع 2002)، صفحات مختلفة.

2) **التفتيت Demassification:** وتعني تعدد الرسائل الاتصالية التي يمكن الاختيار من بينها لتلائم الأفرادوالجماعات الصغيرة المتجانسة، بدلًا من توجيه الرسائل لتلائم الجماهير العريضة.

3) **اللا تزامنية Asynchronization:** وتعني إمكانية إرسال واستقبال الرسائل في الوقت نفسه، والمناسب للفرد والمستخدم للاتصال .. ففي حالة البريد الإلكتروني مثلا يمكن توجيه الرسائل في أي وقت، بغض النظر عن تواجد المتلقي للرسالة في وقت معين.

4) **الحركة والمرونة Mobility:** حيث يمكن تحريك الوسائل الجديدة إلى أي مكان، مثل: الحاسب الشخصي والتليفون المحمول، وكاميرات الفيديو المحمولة ... إلخ.

5) **قابلية التحويل Convertibility:** حيث أتاح الاتصال الرقمي إمكانية تحويل الإشارات المسموعة إلى رسائل مطبوعة أو مصورة، والعكس بالعكس.

6) **قابلية التوصيل Connectivity:** وتعني إمكانية دمج الأجهزة ذات النظم المختلفة، بغض النظر عن الشركة الصانعة.

7) **الانتشار Ubiquity:** ويعني تحول الوسائل الجديدة من مجرد ترف وإضافات إلى وسائل ضرورية ووظيفية .. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في حالة انتشار التليفون المحمول على نطاق واسع.

8) **الكونية Globalization:** حيث أصبحت بيئة الاتصال عالمية، تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة.

وكانت الجذور الأولى لمعالم عصر الاتصال الإلكتروني قد بدأت خلال القرن التاسع عشر، واكتمل نموه في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد شهد القرن التاسع عشر ظهور عدد كبير من وسائل الاتصال؛ استجابة لعلاج بعض المشكلات الناجمة عن الثورة الصناعية، حيث أدى التوسع في التصنيع إلى زيادة الطلب على المواد الخام، وكذلك التوسع في فتح أسواق جديدة خارج الحدود، كما برزت الحاجة إلى استكشاف أساليب سريعة لتبادل المعلومات التجارية، وبالتالي أصبحت الأساليب التقليدية للاتصال لا تلبي التطورات الضخمة التي يشهدها المجتمع الصناعي، وفتح الأسواق الجديدة، ولتبادل المعلومات – كما

سبق ذكره - فلقد بذلت محاولات عديدة لاستغلال ظاهرة الكهرباء بعد اكتشافها، وظهور العديد من المخترعات الجديدة؛ نتيجة استغلال الطاقة الكهربائية.

التلغراف والتليفون والراديو:

* ففي عام 1824 اكتشف العالم الإنجليزي (وليم سترجون Sturgon) الموجات الكهرومغناطيسية، ثم جاء اختراع التلغراف سنة 1837؛ بفضل الأمريكي صموئيل مورس S.F.B. Morse، فكان بمثابة ثورة في عالم الاتصال، غيرت وجه الفن الصحفي، وما لبث كبار الصحفيين أن أدركوا خطورة التلغراف، وأثره على نقل الأخبار، فيقول جيمس جوردون بينيت James Gordon Bennet في مقال له نشر سنة 1844 بصحيفة نيويورك هيرالد Newyork Herald: إن نقل الأخبار بالتلغراف سوف يوقظ الجماهير، ويجعلها أكثر اهتمامًا بالمسائل العامة، وسوف يصبح للمفكرين والفلاسفة والمثقفين والصحفيين جماهير أكثر عددًا وأشد إثارة وأعمق تفكيرًا عن أي وقت مضى، ولا شك أن نقل المعلومات بطريقة تلغي عامل الزمن، قد خلق ثورة في نفوس الصحفيين والجماهير على السواء، وشتان بين قارئ الأمس وقارئ اليوم، الذي لا يستطيع أن ينتظر أكثر من بضع ثوان؛ لتوافيه الإذاعات وأجهزة التليفزيون بآخر الأخبار المصورة، بل إنه يعيش الأحداث لحظة وقوعها؛ وذلك بفضل التقدم المذهل في فنون الاتصال الحالية.

ولم يكد يبدأ استخدام التلغراف في إنجلترا سنة 1845، حتى بدأت الأسلاك تمتد بين سائر المدن، وفي سنة 1851 ارتبطت فرنسا بإنجلترا تلغرافيًّا عن طريق خط من الأسلاك الممتدة تحت سطح البحر بين كيب جرينيه ودوفر، وما وافت سنة 1852 حتى كان طول الخطوط التلغرافية في الولايات المتحدة الأمريكية 16735 ميلا، ارتفعت إلى 50000 ميل سنة 1860، ووصلت إلى 110727 ميلا سنة 1880.

وفي سنة 1858 ارتبطت أوربا بأمريكا عن طريق خط من الأسلاك الممتدة تحت مياه المحيط الأطلنطي؛ بفضل سيبروس فيلد F.Cyprus Field، غير أن هذا الخط قد انقطع عن العمل بعد الرسالة رقم 269، ومن الطريف أن أول برقية أذيعت على هذا الخط كانت رسالة تهنئة من الملكة فكتوريا إلى الرئيس الأمريكي بوكنان، الذي لم يصدق الأمر، وظن أن المسألة مجرد خدعة، ولكنه رد على الملكة عندما أكد له المسئولون أن الاختراع كان حقيقة واقعة.

وقد أعيد مد هذا الخط العابر للمحيط الأطلسي في 28يوليه سنة 1866، واستخدمته الصحافة على نطاق واسع، وفي العقد السابع من القرن التاسع عشر، تم الاتصال برًّا وبحرًا بين بريطانيا والهند واليابان، كما امتدت الخطوط بين أمريكا وجزر الهند الغربية من جهة، وبينها وبين أمريكا الجنوبية من جهة أخرى.

ولما كانت تكاليف إنشاء هذه الخطوط باهظة للغاية، فقد استلزم الأمر تضافر الجهود لإنشاء الاتحادات والوكالات التي تستطيع أن تغطي تلك المصروفات، فيوجد في عالم اليوم أكثر من 7 ملايين ميل من الخطوط التلغرافية، ولكنها موزعة بطريقة غير متساوية؛ إذ يخص أمريكا الشمالية 40٪ من تلك الخطوط، ويخص أوربا 40٪ أيضًا، أما بقية الخطوط فهي موزعة على القارات الأخرى، بحيث لا يوجد في آسيا وأفريقيا إلا أقل القليل، ومعظم هذه الخطوط تمتلكها الشركات والحكومات، ولابد أن يتم الاتصال عن طريق عواصم الدول الكبرى، ومن الغريب أن أي اتصال بين عاصمة دولة كانت تقع تحت حكم الاستعمار البريطاني، وعاصمة دولة أخرى كانت تقع تحت حكم الاستعمار الفرنسي، لابد أن يتم عن طريق لندن وباريس، حتى لو كانت المسافة بينهما لا تزيد على بضعة أميال.

* وفي سنة 1875 اخترع ألكسندر جراهام بيل Graham Bell التليفون؛ لنقل الصوت إلى مسافات بعيدة، تستخدم تكنولوجيا التلغراف نفسها، أي سريان التيار الكهربائي عبر الأسلاك النحاسية، فكان بمثابة دفعة قوية، وقفزة رائعة للفن الصحفي بوجه عام، ولنقل الأخبار عن طريق الوكالات بوجه خاص، ومنذ سنة 1927 أصبح التليفون عاملا مهمًّا ورئيسًا لنقل الأخبار عبر المسافات الطويلة، عن طريق دوائر تربط القارات سلكيًّا ولا سلكيًّا.

وأصبحت المدن البعيدة تتصل ببعضها بعضًا في دقائق معدودات، بعد أن كان الاتصال بينها يستغرق شهورًا وسنوات، وخاصة بعد أن امتدت خطوط الاتصالات عبر المحيط الهادي.

* وكان اختراع الراديو بمثابة ثورة في تاريخ الاتصال بين القارات، ويرجع اختراع الراديو إلى عالم اللاسلكي الإيطالي الأصل جو جليلمو ماركوني Jugalilmo Marconi، الذي تمكن في سنة 1896 من استخدام هذه الوسيلة اللاسلكية للاتصال لأول مرة في

التاريخ، وانتقال الصوت إلى مسافات بعيدة بدون استخدام الأسلاك، وسجل ماركوني اختراعه هذا في بريطانيا في يونيه 1896، وتلاه آخرون في تطوير استخدامه، مثل فيسندن الذي تمكن سنة 1906 من بث رسائل لاسلكية مختصرة إلى سفن في البحار، مصحوبة ببعض القطع الموسيقية، مع التهنئة بحلول عيد الميلاد.

وقد استخدم التليفون اللاسلكي في أول الأمر بطريقة بدائية جدًا، إلا أنه أخذ في التطور حتى أصبح حقيقة واقعة عمليًا مع بداية 1900، عندما أمكن صنع جهاز إرسال تليفوني لاسلكي، كما أمكن بناء أول محطة إذاعة قرب نيويورك ليلة عيد الميلاد سنة 1906، استمع إليها عدد كبير من الناس الذين زودوا بأجهزة استقبال، ولقد كان لهذه المحاولة أهميتها، رغم أن الموسيقى كانت غير واضحة عند استقبالها لدرجة يستحيل معها تمييز الآلات الموسيقية المستخدمة عن بعضها بعضًا، أو الآلات الموسيقية عن الصوت الإنساني في الأغنية المذاعة.

ولقد كان اختراع صمام الراديو الخطوة التالية المهمة في تطوير أجهزة الإرسال اللاسلكية، والحصول على نتائج باهرة، وتلا ذلك قيام دي فورست باستخدام برج إيفل في باريس سنة 1908 للإرسال الإذاعي، وقد جذبت محاولاته التالية أنظار الجماهير حتى عام 1917، عندما اشتركت الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى، وشارك دي فورست وآخرون في تطوير الإذاعة الصوتية وتحسينها، نذكر منهم أمير موناكو الذي سمعت إذاعته التي كان يرسلها من يخته سنة 1913، إلا أن هذه الإذاعات كانت صعبة الالتقاط في بداية الأمر.

وكان نشوب الحرب العالمية الأولى سببًا في تعطيل تقدم الإذاعة إلى حد كبير، فقد قامت الحكومات بالسيطرة على جميع المحطات اللاسلكية، كما منعت محطات الهواة، ولم يتعد تقدم الإذاعة خلال هذه الفترة المجال الحربي، وعندما قطعت الخطوط التلغرافية والتليفونية، أصبح من الضروري استخدام وسيلة تبادلية عن طريق الراديو.

وقد أدرك الحلفاء قيمة الأخبار كقوة معنوية وإعلامية في الحرب، ولم يكن الألمان أقل منهم إدراكًا لخطورتها، فمنذ بداية القرن العشرين قسمت الدول الكبرى العالم إلى ثلاث مناطق رئيسة إعلاميًّا، تحتكر كل دولة من الدول الكبرى منطقة معينة منها، وعلى هذا الأساس قامت ألمانيا – عن طريق وكالة ولف الصحفية – باحتكار المجال الإعلامي في

النمسا والمجر والدول الإسكندنافية وألمانيا، كما احتكرت بريطانيا أخبار جميع إمبراطوريتها وبلاد الشرق الأقصى، وكانت وكالة أنباء رويترز تنهض بأعباء تلك المناطق الشاسعة، أما وكالة أنباء هافاس الفرنسية فكانت تهيمن على المنطقة الثالثة، التي تشمل فرنسا ومستعمراتها وأمريكا الجنوبية، وهذا بطبيعة الحال بالإضافة إلى الوكالات التي نزعت في بداية الأمر إلى التخصص في أخبار الأمريكتين.

ولقد فطنت هذه القوى الأوربية المتحاربة منذ البداية إلى أن القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية لابد أن تساندها قوة إعلامية، وما كادت تنشب الحرب العالمية الأولى حتى اندلعت معها – في الوقت نفسه – حرب صحفية وإعلامية، فسارعت بريطانيا إلى قطع خط الاتصال السلكي الكبير الممتد تحت مياه المحيط الأطلسي بين مدينة إيمدن الألمانية ومدينة نيويورك الأمريكية، وبذلك انقطعت الصلة تمامًا بين ألمانيا والعالم الخارجي، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وبعزل ألمانيا عن العالم، أصبحت لندن هي قلب العالم الخارجي، الذي ينبض بالأخبار والمعلومات؛ مما ترتب عليه حرمان ألمانيا من عرض وجهة نظرها، في حين أن الجو قد خلا تمامًا للحلفاء.

وفي دراسة إعلامية قام بها فوستر، ثبت من خلال تحليل مضمون صحيفة نيويورك تيمس الأمريكية، في المدة ما بين الإنذار النمساوي حتى إعلان أمريكا الحرب في أبريل سنة 1917، أن 70٪ من الأنباء كانت ترد من مصادر الحلفاء، بينما لم تزد نسبة الأنباء الواردة من مصادر ألمانية عن 4٪، ولم ترتفع هذه النسبة في أي وقت من الأوقات عن 12٪، ولا شك أن ذلك قد أضر بألمانيا أبلغ الضرر.

غير أن الألمان لم يقفوا مكتوفي الأيدي، فبحلول سنة 1915 كانت محطة ناون الإذاعية الضخمة تذيع أخبار ألمانيا على شتى بقاع العالم، الممتدة من إيران شرقًا حتى المكسيك غربًا، ولا شك أن هذه المحطة كانت بديلا وتعويضًا ناجحًا عن قطع خط الاتصال الرئيس العابر للمحيط الأطلسي بين ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هذه المحطة تعمل أربعًا وعشرين ساعة كاملة يوميًّا، وتوزع نشراتها على الصحف وأجهزة الإعلام والهواة والعملاء، ونافست بذلك وكالات الأنباء التابعة لدول الحلفاء، والتي كانت تبيع نشراتها باشتراكات باهظة.

ولا شك أن تطور الراديو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعمليات جمع الأخبار وتوزيعها، فقد أصبح من الممكن للصحفيين أن يتصلوا بوكالات الأنباء مهما بعدت المسافات، وفي الوقت نفسه يستطيع الإرسال الإذاعي أن يبث النشرات الإخبارية عدة مرات في اليوم الواحد، فضلا عن استخدام سيارات اللاسلكي لتغطية الأخبار ونقل الصور من مواقع الأحداث فور وقوعها، بل إن وكالات الأنباء كانت تقدم خدماتها على شرائط مثقبة، تغذي في آلات جمع الحروف؛ لتتم عمليات الطبع مباشرة، وكان هذا التقدم التكنولوجي له في حينه آثاره البعيدة على الاحتكار الإعلامي والتوجيه السياسي من عواصم العالم الكبرى؛ حيث توجد مراكز وكالات الأنباء الرئيسة.

التلكس والفاكسميلي:

* كذلك اعتمد التقدم الحديث في وسائل الاتصال الإلكترونية على استخدام جهاز (التلكس Telex) أو (المبرقة الكاتبة المباشرة)، وهو عبارة عن وسيلة للتخاطب بغير صوت، ويتم ذلك بالكتابة، وهو عبارة عن جهاز إرسال واستقبال في الوقت نفسه، وقد تم تعريب هذه المبرقات وحلت محل أجهزة (مورس Mors) التي كانت تستعمل في التلغراف بطريقة النقط والشرط، ومنه اشتق (التيكر Teker)، الذي استخدم لنقل الأخبار، وأول تلكس ظهر في العالم كان في ألمانيا الغربية عام 1922، ودخلت هذه الخدمة إلى مصر في أبريل 1969.

* كما اعتمد التقدم الحديث في وسائل الاتصال الإلكترونية على استخدام جهاز (الفاكسميلي)، والذي يطلق عليه أيضًا (جهاز الإرسال عن بعد)، أو (جهاز النسخ عن بعد)، أو (جهاز إرسال النصوص اللاسلكية)، وهذا الجهاز يمكن من إرسال الصور الواضحة بكافة أشكالها، بالإضافة إلى إرسال النصوص المكتوبة أيضًا عبر الدول والقارات، بواسطة موجات الراديو خلال دقائق معدودة، عن طريق تلقيها بواسطة جهاز مماثل في مكان آخر، وقد أحدث هذا الجهاز طفرة كبيرة في نقل الأخبار و الصور في دقة وسرعة، بالإضافة إلى عامل السرية لما ينفرد به المراسلون من أخبار، والتي كانت عرضة للتسرب عبر وسائل الاتصال القديمة، وقد تطور نظام (الفاكسميلي)؛ حيث يزود بجهاز كمبيوتر، ضاعف من

قدرات الجهاز، الذي أصبح في إمكانه إرسال واستقبال أكثر من خمسين صفحة في وقت واحد، وهذه الخدمة متوفرة في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء.

وقد بدأ الاستخدام الفعلي لهذه الأنظمة المتقدمة في نقل الأخبار منذ عام 1976، حين استخدمتها وكالة اليونايتد برس إنترناشيونال الأمريكية؛ لتغطية أولمبياد مونتريال، وكذلك لتغطية انتخابات الرئاسة الأمريكية في العام نفسه، وانتقل استخدام هذا النظام في نقل الأخبار من وكالات الأنباء العالمية إلى الصحف الكبرى في العالم؛ لإصدار طبعات دولية من عواصم مختلفة، عن طريق نقل صفحاتها كاملة بواسطة نظام إرسال النصوص اللاسلكية.

فتوحات علمية تكنولوجية للاتصالات:

وفي أواخر القرن العشرين الماضي، بدأت وسائل الاتصال الجماهيرية في استخدام ما استحدث من فتوحات علمية تكنولوجية في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية، والحاسبات الإلكترونية، والأقمار الصناعية، وأجهزة الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت لتزويد عملائها بالمعلومات وبالأخبار فور وقوعها طوال ساعات الليل والنهار، وقد أصبح استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، هو مصدر القوة الأساسي لهذه الوسائل، وسندها الرئيس؛ للبقاء والمنافسة في عصر المعلومات.

الحاسبات الإلكترونية:

وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية، التي دخلت مجال معالجة المعلومات كضرورة بعد ثورة انفجار المعلومات وتزايد حجمها، وقد مرت الحاسبات الإلكترونية خلال تطورها بخمسة أجيال: حيث ظهر الجيل الأول في الأربعينيات من القرن العشرين، وذلك بتصميم حاسب إلكتروني عام 1946 من خلال العلماء: جون موشلي – إيكارت - جولدشياني، وهو الحاسب (Eniac)، ثم أسس (جون موشلي وإيكارت) شركة لإنتاج أول حاسب تجاري للسوق المحلي، اسمه (Univac)، والمصطلح هو اختصار للاسم الكامل (Universal Automatic Computer)، وظهر في السوق المحلي عام 1951.

وظهر الجيل الثاني من الحاسبات الإلكترونية في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين (عام 1958) .. وظهر الجيل الثالث في بداية السبعينيات من القرن العشرين (1963) .. وظهر الجيل الرابع خلال عقد السبعينيات من القرن العشرين، بعد أن تطورت الدوائر الإلكترونية المتكاملة بسرعة كبيرة .. وظهر الجيل الخامس منذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين، وهو جيل الحاسبات الصغيرة جدًّا (Micro Computer)، والتي يطلق عليها الحاسبات الشخصية (Personal Computer)، وتتمتع بصغر الحجم، وسهولة التشغيل، والربط والاستخدام من خلال وسائل الاستقبال العادية، مثل التليفون العادي والتليفون المنزلي، ويوجد أيضًا الحاسب الصغير أو المتوسط (Mini Computer)، وهو أكبر حجمًا من الحاسب الشخصي.

ويوجد كذلك الحاسب الضخم (Mainframe Computer)، وهو أوسع من الحاسب المتوسط السابق، ويمكنه أن يتلقى ملايين التعليمات في الثانية الواحدة، ويوجد الحاسب العملاق (Super Computer)، ويعتبر من أكبر أنواع الحاسبات حجمًا، وأسرعها أداء وتكلفة، وله سرعة تشغيل عالية؛ حيث يمكنه أن يتلقى عدة بلايين من التعليمات في وقت واحد.

الأقمار الصناعية:

وتعتمد وسائل الاتصال الجماهيرية في عملها - في الوقت الراهن - على الاتصالات الفورية عبر القارات والمسافات البعيدة، عن طريق تكنولوجيا الأقمار الصناعية؛ فقد ظل ارتياد الفضاء حلمًا يراود الإنسان، وفي يوم 4 أكتوبر 1957م تحول هذا الحلم إلى حقيقة، حين فاجأ الاتحاد السوفيتي (سابقًا قبل تفككه) العالم، بإطلاق أول قمر صناعي باسم (سبوتنيك Sputnik)، وكان ذلك إيذانًا ببدء ثورة الاتصال الخامسة، وأصبح الاتصال عن طريق الأقمار الصناعية، وتطور الحاسبات الإلكترونية، من أبرز سمات عصر المعلومات.

ويرجع تاريخ استخدام الأقمار الصناعية لأغراض الاتصالات إلى 10 يوليو 1962؛ ففي مساء ذلك اليوم تم مشاهدة برنامج تليفزيوني في كل من الولايات المتحدة الأمريكية

وبريطانيا وفرنسا في الوقت نفسه، وذلك بعد بث أول قمر صناعي يستقر في الفضاء باسم (تلستار Telestar)، وقد استمرت هذه الخدمة لأقل من ساعة واحدة، ليس بسبب انتهاء البرنامج، وإنما بسبب تحرك القمر الصناعي بعيدًا عن خط النظر الوهمي الذي ترسل له الإشارات من الأرض. ورغم ذلك فقد تسبب إطلاق القمر الصناعي (تلستار) في فتح المجال أمام انتشار التليفزيون الدولي، من خلال امتزاج تكنولوجيا الأقمار الصناعية بتكنولوجيا الإذاعة.

وتم إنشاء المنظمة الدولية للاتصالات الفضائية (إنتلسات Intelsat)، وهي عبارة عن جهود دولية مشتركة؛ للسيطرة على الاتصالات الفضائية، وتطوير الاتصالات الدولية، وقد تأسست هذه المنظمة بعد توقيع اتفاقيتين دوليتين من جانب أربع عشرة دولة، زادت بعد ذلك إلى 54 دولة، وأطلقت هذه المنظمة القمر الصناعي (Early Bird) في 6أبريل 1965، كأول قمر صناعي مداري تطلقه منظمة إنتلسات، ثم تبعه سلسلة من الأقمار الصناعية التي تدور حول الكرة الأرضية بشكل متزامن، وذلك على أساس استقرار هذا القمر المتزامن في نقطة من الفضاء، تسمح له بأن يدور بسرعة متزامنة مع سرعة دوران الكرة الأرضية، ويعتمد ثبات القمر الصناعي في مداره على قوة الدفع وقوة الجاذبية، بشرط أن تتعادل القوتان؛ حتى يحافظ القمر على مداره فوق خط الاستواء.

وفي عام 1967، تم إطلاق الجيل الثاني من أقمار إنتلسات (Intelsat II) فوق المحيطين الهادي والأطلنطي، وقد حقق هذا الجيل إمكانية الاتصال الفوري بحوالي ثلثي الكرة الأرضية، ثم بدأ الجيل الثالث من أقمار إنتلسات بين عامي 1970/1968، وكان موقعه فوق المحيط الأطلنطي والهندي، وأتاح الاتصال الدولي بكل الكرة الأرضية، وظهر الجيل الرابع من أقمار إنتلسات بين عامي 1973/1971، وأضاف تكنولوجيا جديدة يطلق عليها (Beam Seporation)، وتعني زيادة مقدرة أقمار الاتصال على نقل المعلومات من الأقمار الصناعية وإليها، كما أدى تطوير هوائيات الإرسال والاستقبال، إلى جعل الترددات تتوجه مباشرة إلى الكرة الأرضية، وخلال الثمانينيات من القرن العشرين تم إطلاق الجيل الخامس الأكثر تطورًا من أقمار الإنتلسات.

وقد أتاحت سلسلة أقمار إنتلسات اتصالات دولية واسعة النطاق، ليس في مجال التليفزيون فقط، وإنما امتدت لتشمل نقل بيانات الحاسب الإلكتروني، والاتصالات الهاتفية، والراديو ذي الاتجاهين، واستخدامات عديدة أخرى، كما حقق مزايا كثيرة، مثل اجتياز العوائق الطبيعية، وتحقيق الاتصال الفوري عبر المسافات الشاسعة، وتوصيل الاتصال إلى عدة مواقع في وقت واحد، وتبادل المعلومات والرسائل الإعلامية على أسس اقتصادية.

وإلى جانب الاتصال الدولي عبر أقمار إنتلسات، توجد أيضًا أقمار صناعية أخرى تعمل على مستوى إقليمي، مثل القمر الصناعي العربي، الذي تم إطلاقه من عام 1985، وكذلك أقمار إقليمية أخرى في كندا والهند وفرنسا وغيرها، كما توجد في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من الأقمار الصناعية تغطي جميع أنحاء الولايات المتحدة.

شبكة الحاسبات العالمية (إنترنت)[(1)]:

ويحمل المستقبل القريب إمكانات غير محدودة لنمو تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي تستخدمها وسائل الاتصال المعاصرة، ويؤكد ذلك ما نعيشه حاليًا مع التقدم الهائل في (شبكة الحاسبات العالمية)، أو (شبكة الشبكات – إنترنت Internet)؛ فلقد أدى الاندماج بين ثورتي المعلومات والاتصال، الذي تمثل في التزاوج بين تكنولوجيا الحاسب الآلي وتكنولوجيا أقمار الاتصال الصناعية، إلى تدفق الملايين من الأنباء والمعلومات والصور والأفكار والآراء، عبر الدول والقارات والمحيطات بطريقة فورية، مكتوبة، ومسموعة، ومرئية، وبتقدم العلم أصبح العالم بمثابة قرية إلكترونية لمختلف المعارف، بما يقدمه من وسائل اتصال سلكية ولاسلكية مسموعة كانت أم مرئية.

---

(1) راجع في ذلك هيثم فهمي: رحلة الشبكة الدولية الإنترنت، القاهرة، الحسيني للكمبيوتر ونظم المعلومات، 1996، ص21 – 29؛ وكذلك أيمن العشري: المرجع في أساسيات وأسرار شبكة الشبكات إنترنت (القاهرة – مكتبة الفيروز)، ص 4–18؛ وكذلك عبد الفتاح مراد: موسوعة مصطلحات الكمبيوتر والإنترنت – إنجليزي / عربي (الإسكندرية)، ص755؛ وكذلك محمد فريد محمود عزت: القاموس الموسوعي للمصطلحات الإعلامية – إنجليزي عربي (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع عام 2002)، صفحات مختلفة؛ وكذلك المجالس القومية المتخصصة – المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام – الدورة (16) سبتمبر 1994 - يوليو 1995، تقرير بعنوان (الطريق السريع الإلكتروني، بتاريخ 1995/6/10، ص 69 – 76؛ وكذلك الدورة (21) بتاريخ سبتمبر 1999 - يونيه 2000، تقرير بعنوان (أخلاقيات الإعلام)، بتاريخ 2000/2/5، ص 46 - 47.

وقد انبعث عن ثورتي الاتصال والمعلومات وسيلة إعلام جديدة، هي (الإنترنت)، التي وضعت العالم بعلمه وفنه وحضارته وأفكاره ومعلوماته بين يدي الإنسان بأقل تكلفة ودون مشقة، كما تحقق بفضلها - لأول مرة في تاريخ الاتصال الجماهيرى - ما يسمى بالاتصال التفاعلي، الذي كان مقصورًا على الاتصال المباشر بنمطيه الشخصي والجمعي، ولكنه امتد عبر الإنترنت ليشمل وسائل الاتصال الجماهيري، وصار التفاعل المتبادل والفوري بين المرسل والمستقبل ممكنًا، وأصبح في مقدور المتلقي أن يبعث بالرسائل الاتصالية؛ فهو مستقبل ومرسل في آن واحد.

والإنترنت يطلق عليها اسم (شبكة الحاسبات العالمية)، أو (الطريق السريع الإلكتروني)، أو (الطريق السريع للمعلوماتية)، وكلها أسماء تتردد للتعبير عن تقنيات حديثة، ترتبط بتقارب أنظمة الاتصالات والإعلام والمعلوماتية، وتوفير سرعة التوصيل لمضامينها، من أي مكان في العالم إلى أي مكان آخر، وأيضًا توفير الاتصال في اتجاهين، والتخاطب بشتى الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة.

ومع التقارب الشديد الذي يزيد من تجميع تقنيات الحاسب الآلي (الكمبيوتر) والصوت والصورة في التليفزيون والاتصالات بكافة أنواعها - فإن الطريق السريع الإلكتروني للمعلوماتية والإعلام والاتصالات بكافة أنواعها، يلغي المسافات مهما امتدت، ويجعل العالم قرية إلكترونية لمختلف المعارف، وسيكون له آثار بعيدة أبعد أثرًا من التليفون، ومن الطرق السريعة المرصوفة، وأهم خطوة في القرن الحادي والعشرين لتحقيق المكاسب المادية، ويطلق عليه الآن (قيصر التكنولوجيا)، والإنترنت تسمى أيضًا (شبكة الشبكات)؛ لأن ما تتصل عليها هي شبكات كبرى دولية، تتكون من شبكات أصغر، وهذه تتكون أيضًا من شبكات أصغر، وهكذا حتى تصل إلى الوحدة الأصغر على الشبكة، وهي الحاسب الشخصي، فمثلا قسم في الجامعة تربط الأجهزة به شبكة صغيرة، ويتصل القسم على شبكة خاصة أكبر تخص الجامعة، التي ترتبط بشبكة أكبر، تخص المنطقة الجغرافية الكبيرة التي تقع عليها، وقد تكون هذه الشبكة متصلة بشبكة أكبر، تخص البلد كلها، والتي تتصل بدورها بشبكة أكبر على شبكة الإنترنت الدولية.

والشبكة الدولية إنترنت - ببساطة - تربط بين مستخدمي الملايين من أجهزة الحاسبات الآلية المختلفة في جميع أنحاء العالم، وفقًا لبروتوكول اتصال معين، ومن خلالها يتم تبادل

المعلومات الكتابية، وبالصوت والصورة بأقل التكاليف، وبأيسر السبل وأسرعها، فالشخص يستطيع وهو جالس إلى جهازه في المكتب أو المنزل، أن يتجول في أنحاء العالم؛ بحثًا عن معلومة بعينها، أو موضوع بذاته، فيقرأ ويسمع ويشاهد كل ما قيل أو كتب أو درس في هذا الموضوع، من أقصى الكرة الأرضية إلى أدناها، وفي فترة زمنية محدودة للغاية، دون أن يشعر بالعدد الرهيب من الاتصالات التي تحدث أثناء تبادل المعلومات، من خلال جهازه، أو الطرف (Terminal) الذي يجلس عليه.

وهذه الأجهزة تتباين في القدرة، والحجم، والنوع؛ من أجهزة عملاقة إلى أجهزة شخصية، وبالرغم من هذا الاختلاف، فإن ذلك لم يفسد عملية الاتصال والاستخدام بين هذه الأجهزة بعضها بعضًا، ولم يؤثر كذلك على تبادل الملفات أو البيانات؛ وذلك لأن هذه المعلومات أو الملفات التي يتم تبادلها على الشبكة، إنما تتحول عند الإرسال إلى شكل قياسي، فيما يسمى بعملية تشفير خاصة (Encoding)، وعند الاستقبال يتم فك هذه الشفرة، وتحويل الشكل القياسي إلى الشكل المناسب بعملية عكسية، تسمى فك الشفرة (Decoding)، ويستطيع أي حاسب على الأرض أن يتصل بموقع يبعد عنه آلاف الأميال، ويحصل منه على بيانات أو معلومات أيًّا كان نوعها نصية أو صوتية أو رسومية أو مرئية، ويرسل إليه أيضًا، وذلك خلال ثوان معدودة، وبذلك أصبحت كل الأجهزة المتصلة على الشبكة الدولية إنترنت، وكأنها تشكل أكبر موسوعة عرفها البشر؛ لأنها تحتفظ بأكبر قدر من المعلومات في كل المجالات، وتتيحها لأي جهاز على الشبكة.

نشأة الإنترنت وتطورها:

وقد بدأت المحاولات الأولى لربط أجهزة الحاسبات الإلكترونية البعيدة ومستخدميها سويًّا، في أوائل الستينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي 2يناير 1969م أعلنت الحكومة الأمريكية مولد الإنترنت، وسميت (أربانت Arpanet)؛ نسبة إلى الوكالة الأمريكية لأبحاث المشروعات المتقدمة (Advanced Research Projects Agency) التابعة لأحد الأقسام بوزارة الدفاع الأمريكية، والذي كان يقوم بالأبحاث العلمية لتطوير شبكات الاتصال والنظم الخاصة بها؛ لخدمة الأغراض التعليمية والعسكرية في الحرب؛ لضمان استمرار الاتصال حتى في حالة تدمير خطوط الاتصال، فقد استمدت اسمها من الحروف الأولى لاسم هذه الوكالة؛ فأصبح (Arpanet) حيث ترمز الحروف

الأخيرة (Net) إلى كلمة الشبكة (Network)، وكانت هذه هي الخطوة الأولى أو البذرة الأولى في إنشاء شبكة الإنترنت العالمية.

وكانت الأربانت تربط بين الحاسبات الموجودة بمراكز أبحاث متباعدة، وأخذ هذا النظام في التوسع، حتى انقسمت الأربانت إلى شبكتين؛ الأولى سميت (أربانت Arpanet) لخدمة المدنيين في مجال الأبحاث، والثانية سميت (مايلنت Milnet) للاستخدامات العسكرية، وتم وصل هاتين الشبكتين معًا، وسميت هذه التوصيلة باسم إنترنت Internet.

وفي عام 1980 ظهرت بعض الشبكات الأخرى الخاصة بهيئات ومجموعات الأبحاث مثل شبكة (بتنت Bitnet)، وتم توصيل هذه الشبكات بالإنترنت بعد إنشائها، وفي عام 1986 قامت المؤسسة القومية للعلوم بأمريكا (National Science Foundation)، بتوصيل خمسة مراكز للحاسبات العملاقة، والتي تسمى الحاسبات السوبر (Super Computers)، والموجودة في أماكن متباعدة، والخاصة بالأبحاث، وسميت هذه الشبكة باسم (نسفنت Nisfnet)، وتم هذا الربط بأحدث ما توصلت إليه علوم الاتصالات، وبالاستعانة بالأقمار الصناعية، حتى صارت هذه الشبكة هي العمود الفقري والأساسي للإنترنت، وعرفت باسم (الطريق السريع للمعلومات Information Super High Way)، والذي يحمل كميات هائلة من المعلومات، والتي تنقل إلى مسافات بعيدة بسرعة عالية.

وقامت الدول الأخرى بإنشاء شبكات للحاسبات، وتم توصيلها بالإنترنت، وتعتبر شبكة كندا ثاني أعظم شبكة من شبكات الحاسبات بعد أمريكا، وتسمى (Canet)، وهي تعادل في إمكاناتها شبكة (نسفنت Nisfnet)، وهما الآن على ضخامتها تمثلان جزئين في الإنترنت، وبمرور الوقت أخذت الشبكات الخاصة والتجارية الدولية والمحلية تنضم إلى الإنترنت؛ لتصبح جزءًا منها، فأصبحت الإنترنت – وبحق – (شبكة الشبكات Network of Networks)؛ فهي تربط بين ملايين الحاسبات في جميع أنحاء العالم.

وبالرغم من شهرة هذه الشبكة الدولية (إنترنت)، التي فاقت كل التوقعات وتعدت كل الحدود، إلا أن الغموض مازال يكتنف الأمر الخاص بمن يملكها ويديرها إلى حد بعيد، فالبعض يقول إنها جهات عسكرية، أو جهات سياسية تمتلكها وتديرها خفية، ولكن لا يملك أحد ما يثبت هذا القول، ولكن الثابت والشائع أنها غير مملوكة لجهة ما بعينها، إلا أن

هذا لا يمنع من أن هناك جهات أمريكية لها دور بارز في إدارتها وصيانتها، مثل مؤسسة العلوم القومية (NSF)، التي ترتكز فنيًّا وتكنولوجيًّا على لجنة من العلماء والخبراء، أخذت على عاتقها حل المشكلات الفنية والهندسية للشبكة، وأطلقت على نفسها اسم (الهدف الهندسي للإنترنت IETF)، وهي الأحرف الأولى للاسم الكامل Internet Engineering Task Force، كما توجد جهة أخرى تضع القرارات والمعايير الثابتة والقياسات العامة للشبكة؛ لتتفق معها أي شبكة حاسبات تتصل على الشبكة الدولية الإنترنت، وتسمى هذه الجهة المجلس العالمي لتصميم شبكة الإنترنت Internet Architecture Board، ويشار إليها اختصارًا (IAB)، وهي الأحرف الأولى من كلمات الاسم الكامل، وهو المسئول عن تصميم شبكة الإنترنت، ووضع القواعد والبروتوكولات التي تنظم تعامل المستخدمين والمشتركين بالشبكة عند تناقل المعلومات والبيانات فيما بينهم، وعلى كل الشركات والمؤسسات التي تريد أن ترتبط بشبكة الإنترنت، تقديم معلومات أو خدمات، أو ترتبط بالقواعد والنظم التي يحددها هذا المجلس، وتقوم تلك الجهة بنشر تقاريرها وتوصياتها على وثائق خاصة، تسمى طلب التعليق (Request For Comment)، ويشار إليه اختصارًا (REC)، ويمكن لمستخدمي الإنترنت العثور على الوثائق القديمة والمعاصرة من هذا النوع في أكثر من موقع (Site) على الشبكة، وتعد هذه الوثائق ذات فائدة كبيرة لمن يريد معرفة المزيد عن الشبكة.

وتسمح شبكة الإنترنت للأجهزة المختلفة أن تتصل عليها وتتواجد ضمنها بسهولة، وهذا من صميم ما يسمى (بروتوكول الشبكة Network Protocol)، وهذا المصطلح يشبه - إلى حد كبير - المصطلح الذي نعرفه والمعنى المرتبط بكلمة بروتوكول، أي الشكل العام والخطوات التنفيذية للحفلات ونظام الاستقبالات السياسية ... إلخ، ويعني مصطلح الشبكات اللغة والتقاليد التي ستسمح لأجهزة الحاسبات المتواجدة على الشبكة بأن تتصل يبعضها وتتحدث إلى بعضها، والمقصود بتحدث الحاسبات هو تبادل البيانات (Data) والمعلومات Informtion، والملفات Files، والإشارات Signals فيما بينها، ومن هنا ظهر في السبعينيات من القرن العشرين البروتوكول المسمى (TCP/IP)، وهو اختصار للاسم الكامل (Transmission Control Protocol/Internet Protocol)، وهو أحد العوامل الفعالة التي ساعدت على ظهور شبكة الإنترنت بالشكل الحالي.

ويتم تقسيم الخدمات التي تقدمها الإنترنت إلى ثلاث فئات رئيسة، هي: خدمة الاتصالات بين الأشخاص والهيئات حول العالم؛ لتبادل الآراء والمعلومات والأفكار، وخدمة البحث عن الملفات والوثائق والصور الموجودة بالحاسبات المتصلة بالإنترنت، والحصول على نسخة منها على الحاسب الشخصي، وخدمة الشبكة العنكبوتية مترامية الأطراف (الويب Web)، والتي يشار إليها اختصارًا (WWW)، ونتناول هذه الخدمة الأخيرة بالتفصيل؛ لصلتها الوثيقة بهذا الكتاب الخاص بوسائل الاتصال بصفة عامة.

الشبكة العنكبوتية الويب Web (1):

تعتبر الشبكة العنكبوتية مترامية الأطراف (الويب The World Wide Web) أحدث الخدمات التي تقدمها الإنترنت، وتمكن المستخدم من القفز من وثيقة إلى أخرى، ومن حاسب إلى آخر بمجرد اختيار ما يريد من على الشاشة، وذلك بصورة سهلة ميسرة، ويطلق على تلك الخدمات أيضًا اسم (شبكة النسيج العريض العالمي)، وقد صممت أساسًا لكي تتيح لأي شخص أو لأي جهة الاطلاع على معلومات تخص جهات أخرى أو أشخاص آخرين، قاموا بوضعها على هذه الخدمة؛ لإتاحتها للآخرين، كما تتيح مشاهدة أنواع خاصة من المستندات والوثائق تحتوي على ملفات صوتية ومرئية ... إلخ، وتحتوي هذه الصفحات على كلمات معينة، يمكن بواسطتها الدخول إلى صفحات أخرى، وكل صفحة أو موقع على شبكة النسيج العريض العالمي (الويب www.web)، له عنوان خاص، يتم الدخول على هذا الموقع بواسطته.

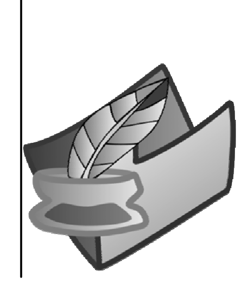
وقد ظهرت (الويب The Web) وتطورت في نهاية حقبة الثمانينيات من القرن العشرين (1989)، بواسطة علماء المعمل الأوربي لفيزياء الجسيمات، ومقره في جنيف، ويعرف اختصارًا باسم (CERN)، ونظام الويب (www) هو أحد النظم الموجودة على الإنترنت، والتي تتيح التنقل من ملف إلى آخر، ومن معلومة إلى أخرى عبر الشبكة، أو بمعنى أدق هو أداة لاستعراض موارد (Resources) الإنترنت بالصوت والصورة؛ مما يجعلها نابضة بالحياة، فالويب – في واقع الأمر – أشبه بمجموعة عملاقة من الكتب والنشرات والصور والوثائق،

(1) المرجعان الأول والثاني السابقان، صفحات مختلفة؛ وكذلك السيد بخيت: الصحافة والإنترنت (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2000)، صفحات مختلفة؛ وكذلك القاموس الموسوعي للمصطلحات الإعلامية، مرجع سابق، صفحات مختلفة.

إضافة إلى تسجيلات صوتية وشرائط فيديو، والكل مجموع في مكان واحد، وجاهز فورًا لاستعراضه، وكأنك في أحد المكتبات الإلكترونية.

ويقوم نظام الويب (www) كذلك بالربط بين سائر المعلومات - وإن تباينت أماكن وجودها - وعرضها بصورة متصلة؛ مما يجعل استعراضك لها مترابطًا، وحبل أفكارك متصلا، حتى وإن كانت بيانات الموضوع الواحد موزعة على حاسبات مضيفة متناثرة في مختلف أنحاء العالم، فعلى سبيل المثال قد تكون من المهتمين بعلوم الفضاء والرحلات المكوكية بين الأرض وباقي الكواكب، فيمكنك أن تبدأ رحلتك عبر (الويب) من خلال أحد العناوين التي تتحدث عن بداية هذه الرحلات الموجودة على أحد الحاسبات المضيفة في (ناسا NASA) (•) في ولاية فلوريدا الأمريكية، ثم تنتقل لحظيًّا إلى حاسب مضيف آخر في إنجلترا أو ألمانيا؛ لتطلع على بعض الصور والأخبار حول هذا الموضوع، ثم تعود إلى حاسب آخر لناسا موجود في ولاية أمريكية أخرى؛ لتشاهد لقطات فيديو قصيرة عن إحدى هذه الرحلات، وهكذا ستجد أنك تذرع العالم طولًا وعرضًا، وتتحرك بحرية بين دول العالم، وتقطع آلاف الأميال من خلال جهازك الشخصي في منزلك، ورحلة كتلك قد تستغرق نحو عشر دقائق فقط، وتقدم (الويب Web) خدمات عديدة، وتوفر معلومات كثيرة متنوعة، تغطي كل المجالات والأنشطة المختلفة في كل مكان على وجه الأرض، وبهذا تستطيع الحصول على معلومات عن أي شيء في أي وقت ومن أي مكان.

وقد تزايدت أهمية الإنترنت ونظام (الويب The Web) اتصاليًّا في الآونة الأخيرة، وتضاعفت أهميتها في مجال وسائل الاتصال الإلكترونية والتفاعلية .. وخاصة في مجال نشر الكتب، والصحافة، والسينما، والإذاعة، والتليفزيون .. وهذا ما سيتم تناوله تفصيلا في الفصول الخمسة التالية، والبداية مع الكتاب الإلكتروني الرقمي التفاعلي.



(•) تشير هذه التسمية إلى الأحرف الأولى للاسم الكامل، وهو (إدارة الفضاء والطيران الوطنية National Aeranautics and space Administration، وهي إدارة أمريكية تختص بالأبحاث المتعلقة بالطيران والفضاء، وتضع الخطة السنوية لهما، وقد أشرفت على نزول أول رائد فضاء أمريكي على سطح القمر، وهو (نيل أرمستروبخ عام 1969)، من سفينة الفضاء أبولو - 11.

الفصل التاسع
الكتاب الإلكتروني الرقمي التفاعلي (•)
النشأة والتطور والميزات والسلبيات





يعتبر العصر الحالي هو عصر (المالتيميديا الرقمية الفائقة Hyper Digital Multimedia) ومصطلح الوسائط المتعددة (المالتيميديا Multimedia) يتكون من شقين: الشق الأول هو الكلمة الإنجليزية (Multi) أي متعددة .. أما الشق الثاني: فهو (الوسائط Media)، وهذا اصطلاح يطلق بشكل عام على كل ما ينطوي على معلومة تذاع أو تنشر كمرحلة أولى، ويتناقلها الأفراد، أو تتناولها الألسنة فتنتشر بصورة أكثر.

ويرتكز مفهوم الوسائط المتعددة على النص مصحوبًا بالصوت، واللقطات الحية؛ من فيديو وصور وتأثيرات خاصة، مما يزيد من قوة العرض وخبرة المتلقي بأقل تكلفة وأقل وقت .. وهذا معناه أن الوسائط المتعددة تعني التعدد من الناحية الشكلية، وتعني التكامل بين أكثر من وسيلة؛ كاستخدام نص مكتوب مع الصوت المسموع، مع الصورة الثابتة أو المتحركة، في توصيل المعلومات والأفكار وغيرها .. وفي هذا استفادة من مقولة أن الشيء

(•) مراجع هذا الفصل الأساسية هي: رامي محمد عبود داود: الكتب الإلكترونية، النشأة والتطور والخصائص والإمكانات والاستخدام والإفادة (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008)، الفصل الأول، صفحات متفرقة؛ وكذلك حسين شفيق: تكنولوجيا الوسائط المتعددة (القاهرة، بدون، 2010)، ص19، 181، 194، 196؛ وكذلك محمد فريد محمود عزت: وسائل الاتصال الجماهيرية، (القاهرة، 2009)، صفحة 289 وما بعدها، إلى جانب عدد آخر من المراجع الثانوية، مع ضرورة مراجعة الفصل العاشر الخاص بالصحافة الإلكترونية من هذا الكتاب، وكذلك الفصل الثالث من الباب الثاني، الخاص بتطور الكتاب التقليدي.

الذي تستطيع الكلمات أن تؤديه وحدها، يكون أكثر فاعلية إذا أدته الكلمات مصحوبة بالصوت المسموع والصورة المتحركة.

وينظر البعض إلى مصطلح الوسائط المتعددة على أنه مجموعة من التكنولوجيات التي تسمح بإدماج الكثير من المعطيات من مصادر مختلفة (نصوص وصور وأصوات وغيرها).

فلقد أدى الاندماج بين ثورتي المعلومات والاتصال - الذي تمثل في التزاوج بين تكنولوجيا الحاسب الآلي وتكنولوجيا أقمار الاتصال الصناعية - إلى تدفق الملايين من المعلومات والصور والأفكار والآراء عبر الدول والقارات والمحيطات بطريقة فورية: مكتوبة ومسموعة ومرئية، وقد انبعث عن ثورتي الاتصال والمعلومات وسيلة إعلام جديدة، هي (الإنترنت)، التي وضعت العالم بعلمه وفنه وحضارته وأفكاره ومعلوماته بين يدي الإنسان بأقل تكلفة ودون مشقة.

كما تحقق بفضلها ما يسمى بالاتصال التفاعلي، الذي كان مقصورًا على الاتصال المباشر بنمطيه الشخصي والجمعي، ولكنه امتد عبر (الإنترنت) ليشمل وسائل الاتصال الجماهيري، وصار التفاعل المتبادل والفوري بين المرسل والمستقبل ممكنًا.

والإنترنت يطلق عليها اسم (شبكة الحاسبات العالمية)، أو (الطريق السريع الإلكتروني)، أو (الطريق السريع للمعلوماتية)، وكلها أسماء تتردد للتعبير عن تقنيات حديثة، ترتبط بتقارب أنظمة الاتصالات والإعلام والمعلوماتية، وتوفير سرعة التوصيل لمضامينها، من أي مكان في العالم إلى أي مكان آخر، وأيضًا توفير الاتصال في اتجاهين، والتخاطب بشتى الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة.

وتعتبر الشبكة العنكبوتية مترامية الأطراف (الويب www - The world wide Web) أحدث الخدمات التي تقدمها (الإنترنت)، وتمكن المستخدم من القفز من وثيقة إلى أخرى، ومن حاسب إلى آخر، بمجرد اختيار ما يريد من على الشاشة بصورة سهلة ميسرة، ويطلق على تلك الخدمات أيضا اسم (شبكة النسيج العريض العالمي)، وقد صممت أساسًا لكي تتيح لأي شخص أو لأي جهة الاطلاع على معلومات تخص جهات أخرى أو أشخاص

آخرين، قاموا بوضعها على هذه الخدمة؛ لإتاحتها للآخرين، كما تتيح مشاهدة أنواع خاصة من المستندات والوثائق، تحتوي على ملفات صوتية ومرئية ... إلخ.

وقد ظهرت (الويب www) وتطورت في نهاية حقبة الثمانينيات من القرن العشرين (1989)، بواسطة علماء المعمل الأوربي لفيزياء الجسيمات، ومقره في جنيف، ويعرف اختصارًا باسم (CERN). ونظام (الويب) هو أداة لاستعراض (موارد – Resources) الإنترنت بالصوت والصورة؛ مما يجعلها نابضة بالحياة، وهو في واقع الأمر أشبه بمجموعة عملاقة من الكتب والنشرات والصور والوثائق، إضافة إلى تسجيلات صوتية وشرائط فيديو، والكل مجموع في مكان واحد، وجاهز فورًا لاستعراضه، وكأنك في أحد المكتبات الإلكترونية.

وقد زاد عدد مستخدمي شبكة (الإنترنت) بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة، ومع زيادة عدد المستخدمين للشبكة وتنوع احتياجاتهم، أصبحت شبكة الإنترنت وسط مهم لنشر وتبادل المعلومات، يتميز عن الطرق والأساليب العادية لنقل المعلومات (المطبوعات العادية، والطرق الإلكترونية، مثل الأسطوانات) بالمرونة والسهولة، وسرعة التعديل على البيانات التي يتم نشرها على (الإنترنت)؛ حيث يظهر هذا التعديل عند المستخدمين في الوقت نفسه؛ مما دفع العديد من دور النشر وغيرها إلى نشر مطبوعاتها على شبكة (الإنترنت).

وهذه الوسائط المتعددة – أو (الإعلاميات Multimedia) كما يحلو للبعض أن يدعوها به – ليست بقاصرة على قطاع معين، بل يتم استخدامها في مجالات عملية كثيرة، ومن بينها (الكتاب الإلكتروني)، الذي يهمنا في هذا الصدد.

فقد انتشرت عبارة (الكتاب الإلكتروني E-Book // Electronic) منذ فترة في مجتمعات المثقفين ومحبي القراءة والباحثين وطلبة العلم، ممن لهم علاقة بالحاسب الآلي (الكمبيوتر)، وزادت انتشارًا مع تزايد استخدام أجهزة الحاسب الآلي ورخص أسعاره؛ مما جعله في متناول شريحة أكبر من ذي قبل، كما ساعد على انتشارها دخول (الإنترنت) حياة معظم هذه المجتمعات.

إننا نعيش الآن في إطار ما اصطلح على تسميته "مجتمع المعلومات"، وهي المرحلة التي اتسمت بالتوغل التقني الرقمي، والاتجاه نحو رقمنة كل ما يحيط بنا، وهو ما يستتبع – بالضرورة – الانتشار الواسع للأجهزة الحاسوبية المختلفة المحملة بالبرمجيات، فضلا عن وسائل الاتصال الرقمي، حيث أصبحنا نعتمد على تلك الوسائل التقنية لأداء الكثير من المهام اليومية .. وإذا تأملنا ما يحدث الآن لوجدنا كل شيء حولنا يترقمن؛ ليكتسب المزيد من الإمكانات والخيارات الرقمية .. فالبادئة (E) أو (Elictronic)، والتي جاءت أيضا مقترنة بالمصطلح (E-Book)، أصبحت مؤخرًا جزءًا لا يتجزأ من الكثير من الكلمات والمصطلحات الأخرى .. وحينما تضاف (E) إلى بداية أي مصطلح، فإنما تعطي لمفهومه بعدًا جديدًا، يقترب بعض الشيء من المفهوم الأساسي التقليدي له، بينما تعني أيضًا أن يتم تأدية المهام الموكلة نفسها، ولكن في بيئة إلكترونية؛ بقصد تحسين الأداء، وجعله أكثر مرونة، وذلك وصولا إلى نتائج أفضل من تلك التي يمكن الحصول عليها في البيئة التقليدية.

فعلى سبيل المثال: نجد الكثير من المواد، مثل الموسيقى، والأفلام، والنصوص، يتم إنتاجها في صورةإلكترونية رقمية، عوضًا عن الشكل التقليدي – أو الإلكتروني لبعضها – كما اصبحت العديد من الخدمات – كالبريد وعمليات البيع والشراء – تؤدى بشكل افتراضي عبر الوسائل الرقمية، **ونجد أن الكتاب قد ترقمن هو الآخر، وهو ما يعد بمثابة التطور الطبيعي والمتوقع للكتاب، مثلما تطورت أوعية معلومة أخرى، منتقلة إلى البيئة الرقمية.**

مفهوم الكتاب الإلكتروني وتعريفاته :

إن الكتاب الورقي المطبوع(•)، الذي يعتمد على تقنيات الطباعة التقليدية بتطوراتها العديدة، قد تعدى عمره الخمسة قرون؛ ومن ثم فقد تحدد مفهومه من قبل واستقر في الأذهان؛ حيث إنه قبل العام 1964 لم يكن للكتاب بمعناه الخاص مفهوم موحد ومتفق عليه بين جميع الدول بشكل عام، فقد كانت كل دولة تفهم الكتاب بطريقتها الخاصة، ولكن في العام 1964 قامت منظمة اليونسكو بوضع تعريف خاص للكتاب، وطالبت الدول

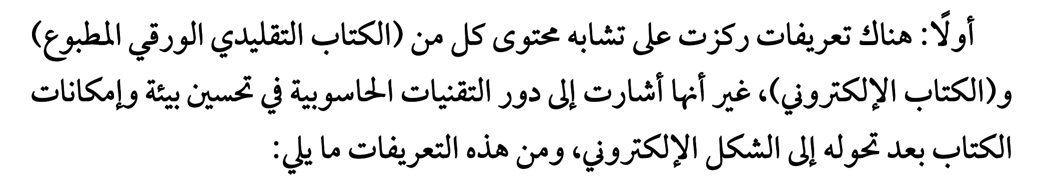
(•) راجع الفصل الثالث بالباب الثاني، الخاص بالكتاب التقليدي المطبوع من هذا الكتاب الذي بين يديك.

الأعضاء الأخذ به، واعتماده في المحافل الفكرية .. وقد جاء في تعريف اليونسكو أن الكتاب عبارة عن «مطبوع غير دوري، يشتمل على 49 صفحة فأكثر دون صفحات الغلاف».

وإذا كان ذلك هو حال (الكتاب التقليدي الورقي المطبوع)، حيث استدعى الأمر أكثر من خمسة قرون ليتحدد مفهومه بشكل تام، فما بال (الكتاب الإلكتروني) الذي لا يتجاوز عمره بضع سنوات؛ حيث إن مسألة إيجاد تعريف أو مفهوم ثابت محدد يدل على (الكتاب الإلكتروني)، ويحقق ذاتيته بشكل دقيق، تعد من الإشكاليات الرئيسة التي تواجه كل من يحاول الملاحة خلال أدبيات الموضوع؛ وذلك لأن هناك عددًا كبيرًا من التعريفات والمفاهيم التي تتباين وتتداخل فيما بينها.

وإذا كان (الكتاب التقليدي) يمثل كيانًا معروفًا وملموسًا، مكونًا من مجموع من الصفحات، تظهر في صورة مجلد مترابط، فإنه عند مناقشة مسألة (الكتاب الإلكتروني) ينتقل التركيز أو الاهتمام من الشكل الخارجي إلى المحتوى الداخلي؛ ذلك أن محتوى الكتاب الورقي يتم تشكيله على الصفحات الورقية، بينما المتحوى الرقمي لا يمكن إنتاجه في شكل حقيقي ملموس، كما في حالة الكتاب الورقي؛ فالمحتوى الرقمي هو - في الأساس - شيء غير ملموس، يتكون من سلسلة رقمية من البيانات، التي تعمل بواسطة أنواع مختلفة من التكويد (Encoding)، بحيث أنه بعد تحويل وفك ذلك التكويد، يصبح المحتوى شيئًا يمكن فهمه، وفي (الكتاب الإلكتروني) نعتمد على الطاقة الكهربائية في استخدامه وتشغيله؛ فطبيعة (الكتاب الإلكتروني) تنتقل بنا من دائرة الواقع المادي إلى ساحة الواقع الافتراضي التخيلي. والفكرة هنا أن المحتوى أو المضمون المعلوماتي ربما لا يختلف كثيرًا في حالة (الكتاب التقليدي الورقي) عنه في حالة (الكتاب الإلكتروني)، ولكن الاختلاف يرجع - في الأساس - إلى المميزات والخيارات المتعددة التي توفرها البيئة الحاسوبية؛ لتعمل على تفعيل محتوى الكتاب الإلكتروني.

وفيما يلي نقدم بعض أهم مفاهيم (الكتاب الإلكتروني) وتعريفاته، الناتجة عن جهود متخصصة وغير متخصصة؛ للوقوف على ماهية (الكتاب الإلكتروني (E- Book).



أولًا: هناك تعريفات ركزت على تشابه محتوى كل من (الكتاب التقليدي الورقي المطبوع) و(الكتاب الإلكتروني)، غير أنها أشارت إلى دور التقنيات الحاسوبية في تحسين بيئة وإمكانات الكتاب بعد تحوله إلى الشكل الإلكتروني، ومن هذه التعريفات ما يلي:

(1) وصفت (الموسوعة العالمية لعلم المكتبات والمعلومات International Encyclopedia of information and library science) الكتاب الإلكتروني بأنه «مصطلح يستخدم للدلالة على نص أشبه ما يكون بالكتاب التقليدي، غير أنه عبارة عن (قالب Format) رقمي، يتم عرضه وقراءته باستخدام الشاشات الحاسوبية .. وعملية نشر الكتاب في القالب الرقمي لا تخضع للخطوات التقليدية لإنتاج الكتاب المطبوع؛ حيث تستيطع الأقراص الليزرية أن تحمل كمًّا هائلا من الكتب في شكلها النصي، فضلا عن الصور والرسوم المتحركة والصوت».

(2) ويصف مكنز هارودز – Harrods librarians Glossary) الكتاب الإلكتروني بأنه «مصطلح يدل على مواد مرتبطة بالنشر الإلكتروني والمالتيميديا (Multimedia)، وهو يدل بصورة خاصة على المواد التي يتم إنتاجها على الأقراص الضوئية المختلفة».

(3) الكتاب الإلكتروني هو المصطلح نفسه الذي أطلقته شركة سوني (Sony) على الحاسب القارئ الخاص بها «مشغل البيانات Data discman player وأيضًا البرمجة المشغلة له».

ثانيًا: وهناك بعض مفاهيم وتعريفات أخرى للكتاب الإلكتروني، تعمل على التركيز – في الأساس – على مضمون أو محتوى الكتاب الإلكتروني، والشكل الرقمي الجديد، الذي يتم طرح محتوى الكتاب من خلاله، أو بالأحرى مسألة التحول من البيئة الورقية للكتاب إلى البيئة الرقمية.

ومن هذه المفاهيم والتعريفات ما يلي:

1) يعتقد كل من (فاندر فير Vender Veer) و(ستيف جرانت Steve Grant) وآخرون، أنه عندما نسمع مصطلح الكتاب الإلكتروني فإنه يتبادر إلى أذهاننا تلك الكتب الإلكترونية التي يقوم المستفيد بتحميلها عبر الويب، ثم يقوم بقراءتها باستخدام أحد الأجهزة الحاسوبية، حيث تظهر الكتب التي يتم نشرها عبر الويب (Web) في العديد من

البنيات الرقمية؛ فمنها ما هو عبارة عن صفحات بسيطة Plain pages في القالب Format آسكي Ascii، وبعضها يجمع ملامح الكتاب الورقي نفسها؛ كاشتماله على قائمة المحتويات والكشافات وأرقام الصفحات، والبعض الآخر يتم إتاحته في البنية (إتش تي إم إل HTML)، حيث يتم استخدام الوصلات المهيبرة، وحزم البيانات، وكذلك تسهيلات البحث المختلفة.

2) يعتقد (جولتكن أوز سويو جلو – Gultekin Oz Soyo glu) وآخرون «أن الكتاب الإلكتروني هو عبارة عن أحد التطبيقات التي تشتمل على قاعدة بيانات للملتيميديا Multimedia، والتي تتضمن – بدورها – نصوصًا ذات وصلات مهيبرة وتسجيلات فيديو، ورسومًا متحركة، وصورًا ثابتة، إلى آخر تلك المكونات، وذلك جنبًا إلى جنب مع المحتوى المعلوماتي للكتاب، والميتاداتا (واصفات البيانات Metadata)».

3) بينما يعتقد كل من (ديفيد جولد برج David Goldberg) (وتوماس جيلبرج Thomas kjellberg)، «أن الكتب الإلكترونية هي كتب رقمية، يقوم الناشر بإنتاجها، عن طريق رقمنة النص الخاص بالعمل المكتوب؛ ومن ثم تحويل النص المرقمن إلى قالب Farmat، يمكن قراءته بواسطة إحدى البرمجيات الحاسوبية القارئة».

ثالثًا: على الجانب الآخر، تعمل بعض التعريفات والمفاهيم على طرح مفهوم الكتاب الإلكتروني، من خلال دلالته على ثلاثة متغيرات: الأجهزة، والبرمجيات، وأيضًا المحتوى الرقمي في الوقت ذاته، سواء للدلالة على أحد المتغيرات أو بعضها دون البعض الآخر، وربما المتغيرات الثلاثة السابقة مجتمعة، ومن هذه التعريفات والمفاهيم ما يلي:

1) يعتقد (مولي هولزسكلاج Molly Holzschlag)، بأن الكتب الإلكترونية هي: «تلك الأجهزة المخصصة، التي تمكننا من تحميل الكتب الرقمية عبر الويب (Web)، والتي تمكننا من قراءة واسترجاع الكتب الإلكترونية».

2) ويعتقد (بيترشون بالمر Pittershaun Palmer)، «أن الكتب الإلكترونية هي تلك التي يمكن إنتاجها وإتاحتها على الخط المباشر، أو على قرص مرن، أو على قرص مليزر».

3) ويعتقد (توني كاوكل Tony cawkell)، أن مصطلح كتاب إلكتروني «يتم استخدامه للدلالة على (نظم الأقراص الليزرية CD-ROM systems) و(مشغلات

الأقراص الليزرية الكفية (palm – top CD players)، وكذلك (النصوص تحت الطلب Ondemand Text)، ونظم النصوص الإلكترونية على اختلاف أشكالها، وكل أنواع الحاسبات التي تعمل مع نظم النصوص الإلكترونية».

4) ويعتقد (والت كراوفورد Walt Crawford)، أن مصطلح كتاب إلكتروني يستخدم للدلالة على تلك الكتب التي يتم نشرها في الغالب على الأقراص الليزرية.

رابعًا: بينما نجد أن هناك بعض محاولات تعريف وفهم مصطلح (كتاب إلكتروني)، تعمل على تعميم المصطلح؛ حيث يجتهد أصحاب تلك المفاهيم في أن يطلقوا مصطلح (كتاب إلكتروني) على أوعية المعلومات الأخرى المتاحة في الشكل الإلكتروني، دون وضع خصائص أو معايير، تعمل على التفريق بين مختلف أنواع الأوعية الإلكترونية الأخرى في الشكل الإلكتروني بالكيفية نفسها التي يتم بها التفريق فيما بينها في الشكل التقليدي:

حيث تعتقد (آنا أرياس تيري Ana Arias Terry)، وآخرون أن الكتاب الإلكتروني ليس فقط مجرد مجموعة من صفحات الويب (Web)؛ فالكتاب الإلكتروني – ببساطة – هو كل ما يشتمل على المحتوى الإلكتروني للكتب التقليدية والمواد المرجعية، وكذلك الدوريات.

خامسًا: وكانت هناك محاولات أخرى لفهم الكتاب الإلكتروني، ارتكزت على مسألة أن (الكتاب الإلكتروني) يمثل شكلا متطورًا للكتاب الورقي المطبوع، فهو يحاكي تمامًا (الكتاب التقليدي)، ولكن في بيئة إلكترونية افتراضية، تتسم بمزيد من الإمكانات التي لا يمكن الحصول عليها في البئة الورقية الطباعية .. وأصحاب هذا الاتجاه يتعمدون الإشارة إلى (الكتاب التقليدي المطبوع) أثناء تعريفهم للكتاب الإلكتروني. ويجعلون مفهومهم للكتب الإلكترونية ينطلق من هذا التصور؛ فمفهوم الكتاب الإلكتروني بالنسبة لهم لم يظهر بظهور الأجهزة القارئة والبرمجيات القارئة، والويب، إلى غير ذلك .. فعمليات تحرير نص الكتب تتم إلكترونيًّا، تمهيدًا للصدور في شكل ورقي تقليدي، ومنها ما يلي:

1) حيث يعتقد البعض بأن الكتاب الإلكتروني هو «نقل إلكتروني حرفي للكتاب التلقيدي المطبوع، مع إضافة بعض السمات والإمكانات التي لم تكن متاحة في الشكل التقليدي المطبوع، أو أن (الكتاب الإلكتروني) يمثل المفهوم المألوف للكتاب التقليدي،

حيث يشبه تمامًا مثيله من الكتاب المطبوع، ولكن مع بعض المميزات التي تزوده بها البيئة الإلكترونية».

2) ويعتقد (ديفيد دورمان David Dorman) أن ما نطلق عليه كتبًا إلكترونية، هي في الحقيقة إصدارات أخرى من الكتب المطبوعة.

3) وتشير (سوزان كليل Susan Cleyle) إلى أن الكتب هي نصوص مطبوعة، سواء تم كتابتها على الرق (الجلود)، أو أنتجت يدويًّا أو إلكترونيًّا .. فالكتاب حتى بعد أن يتم تحويله إلى وسيط آخر مختلف، فإنه لا يزال كتابًا، غير أن ما يتبقى لنا هو الطريقة التي يتم قراءته بها.. وهي التي تختلف بالضرورة من شكل إلى آخر.

كذلك تعتقد (سوزان كليل) أن التحول إلى الكتب الإلكترونية لا يعد تحولا على الإطلاق؛ فصناعة الكتاب المطبوع تعمل بالفعل على رقمنة الكتاب قبل طباعته على الورق، بينما خطوة الطباعة الأخيرة هذه يمكن أن يتم التخلي عنها، لتصبح الكتب في شكل إلكتروني فقط.

4) وتؤكد ذلك أيضًا (أمينة صادق)؛ حيث تعتقد أن الكتب موجودة في شكل إلكتروني منذ أكثر من عشرين عامًا لدى الناشرين، سواء أكانت في شكل (ماكينتوش Macintosh)، أو (آي بي إم IBM)، وذلك كمرحلة وسيطة قبل طباعته.

5) وعلى المنوال نفسه يعتقد الباحث (رامي محمد عبود داود)، بأن مصطلح (كتاب إلكتروني) لابد أن يطلق على المحتوى الإلكتروني فقط، أو النص ذاته، دون البرمجيات أو الأجهزة القارئة؛ حيث إن البرمجيات القارئة أو الأجهزة القارئة هي في النهاية بمثابة أدوات مساعدة فقط، تخدم أغراض قراءة واستخدام المحتوى أو النص الإلكتروني ذاته للكتاب .. كما أن مفهوم الكتاب المقروء إلكترونيًّا، لا يُعد بمثابة مسألة حديثة بالنسبة لنا؛ فالنص الإلكتروني موجود منذ عشرات السنين، ويتم ممارسة عمليات قراءته إلكترونيًّا، ولكن في إطار محدود جدًّا.

وفي خاتمة هذه الجزئية الخاصة بمفهوم الكتاب الإلكتروني وتعريفاته، نقدم ذلك المفهوم للكتاب الإلكتروني الذي استخلصه الباحث (رامي محمد عبود داود) من جملة ما سبق من مفاهيم وتعاريف .. يقول فيه: الكتاب الإلكتروني هو وسيط معلوماتي رقمي، يتم إنتاجه عن

طريق إدماج المحتوى النصي للكتاب من جانب، وتطبيقات البيئة الرقمية الحاسوبية على الجانب الآخر، وذلك لإنتاج الكتاب في شكل إلكتروني يكسبه المزيد من الإمكانات والخيارات التي تتفوق بها البيئة الإلكترونية الافتراضية (Virtual) على البيئة الورقية للكتاب؛ كالإمكانات الاسترجاعية للنص، والإتاحة عن بعد، وإمكانية إضافة الوصلات المهيبرة، والوسائط المتعددة، إلى غير ذلك. وقد يكون الكتاب الإلكتروني قد تم إصداره للمرة الأولى في شكل إلكتروني، أو أعيد إنتاجه إلكترونيًّا سواء بالمسح الضوئي (Scanning) لصفحات الكتاب، أو بإعادة إدخال النص إلكترونيًّا بواسطة أحد برمجيات تحرير النصوص، على أن يتم صك المحتوى الإلكتروني في بنية أو قالب Format رقمي معين.. وهي البنيات الرقمية التي يتم خلالها تشفير أو تكويد النص، باستخدام أحد برمجيات إنتاج الكتب الإلكترونية؛ بحيث يستلزم لقراءة الكتاب الإلكتروني وجود برمجيات داعمة، يمكنها التعامل مع القالب Format الإلكتروني للكتاب. والكتاب الإلكتروني قد يتم إتاحته على الخط المباشر (عبر شبكات الإنترنت)، أو على الخط غير المباشر، عبر قرص ليزري CD-ROM، أو قرص مرن Disk، أو شريحة اختزانية Flash memory، أو عبر حاسب قارئ مخصص للكتب الإلكترونيةE-Book reader dedicated، كما يمكن عرضه وقراءته أيضًا باستخدام حاسب شخصي، أو حاسب محمول، أو باستخدام أحد المساعدات الرقمية الشخصية.

نشأة الكتاب الإلكتروني وتطوره:

إذا كانت أولى نقاط التحول المهمة في تاريخ الكتاب قد حدثت في الألفية الثالثة قبل الميلاد، حينما عرف الإنسان الكتابة على الأقراص الطينية، فإنه وبعد نحو خمسة آلاف عام من ذلك الحين، قد تصادف حدوث أهم نقطة تحول في تاريخ الكتاب منذ اختراع آلات الطباعة بالحروف المعدنية المتحركة، التي اخترعها الألماني يوحنا جوتبرج في منتصف القرن الخامس عشر 1445م، وقد حدث هذا التحول الأهم عندما نشر كتاب Riding the Bullet)، للمؤلف الشهير (ستيفن كينج Stephen King)، كأول كتاب ينشر في شكل إلكتروني فقط في مارس عام 2000 ميلادية، محققًا قدرًا هائلا من النجاح.

إن كلمة كتاب تتسع لتشمل كل ما هو مكتوب أو مدون أيًّا كان الشكل الذي ظهر به، وذلك إذا ما كنا بصدد تناول المراحل العديدة التي سبقت ظهور الكتاب الإلكتروني، وهي

المراحل التي تمتد عبر عشرات القرون، والتي تخللتها العديد من نقاط التحول في تاريخ ما اصطلح على تسميته كتاب، كوعاء معلوماتي، **وقد سبق التعرض لذلك في الفصل الثالث بالباب الثاني من هذا الكتاب تحت عنوان تطور الكتاب التقليدي، لهذا يحسن الرجوع إليه.**

وهناك محطات كثيرة في تاريخ تسجيل المعلومات؛ فقد بدأت الرحلة حينما شرع الإنسان الأول بعد أن فاضت معارفه، وضاق ذهنه بحمل تلك المعارف، في البحث – بين ما جادت به بيئته البدائية – عن موارد طبيعية أو حيوانية، لتكون بمثابة امتداد مادي خارجي لذاكرته الداخلية الذاتية؛ ليسجل عليها – برموز مرئية – ما توصل إليه من معرفة وحقائق وأفكار وبيانات ومعلومات؛ لتصبح بذلك أكثر صمودًا في وجه الطبيعة والزمن، من أن تحفظ داخل العقل البشري بأجله المحدود، وقدراته الاختزانية الضيقة، ولتنتقل بعد ذلك مخترقة حاجزي الزمان والمكان؛ لتصبح تراثًا فكريًّا، وإرثًا معلوماتيًّا، تتناقله الأجيال الواحد تلو الآخر.

فقد سجل إنسان ما قبل التاريخ معلوماته على صنوف عدة من المواد، منها: الأحجار، والطين، والجلود، والعظام، والخزف، والخشب، وشرائح الغاب، والبردي، وغيرها من المواد، إلى أن عرف الوق المخطوط، ثم الورق المطبوع ذا الطباعة الثابتة، ثم الورق المطبوع ذا الحروف المتحركة، التي ابتكرها جوتنبرج .. ثم عُرفت بعد ذلك المواد السمعية والبصرية، وبتحقيق التزاوج بينهما عرفت المواد السمعبصرية، وتلا ذلك المصغرات الفيلمية والممغنطات والمليزرات والمهيبرات (الوسائط الفائقة)، والافتراضيات أي الوسائط الافتراضية Virtual، سواء الفائقة أو غير الفائقة خلال القرن العشرين الماضي.

فقدظهرت الأعمال المسجلة على (الأقراص الطينية Clay Tablets) منذ حوالي 2500 عام قبل الميلاد، والتي اعتبرها البعض بمثابة **أول نقاط التحول الحقيقية** في تاريخ الكتاب .. وبعد ذلك في عام ألفين قبل الميلاد كانت **نقطة التحول الثانية**؛ حيث ظهرت الأعمال المسجلة على (لفائف البردي Papyrus Rolls)، أي الكتب البردية الملفوفة؛ حيث إنه طيلة ألفي عام تعايش سويًّا كل من ألواح الطين والكتب البردية الملفوفة.

وجاء فيما بعد اختراع الورق على يد الصينيين حوالي عام 105 ميلادية، وكانت تلك من أهم نقاط التحول، ومن أعظم العلامات الفارقة في تاريخ الكتاب، وليس أدل على ذلك من أن الورق ما زال يمثل أداة أساسية من أدوات تداول المعلومات واختزانها في حياتنا.

كما أنه ما زال يقاسم الوسائط الإلكترونية عرش المعلومات، وقد تطورت صناعة الورق في ظل الحضارة الإسلامية بعدما نقلها العرب عن الصينيين، وكانت الحضارة الغربية آخر الحضارات التي عرفت صناعةالورق عن العرب، وهي نفسها الحضارة التي دقت أول مسمار في نعش هذه الصناعة العريقة، بعدما أطلقت ثورات المعلوماتية والرقمنة والاتصالات، وكان أول مصنع للورق أنشئ في أوربا، كان في (فيريانو) بإيطاليا عام 1276 ميلادية.

أما **نقطة التحول الثالثة**، فقد تمثلت في (الكتب الدفترية Codex Books) التي ظهرت في القرن الثاني بعد الميلاد (150م)، وأصبح هذا الشكل بمثابة الشكل المهيمن على الكتاب، حيث لازلنا نستخدم هذا الشكل إلى اليوم.

وبالنسبة للطباعة فقد بدأت قصتها مع أول كتاب في التاريخ طبعه الصينيون عام 868 ميلادية، وهو كتاب (محاورات بوذا)، وقد استخدموا في طباعته لحاء شجر التوت بدلًا من الورق، وطبع بواسطة حفر على الخشب، وهي الطريقة التي يطلق عليها الطباعة الثابتة.

كما ظهرت فيما بعد أربع علامات فارقة أخرى في حياة الكتاب، وهي: **الأولى:** آلية جوتنبرج لطباعة الكتب (نسبة إلى جوتنبرج) في منتصف القرن الخامس عشر (1445م)، **والثانية:** استخدام مصادر غير بشرية (آلية) لتشكيل حروف الطباعة، وتشغيل الطابعات، وكذلك في تصنيع الورق، وذلك مع بداية القرن التاسع عشر، **والثالثة:** استبدال طريقة تشكيل الحروف بطرق التجهيز، باستخدام الحاسب الآلي والطباعة بالأوفست Offset Printing خلال الثلث الأخير من القرن العشرين (حوالي 1970م)، **والمرحلة الرابعة** - وهي آخر العلامات الفارقة، والتي نعايشها في الوقت الحالي - وهي ظهور الشكل الإلكتروني للكتاب (E-Book)، والتي بدأت أيضًا في خلال الثلث الأخير من القرن العشرين.

وعلى ذلك فمن الناحية الشكلية يمكن القول إن هناك ثلاث علامات فارقة شكلت تاريخ الكتاب عبرالعصور المختلفة، وهي:

أولًا: انتقال الكتاب من شكل (اللفائف Rolls) إلى شكل (الدفاتر Codex).

ثانيًا: انتقال الكتاب من الشكل المخطوط إلى الشكل المطبوع.

ثالثًا: انتقال الكتاب من الشكل الورقي المطبوع إلى الشكل الإلكتروني الرقمي، والاثنان يتعايشان حاليا مع بعضهما بعضًا.

أما من حيث المحتوى وبعيدًا عن الناحية الشكلية، فإن الناظر إلى الكتاب عبر تاريخه الطويل، يدرك أن الكتاب ما هو إلا مجموعة من الرموز (اللغة) والإيضاحات (الصور والأشكال)، تعبر عن أفكار مؤلفيها (المرسل)؛ بهدف الوصول إلى قطاع عريض من المستفيدين (المستقبلين)، ولكن ما اختلف عبر المراحل والعصور المتتالية، هو البنية أو المادة الوعائية التي حملت تلك الأفكار والمعلومات، أي الشكل المادي للكتاب.

بينما من الناحية الوظيفية نجد أن البنية أو الشكل المادي الذي تسكنه المعرفة (خلال الكتاب) قد أعطى تلك المعرفة بعدين مهمين؛ أولهما: الإتاحة عبر المكان أو إمكانية الانتقال بها من مكان إلى آخر بسهولة، وثانيهما: الإتاحة عبر الزمان، أو إمكانية بقائها عبر الزمان وانتقالها من جيل إلى آخر، الأمر الذين لم يكن متاحًا فيما قبل التدوين، بعد أن كانت تلك المعرفة تظل مختزنة بشكل مؤقت في العقل الإنساني أو الذاكرة الذاتية طالما كان صاحب تلك الذاكرة حيًّا (الإتاحة عبر العمر الزمني للذاكرة الذاتية)، وهو ما يستلزم انتقال صاحب تلك الذاكرة الذاتية من مكان إلى مكان آخر؛ حتى يتسنى لتلك لمعرفة والمعلومات أن تنتقل وتنتشر على نطاق أوسع (الإتاحة عبر المكان).

إن هذين البعدين اللذين أتاحهما الكتاب، نجدهما يتحققان في كافة الأشكال المختلفة للكتاب، والتي تطورت وفقًا لمتطلبات طبيعة العصر الذي ينشأ فيه كل شكل أو بنية، وكذلك وفقًا للإمكانات المادية والتقنية أو آليات الإنتاج المتاحة وقت ظهور تلك البنية، بحيث يأتي الكيان المادي للكتاب متسقًا مع كل من الإمكانات التقنية المتوفرة ومتطلبات كل مرحلة.

فقد نشأ الكتاب المطبوع حينما كانت هناك حاجة إلى وسيلة أسرع وأكثر قدرة على تعديد النسخ لمواجهة التزايد الكمي للمعلومات، وكذلك تزايد الطلب عليها.

لذا فقد ظهرت آلات الطباعة بالحروف المعدنية المتحركة التي اخترعها الألماني يوحنا جوتنبرج عام 1445ميلادية، ومع تزايد الطلب تم الاتجاه نحو مصادر الطاقة البخارية، التي توفرت خلال عام 1800 ميلادية؛ لمواجهة الطلب على المعلومات، والتزايد المضطرد في

حجم المعلومات .. بينما (الكتاب الإلكتروني) جاء متسقًا مع السمة الرقمية للعصر .. ويأتي (الكتاب الإلكتروني) أيضا مستفيدًا من إمكانات التشبيك (Internet working) والرقمنة (Digital)؛ وذلك لتمكين المعلومات من الوصول عن بعد إلى قطاع أعرض من المستفيدين، ولإشباع الاحتياجات المعلوماتية المضطردة بطريقة تناسب روح العصر.

ولكن من المؤكد أن (الكتاب) لم ينتقل فجأة من الشكل الورقي المطبوع، الذي ظل – ولا يزال – محتضنًا من جاب القراء طيلة مدة تزيد على الخمسة قرون، إلى الشكل الإلكتروني الرقمي، بل كانت هناك بعض الإرهاصات والرؤى المستقبلية التي مهدت لقدومه، وهو ما يعد بمثابة الأطر النظرية التي استوحى منها التقنيون – فيما بعد – أفكارهم حول رقمنة الكتاب.

ففي العام 1895م – وقبل أن يعرف الإنسان الكهرباء، أو التلفاز، أو الملاحة الجوية – نجد أن المفكر الفرنسي (ألبرت روبيدا Albert Robida)، قد أدهشنا بنشر رؤيته حول المستقبل، متضمنة ما أطلق عليه نهاية الكتب (The end of Books)، حيث أعلن أن الكلمة المكتوبة سوف تختفي، مفسحة الطريق أمام الكلمة المسموعة، عن طريق (الجراموفون Gramophone)، الذي كان أديسون قد اخترعه عام 1877؛ مما ساعد على تلافي الإجهاد البصري وكان يعتقد أن ذلك الجراموفون البدائي من الممكن أن يصبح بمثابة مشغل في حجم الجيب، يمكنه أن يختزن الطاقة التي يحتاجها، عن طريق استغلال حركة المستخدم الذي يحمل ذلك المشغل .. وإن هواة الكتب سوف يعملون على تجميع تلك (الأسطوانات Cylinders) المحملة بالمعلومات المسموعة، تمامًا مثل عملهم على تجميع الكتب المطبوعة، كما كان يعتقد أن الطباعة سوف تهجر وتستبدل الصحف الورقية بوسائط أخرى، حيث ستعمل مكاتب البريد على نقل الأسطوانات التي تشتمل على الصحف بشكل يومي وبكميات كبيرة، وستقوم الشركات المقدمة لخدمات الهاتف بتوصيل الصحف إلى آذان المستفيدين، عن طريق أسلاك الهاتف.

وعلى الرغم من مستقبلية تلك الرؤية التي جاءت قبل أكثر من مائة عام، إلا أنها قد أصابت جزءًا كبيرًا من كبد الحقيقة التي نعايشها الآن، والمتعلقة بطبيعة مواد المعلومات، ونعني بذلك الأركان الأساسية لتلك الرؤية، وكونها قائمة على ضرورة حدوث تحول مستقبلي في الكيفية

التقليدية التي يتم وفقًا لها اختزان وإتاحة المعلومات .. فقد أسس (روبيدا) رؤيته على فكرة استبدال تقنية الطباعة في المستقبل بتقنيات أخرى بديلة، وهي – في الوقت ذاته – ربما تعكس رغبته في الحصول على المزيد من المرونة والإمكانات، أكثر من تلك التي تقدمها تقنية الورق المطبوع. وهي الرؤية التي لو تأملناها بعض الشيء، لاستبان أنها تجيء متسقة – إلى حد كبير – مع ما يحدث في الوقت الحالي، حيث القراءة باستخدام حاسبات صغيرة مخصصة للهدف ذاته، وأيضًا إمكانية الإتاحة على الخط المباشر في أي مكان وفي أي وقت. ولكن الإمكانات التقنية المحدودة قبل أكثر من مائة عام – قياسًا بالوقت الحالي – لم تكن لتمكنه من التوقع بأبعد من ذلك.

وتعتقد (كارين آدمز Caryn Adamas) أن (الكتاب الإلكتروني) يعد بمثابة أكثر الابتكارات التي ظهرت في مجال تقنية النشر أهمية منذ الحرب العالمية الثانية .. إلا أنه من الجدير بالذكر أن المرحلة التي تشكل فيها (الكتاب الإلكتروني)، كانت قد سبقتها العديد من المحاولات التي شكلت الأساس النظري والتجريبي لذلك؛ فلا شك أن حلم رقمنة الكتاب أو تحويل البنية الورقية الطباعية إلى بنية أخرى غير تقليدية – كان يراود الكثيرين منذ زمن بعيد؛ فمسألة رقمنة الكتاب لا تعد بمثابة ظاهرة حديثة أطلت علينا من شرفات المرحلة التقنية الحالية التي نعيشها في الوقت الحالي فقط؛ حيث سبق ذلك انطلاق العديد من النظريات والمحاولات الفعلية لاستبدال (الكتاب التقليدي) بآخر إلكتروني، فقد جاء بعد (روبيدا) كثيرون ممن تبنوا مثل تلك النظريات، التي تدعو إلى التخلص من القيود التقليدية للوسائط الورقية المطبوعة، وهي الأطر النظرية والمحاولات الفعلية التي اتفقت جميعًا في الأساس، على أن إتاحة المعلومات في قالب ورقي طباعي، لن تكون الوسيلة الأكثر ملاءمة في المستقبل؛ ومن ثم ينبغي إيجاد بدائل أخرى.

وبشكل عام، يمكن القول إن بداية تجارب النشر الإلكتروني تعود إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي شهدت الإرهاصات الأولى لكثير من الاختراعات التي دفع بعضها بالنشر الإلكتروني، إلى أن يحتل مكانته الحالية.

حيث بدأت عمليات استخدام الحاسب الآلي في أغراض اختزان واسترجاع وتوزيع المعلومات، في الوقت الذي برز فيه الاتجاه العام نحو إنشاء ذاكرة خارجية إلكترونية، وذلك عوضًا عن الذاكرة الخارجية الورقية، التي أصبحت أكثر تقليدية في ظل التقنيات الحاسوبية

المستخدمة، وذلك بعد أن تكشف للقابضين على زمام الأمور، دور هذه التقنيات في التغلب على العديد من المشكلات المتعلقة باختزان وإتاحة واسترجاع المعلومات، في إطار الطرق التقليدية.

وترجع نشأة (الكتاب الإلكتروني) المحوسب داخل المختبرات العلمية إلى فترة الستينيات من القرن العشرين؛ حيث أتاحت تقنيات الحاسب تحسين النص، بإضافة الصور المتحركة والصوت إليه، وذلك بدلًا من المواد المطبوعة على الورق، الذي يتم تجليده في شكل دفتري .. كما أضافت تقنيات الحاسب أيضًا النص المهيبر إلى المحتوى الرقمي للكتاب.

ويعتقد البعض بأن (أندري فان دام Andries Van Dam) هو أول من صاغ مصطلح (كتاب إلكتروني) منذ العام 1967 / 1968، عندما قاد الفريق الذي قام بإنشاء أول نظام للنصوص المهيبرة (Hyper text System)، يدعى نظام تحرير النصوص المهيبرة (The Hyper text Editing System)، وهو النظام الذي يعمل مع الحاسبات الكبيرة، وكان يتم دعمه بواسطة شركة (آي بي إم IBM).

وفي السبعينيات من القرن العشرين استخدم نظام آخر، هو نظام استرجاع وتحرير الملفات "FRESS" (File Retrienal and Editing System)، من جانب الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في (جامعة براون Brown University) .. ويتسم هذا النظام بديناميكة التسلسل أو التدرج، فيما يشبه تمامًا أجزاء الفصول بالكتاب، كما يتسم باشتماله على وصلات مرجعية مزدوجة الاتجاهات، ووصلات بالكلمات المفتاحية، وعقد (Nodes) معلوماتية.

بينما يعتقد البعض الآخر أن مسألة اختراع الكتاب الإلكتروني ترجع إلى (مايكل هارت Michael Hart)، وذلك في العام 1971؛ حيث أطلق (هارت) مشروع جوتنبرج (Proje Gutenberg) لتحويل كتب التراث إلى الشكل الإلكتروني، واستمر (هارت) منذ ذلك الحين في دعم عمليات إنتاج الكتب الإلكترونية وكافة التقنيات المتعلقة به.

ولكن على الرغم من الظهور المبكر للنص المهيبر، إلا أن الناشرين التجاريين لم يشرعوا في إنتاج (الكتاب ذي النص المهيبر Hyper text Book)، أو (الكتاب الإلكتروني E-Book) إلا في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين .. فعلى سبيل المثال قام (الناشر إيستجايت Eastgate System) بطرح أول عنوان في صورة نص فائق في العام 1987، وكان عبارة عن

قصة بعنوان After noon) للمؤلف (Michael Joyce)، ويعد هذا العمل بمثابة أول نص إلكتروني يتم نشره.

وكانت طرق الإتاحة، أو الحصول على الكتب الإلكترونية في تلك المرحلة إما بشرائها على قرص بحجم 8 سنتيمترات (8 centimeter discs)، أو عن طريق الدخول عبر (الإنترنت) عن طريق إحدى الجامعات التي تمتلك مجموعة من تلك الكتب .. غير أن ذلك الكتاب الإلكتروني الذي طرحته (شركة إيستجايت) لم يحقق حجمًا كافيًا من المبيعات، حيث كانت عملية تطوير (الكتاب الإلكتروني) خلال هذه المرحلة بطيئة الوتيرة إلى حد كبير؛ نظرًا لأن التقنيات الحاسوبية كانت لا تزال في مراحلها الأولى، فلم تكن تلك التقنيات لتساعد على انتشار الكتب في شكلها الإلكتروني على نطاق واسع.

ويقول البعض إن فكرة (الكتاب الإلكتروني) تعود إلى أوائل التسعينيات من القرن العشرين (عام 1990) مع بدايات استخدام طريقة نشر الوثائق إلكترونيًّا (رقميًّا)، وأحد مبتكري هذا المصطلح هو (بوب ستاين)، الذي عقد مقارنة بين القراءة من خلال الشاشة الكمبيوترية، والقراءة من الكتاب التقليدي الورقي المطبوع، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن القراءة من الجهاز الإلكتروني تتميز على القراءة من كتاب تقليدي بمزايا عديدة .. غير أن البعض قد اعترض على ما توصل إليه (بوب ستاين) من نتيجة؛ على اعتبار أن الكمبيوتر أثقل حجمًا من الكتاب العادي، فضلا عن العديد من العيوب، التي حاول المبتكرون تلافيها فيما بعد، حتى توصلوا إلى أجهزة إلكترونية أخف حملا، إلى جانب إدخال العديد من البرامج التي تتيح للقارئ إمكانية وضع علامات على الصفحات، والتسجيل على حواشي الكتاب، وإمكانية قراءته في الظلام أو الضوء الضعيف، حيث زودت بعض الأجهزة بوحدات إضاءة، فضلا عن تحول الكتاب إلى النظام السمعي في حالة الإجهاد البصري.

وبحلول العام 1993، كان هناك عدد كبير من ناشري الأعمال الإلكترونية .. ففي (معرض فرانكفورت للكتاب Frankfurt Book fair) للعام نفسه 1993، اشتملت إحدى صالات العرض على حوالي 170 من ناشري الكتب والدوريات الإلكترونية، والوسائط المتعددة؛ مما دعا البعض إلى وصف ذلك الحدث بأنه أعظم ثورة حدثت في مجال النشر منذ جوتنبرج.

أنماط الكتب الإلكترونية:

إن طبيعة الكتاب الإلكتروني الرقمية قد ساعدت الخبراء والمتخصصين، على تقديم العديد من الفئات الفرعية لأنماط من الكتب الإلكترونية، التي تندرج تحت الفئة الأم للكتب الإلكترونية في الوقت نفسه .. ومن هذه الفئات الفرعية ما يلي:

1) الكتب المطبوعة تحت الطلب POD" Prrint -on- demand books":

وهي الكتب المخزنة إلكترونيًّا، ولكن المستفيد يستطيع طبعها، وتجليدها، حيث يتم تداولها، تمامًا مثل الكتب التقليدية.

2) الكتب المخلطة (Cafeteria – Style Books): وهي عبارة عن فصول إلكترونية من كتب أو أجزاء صغيرة قائمة بذاتها، يستطيع القارئ الخلط بينها فيما يقارب حجم الكتاب؛ ليتم بعد ذلك تحميله واستخدامه.

3) الكتب السمعية (Audio Books): وهي عبارة عن نسخ سمعية، يتم إعدادها خصيصًا من أجل تداولها عبر الويب (Web).

4) أجهزة الكتب الإلكترونية الخاصة (Proprietary E-Book devices): وهي عبارة عن جهاز حاسوبي قارئ متنقل، يتم تحميل النص عليه ووضعه في قالب (Format) خاص؛ ليعمل على جهاز قارئ معين فقط.

5) الكتب الإلكترونية المفتوحة (Open e-Books): يسمح لأي نص بأن يعمل مع أي جهاز قارئ، مع العمل على حماية حقوق الناشر في الوقت ذاته.

6) الكتب المجانية (Free Books): وهي النسخ الرقمية من الكتب التي سقطت عنها حقوق الملكية والمتاحة على المواقع العنكبوتية العامة، كتلك النصوص التي تمت رقمنتها ونشرها بواسطة العديد من المشروعات؛ بهدف خدمة أغراض معينة، ومن الممكن تحميل هذه النصوص أو طبعها أو استعارتها بشكل مجاني.

7) الكتب الإلكترونية غير المجانية (E-Books to Buy): وتكون متاحة لأغراض التحميل على الحاسبات الخاصة بالمستفيدين، أو في نظير مقابل مادي عبر الموقع العنكبوتي الخاص بمزود تلك الخدمة.

8) الكتب المحاكية (Pseudo books): وهي العناوين التي تشتريها المكتبات أو الاتحادات بين المكتبات (Consortia)، ويتم إعارتها خارجيًّا للمستفيدين؛ ليقوموا بتحميلها على حاسباتهم الشخصية، ويستطيع المستفيد الفرد استعارة العنوان الواحد في المرة الواحدة، طالما أن المكتبة قامت بدفع المقابل المادي لحق استغلال نسخة واحدة فقط، دون الدفع في مقابل أكثر من نسخة.

9) الكتب الفورية (Insta books): وهي الكتب التي تطبع وتجلد تحت الطلب (on demand) من نصوص الكتب الإلكترونية المكودة، وصولا إلى الكتب المخزنة رقميًّا باستخدام طرق مسح الصفحات ضوئيًّا.

10) أشباه الكتب (Not quite a books): وهي عبارة عن النصوص متوسطة الطول، مثل (القصص القصيرة Novellas (or) Noveleltes)، والتي يصعب نشرها على وسيط مطبوع، بل يتم جعلها في صورة حزم معلوماتية؛ ومن ثم نشرها وتوزيعها إلكترونيًّا.

11) الكتب المنشورة ذاتيًّا (Self published Ebooks): وهي الكتب التي يتم نشرها بواسطة بعض الأفراد على الويب (Web)؛ حيث يقوم بعض مزودي خدمة النشر الذاتي بمنح المؤلفين مساحة (space) معينة على الخادم (السيرفر) الخاص بهم؛ وذلك بغرض أن يقوم المؤلفون بنشر أعمالهم، بل ودعمهم بالمساعدة فيما يخص التصميم والدعاية وغيرها، كما يقومون بتزويدهم بالموقع العنكبوتي؛ حيث يستطيع القراء من خلاله شراء تلك الأعمال المنشورة، بحيث يحصل المؤلفون على العوائد المادية كاملة، مقابل دفع مبلغ معين نظير الدعم.

12) الكتب الإلكترونية فيما قبل الويب (E-books before the web): وهي الكتب الإلكترونية المخزنة على الأقراص المليزرة أو الأقراص المرنة.

13) الكتب الممتدة (Extended books): وهي الكتب المنشورة على أقراص ليزرية أو على الويب، وتتميز بإتاحتها في صورة قابلة للبحث والاسترجاع، واشتمالها على النص المهيبر والمالتيميديا والعناصر التفاعلية.

14) الكتب الإلكترونية القابلة للتحميل (Downloadable e-books): تكون محتويات الكتاب متاحة على الإنترنت؛ ليتم تحميلها بواسطة المستفيدين عبر أجهزتهم الحاسوبية.

15) القارئات المخصصة للكتب الإلكترونية (Dedicated e-books readers): حيث يتم تحميل محتوى الكتاب الإلكتروني على أجهزة حاسوبية مخصصة لهذا الغرض. وهذه الأجهزة شاشات ذات كفاءة عالية، وإمكانات خاصة، تساعد على قراءة الكتب في التركيبة الإلكترونية.

16) الكتب المتاحة على الويب (Web – accessible e-books): ويتم نشرها على المواقع العنكبوتية الخاصة بمزودي الكتب الإلكترونية، ويمكن استخدامها لمرة واحدة نظير مقابل مادي معين، كما يستطيع القارئ شراءها بحيث تصبح تلك الكتب الإلكترونية مملوكة له، ومتاحة للاستخدام في أي وقت.

17) الكتب الإلكترونية للإعارة (Borrowable E-books): ويتم شراؤها بواسطة بعض الاتحادات فيما بين المكتبات (Consortia) أو المؤسسات الأخرى، ويتم في الوقت ذاته إعارتها للمستفيدين في أي وقت ومن أي مكان، والنظام يسمح للمستفيد بإجراء استعارة على الخط المباشر للكتاب الإلكتروني الذي يحتاجه، دون أن يتمكن من تحميله.

18) النصوص الإلكترنية الدراسية (Educational Texts): فبينما لعبت الجامعات في السابق دورًا رئيسًا في تطوير وتوسيع نطاق شبكة الإنترنت، فهي الآن مسئولة أيضًا عن إنتاج وإتاحة نسبة كبيرة من المواد الدراسية الإلكترونية عبر الويب، سواء أكانت كتبًا، أو غيرها من المواد الدراسية.

واعتمادًا على تلك التقسيمات السابقة للفئات الفرعية، أمكن تقسيم الكتب الإلكترونية لعدة فئات معينة، وفقًا للوسيط أو طريقة الإتاحة .. وكذلك وفقًا لشكل أو طبيعة المحتوى الرقمي .. وأيضا مسميات أخرى استخدمت للدلالة على المفهوم نفسه على النحو التالي:

أولًا: من حيث الوسيط أو طريقة الإتاحة:

1) الكتب الإلكترونية على أقراص ليزرية (CD-ROMS).

2) الكتب الإلكترونية على أقراس مرنة (Disks).

3) الكتب الإلكترونية على الخط المباشر (Online).

4) الكتب الإلكترونية على قارئات مخصصة (Dedicated readers).

5) الكتب الإلكترونية المطبوعة تحت الطلب (Print -on- demand books).

ثانيًا: من حيث الشكل:

1) كتب إلكترونية نصية فقط (أي دون مالتيميديا، وربما دون وصلات مهيبرة).

2) كتب إلكترونية ذات وصلات مهيبرة.

3) كتب إلكترونية تشمل على مالتيميديا.

4) كتب إلكترونية سمعية.

5) الكتب الإلكترونية الممسوحة ضوئيًّا.

ثالثًا: مسميات أخرى: وردت خلال الأدبيات التي تناولت الكتاب الإلكتروني العديد من المسميات الأخرى، شُرع في استخدامها للدلالة على المفهوم نفسه الخاص بمصطلح كتاب إلكتروني، وهي:

1) الكتاب المحوسب أو الحاسوبي (Cmputerized Book).

2) الكتاب الرقمي أو المرقمن (Digital Book).

3) الكتب ذات النصوص المهيبرة (Hyper books)، وأيضًا (Hyper text Books).

4) الكتاب ذوالوسائط المتعدة (Multimedia Book)

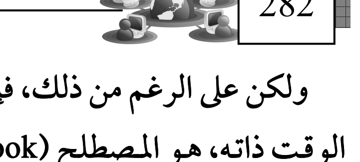
5) الكتاب الهائل أو الممتد (Extended book).

6) الكتاب العنكبوتي (Web book) وأيضًا (Web based - book).

7) الكتاب على الخط المباشر (Online Book).

8) الكتاب الافتراضي أو التخيلي (Virtual Book).

9) الكتب القابلة للتحميل (Downloaded Book).



ولكن على الرغم من ذلك، فإنه ربما تكون أكثر المسميات منطقية ودلالة بل واستخدامًا في الوقت ذاته، هو المصطلح (E-book) أو (Electronic Book)، وهو ما يجعله المصطلح الأكثر شيوعًا من جانب المتعاملين مع الكتب الإلكترونية، سواء على مستوى الأدبيات أو خدمات المعلومات.

أنماط نشر الكتاب الإلكتروني:

إن تقنية الكتب الإلكترونية تأتي مناسبة تمامًا لنشر خمس فئات رئيسة من الكتب، هي:

1- الأعمال التي تحمل كمًّا كبيرًا جدًّا من المعلومات، إلا أن المستفيد أو القارئ مهتم فقط بالحصول والاطلاع على كم ضئيل من تلك المعلومات، ومن هذه الأعمال على سبيل المثال الكتب المرجعية.

2- المعلومات التي تتغير بشكل سريع مثل المعلومات التقنية وبيانات الأدلة.

3- الكتب النادرة والمخطوطات التي تتسم بالوهن الشديد، بحيث يصعب لمسها والاطلاع عليها.

4- المواد التي تتسم بانخفاض معدلات نشرها.

5- الكتب المنشورة ذاتيًّا من جانب المؤلفين أنفسهم.

أما أنماط النشر الإلكتروني للكتب فهناك أربعة أنماط رئيسة، هي: النشر الإلكتروني التجاري، والنشر الإلكتروني غير التجاري، والنشر الإلكتروني بالوكالة، والنشر الإلكتروني الذاتي، وذلك على النحو التالي:

1- النشر الإلكتروني التجاري Commercial E-publishing:

والناشرون الإلكترونيون التجاريون يعملون - إلى حد كبير - بالطريقة نفسها التي يعمل بها الناشرون التجاريون لمواد المعلومات المطبوعة، حيث يقبل الناشر التجاري أصول الأعمال المطلوب نشرها، ولا يتحمل المؤلفون أية تكلفة مادية، بل يحصلون على العائدات المادية لأعمالهم من خلال الناشرين، وهذه الكتب الإلكترونية يتم تسويقها بالأساس عبر

مواقع الويب (Web) الخاصة بالناشرين، ويمكن تسويقها أيضًا من خلال أي متجر إلكتروني يعمل بطريقة الطباعة تحت الطلب (Printed on demand).

2- النشر الإلكتروني غير التجاري (Non Commercial e-publishing).

وهو لا يهدف - في الأساس - إلى تحقيق الربح المادي، بل عادة ما ينبع من الاتجاهات الهادفة إلى حفظ التراث الإنساني، وخدمة الأغراض المجتمعية، ويعتمد - في الأساس - على الجهود التطوعية لنشر تلك الكتب التي سقطت عنها حقوق الملكية، وغالبًا ما تكون جهودًا مؤسسية، تتم عبر الجامعات أو المجتمعات الأهلية وغير الأهلية، ويتم إتاحتها بالمجان عبر الويب لمختلف فئات المستفيدين حول العالم .. ويدخل ضمنها أيضًا الكتب التي يقوم مؤلفوها غير المشهورين بإتاحتها بالمجان عبر الويب؛ لأنهم وجدوا في الإنترنت وسيلة مناسبة وغير مكلفة ماديًّا لنشر أعمالهم الفكرية.

3- النشر الإلكتروني بالوكالة (Subsidy e-publishing):

والناشرون الإلكترونيون الذين يعملون بهذه الطريقة، يقومون بإنتاج وتوزيع الكتب في مقابل تكلفة مادية معينة، وهم نادرًا ما ينتقون الأعمال التي سينشرونها، ويقبلون كافة الأعمال المقدمة، ولا يقدمون أي خدمات تحريرية على أصول تلك الأعمال، بل يتم نشرها بالشكل نفسه الذي تم استلامها به .. ومن الممكن أن يقوم بعضهم بأداء تعديلات على النص قبل نشره، في مقابل أن يدفع لهم المؤلف تكلفة ذلك، بينما يتم إلقاء مهام الدعاية على عاتق الناشرين.

4- النشر الإلكتروني الذاتي (Self-publishing):

وفي هذه الطريقة يكون المؤلف هو المسئول كلية عن عملية إنتاج الكتب، وعادة ما يتم إتاحة تلك الكتب بواسطة المؤلفين أنفسهم عبر مواقع الويب (Web) الخاصة بهم، ويتحمل المؤلف كافة التكاليف المادية، ويحصل على كافة العائدات.

فريق إنتاج الكتاب الإلكتروني:

من المعروف أن إنتاج وإصدار أي كتاب يحتاج إلى فريق عمل يقوم بهذا الإنتاج والإصدار .. فكان فريق العمل الذي يقف وراء الكتاب التقليدي يتمثل في المؤلف، الذي

لديه الأفكار والنصوص التي سيقوم عليها الكتاب .. ومن يصنع الورق الذي يحتاجه الكتاب .. ومن يخط على الورق ما يمليه المؤلف .. ويدعم هؤلاء شخص أو مؤسسة تمدهم بالمال اللازم لإصدار الكتاب.

ومع تقدم فنون الطباعة، وازدياد الحاجة إلى الكتب، ازداد حجم هذا الفريق، فأصبح هناك الرسام والخطاط، ومن يجمع النص، ومن يقوم بتوضيب الصفحات، ومن يقوم بتصميم الغلاف، ومن يقوم بالطبع، والإعلان والدعاية، والنشر، والتوزيع والتسويق للكتاب، وغيرهم من الفنيين والمتخصصين، مع توفير الأجهزة الفنية لكل ما يحتاجه الكتاب لإنتاجه وإصداره.

أما فيما يتعلق بإنتاج وإصدار (الكتاب الإلكتروني)، فقد أوضح البعض أن إنتاج وإصدار الكتاب الإلكتروني يمر بالمراحل الآتية:

1) مرحلة الدراسة والتحليل للشكل المطلوب عرضه على الشاشة، بما يتفق مع الغرض والهدف المطلوب من إنشائه وإصداره.

2) مرحلة التصميم: وفيها يضع شخص أو أشخاص التصور لتسلسل مشاهد الكتاب الإلكتروني على الشاشة، ويمكن أن يسمى هذا التسلسل بالسيناريو، الذي يحدد المناظر والرسومات والمقاطع الضوئية والموسيقى المصاحبة لكل مشهد من المشاهد التي يتوالى ظهورها.

3) مرحلة البرمجة: ويتم خلالها وضع شكل التعامل مع الكمبيوتر بلغات الترجمة المختلفة، وكذلك البرامج والأنظمة المستخدمة ووظائفها؛ لكي يتجسد على الشاشة ذلك السيناريو بما يؤكد التفاعلية مع المشاهد أو القارئ.

4) مرحلة التنفيذ: وهي التي يتم فيها تنفيذ وكتابة الشكل البرامجي والأوامر التي يستجيب لها الكمبيوتر حسب التصميم الموضوع.

5) مرحلة التوثيق لجمع المراحل السابقة: ويتم خلالها تجميع الأجزاء من وثائق ونصوص وصوت وخلافه، عن طريق نظام وأوامر وبرامج، كل حسب طبيعة ما يتطلبه هذا الجزء، وتجمع بحيث تأتي عند العرض والتشغيل متسلسلة ومتسقة مع الآراء حسب السيناريو الذي وضع لها.

6) مرحلة النسخ والطبع: وتتم هذه المرحلة بأجهزة خاصة لطبع الصوت والصورة والنصوص على أسطوانة الليزر المدمجة، أو الأقراص المرنة، مع بيان طريقة التشغيل.

طرق تسويق الكتاب الإلكتروني:

إن ظهور الكتاب الإلكتروني بالأسواق لكي يكون منافسًا للكتاب التقليدي الورقي المطبوع، إنما يعبر عن التطور الطبيعي للتكنولوجيا التي تجتاح العالم حاليًا، وطرق استخدامها، ومدى استيعابها بين أفراد المجتمع الواحد .. وبداية فإن التسويق بمفهومه الواسع هو الترويج لسلعة ما لإشباع حاجة معينة لدى المستهلكين، وحيث إننا بصدد تسويق الكتاب بمفهومه الواسع، فهو عملية الترويج لهذا الكتب عند جمهور القراء لسد حاجتهم في مجال معين.

وفي دور النشر والتسويق بالدول المتقدمة، تجتمع لجنة مكونة من المسئولين عن المطابع والنشر والتسويق لإقرار خطة النشر، وما تتضمنه من كتب، وتحديد العناوين التي سيتم طبعها، وذلك قبل البدء في عملية إنتاج الكتاب .. أي أن الكتاب يخضع لدراسة مطولة قبل بدء إنتاجه؛ وذلك لضمان رواج تسويقه .. وعلى رجل التسويق اختيار الطريقة التي تناسب الكتاب حسب نوعيته، بما يحقق عاملين أساسيين، هما: عامل الجذب والتشويق، وتحقيق أكبر قدر من كمية التوزيع.

ويعتمد الكتاب الإلكتروني في تسويقه - في المقام الأول - على شريحة الجمهور التي تمتلك أجهزة حاسب آلي ومعه ملحقاته .. ولذلك فإن طريقة تسويق هذا الكتاب تكون بعرضه من خلال منافذ البيع المتخصصة في هذا المجال بمعارض الكتاب وغيرها .. وعن طريق شبكات الإنترنت، والبريد الإلكتروني، والمؤتمرات والندوات التي تخصص لهذا الغرض .. وفي جميع الحالات لابد من شرح مبسط لهذا الكتاب، وما يحتويه من مادة، سواء أكانت عملية أو ترفيهية أو قصصية ... إلخ.

القراءة الخطية والقراءة غير الخطية:

وبالرغم من كل سبق، إلا أن هناك بعض العقبات التكنولوجية التي تواجه هذه التقنية، وتحاول العديد من شركات تصنيع الأجهزة الوصول إلى تحسينات تجعل القراءة الإلكترونية ميسرة وممتعة، خاصة وأن عملية القراءة على الشاشة مرهقة في حالة النصوص الطويلة،

ويعود ذلك إلى أن شاشة الكمبيوتر أو أجهزة المساعدة الإلكترونية (PDA)، تتغير صورتها عشرات المرات في الثانية، والحل الوحيد هو تطوير تكنولوجيا مختلفة تمامًا .. وبالفعل تعمل العديد من الشركات الخاصة بإنتاج الأجهزة والبرامج، على تطوير العديد من النظم الجديدة، وتستثمر فيها مبالغ ضخمة، وكل ذلك يبشر بصدور كتب إلكترونية متطورة جدًّا.

وجدير بالذكرأنه توجد طريقتان رئيستان، عادة ما يتبع القارئ إحداهما أو كليهما في أثناء قراءة الكتب ومواد المعلومات الأخرى، سواء الورقية أو الإلكترونية، وذلك وفقًا لأغراض القراءة، وهاتان الطريقتان هما:

1) القراءة الخطية (Linear) أو التتابعية (Sequential): وهي الطريقة التي تعتمد على قراءة الكتاب من البداية بالتتابع إلى النهاية، وعادة ما تستخدم في الأغراض الترفيهية، وخاصة مع الأعمال الروائية والأدبية التي تقرأ بالكامل، ولا يتم قراءتها بطريقة انتقاء بعض الأجزاء أو الفصول دون غيرها.

2) القراءة غير الخطية (Non linear) أو غير التتابعية (Non sequential) أو القراءة الاسترجاعية:

وهي تعتمد - في الأساس - على الانتقال السريع بين أجزاء الكتاب، أو استرجاع أجزاء معينة دون باقي الكتاب، وهذه الطريقة عادة ما تستخدم في الأغراض البحثية أو الاسترجاعية، وخاصة مع الأعمال غير الروائية ومواد المعلومات المرجعية.

ويعتقد البعض أن استخدام الكتب المطبوعة في أغراض القراءة الترفيهية، يعد من الأمور المفضلة - إلى حد كبير - مثل قراءة إحدى الروايات بطريقة خطية (linear Modo)؛ حيث تعمل على جعل القراءة ممتعة ومرضية بشكل كبير، وذلك على عكس الكتب الموضوعة من أجل الاسترجاع؛ فعملية قراءة أحد الكتب الدراسية - على سبيل المثال - بطريقة غير خطية (Non linear Modo) تعتمد على الانتقال السريع من موضوع لآخر، تكون أكثر فاعلية إذا تمت باستخدام الشكل الإلكتروني وليس الورقي، فالكتب الإلكترونية تعد بمثابة مصادر

متميزة للحصول على استشارات مرجعية سريعة؛ فهي تمثل نوعية من الاسترجاع، يمكن تسميتها بطريقة الالتقاط السريع للحقائق (Grab a quick facts).

مقارنة بين الكتاب الورقي والإلكتروني:

وفيما يلي نقدم مقارنة سريعة بين الملامح الأساسية أو الخصائص المهمة لكل من الكتاب التقليدي والورقي المطبوع والكتاب الإلكتروني، والجدول نقلا عن كتاب (الكتب الإلكترونية، مرجع سابق، ص115 - 117).

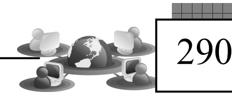
الكتاب الورقي P-Book	الكتاب الإلكتروني E-Book
• يعد استخدام الحاسب في إعداد النص بمثابة مرحلة انتقالية، وقد لا يستخدام الحاسب خلال عملية الطبع.	• إعداد النص يعتمد كليًّا على البيئة الرقمية؛ فالرقمنة هي الوسيلة الوحيدة لتجهيز النص في شكله النهائي للكتاب الإلكتروني
• عدم السرعة في التجهيز، وكذلك البطء في الوصول إلى المتلقي عبر الطرق التقليدية.	• سرعة التجهيز، مع إمكانية الوصول إلى أعرض قاعدة من المستقبلين عبر الإنترنت في أسرع وقت.
• يختزن النص على ذاكرة الحاسب بصفة مؤقتة؛ وذلك لحين الانتهاء من مراحل إنتاجه.	• يختزن النص، ويتاح على ذاكرة الحاسب بصفة دائمة؛ حتى بعد الانتهاء من إنتاجه.
• المنتج النهائي مطبوع ومجلد.	• المنتج النهائي رقمي إلكتروني.
• تعديد نسخ العنوان الواحد، يستهلك قدرًا كبيرًا من الجهد والوقت.	• تعديد نسخ العنوان الواحد يعد أكثر مرونة في البيئة الرقمية، فضلا عن إمكانية استخدام النسخة الواحدة من جانب عدد غير محدود من المستفيدين.
• المادة الذي يسجل عليها النص دائمًا هي الورق.	• يختزن النص على وسائط التخزين الإلكترونية من أقراص ليزرية،

الكتاب الورقي P-Book	الكتاب الإلكتروني E-Book
	وأقراص مرنة، وغير ذلك.
• صعوبة تحديث النصوص؛ حيث يتطلب الأمر إعادة الطباعة.	• المرونة والسرعة في تحديث النص.
• عملية القراءة لا تتطلب تجهيزات خاصة.	• عملية القراءة تتطلب أجهزة وبرمجيات معينة.
• تتم عملية التوزيع بالطرق التقليدية؛ كالبريد، أو عبر متاجر الكتب، والمعارض.	• عملية التوزيع تتم في الغالب عن بعد، عبر الإنترنت.
• الكتاب المطبوع لابد وأن ينتقل المستفيد إليه.	• الكتاب الإلكتروني هو الذي ينتقل إلى المستفيد أينما كان.
• يتسم بأنه حقيقي، ملموس.	• يتسم بأنه تخيلي، أو افتراضي.
• عملية القراءة تحدث بشكل تتابعي Sequential نسقي.	• عملية القراءة غير تتابعية Non sequential، أو غير تسلسلية.
• المحتويات عبارة عن نص، وأيضًا إيضاحيات، ويمكن أن تأتي عناصر الوسائط المتعددة كمادة مصاحبة، وليس كجزء من النص نفسه أو كيان الكتاب.	• المحتويات يمكن أن تشتمل إضافة إلى النص، على عناصر الوسائط المتعددة، فضلا عن الوصلات المهيبرة.
• يتسم بعدم التفاعلية.	• يعتمد على التفاعلية Interactivity فيما بين المحتوى والمستفيد.
• استرجاع النص يتم باستخدام الكشافات، وقوائم المحتويات التقليدية.	• إمكانية استرجاع النص بالكلمات المفتاحية.

الكتاب الورقي P-Book	الكتاب الإلكتروني E-Book
• غير مناسب لذوي الاحتياجات الخاصة من ضعاف البصر، ومن لا يستطيعون الانتقال حيث يتم إتاحته.	• إمكانية استخدامه من جانب ذوي الاحتياجات الخاصة؛ من ضعاف البصر، والسمع، ومن لا يستطيع الانتقال إلى المكتبة.
• القراءة من الكتاب الورقي تعد مريحة أكثر للعين.	• القراءة من الشاشات الرقمية أحيانًا ما تبعث على الإجهاد البصري.
• لا يعمل الكتاب المطبوع على خدمة أغراض المحافظة على البيئة؛ نظرًا للاعتماد على مواد عضوية لإنتاج الورق.	• يأتي متسقًا مع الاتجاهات السائدة للمحافظة على البيئة؛ نظرًا لأنه لا يتم استهلاك أي مواد عضوية خلال إنتاجه.

مميزات الكتاب الإلكتروني وسلبياته:

بعد هذه المقارنة السريعة بين أهم خصائص وملامح الكتاب الورقي المطبوع، والكتاب الإلكتروني الرقمي، وقبل عرض مميزات وسلبيات الكتاب الإلكتروني، فإنه ينبغي أن ندرك حقيقة مهمة، وهي أن مميزات الكتاب الإلكتروني هي في الأساس تُعد بمثابة الإمكانات والخصائص التي تضيفها البيئة الرقمية الافتراضية إلى النص في القالب (Format) الإلكتروني، أو بالأحرى هي تلك الإمكانات والخيارات التي لم نكن لنحصل علها إذا كنا بصدد استخدام النص أو المحتوى ذاته في البيئة الورقية الطباعية .. أما سلبيات الكتاب الإلكتروني، فهي غالبًا ما تُعد بمثابة تلك الإمكانات والمميزات التي يتم الحصول عليها خلال الكتاب الورقي التقليدي، بينما يفتقر إليها في الوقت ذاته الكتاب الإلكتروني، على الرغم من الحصول على العديد من القيم المضافة، وذلك إذا كنا بصدد استخدام الكتاب الإلكتروني .. وفيما يلي عرض لأهم مميزات وسلبيات الكتاب الإلكتروني.



أولًا: مميزات الكتب الإلكترونية:

سيتم تقسيم مميزات الكتب الإلكترونية إلى أربع فئات، وهي الفئات المعنية - في الأساس - بالكتب الإلكترونية وفقًا للمستفيدين، ووفقًا للمؤلفين، ووفقًا للناشرين، ووفقًا للمكتبات، وذلك على النحو التالي:

أ) **المميزات وفقًا للمستفيدين:** باعتبارهم في الأساس هم المحركون لسوق الكتب الإلكترونية.

1- إمكانية إتاحة الكتب الإلكترونية عن بعد مباشرة، وأيضًا على الخط غير المباشر، حيث تجعل (الشبكات اللاسلكية Wireless Networks)، من الممكن عن طريق استخدام أي جهاز قارئ (E-Book Reader) الدخول على قواعد البيانات الخاصة بالكتب الإلكترونية من أي مكان وفي أي وقت؛ حيث يمكن شراء المحتوى وتحميله وتجهيزه للقراءة في خلال دقائق معدودة.

فالمستفيدون يمكنهم انتقاء العناوين الراغبين فيها، والحصول عليها في وقت أقل مما قد يتطلبه الذهاب إلى متجر الكتب، وهذا إذا افترضنا أن ذلك المتجر سيكون مفتوحًا طوال الوقت.

فكل ما نحتاج إليه حتى نحصل على الكتاب الإلكتروني، هو خط هاتف للاتصال على الإنترنت؛ ومن ثم تحميل الكتاب إلى أي جهاز حاسب، وذلك بعد تسديد التكلفة عن طريق الكارت الائتماني.

2- إمكانية الولوج مباشرة إلى الكتاب الإلكتروني عبر فهرس المكتبة على الخط المباشر (Online Public Access Catalog) (OPAC)؛ فقد أصبحت الفهارس الآن تشتمل على وصلات إلى الأوعية، سواء المملوكة أو غير المملوكة بواسطة المكتبات، كما أصبحت بمثابة (بوابة عنكبوتية (Portal) لمواد المعلومات خارج المكتبة، كذلك أصبحت المكتبة عبر الإنترنت أكثر قدرة على إتاحة فئات مختلفة من خدماتها إلى المستفيدين أينما كانوا في منازلهم أو أماكن عملهم.

3- إمكانية البحث بالكلمات المفتاحية في محتوى الكتاب الإلكتروني: وهذه الطريقة أفضل بكثير من البحث في أي كشاف أو قائمة محتويات، وأكثر فائدة بالنسبة للبحث في

الأعمال غير الروائية، أو الكتب التي لا تقرأ من الغلاف إلى الغلاف، وهي المسألة التي تستغرق وقتًا أقل مما يمكن أن تأخذه عملية تصفح وتقليب صفحات الكتاب الورقي، أو الاستعانة بالكشافات الملحقة بالكتاب الورقي، وصولا إلى فقرة نصية أو معلومة محددة.

4- تعمل الكتب الدراسية الإلكترونية على إضفاء المزيد من المرونة على العملية التعليمية، وخدمة أغراض التعليم عن بعد: فالمستفيد المتعلم يمكنه تحميل عدد كبير من النصوص إلى أحد الحاسبات؛ ليتمكن بعد ذلك من استخدامها جميعًا، بدلا من أن يضطر إلى حمل العديد من الكتب في الوقت نفسه، أو الانتقال الفعلي إلى المكتبة، وهو ما سوف يجعل الكتب الإلكترونية تلقى قبولا كبيرًا من جانب الطلاب، وتكون هناك مساواة في إتاحة المواد التعليمية بين كل الطلاب داخل الحرم الجامعي ذاته، والتعليم عن بعد أيضًا، فالطلاب في أي مكان من العالم يمكنهم الحصول على المحتوى أو المادة المعلوماتية تمامًا بالطريقة نفسها التي يحصل بها الطلاب داخل الحرم الجامعي على المحتوى نفسه، سواء عبر الموقع العنكبوتي للطلبة، أو عبر متجر استعارة العنوان الواحد من جانب عدد غير محدود من الطلاب في أقل وقت، واستعارة الكتب الإلكترونية لأطول مدة ممكنة، وخاصة التي يتم تداولها بصورة مكثفة بين الطلاب، بدلا من أن يحصل عليها الطالب لبضع ساعات، واستعارة الكتب الإلكترونية عن بعد.

5- إمكانية حمل كم كبير من الكتب الإلكترونية: حيث إن (سعة Capacity) الجهاز القارئ للكتب الإلكترونية تتراوح بين عشرة إلى مائة عنوان، وذلك تبعًا للسعة الاختزانية الخاصة بكل جهاز، مع مراعاة أن الذاكرة الخاصة بمعظم الأجهزة القارئة قابلة للتوسع، وهو الجهاز الذي لا يزيد وزنه عن حوالي 900 جرام فقط، فالكتاب المطبوع مهما كان حجمه أو وزنه، فهو يظل كتابًا واحدًا غير قابل للزيادة، أما الجهاز القارئ، فإنه لا يزيد على أكثر من كتاب مطبوع، إلا أنه يمكن أن يشتمل على مثل ما تشتمل عليه خزانة مملوءة بالكتب، وأصبح من الممكن للقارئ أن يحمل مكتبته الخاصة في جيبه؛ لتصبح متاحة له في أي وقت؛ وذلك لأنه أصبح ممكنًا اختزان الكتب الإلكترونية على (شريحة حاسوبية صغيرة Computer Chip) ليقوم المستفيد بقراءتها جميعًا عبر جهاز واحد صغير.

6- تسمح الكتب الإلكترونية للمستفيد بإنشاء مكتبته الخاصة على الخط المباشر: ومثال ذلك تلك الخدمة التي يتيحها الناشر العنكبوتي (نت ليبراري Net library)، والتي تسمح

للمستفيد بإنشاء مساحة خاصة به (account) على الخط المباشر، بحيث يستطيع إضافة واختزان المواد التي يفضلها، وإضافة الملاحظات الخاصة به واختزانها على الخط المباشر، بحيث تصبح تلك الكتب متاحة في كل مرة يقوم فيها المستفيد بالولوج إلى المساحة الشخصية (account) الخاصة به، بإدخاله كلمة المرور الخاصة به، بعدها يستطيع الحصول على تلك الخيارات على الخط المباشر.

7- إمكانية عرض وقراءة الكتب الإلكترونية باستخدام الأجهزة الحاسوبية المختلفة، سواء أكان حاسبًا شخصيًّا أم حاسبًا محمولا، أو باستخدام المساعدات الرقمية الشخصية (Personal Digital Assistant "PDAs")، وذلك طالما أن تلك الكتب الإلكترونية لم يتم إنتاجها لتعمل خصيصًا مع حاسب قارئ معين دون غيره.

8- الاستخدام الآني للقواميس اللغوية الإلكترونية لترجمة الكلمات داخل النص: حيث يمكن تحميل قارئات الكتب الإلكترونية، أو أي حاسب آخر مستخدم لقراءة الكتب الإلكترونية بالقواميس، والتي يتم توصيلها بالمحتوى، بحيث إنه حينما تصادفك كلمة تحتاج إلى معناها، يمكن استخدام القاموس؛ ومن ثم يظهر معناها على الشاشة، وهي الميزة التي تتضح أهميتها عندما لا يكون من الممكن الوصول إلى قاموس مطبوع.

9- إمكانية التحكم في النص الإلكتروني، وضبطه بما يتوافق واحتياجات المستفيد، فضلا عن موافقة متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث تسمح البرمجيات القارئة للكتب الإلكترونية بالتحكم في النص، عن طريق إضافة (التظليل High light)، ووضع الملاحظات والحواشي (annotate)، ووضع خط تحت بعض الكلمات (under line)، ووضع علامات التوقف (Book Mark)، وتعديل حجم الكتابة، ونوع الخط المستخدم في عرض النص الإلكتروني، بما يساعد ضعاف البصر على القراءة دون عناء .. كما أن عملية القراءة الليلية باستخدام الكتب الإلكترونية تعد من الأمور الميسرة؛ فغالبية هذه الأجهزة القارئة تسمح بضبط (الإضاءة الخلفية Back lighting) للشاشة بما يتناسب واحتياج المستخدم في ظروف الإضاءة غير الجيدة، وفي ظلام الليل قبل النوم دون مضايقة الآخرين، وعندما تنتهي عملية القراءة يقوم القارئ فقط بالضغط على الزر الخاص، فيغلق الجهاز، دون الحاجة إلى الذهاب إلى حيث يوجد المفتاح الخاص بإطفاء ضوء الحجرة، كما أن الكتاب الإلكتروني يقدم دعمًا كبيرًا لذوي الاحتياجات الخاصة، الذين لديهم صعوبة في الحركة

والانتقال، وكذلك الأشخاص الذين ليس لديهم وقت للذهاب إلى المكتبة في الأوقات التي تفتح خلالها أبوابها، وتعطي أيضًا فرصة تامة لمستخدمي الكتب داخل المنازل للقراءة، وإمكانية استخدام (الكتب الإلكترونية السمعية (Audio E-Book) من جانب ضعاف البصر والمكفوفين.

10- إمكانية استخدام الكتاب الإلكتروني في صورة أشبه ما يكون بشكله الأصلي: حيث إن الكتب التي نقرؤها باستخدام الشاشات في القالب (بي دي إف PDF)، وهي اختصار (قالب بي دي أف، أو قالب الوثيقة المتنقلة - Portable Document Format)، تظل في الشكل الأصلي نفسه للنسخة المطبوعة فيها .. وهي النسخ الإلكترونية المماثلة للكتاب الورقي المطبوع، والتي يتم إنتاجها عن طريق إجراء عملية المسح الضوئي لصفحات الكتاب الورقي؛ ليتم استخدامها في البيئة الرقمية، وهو ما يعني أن القارئ يستطيع الاستمتاع بملمس الكتاب الورقي المطبوع وشكله الأصلي نفسه، وفي الوقت ذاته يستطيع الحصول على كثير من الإمكانات المساعدة، أو مميزات استخدام النص في البيئة الإلكترونية؛ كإمكانية تكبير حجم الصفحات، والبحث في النص عن جملة أو كلمة معينة، وإضفاء التفاعلية على النص، واقتباس النص الإلكتروني مباشرة، دون الحاجة إلى إعادة إدخاله باستخدام لوحه المفاتيح، واسترجاع النص إلكترونيًّا، واستخدام بعض القواميس الإلكترونية برمجيات الترجمة اللغوية؛ للحصول على ترجمات مباشرة للكلمات الصعبة داخل النص، أو النص كله.

11- القراءة في حالة الكتاب الإلكتروني أسرع منها في حالة الكتاب الورقي المطبوع، إلى جانب توفر ميزة التفاعل بين المستفيد والكتاب الإلكتروني، وخاصة تلك الكتب التي يتم قراءتها من خلال بعض البرامج، ويساعد على هذا التفاعل إمكانية التعامل مع النصوص والصور والأصوات في وقت واحد.

12- انخفاض أسعار الكتب الإلكترونية، مقارنة بأسعار الكتب المطبوعة.

13- إمكانية شراء جزء أو فصل أو فصول وأبواب معينة فقط من الكتاب الإلكتروني، دون الحاجة إلى شراء الكتاب الكامل مثل الكتب الورقية المطبوعة: حيث إن طبيعة البنية الرقمية للكتاب الإلكتروني تمكن من فصل أجزائه من بعضها البعض حيثما أردنا ذلك .. بينما الكتاب المطبوع تعوق طبيعته الورقية وتكوينه البنائي، دون شراء أحد أجزائه دون الأجزاء

الأخرى؛ الأمر الذي يساعد على خفض النفقات المنصرفة، ومن ثم استغلالها في الحصول على المزيد من المصادر الأخرى، وهي المسألة التي لا تتعارض واحتياجات الأطراف المختلفة؛ كالمستفيد والناشر والمؤلف، بل والمكتبة كذلك، وهي أيضًا المسألة التي تذكرنا بقواعد بيانات النص الكاملة لمقالات الدوريات، التي تمكننا من دفع المقابل المادي للحصول على النص الكامل للمقال الواحد فقط، أو عدد من المقالات، وذلك دون الاضطرار لشراء الإصدار الكامل للدورية.

14- إمكانية استبدال طبعات الكتب الإلكترونية القديمة بأخرى حديثة؛ وذلك لملاحقة المصادر الجديدة في الموضوعات التي تصدر بصور متلاحقة وسريعة، وتقدم معلومات أكثر حداثة وجدة.

15- يتماشى الكتاب الإلكتروني والاتجاهات المحافظة على البيئة؛ وذلك لكونها تحمي ملايين الأشجار التي يتم اقتلاعها كل عام لإنتاج الورق المستخدم في صناعة الكتب الورقية.. وكذلك تجنب استخدام الأحبار والرصاص بالنسبة للمطبوعات، وعدم استخدام الكيماويات والتحميض للمصغرات الفيلمية وغيرها.

16- يستطيع المستفيد التحقق على الخط المباشر من الكتاب الإلكتروني قبل الإقدام على شرائه: حيث يستطيع القارئ الحصول مسبقًا على بعض الإحصاءات التي يمكنه من خلالها أن يقرر شراء أحد الكتب الإلكترونية من عدمه، حيث يمكنه معرفة تقييم القراء للكتب المتاحة إلكترونيًّا عبر بعض مواقع الناشرين العنكبوتية، إلى جانب إمكانية الحصول على مستخلص الكتاب الإلكتروني، وكافة البيانات البيليوجرافية المتعلقة به، والمدى الزمني المتوقع أن تستغرق عملية قراءته، إضافة إلى قيام المستفيد باختيار واستخدام بعض أجزاء الكتاب الإلكتروني على الخط المباشر.

ب) المميزات وفقًا للمؤلفين: فالكتب الإلكترونية تقدم المزيد من الدعم للمؤلفين؛ للتمتع بالعديد من المميزات عند نشر أعمالهم إلكترونيًّا، ومنها ما يلي:

1) إمكانية النشر الذاتي للكتب الإلكترونية: فالعديد من المؤلفين الأقل شهرة ينظرون إلى الكتب الإلكترونية على أنها فرصة جيدة لنشر أعمالهم؛ حيث يستطيع المؤلفون - خاصة المبتدئون منهم - القيام بأنفسهم بتحويل أعمالهم إلى الشكل الإلكتروني، وطرحها على الويب

(Web)، دون الاضطرار إلى عمل تعاقدات تجارية مع الناشرين، وهو ما يطلق عليه (النشر الذاتي – Self - Publishing)، كما أنهم من الممكن أن يصدروا كتابهم الأول بالمجان أو مقابل سعر زهيد؛ لجذب القراء نحو شراء كتاباتهم وأعمالهم التالية، وذلك إلى أن يحصل المؤلف على الشهرة الكافية التي تلفت أنظار الناشرين التجاريين.

2) مساعدة المؤلفين على نشر بعض الأعمال التي يصعب نشرها في شكل مطبوع: فقد وجد بعض المؤلفين في تقنية الكتاب الإلكتروني مخرجًا من بعض المشكلات؛ حيث إن هناك بعض الأعمال التي لا تصلح للنشر في صورة كتاب مطبوع، وفي هذه الحالة يكون من الممكن نشرها إلكترونيًّا، كما أن تقنية الكتاب الإلكتروني قد أعطت فرصة كبيرة للمؤلفين لنشر الأعمال التي يكون حجمها صغيرًا وفقًا لمتطلبات السوق، كما أن الكتب الإلكترونية تمنح مساحة أوسع من الحرية، تساعد في تناول العديد من الموضوعات التي يصعب تناولها خلال الأعمال المطبوعة .. فالكتب التي تحمل بين طياتها موضوعات واتجاهات معينة قد يحظر طرحها وتداولها في الشكل المطبوع، لديها فرصة سانحة للانطلاق نحو مجتمع القراء عبر شبكة الإنترنت، وهي في الوقت ذاته تتميز بالإتاحة والانتشار على نطاق واسع يصعب السيطرة عليه من النشر التقليدي الورقي، الذي قد تحول بعض الأسباب دون نشرها في شكل مطبوع؛ ومن ثم فقد أصبح من الممكن نشرها إلكترونيًّا عبر الويب (Web)، مع ضمان وصولها إلى أكبر عدد من المستقبلين.

ج) المميزات وفقًا للناشرين: هناك عديد من المميزات التي توافق أغراض الناشرين التجارية، ومنها ما يلي:

1- سهولة تحديث محتوى الكتاب الإلكتروني؛ وذلك لأن إصداره في طبعة جديدة يعد مسألة ذات تكلفة محدودة، وهي ما تعني مخاطرة مالية محدودة بالنسبة للناشر .. كما تسمح تقنية الكتب الإلكترونية بسهولة التطوير والتغيير والتحديث في محتوياتها بصورة مستمرة يومية أو أسبوعية أو شهرية، وذلك عبر الإنترنت، مع القدرة على صياغة المعلومات في أشكال جديدة بصفة مستمرة.

2- توفير بعض التكاليف المادية التقليدية، المتعلقة بإنتاج الكتب الورقية المطبوعة؛ حيث إن كلا من الناشرين والموزعين لا يتكبدون تكلفة الطباعة والتجليد والتخزين

والشحن والتوصيل، فضلا عن سهولة التعامل مع المواد التي يعيدها بائعو الكتب مرة أخرى إلى الموزع أو الناشر. ويرجع انخفاض تلك التكلفة في حالة الكتب الإلكترونية إلى اعتمادها على الإنترنت بشكل أساس، ويقدرها البعض بنسبة نحو 75٪ من التكلفة الإجمالية الخاصة بالكتب التقليدية الورقية المطبوعة.

3- سهولة نشر الكتب ذات الأحجام الكبيرة، مثل الموسوعات وغيرها: حيث إن عملية تحرير وإنتاج هذه الأعمال في الصورة الورقية لا تتسم بالمرونة اللازمة، بينما في البيئة الرقمية يمكن إنتاج الكتاب في مساحة رقمية غير محدودة، وبتكاليف منخفضة نسبيًّا إذا قورنت بتكاليف الكتب المطبوعة نفسها، مع سهولة تحميل عدة كتب منها في جهاز واحد.

4- إمكانية استغلال الكتب التي سقطت عنها حقوق الملكية، ووقعت في دائرة الملكية العامة: حيث تسمح تقنية الكتاب الإلكتروني بإعادة إنتاج مثل هذه الأعمال بأقل تكلفة ممكنة، وبطريقة أكثر مرونة من إعادة إنتاجها ورقيًّا، مع الاستفادة من إمكانات البيئة الرقمية، وهو ما يمثل القيمة المضافة إلى تلك الأعمال التقليدية؛ حيث إن بعض الناشرين الإلكترونيين يطرحون بشكل مجاني مجموعة ضخمة من الكتب الإكترونية التي سقطت عنها حقوق الملكية، وذلك عبر المواقع العنكبوتية الخاصة بهم، جنبًا إلى جنب مع الكتب الإلكترونية التي يتم ترويجها تجاريًّا، وذلك في إطار الترويج للكتب الإلكترونية التي يقومون ببيعها.

5- إمكانية ابتكار طرق غير تقليدية لنشر وبيع الكتب في شكلها الإلكتروني، وبما يضمن للناشرين والمؤلفين تحقيق أقل قدر من المخاطرة المادية والأدبية، وعلى سبيل المثال فقد نشر الروائي الأمريكي (ستيفن كنج Steven King) رواية قصيرة بعنوان (The Plant)، وذلك بصورة مسلسلة على حلقات دورية في شكل إلكتروني على الموقع الخاص به، وطلب من القراء أن يدفعوا دولارًا واحدًا مقابل كل فصل جديد يصدر عنه. وكان قد قدر مسبقًا أنه إذا لم يقم عدد كاف من القراء بالشراء فسوف يتوقف عن نشر باقي فصول الرواية .. والأغرب من ذلك أن الرواية جذبت نحو نصف مليون قارئ، وحققت ربحًا بلغ نحو ستين ألف دولار.

6- التخلص من القيود الكمية للطبعات، وضمان عدم نفاد نسخ الكتاب من سوق النشر؛ فهي متاحة دائمًا على الإنترنت، ويستطيع الفرد الحصول عليها في أي وقت.

د) المميزات وفقًا للمكتبات: وهي المميزات التي تساعد في تخفيف الكثير من أعباء إدارة مجموعات الكتب الورقية، وتعمل في الوقت ذاته على تقديم أعلى مستويات الجودة في الخدمات المقدمة للمستفيدين، ومنها ما يلي:

1- عدم تعرض الكتب الإلكترونية للتلف أو لعوامل التقادم: فعلى الرغم من أن الأجهزة القارئة للكتب الإلكترونية من الممكن أن تتعرض للتلف، فإن الكتب الإلكترونية ذاتها لا يمكن أن تتلف .. فالكتب الورقية المطبوعة يمكن أن تتلف من كثرة استخدامها، إلا أن الكتب الإلكترونية لا يمكن أن تتعرض لعوامل التقادم، وتظل جديدة كما هي، بحيث لا يختلف شكلها مهما مرَّ عليها من وقت، ومهما أعيد استخدامها لعدد لا نهائي من المرات.

2- إمكانية مشاركة المكتبات في عمليات النشر الإلكتروني للكتب، من خلال تقنيات وبرمجيات النشر الإلكتروني، وذلك عن طريق إنتاج ونشر المواد التي تمتلكها المكتبة، كما أن خدمات (الكتاب الإلكتروني على الخط المباشر Online E-Book services) تتيح إمكانية التعاون والمشاركة في إنتاج (مجموعات محلية Local Collections)، وربما مجموعات قومية من الكتب .. وهذا يحقق للمكتبة أرباحًا مادية، بما يدعم ميزانيتها، وهي بذلك تتماشى مع الاتجاهات الحديثة الداعية إلى إيجاد مصادر أخرى تدعم بها المكتبة ميزانيتها.

3- سهولة نشر الكتب التراثية والكتب النادرة إلكترونيًّا: وذلك لأن الكتب الورقية القديمة عندما يتم تحويلها إلى الشكل الإلكتروني، فإن ذلك يمنحها حياة جديدة، بعيدًا عن الشكل المطبوع .. ويتم توفيرها لعدد كبير من المستفيدين في الوقت نفسه حول العالم، مع ضمان المحافظة على حالة أصول تلك المواد لأطول فترة ممكنة، وكذلك حمايتها من الاستخدام غير المسئول من جانب بعض المستفيدين.

4- التخفيف من مهام الصيانة والترفيف لمجموعات الكتب: حيث لن يكون هناك ضرورة للقيام بأعمال إعادة الترفيف، وهي المشكلة التي تؤرق كلا من أخصائي المكتبات

ومستخدمي مجموعات الكتب الورقية المطبوعة، عندما توضع بعض الكتب في غير أماكنها المخصصة وفقًا لرقم الطلب الذي يحمله الكتاب، وفي حالة احتياج المستفيد لأي من تلك الكتب فإنه لن يمكنه الحصول عليه دون إجراء مسح شامل لمجموعات الكتب فوق الرفوف. وتتضاعف المشكلة إذا كانت مجموعات الكتب ضخمة، بحيث يصعب الحصول على الكتاب في أسرع وقت.

5- القضاء على الكثير من المشكلات التي تواجه القائمين على أعمال إعارة الكتب: حيث إن تلك الكتب الإلكترونية تنتهي ذاتيًّا، وتتوقف عن العمل بمجرد انتهاء مدة إعارتها، وبذلك تقلل الكتب الإلكترونية من عمليات التأخير في إعادة الكتب المستعارة، ويتم القضاء على قوائم الانتظار أو الحجز الطويلة للكتب.

6- إمكانية اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب، دون التقيد بمساحات الرفوف المحدودة: حيث أتاحت تقنية الكتب الإلكترونية إمكانية قيام المكتبة بتوسيع مجموعاتها كيفما تشاء، فكل ما تحتاجه المكتبة هو مساحة اختزان حاسوبية عالية، وهذا يؤدي إلى توفير كبير في الحيز، ويغني عن كثير من أرفف الكتب؛ فليس هناك حاجة إلى مساحة حقيقية لتشغلها الكتب المطبوعة على الإطلاق، كما أن ذلك سيساعد على تقليل حجم المجموعات الورقية التقليدية داخل المكتبة.

7- إمكانية التقليل من عدد العاملين بالمكتبة: فبعد أن يتم اقتناء مجموعات الكتب الإلكترونية وتثبيتها (Setup) داخل المكتبة، فإنه لا يكون هناك حاجة إلى مزيد من العاملين، فيما عدا المتخصص في صيانة وحفظ المجموعات، وهذا يؤدي إلى توفير جانب كبير من الميزانية، يمكن استغلاله في أغراض أخرى؛ بهدف الارتقاء بمستوى خدمات المكتبة.

8- إمكانية التقليل من نفقات تأمين الكتب ضد السرقة: حيث إن الكتب الإلكترونية لا يمكن سرقتها أو ضياعها أو إتلافها؛ الأمر الذي لا يدعو إلى الحاجة إلى (البوابات الأمنية Security Gates) و(الأشرطة المغناطيسية Magnetic tapes)؛ لتأمين الكتب ضد السرقة، وهي النفقات المكلفة نسبيًّا، بحيث لا تستطيع بعض المكتبات تحملها .. فضلا عن التأمين ضد الحريق وغير ذلك، بحيث يمكن استغلال تلك النفقات الموفرة في أغراض أخرى، تعود بالنفع أكثر على المستفيدين.

ثانيًا: سلبيات الكتب الإلكترونية:

بالرغم من مميزات الكتب الإلكترونية السابق عرض الكثير منها، إلا أنه توجد لتلك الكتب بعض السلبيات والعيوب أيضًا، وغالبًا ما تقع مسئولية إيجاد حلول لها على عاتق مطوري التقنية بصورة أكبر من وقوعها على الناشرين أنفسهم، ومن تلك السلبيات والعيوب ما يلي:

1) الحاجة إلى أدوات خاصة للقراءة من أجهزة وبرمجيات: فالعيب الأساسي للكتب الإلكترونية، يتمثل في الحاجة إلى ضرورة وجود جهاز أو وسيط يساعد على استخدامه والاستفادة منه، وأدوات القراءة هذه تواجهها بعض المشكلات؛ فهي مرتفعة التكلفة نسبيًّا، سواء أكان ذلك حاسبًا شخصيًّا، أو أحد (الحاسبات اليدوية Handheld Device) .. فالحاسبات الشخصية غير قابلة للنقل بسهولة، بينما حاسبات المفكرة مرتفعة التكلفة إلى حد كبير .. كما أن عمر البطارية الخاصة بها محدود للغاية، ولا تزال أكبر وأثقل من أن يتم حملها لمجرد قراءة كتاب .. بينما الحاسبات اليدوية صغيرة، بحيث يصعب القراءة من شاشتها الصغيرة، إضافة إلى أن تلك الحاسبات اليدوية ذات إمكانات محدودة، من حيث عرض (الرسوم Graphics) والمالتيميديا كالصوت والفيديو، وهما يحتاجان إلى تكلفة مادية مرتفعة، غير أنه يعتقد أن كل ذلك سيتغير مستقبلا، بحيث يكون أفضل مما هو عليه الآن.

2) ارتفاع تكلفة شراء وصيانة الأجهزة المخصصة لقراءة الكتب الإلكترونية؛ حيث تحتاج تلك الأجهزة إلى بعض الجهد كالشحن المستمر بالطاقة وأعمال الصيانة الدورية، إضافة إلى ارتفاع تكلفة اقتناء الأجهزة القارئة للكتب الإلكترونية إلى حد ما.

3) الاستخدام الفعال للكتاب الإلكتروني يتطلب تدريبًا خاصًّا من قبل المستفيد، فضلا عن أن هذا الاستخدام يقضي بضرورة وجود الفرد في المكان الذي يوجد فيه الجهاز .. فهو ليس كالكتاب المطبوع الذي يسهل قراءته في أي مكان وتحت أي ظروف، دون الحاجة إلى أي أجهزة.

4) إمكانية انتهاك حقوق الملكية الفكرية للكتب الإلكترونية، وصعوبة السيطرة على ذلك: فعلى الرغم من أن مسألة انتهاك حقوق الملكية الفكرية في حالة الكتب الورقية

المطبوعة تعد أسهل بكثير منها في حالة الكتب الإلكترونية؛ نظرًا لانتشار أدوات الاستنساخ التقليدية بين عامة المستفيدين، إلا أن أدوات الحماية التقنية، وكذلك القوانين الخاصة بحماية حقوق الملكية الرقمية، ما زالت في حاجة إلى مزيد من المراجعة والتدقيق؛ حيث لا يزال هناك عديد من الدول التي ليس لديها قانون لحماية المليكة الفكرية لمواد المعلومات الرقمية، خاصة وأننا أمام منتج إلكتروني غالبًا يتم تسويقه على نطاق عالمي عبر الإنترنت.

فاحتمالات تعرض الكتب الإلكترونية للقرصنة (Piracy) ما زالت قائمة، على الرغم من الجهود التقنية المستمرة في هذا الشأن لحماية الملكية الفكرية، حيث يتم إتاحة الكتب الإلكترونية في بنيات رقمية متنوعة، ومصصمة خصيصًا لردع عملية القرصنة، بحيث تكون تلك البنيات قابلة للقراءة فقط مع منصات برمجية وأجهزة معينة؛ وذلك عملا على حماية حقوق الملكية الفكرية، إلا أن ذلك لا يحول دون حدوث عمليات القرصنة الرقمية.

5) تعدد القوالب أو البنيات الرقمية (format) للكتب الإلكترونية: لدرجة أن البعض أطلق عليها تسمية (غابة البنيات الرقمية Formats Jungle)؛ وذلك نظرًا لتعدد وكثرة (التركيبات المكودة Encrypted formats)، أو القوالب التي يتم وضع النصوص الرقمية فيها؛ مما يجعل بعض الكتب قابلة للقرءة مع بعض الأجهزة، بينما تكون غير قابلة للقراءة مع البعض الآخر.

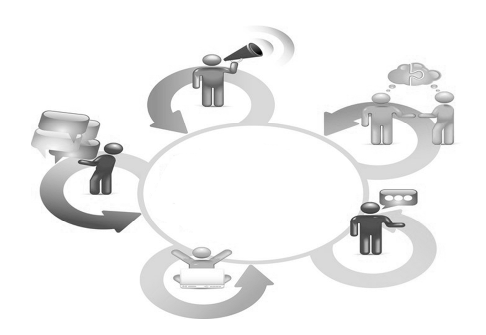
6) انخفاض الطلب في الوقت الحالي على الكتب الإلكترونية: قياسًا بالكتب الورقية المطبوعة، وإن كان البعض يعتقد أن هذا أمر مؤقت إلى حد ما، وبمجرد زوال بعض المعوقات المرتبطة بالكتب الإلكترونية، فإنها لن تلبث أن تنتهي.

7) التكلفة المرتفعة للكتب المطبوعة تحت الطلب (Print on Demand "POD" books)؛ حيث تعد طباعة نسخ كاملة من الكتب المتاحة على الخط المباشر من الأمور المكلفة إلى حد كبير، كما أن الكتاب الورقي التقليدي يعد أكثر فائدة من مثيله الذي هو عبارة عن مجموعة من الأوراق غير المجلدة، والمطبوعة على وجه واحد من الورقة.

8) انخفاض درجة وضوح النص في الكتب الإلكترونية عنها في الكتب الورقية المطبوعة: فبالرغم من المميزات المهمة للأجهزة القارئة، إلا أن الشاشات الرقمية لم تستطع حتى الآن منافسة درجة الوضوح التي يقدمها الكتاب المطبوع الورقي .. إضافة إلى أن قراءة

الكتب الإلكترونية تختلف من شخص لآخر، وتصبح بعد فترة مرهقة ومجهدة للعين، وربما يصاب القارئ ببعض الصداع والإجهاد البصري نتيجة لذلك .. ولكن مما يقلل من أضرار هذه المسألة أن الأجهزة والشاشات المستخدمة في القراءة، تخضع لعمليات تطوير مستمرة من جانب الشركات المنتجة؛ بهدف زيادة درجة وضوح النص المعروض عبر الشاشات، وهو ما ساعد على ظهور بعض التقنيات المتطورة في عالم الشاشات العارضة؛ كتقنية الشاشات الورقية أو (الورق الإلكتروني E-Paper)، ولا أحد ينكر ارتفاع التكلفة الخاصة بمثل هذه التقنيات الجديدة، ولا شك أنه بمرور الوقت ستقل تكلفة تلك التقنيات العارضة.

9) قلة العناوين المنشورة إلكترونيًّا: حيث إن معدلات الكتب المنشورة في شكل إلكتروني ما زالت أقل بكثير منها في حالة الكتب المنشورة ورقيًّا، وخاصة فيما يتعلق بالكتب الإلكترونية المنشورة على المستوى التجاري .. فالناشرون لا يزالون يتوجسون خيفة من الانطلاق بقوة نحو سوق الكتاب الإلكتروني، لاسيما وأن الكثيرين من القراء – وخاصة كبار السن – مازالوا يفضلون استخدام الكتاب الورقي المطبوع، والإحساس بملمس الورق ورائحة الحبر.



خاتمة الفصل:

وأخيرًا .. فإنه من الواضح – من خلال ما مر بنا في هذا الفصل – أن تنافسًا أو صراعًا يدور حاليًا بين هذين النوعين من الكتب التقليدية الورقية المطبوعة، والكتب الإلكترونية الرقمية التفاعلية .. وأن ذلك التنافس أو الصراع، سوف يستمر – بكل تأكيد – على مدى السنوات القادمة .. **وهنا نجد من يتساءل: هل انقضى عصر الكتاب التقليدي المطبوع على الورقة؟ وهل هذا التنافس أو الصراع سوف ينتهي باستسلام الكتاب التقليدي أمام الكتاب الإلكتروني؟** ويأتي الرد الفوري، موضحًا أنه بالرغم من أن المستقبل محمل بالكثير من التقدم لذلك النوع من الكتب الإلكترونية؛ حيث تجتهد العديد من الشركات الخاصة بإنتاج الأجهزة والبرامج لتطوير العديد من النظم الجديدة، وتستثمر مقادير ضخمة من الأموال لعرض عشرات الكتب على جهاز القراءة المتطور، وتكاد تصل التوقعات إلى حد إمكانية صدور كتب إلكترونية متطورة جدًّا .. ولكن بالرغم من ذلك كله، فإن عملية إعلان نهاية الكتب التقليدية المطبوعة على الورق، تبدو أمرًا بعيدًا، أو على الأقل غير واردة على المدى القريب؛ فالتكنولوجيا القديمة لا تزال قادرة على الصمود طويلا؛ لأن العشق القديم للكلمة المطبوعة ما زال سيد الموقف.

ويشبه ذلك – إلى حد كبير – تلك الأحاديث السابقة التي كانت قد ترددت عند اختراع التصوير الفوتوغرافي، من أن الصور الفوتوغرافية سوف تقضي تمامًا على التصوير الزيتي .. وكذلك فإن الأفلام السينمائية بعد اختراعها سوف تقضي على المسرح .. وأن التليفزيون سوف يقضي على الأفلام السينمائية، وغير ذلك من الأمثلة التي لم تتحقق.

ويؤيد ذلك أيضًا ويدعمه – إلى جانب ما تقدم عرضه – أن الكتاب التقليدي المطبوع على الورق، كان قد تعرض في نهاية القرن التاسع عشر إلى منافسة السينما الصامتة ثم الناطقة، إلا أن هذه المنافسة لم تؤثر فيه لا كمًّا ولا كيفًا، وجاء الراديو بعد ذلك ليدخل كل بيت، وأيقن الناس أن عصر الكتاب قد انتهى، ولكنه خرج أيضًا من هذه المعركة سليمًا معافى وأقوى مما

كان عليه .. وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت منافسة التليفزيون الأبيض والأسود ثم الملون، وصمد الكتاب التقليدي المطبوع على الورق كذلك لهذا المنافس العتيد.

ويعتقد (فرانك رومانو Frank Romano) أستاذ النشر الرقمي في (معهد روشستر للتقنيات Rochester institute of Technology) في نيويورك بأن الشكل الورقي للكتاب سوف يظل يستخدم للخمسين عامًا القادمة .. فما يجب أن يتبدل ليس التقنية وحدها، وإنما أيضا الناس هم الآخرون يجب أن يتبدلوا؛ حتى تنتشر تقنية الكتب الإلكترونية، حيث إننا قد اعتدنا على الكتب الورقية لمدة تزيد على الخمسمائة عام.

ويؤكد (فريدريك كلجور Fredrik Kilgour) أيضا على الحقيقة السابقة، ويستدل عليها بأن (الكتاب الدفتري Codex Book) قد تعايش مع الكتاب الملفوف (Roll form book) لمدة أربعة قرون، على الرغم من انتشار ونجاح الكتب الدفترية .. ويعلق قائلا: إنه لمن المشكوك فيه أن الكتاب الإلكتروني سوف يحل محل الكتاب المطبوع الورقي على الفور، حتى ولو أصبحت الكتب الإلكترونية أكثر مناسبة وانتشارًا، فسوف تكون مهمة الكتب الإلكترونية الأساسية أن تشبع احتياجاتنا الاجتماعية التي لا تستطيع أن تشبعها الكتب الورقية المطبوعة.

ويعتقد البعض أن الدعوة إلى اقتناء المكتبات للكتاب الإلكتروني لا تحمل في طياتها – بالضرورة – المطالبة بالتوقف بشكل دائم أو مؤقت عن التزود بالكتب الورقية المطبوعة، والاكتفاء فقط بالكتب الإلكترونية الرقمية، أو على الأقل لا يمكن تحقيق ذلك خلال السنوات القليلة القادمة. وأن على المكتبات أن تحقق التوازن وفقًا لاحتياجات المستفيدين بين مجموعات الكتب الإلكترونية من جانب، ومجموعات الكتب المطبوعة على الجانب الآخر، وأن ينظروا للمسألة من منطلق أن الكتب الإلكترونية ليست فقط مجرد بديل للكتب الورقية.

ففي الواقع أن الأشكال الأخرى للكتاب قد وجدت مكانها بالفعل داخل المكتبة .. فالمكتبات العامة تضم بين مجموعاتها نسخًا متعددة من الكتاب نفسه، ولكن في شكل مادة سمعية، أو في شكل (برايل Braille) من أجل المكفوفين، أو في حجم خط أكبر من أجل ضعاف البصر والأطفال، أو في نسخ ذات (التجليد المقوى Hard cover)، أو نسخ ذات

(غلاف ورقي عادي Paper back) وذلك من أجل تغطية الاحتياجات المتنوعة للمستفيدين، بينما يمكن للكتاب الإلكتروني أن يصبح جزءًا من تلك الأشكال المتعددة للكتاب نفسه، أو يصبح بمثابة الشكل الوحيد للكتاب.

كذلك يؤكد البعض أنه ليس هناك تهديد يمكن أن يقع على الكتاب التقليدي، فالمؤشرات حتى الآن توضح استقرار الموقف، فمبيعات الكتب المطبوعة مازالت تحقق أرقامًا قياسية، وربما ساعد مجيء الإنترنت على ذلك، كما ساعدت بعض مواقع بائعي الكتب المطبوعة على ذلك، علاوة على أن معظم كبار السن – وخاصة الذين لا يملكون خبرات تقنية جديدة – لا يعيرون مسألة الإقلاع عن استخدام الكتب المطبوعة لصالح الكتب الإلكترونية اهتمامًا كبيرًا، إضافة إلى أنه ليس هناك سبب يمنع استخدام الكتب في شكلها المطبوع والإلكتروني في الوقت نفسه.

وعلاوة على كل ما تقدم، فقد أصبح من الراسخ علميًّا، أن التكنولوجيا الحديثة للاتصال بوسائلها المتعددة، لم تلغ وسائل الاتصال القديمة، كما سبق عرضه، ولكنها طورت من إمكاناتها، وأضافت لها ميزات أخرى لم تكن متاحة لها من قبل .. فمثلا ظهر التليفزيون المرئي والمحمول والبريد الإلكتروني، وتعايشوا مع تقنيات أخرى قديمة، مثل التلغراف والبريد .. وإلى جانب الندوات والمؤتمرات التقليدية، وجدت المؤتمرات عن بعد، والمجموعات النقاشية على الإنترنت .. وبالنسبة لوسائل الإعلام التقليدية، وجدت إلى جانبها الصحيفة الإلكترونية، والفيلم السينمائي الأكثر كفاءة في الصوت والصورة (صوت مجسم ومؤثرات)، ومحطات الراديو أصبحت تبث عن طريق الـ(FM) وعلى الإنترنت .. والتليفزيون أصبح عالي الدقة (High Difenition) ورقمي والتليفزيون التفاعلى .. كما أن المواد الإعلامية والمنتجات الخاصة بكل وسيلة، أصبحت متاحة من خلال وسائل أخرى .. فالفيلم السينمائي بعد أن كان يقدم في دور العرض فقط ثم على شاشات التليفزيون، أصبح بالإمكان مشاهدته على شاشة الكمبيوتر، سواء من خلال (CD)، أو على الإنترنت، أو من خلال أسطوانة (DVD).

وتطورت المواد الإخبارية، التي كانت تقدم إما في جريدة أو في نشرات أخبار إذاعية وتليفزيونية، وأصبحت لها قنوات متخصصة عبر الفضائيات سواء العربية أو العالمية، وأتيح

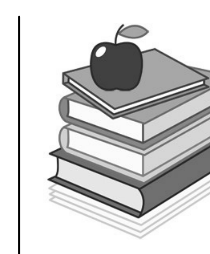
التعرف على الأخبار بشكل حالي وآني عبر الإنترنت والمواقع الإخبارية، أو الاشتراك في الخدمات الإخبارية على الموبايل ... إلخ.

وعليه – وبناء على كل ما تقدم – فإنني أجزم وبكل حزم أن الكتاب التقليدي المطبوع على ورق، لن يختفي إلا إذا اختفت من الوجود تمامًا دعامته الأولى، وهي الورق .. أو إذا ارتفع سعر الورق إلى الحد الذي يجعل شراء الكتاب مستحيلا !! ويقيني أنه لن يتحقق هذا ولا ذاك، وشواهد التاريخ، وحقائق الواقع الحالي المعيش .. كلها تؤكد ذلك وتشير إليه بوضوح .. علاوة على أنه من غير المعقول أن يقلع كل المستفيدين فجأة عن اقتناء الكتب الورقية المطبوعة.

ويهمني – تدعيمًا لذلك – أن أنقل هنا نص تلك العبارة البليغة المعبرة، التي صدر بها الصحفي والكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام الأسبق مؤلفاته، تحت عنوان «عمر من الكتب»، التي صدرت ضمن مشروع دار الشروق عام 2004، تقول هذه العبارة: لا أعرف أهو تحيز رجل لما ألف وعرف، أو أنه حكم في الموضوع، بصرف النظر عن متغيرات العصور، **لكني على شبه اقتناع بأن الكتاب المطبوع على ورق، له العمر الطويل، وأنه الحاضر على الدوام، مهما اشتد من حوله الزحام.**

«بمعنى أن الكلمة المكتوبة على الورق باقية، والكلمة المسموعة على الإذاعة والتليفزيون عابرة، والكلمة المكهربة على الكمبيوتر فوارة، وهي مثل كل فوارن متلاشية، أي أن الكلمة المكتوبة على الورق بناء صلب حجر أو معدن، وهكذا كل بناء .. وأما غيرها فهو صيحة متغيرة خاطفة ولامعة وبارقة، **ومع ذلك فإنه لا ينبغي أن نخشى الكتاب الإلكتروني، ولكن ينبغي أن تتركز الجهود على الحفاظ على علاقة الأفراد بالقراءة أيًّا كان نوع الكتاب؛ فالكتب وسائط للمعرفة، سواء أكانت ورقية مطبوعة أو إلكترونية تفاعلية**».

وبعد ذلك ننتقل إلى استعرض تطور الصحافة الإلكترونية الرقمية التفاعلية وذلك هو موضوع الفصل التالي.



الفصل العاشر
الصحافة الإلكترونية الرقمية التفاعلية
النشأة والتطور والميزات والسلبيات[1]



ظهرت الصحافة الإلكترونية وتطورت كنتاج رئيس لاستخدام شبكة الإنترنت العالمية، بما تنطوي عليه من خصائص وسمات فريدة بين وسائل الاتصال المباشرة والجماهيرية، وتقف فيه رمزًا واضحًا لثورة المعلومات التي يشهدها العالم في الوقت الراهن .. وقد جاءت ثورة المعلومات كثمرة للمزج بين ثورة تكنولوجيا الاتصالات وتقنية الحاسب الآلى من جهة، وثورة تكنولوجيا المعلومات من جهة أخرى، ويعود الفضل في المزج بين تكنولوجيا الحاسبات والاتصالات إلى ما يعرف بالتقنية الرقمية.

وجدير بالذكر أن الدراسات الغربية الإعلامية تستخدم مصطلحات (الصحافة التفاعلية Interactive Journalism) و(الصحافة الإلكترونية Electronic Journalism) و(الصحافة الفورية أو على الخط المباشر Online Journalism) و(الصحافة الرقمية Digital Journalism)، بطريقة متبادلة أثناء تناولهم لموضوع الصحافة الإلكترونية، وكلها مصطلحات تشير إلى (النشر الرقمي Digital Publishing) الذي يشتمل على (النصوص

---

(1) اعتمدنا بصفة أساسية في هذا الصدد على كتب: شريف درويش اللبان: الصحافة الإلكترونية، الدار المصرية اللبنانية 2007؛ وكذلك محمد عهدي فضلي: الصحافة الإلكترونية الواقع والمستقبل، القاهرة 2009؛ وكذلك رضا عبد الواحد: الصحافة الإلكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2007؛ وكذلك بحث للدكتور عبد الأمير الفيصل بمؤتمر صحافة الإنترنت في العالم العربي، كلية الاتصال، جامعة الشارقة، نوفمبر 2005.

Texts) و(الرسوم Graphics)، وغيرها من (الوسائط المتعدة Maltimedia)، التي يسهل الوصول إليها عن طريق الحاسب الآلي من جانب القراء على أساس يومي، ويكون قابلا للتحديث باستمرار.

ومصطلح (الصحافة الإلكترونية) هو الأكثر استخدامًا من المصطلحات الأخرى السابق عرضها؛ إذ إنه يشمل الصحافة الإلكترونية، سواء أكانت في شكلها (المباشر أو الفوري Online) أو في شكلها (غير المباشر offline)؛ كأن تكون هناك نسخ من الصحيفة متاحة للقراء خلال (الأقراص الضوئية CDs) على سبيل المثال، كما أن الصحافة الإلكترونية من الممكن أن تكون (تفاعلية Interactive)، تتيح للقارئ أن يتفاعل مع النص، أو مع القراء الآخرين، أو مع القائم بالاتصال .. إلا أنها من الممكن أيضًا ألا تكون تفاعلية، ولا ينفي ذلك عنها أنها صحافة إلكترونية.

وكانت الصحافة قد دخلت مجال النشر الإلكتروني في بداية عقد السبعينيات من القرن العشرين الماضي بتجريب (التليتكست Teletext) و(الفيديو تكست Videotext) .. ويعد (التليتكست) نقلا للنص إلى المشاهد في اتجاه واحد، وذلك عبر إشارة تليفزيونية لخطوط المسح غير المستخدمة (Unused Scanning)، وتقوم آلة موجودة داخل جهاز التليفزيون بفك شفرة البيانات؛ لتظهر هذه البيانات في شكل صفحات من النص، يستطيع المشاهد أن يتخير من بينها ما يشاء.

ويعد (الفيديو تكست) نظامًا تفاعليًّا (Interactive system)، يعتمد أساسًا على أجهزة الكمبيوتر. ويتيح هذا النظام للمشاهدين الوصول إلى بنك معلومات(Data Bank)، يحوي معلومات ضخمة، ويمكن من خلال هذا النظام تخزين المزيد من المعلومات التي يستطيع مستخدمو الفيديو تكست الذين يستخدمون شاشة كمبيوتر، الوصول إليها في الحال .. وكانت فكرة خدمة الفيديو تكست التجارية قد بدأت، عندما كان علماء بريطانيون يزورون (سوق عالم نيويورك New York World's Fair)، المقام عام 1964، والذي عرض فيه (التليفون المرئي Picture Phone). وعلى الرغم من أن هؤلاء العلماء رأوا أنه لا توجد قيمة كبيرة في المحادثة التليفونية وجهًا لوجه، إلا أن فكرة ربط شاشات التليفزيون بشبكة التليفون جذبت اهتمامهم، ومن هنا جاءت فكرة عرض المعلومات على الشاشة بدلا من عرض الوجوه.

وفي الحقيقة فإن أول تجربة لنشر الأخبار إلكترونيًّا كانت قد بدأت في عام 1971 عندما قام (مكتب البريد العام General Post Office) في بريطانيا بالعمل فيما يطلق عليه خدمة (بريستل Prestil) .. وببداية إتاحة هذه الخدمة للجمهور عام 1979، قدمت هذه الخدمة نشرات إخبارية، بالإضافة إلى إجراء المعاملات المصرفية من المنزل، وحجز تذاكر الطيران، ومعلومات أخرى بواسطة شاشات خاصة، أشبه بشاشات التليفزيون، ولكن تم إيقاف هذه الخدمة في عام 1993؛ نظرًا لهبوط معدل استخدام الخدمة للكلفة العالية وعوامل أخرى.

كذلك ظهرت خدمة (سيفاكس Ceefax) خلال السبعينيات من القرن العشرين، واستمرت، وحافظت على بقائها وازدهارها؛ حيث قامت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) بتطويرها، بالإضافة إلى انخفاض أسعار أجهزة الكمبيوتر، والتطور الكبير في تكنولوجيا الذاكرة الأساسية للحاسبات الآلية ،وأوجه التقدم الأخرى في تقنيات نقل البيانات.

كما أقامت (شركة نايت رايدر Knight Rider) الأمريكية نظامًا إلكترونيًّا آخر باسم (فيوترون Viewtron) في ميامي عام 1981، ولكن لم يكتب له النجاح، وتوقف بشكل نهائي عام 1986 بعد أن حقق خسائر كبيرة.

وكان الفرنسيون أكثر نجاحًا من خلال تدشينهم نظام (مينيتل للمعلومات الإلكترونية ودليل التليفون Minitel Electronic Information and telephone Directory) في عام 1981، وقدم هذا النظام النموذج الأول للجريدة الورقية التي يمكن الوصول إليها بشكل إلكتروني عندما استخدمت جريدة (ليبراسيون Liberation) هذه الوسيلة لنشر نتائج منافسات دورة لوس أنجلوس الأولمبية الصيفية عام 1984، قبل أن تظهر الطبعة الورقية الأولى من الصحيفة في شوارع باريس.

وفي تطور مشابه تم التركيز على إمكانية الوصول للأخبار على الخط المباشر (Online News) من قبل صناعة المعلومات وبداية بصحيفة الجارديان (The Gardian) البريطانية دشنت شركة (وورلد ريبورتر World Reporter) عام 1985 حملة تستهدف رؤية النص الكامل على شاشة الكمبيوتر لكل صفحات الصحيفة. وشاركت معظم الصحف النصفية البريطانية، وعدد من الصحف الإقليمية في الخدمة بحلول عام 1997 .. وفي حدث مهم

ظهرت صحيفة (فايننشيال تايمز financial times) على الخط المباشر على هذه الخدمة قبل طرحها في منافذ البيع.

وبذلك لم تعد الجرائد كما كانت من قبل؛ فلقد أصبحت أكثر من مجرد حبر أسود على ورق أبيض، بل أصبحت صوتًا على التليفون .. مجموعة من النقاط على شاشة الكميوتر أو قرص مدمج ROM– CD، وقد طورت شركة (آي بي إم IBM) وشركة (سيرز Sears) شبكة للأخبار والاتصالات باسم (برودجي Prodigy)، وقد توافق بدء هذه الخدمة في عام 1987 مع نشوء الحاسب الآلي الشخصي، والربط المتزايد بين أجهزة الكمبيوتر .. وظهرت خدمات أخرى، ومنها الخدمات التي قدمتها شركة (نايت رايدر) التي وحدت مجهوداتها مع شركة(أمريكا أون لاين America online)؛ لإنشاء شبكة للمشتركين، وبدأت الشركتان في تطوير (مركز مركيوري Mercury center) في معمل تصميم المعلومات في ولاية كولورادو.

وهكذا فإن الجريدة اللاورقية (Paperless news Paper)، والتي تعود جذورها إلى أواخر عقد السبعينيات من القرن العشرين، أصبحت تصل إلى المنازل من خلال الخدمات المباشرة لقواعد البيانات ((online data base services، مثل خدمة (برودجي Prodigy)، والتي صممت لكي تصبح جريدة قومية أمريكية تصل مباشرة إلى المنازل.

إن الجريدة اليومية تقدم لقرائها مثل هذا الزاد اليومي من الأخبار التي يتم تحديثها على مدار 24 ساعة يوميًّا، بالإضافة لمزيد من المعلومات التي تفوق الأخبار .. وتخلق (الجريدة التفاعلية Interactive Newspaper) صفحة تحريرية نابضة بالحيوية .. توجد بها صفحة الرأي في مواجهة الصفحات التي تحوي رسائل القراء .. وتشبه الجريدة الإلكترونية (خط دردشة عبر الإنترنت Internet Chat line)؛ حيث تنشر المناقشات الدائرة حول موضوع معين أو عديد من الموضوعات في الحال، ويتم ربط المناقشات المختلفة والمتنوعة بالمحتوى الخبري أو محتوى الرأي.

تعريف الصحافة الإلكترونية:

الحقيقة أن التعريف قائم وموجود، ولكن الباحثين والعلماء والمتخصصين في هذا المجال اختلفوا، وقدموا تعريفات متنوعة، اتفقت في عديد من الجوانب، ولكنهم لم يقدموا تعريفًا واحدًا، يتفق الجميع عليه، وبالرغم من ذلك فإن عدم وجود هذا التعريف الشامل الجامع



المانع المتفق عليه بين الجميع للصحافة الإلكترونية، لا يقلل من أهمية دراسة التعاريف، والبحث فيها لمحاولة تلمس الطريق للبحث، وتحديد مواصفات الصحافة الإلكترونية .. وبناء على ذلك، نقدم فيما يلي عددًا من تلك التعاريف(1):

يقول الدكتور محمود علم الدين: «إن الصحافة الإلكترونية هي تلك الصحف التي يتم إصدارها على شبكة الإنترنت، وتكون كجريدة مطبوعة على شاشة الكمبيوتر، وتشمل المتن والصورة والرسوم والصوت والصورة المتحركة، وقد تأخذ شكلا أو أكثر من الجريدة المطبوعة الورقية نفسها، أو موجز محتويات الجريدة الورقية، أو منابر ومساحات للرأي، أو خدمات مرجعية واتصالات مجتمعية».

ويرى الدكتور فايز عبد الله الشهري أن «الصحافة الإلكترونية عبارة عن تكامل تكنولوجي بين أجهزة الحاسبات الإلكترونية وما تملكه من إمكانات هائلة في تخزين وتنسيق وتبويب وتصنيف المعلومات واسترجاعها في ثوان معدودات، وبين التطور في وسائل الاتصال الجماهيري التي جعلت العالم قرية صغيرة».

ويقرر الدكتور إحسان محمود الحسان أن «الصحافة الإلكترونية هي التي تستخدم الإنترنت كقناة لانتشارها بالكلمة والصورة الحية، والصوت أحيانًا، والخبر المتغير آنيًّا».

ويقول جمال غيطاس رئيس تحرير مجلة لغة العصر القاهرية: إننا لو حاولنا وضع تعريف محدد للصحافة الإلكترونية، فيمكننا القول إنها: "نوع من الاتصال بين البشر، يتم عبر الفضاء الإلكتروني - الإنترنت وشبكات المعلومات والاتصالات الأخرى – تستخدم فيه فنون وآليات تقنيات المعلومات التي تناسب استخدام الفضاء الإلكتروني كوسيط أو وسيلة اتصال، بما في ذلك استخدام النص والصوت والصورة والمستويات المختلفة من التفاعل مع المتلقي؛ لاستقصاء الأنباء الآنية وغير الآنية، ومعالجتها وتحليلها ونشرها على الجماهير عبر الفضاء الإلكتوني بسرعة".

ويضيف جمال غيطاس قائلا: "وفي رحلة انتشارها عبر الإنترنت، وغيرها من شبكات المعلومات والاتصالات الأخرى، لم تتخذ ظاهرة الصحافة الإلكترونية شكلا واحدًا يمكن

(1) راجع بعض هذه التعريفات في كتاب الصحافة الإلكترونية .. الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص138-140؛ وكذلك بحث الصحافة الإلكترونية للدكتور عبد الأمير الفيصل، مرجع سابق، ص73-74.

التعامل معه من مدخل واحد وبسيط وينتهي الأمر، بل كان ثمرة طبيعية لبيئة الإنترنت الغنية بتنويعاتها وأطيافها المختلفة وآلياتها الجديدة، كمرآة تعكس جزءًا متزايد الحجم شديد التفاعل، وسريع التغيير في المجتمع البشري، فكان منطقيًّا أن تأتي الصحافة الإلكترونية مختلفة تمامًا عما هو سائد في بيئة الصحافة التقليدية الورقية، وصحافة شبكة الإنترنت جزء من منظومة الإعلام الإلكتروني الحديثة، وهي وإن كان ظهورها يعود إلى نهاية الألفية الثانية، إلا أنها لم تتبلور في صورتها النهائية إلا في بدايات الألفية الثالثة .. وقد أصبحت هذه الصحافة الإلكترونية ركيزة هذه الألفية، بل هي بشيرها ونذيرها وبوقها وصاروخها الفضائيء السريع.

ويقدم الدكتور رضا عبد الواحد التعريف التالي للصحافة الإلكترونية: «هي وسيلة من الوسائل متعددة الوسائط Multimedia، تنشر فيها الأخبار والمقالات، وكافة الفنون الصحفية عبر شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، بشكل دوري وترقيم متسلسل، باستخدام تقنيات عرض النصوص والرسوم والصور المتحركة، وبعض الميزات التفاعلية، وتصل إلى القارئ من خلال شاشة الحاسب الآلي، سواء أكان لها أصل مطبوع، أو كانت صحيفة إلكترونية خالصة».

ويقول الدكتور محمد عهدي فضلي إن الصحافة الإلكترونية يمكن تعريفها بأنها «تجمع بين مفهوم الصحافة ونظام الملفات المتتابعة أو المتسلسلة؛ فهي منشور إلكتروني دوري، يحوي الأحداث الجارية، سواء المرتبطة بموضوعات عامة أو بموضوعات ذات صبغة خاصة، يتم قراءتها من خلال جهاز كمبيوتر، وغالبًا ما تكون متاحة عبر شبكة الإنترنت .. والصحيفة الإلكترونية أحيانًا تكون مرتبطة بصحيفة مطبوعة».

ويميل البعض إلى تعريف الصحافة الإلكترونية بأنها «الصحف التي يتم إصدارها ونشرها على شبكة الإنترنت، سواء أكانت هذه بمثابة نسخ أو إصدارات إلكترونية لصحف ورقية مطبوعة (Electronic Editions)، أو موجز لأهم محتويات الجريدة الورقية، أو كجرائد إلكترونية ليست لها إصدارات عادية مطبوعة على الورق (Online Newspapers)، وهي تتضمن مزيجًا من الرسائل الإخبارية والقصص والتعليقات والصور والخدمات المرجعية؛ حيث يشير تعبير (Online Journalism) تحديدًا في معظم الكتابات الأجنبية، إلى

تلك الصحف الإلكترونية المستقلة، أي التي ليس لها علاقة - بشكل أو بآخر - بصحف ورقية مطبوعة».

ويسري تعبير الصحافة الإلكترونية على كل أنواع الصحف الإلكترونية العامة المتخصصة التي تنشر عبر شبكة الإنترنت، أو غيرها من الخدمات التجارية الفورية، طالما أنها تبث على الشبكة بشكل دوري، ويتم تحديث مضمونها من وقت لآخر حسب إمكانات الجهة التي تتولى نشر الصحيفة عبر الشبكة.

نشأة الصحافة الإلكترونية:

على الرغم من أن شبكة الإنترنت بدأت منذ أواخر السبعينيات من القرن العشرين، إلا أنها لم تجد إقبالا كبيرًا من ناشري الصحف كوسيلة للنشر الإلكتروني إلا عام 1993، عندما بدأت الشبكة العنكبوتية الدولية (world wide Web) في الظهور. وعلى ذلك بدأت الصحف في الخروج إلى الإنترنت؛ بدافع الاستفادة من التقنية الجديدة؛ لتعويض الانخفاض المتزايد في عدد قرائها، وفي عائدات الإعلان .. وإذا كانت الإنترنت قد أتاحت الظهور الأول للناشرين في مجال النشر الإلكتروني، فإن شبكة الويب ساعدتهم على الازدهار.

وكانت صحيفة (هيلزنبورج داجيلات) السويدية هي الصحيفة الأولى في العالم التي نشرت إلكترونيًّا بالكامل على شبكة الإنترنت عام 1990، وبعد ذلك تزايد هذا الاتجاه في الصحف على مستوى العالم، إلى التحول للنشر الإلكتروني بسرعة كبيرة.

وفي مايو 1992 صدرت (شيكاغو أون لاين Chicago online) كأول صحيفة إلكترونية في الولايات المتحدة الأمريكية على شبكة أمريكا أون لاين، وقد تم إصدارها بواسطة شيكاغو تريبيون.

وكانت بعض الخطوات ذات الدلالة في تطوير الجرائد الإلكترونية، نتاجًا مهمًّا لأبحاث (مركز ميركيوري)؛ حيث أتاح المركز صحيفة (سان جوزيه ميركيوري نيوز San Jose Mercury News) على الخط المباشر عام 1993؛ لتكون واحدة في مقدمة الجرائد الإلكترونية المنشورة على الويب في العالم.

وفي العام 1994 دخلت صناعة الصحافة عالم الصحافة الإلكترونية بطريقة متزايدة، وبخاصة مع توفير خدمات الإنترنت مجانًا في الولايات المتحدة الأمريكية وبلاد العالم

المتقدم، بحيث أصبحت الصحافة جزءًا من تطور وتوزيع شبكة الإنترنت .. وتعد صحيفة (الواشطن بوست) أول صحيفة أمريكية تنفذ مشروعًا كلف تنفيذه عشرات الملايين.

وكانت (إلكترونيك تليجراف Electronic Telegraph) هي النسخة الإلكترونية من صحيفة (ديلي تليجراف Daily Telegraph)، صحيفة الويب الرائدة في بريطانيا، بظهورها على الإنترنت في نوفمبر 1994، وظهرت صحيفة (التايمز Times) في ديسمبر من العام نفسه 1994، إلاأنها كانت خدمة نصية متواضعة، ولم يتم تضمينها تكنولوجيا الويب الحديث .. وبعد ذلك ظهرت طبعتا الويب الكاملة لصحيفتي (التايمز) و(صنداي تايمز) في أول يناير 1996، وكانت الصحيفتان الرائدتان في بريطانيا اللتان تتضمنان النص الكامل للإصدارين المطبوعين.

وفيما يخص الصحافة الإلكترونية العربية كانت صحيفة الشرق الأوسط هي أول صحيفة عربية يومية توافرت إلكترونيًّا للقراء لأول مرة عبر شبكة الإنترنت في 9 سبتمبر 1995 على شكل صور .. وكانت صحيفة (النهار) اللبنانية هي الصحيفة العربية الثانية في هذا الصدد؛ حيث أصدرت طبعة إلكترونية يومية خاصة بالشبكة ابتداء من أول فبراير 1996، ثم تلتها صحيفة (الحياة) اللبنانية في أول يونيه 1996، وصحيفة (السفير) في نهاية العام نفسه 1996، وصحيفة (إيلاف) التي صدرت في لندن في 21 مايو 2001، وهي من أوائل الصحف الإلكترونية التي ليس لها أصل ورقي مطبوع.

أنواع الصحف الإلكترونية:

كانت الصحف الإلكترونية الأولى على الإنترنت عبارة عن نسخة مطابقة لتلك الورقية المطبوعة، ثم تطورت بعد ذلك لتستغل الإمكانات التي تتيحها الشبكة العنكبوتية؛ كالتحديث المستمر للأخبار وقت وقوعها، واستخدام الروابط التفاعلية، وساحات النقاش، وإمكانية التعليق على الأخبار والتقارير المنشورة، وإمكانية تحميل مقاطع فيديو للأحداث الجارية، إلى جانب العديد من المميزات الأخرى.

وظهرت بعد ذلك صحف إلكترونية مستقلة بذاتها دون أن تكون صادرة عن صحيفة ورقية مطبوعة .. كما أتاحت شبكة الإنترنت إنشاء صحف إلكترونية شخصية، يصدرها أفراد، قد لا يكونون بالضرورة صحفيين، وهي ما يطلق عليها المدونات .. وأخيرًا انتشرت ظاهرة (الفيس بوك Face Book)، وهو موقع أنشئ بغرض تدعيم العلاقات الاجتماعية، وتبادل الأخبار والصور ومقاطع الفيديو، وغيرها.

وعلى ضوء ما سبق تناوله في هذا الصدد، توجد عدة تصنيفات لأنواع الصحف الإلكترونية، قدمها عدد من الخبراء والمتخصصون، نستعرض عددًا منها فيما يلي:

1) تصنيف الدكتور محمود علم الدين[1]:

يقسم الصحافة الإلكترونية – كصحافة غير ورقية تعتمد على الحاسبات الإلكترونية وشبكة الإنترنت أو أي وسائط أخرى غير ورقية – إلى عدة أنماط (وإن كان بعضها مازال حوله جدل كبير مثل المدونات)، وهي:

أولًا: صحف إلكترونية تنشر على شاشة التليفزيون.

ثانيًا: صحف إلكترونية تنشر على شبكة الإنترنت، وتضم: طبعات إلكترونية على شبكة الإنترنت .. ومواقع إلكترونية على شبكة الإنترنت .. ومواقع صحف ومؤسسات إعلامية .. ومواقع إخبارية .. ومواقع تعتمد على مشاركة القراء (مثل مواقع التشبيك الاجتماعي ومواقع تحميل الصور والمدونات).

ثالثًا: صحف إلكترونية تنشر على شبكة المحمول.

رابعًا: صحف إلكترونية تنشر على وسائط للعرض، مستفيدة من الورق الإلكتروني.

2) تصنيف الدكتور محمد عهدي فضلي[2]:

يبني تقسيم الصحافة الإلكترونية على أكثر من تصنيف وفقًا للمعيار المستخدم.

---

(1) مقدمة في الصحافة الإلكترونية (القاهرة، دار السحاب 2008)، ص79.

(2) الصحافة الإلكترونية .. الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص172.

أولًا: إذا كان المعيار هو القائمون بعملية التحرير والإنتاج فيمكن تقسيم الصحف الإلكترونية إلى نمطين؛ **النمط الأول الشائع**: هو الصحافة التي يعدها وينتجها المحترفون أو المهنيون في مؤسسات الإعلام التجارية الاحترافية Mainstream، وتتضمن النسخ الإلكترونية من الصحف الورقية والمواقع الصحفية .. مواقع المؤسسات الصحيفة والإعلامية .. المواقع الإخبارية .. الصحف الإلكترونية التي ليس لها أصل ورقي.

النمط الثاني المتطور والمنتشر: وهو الصحافة التي يعدها أفراد الجمهور العادي غير المهني وغير المحترف، وتحتوي على المضمون المنتج بواسطة المستخدم لشبكة الإنترنت، وتتضمن: مواقع الشبكات الاجتماعية .. والمدونات.

ثانيًا: أما إذا كان المعيار هو وسيط النشر، وهو عادة لا ورقي، فيمكن تصنيف الصحف الإلكترونية في هذا الصدد إلى ثلاثة أنماط؛ **النمط الأول**: هو الصحافة المنشورة على شبكة الإنترنت. **والنمط الثاني**: هو الصحافة المنشورة على الورق الإلكتروني ووسائط العرض المحمولة. **والنمط الثالث**: هو الخدمات الصحفية والمعلوماتية على التليفون المحمول.

3) تصنيف الدكتور عباس مصطفى صادق[1]:

يقسم الصحف والخدمات الصحفية على الإنترنت إلى خمسة أنواع رئيسة:

النوع الأول: الصحف المعروفة بأسمائها وتاريخها التي توجد في الشبكة على هيئة خدمة منفصلة عن طبعتها الورقية أو شبيهة بالورقية.

النوع الثاني: حيث تميل بعض الإذاعات إلى تقديم خدمات إخبارية نصية وصور وأشكال إيضاحية، كما في موقع هيئة الإذاعة البريطانية، الذي يقدم خدمات إذاعية بمختلف اللغات، وخدمات صوتية وتقارير إخبارية مكتوبة ومواد صوتية وصورًا أو ساحة حوار تفاعلية.

---

(1) الصحافة والكمبيوتر (الدار العربية للعلوم 2005)، ص98.

النوع الثالث: فهو الذي نشأ في الإنترنت، وهو مجموعة الخدمات الإخبارية التي تجمع خصائص مختلفة للوسائل الإعلامية، بالإضافة إلى خصائص شبكة الإنترنت، مثل فوكس نيوز.

النوع الرابع: هو صيغة مجلة الإنترنت .. ومثال لها مجلة نيوزويك التي تصدر طبعة إلكترونية تحمل مادة المجلة الأسبوعية، مضافًا إليها تجديدات يومية، واستطلاعات رأي تفاعلية، لا تتقيد بأسبوعية الصدور، وإنما تتجدد بشكل دائم.

النوع الخامس: خاص بوكالات الأنباء على الشكبة، مثل: وكالة الأنباء الفرنسية، التي توفر خدماتها المخصصة لشبكة الإنترنت بعدة لغات، من ضمنها اللغة العربية .. حيث يقدم الموقع العربي خدمتين رئيستين؛ أولاهما: تغطي كافة الأحداث التي تعرض في الموقع. وثانيهما: تقدم خدمة الأخبار والمعلومات عبر البريد الإلكتروني.

4) تصنيف الدكتور رضا عبد الواحد أمين[1]:

تنقسم الصحافة في هذا التصنيف - بشكل عام - باعتبار الوسيط الاتصالي الذي يحمل الصحيفة إلى الأنواع التالية:

أولًا: الصحافة الورقية المطبوعة التقليدية.

ثانيًا: الصحافة الإلكترونية غير المطبوعة، التي تتخذ وسائط إلكترونية تعتمد أساسًا على الحاسبات الإلكترونية في عملية الإرسال والاستقبال. وهذه الصحافة الإلكترونية تأخذ أكثر من شكل على النحو التالي:

أ) الصحافة الإلكترونية الفورية: التي يحصل القارئ على محتواها من خلال شبكات وقواعد البيانات وخدمات المعلومات، نظير اشتراك أو مجانًا، مثل تلك الصحف التي تصدر على شبكة الإنترنت، وتتميز بالتفاعلية والتجديد المستمر في المحتويات واستخدام لغة الهايبرتكست.

---

(1) الصحافة الإلكترونية (دار الفجر للنشر والتوزيع، 2007)، ص 97.

ب) الصحافة الإلكترونية غير الفورية (Offline Journalisn): التي توجد أعدادها على وسائط إلكترونية، مثل الأقراص الضوئية (CDs)، أو الأقراص المرنة Floppys.

ج) وهناك أشكال مستخدمة، تعتمد على وسائط جديدة يتم ربطها بالحاسبات الإلكترونية، مثل الصحافة التي تعد طبعات خاصة .. وهذه من الصحف الورقية حسب اهتمامات الشخص المستقبل، ويطلق عليها صحافة الفاكسميل؛ حيث يتم استقبالها على أجهزة الفاكسميل.

5) **تصنيف الدكتور عبد الأمير الفيصل[1]:**

لقد صنفت الصحف الإلكترونية على شبكة الإنترنت إلى ثلاث فئات، هي:

الفئة الأولى: هي المواقع التابعة لمؤسسات صحفية تقليدية؛ كالصحف وبعض الفضائيات، وتعد امتدادًا لها، وهذه تعد نسخًا إلكترونية من الصحف المطبوعة، تحتوي على معظم ما ينشر على صفحات تلك الصحف. ويندر أن يتم تحديث هذه المواقع خلال اليوم .. ولا يعمل بها صحفيون، وإنما مبرمجون، ينقلون ما في الصحيفة المطبوعة إلى الموقع الإلكتروني.

الفئة الثانية: المواقع الإخبارية؛ كالبوابات الإعلامية، أمثال (أريبيا أون لاين Arebea online)، و(بلانيت أريبيا Blaneet Arebea)، و(نسيج Nassij)، وهي مواقع إلكترونية متخصصة، تنشر أخبارًا وتحليلات وتحقيقات أعدت خصيصًا للنشر، ويتم تحديث المواد على مدار الساعة، ويعمل في هذه البوابات محررون ومراسلون مهنيون، يمكن تسميتهم بصحفي الإنترنت.

الفئة الثالثة: الصحف الإلكترونية البحتة، التي ليس لها صحيفة مطبوعة، وتدار عادة بجهد فردي، وتغطي مجالات الأخبار كافة من سياسية واقتصادية ورياضية وسينمائية وموسيقية ... إلخ، وتحاول هذه الصحف أن تستفيد من تقنيات تصميم الصفحة لمزيد من التنوع، وهي صحف يومية يتم تحديث موادها الإخبارية آنيًّا وصفحتها يوميًّا.

---

(1) بحث بعنوان الصحيفة الإلكترونية .. مقاربة أولية مقدمة إلى مؤتمر صحافة الإنترنت في العالم العربي .. الواقع والتحديات، كلية الاتصال بجامعة الشارقة من 22 إلى 23 نوفمبر 2005.

ويضيف الدكتور عبد الأمير الفيصل إلى ما سبق قوله، أن الحديث قد تزايد الآن عن الصحيفة الإلكترونية، كونها عبارة عن جريدة شخصية، تقوم فكرتها على البث الشبكي إلى الأجهزة التليفزيونية في منازل المشتركين، وقد تكون المادة المبثوثة عبارة عن فهرس للمحتويات، مع نبذة قصيرة عن كل موقع إعلامي .. وعندئذ تسمح إمكانية التبادل والتواصل أن يطلب من المركز المزيد من الإعلام المطلوب .. فيبادر بالضغط على زر معين ليحصل على كل ذلك منقولًا إلى الورق، مكونا بذلك جريدته الشخصية المختلفة عن جرائد الآخرين جميعًا، وقد يكتفي بالقراءة مباشرة من الشاشة ويستغني عن النقل على الورق، أو يرسلها إلى ذاكرة (أرشيفه) الخاص.

وقد غيرت الصحافة الإلكترونية من مفهوم الوقت بالنسبة للعمل الصحفي؛ فالجريدة المطبوعة تعتمد على سلسلة من العمليات المتتالية، مثل إعداد المادة التحريرية والمراجعة والإخراج والتوزيع، بحيث إذا تأخرت الجريدة في إحدى هذه المراحل تعطل صدور الجريدة عن موعدها المناسب، فضلا عن أن المعلومة التي تقدمها الصحافة المطبوعة تكون قديمة مع الورق الذي يحملها .. أما الصحافة الإلكترونية فتعد وسيلة اتصال متدفقة متحركة، لا تعرف موعدًا للتوزيع ولا القراءة، فوجود الجريدة على الخط المباشر مع القارئ يسمح بإعادة استخدام المعلومات وتحديثها وتصميمها واستكمالها، إلى ما لا نهاية، فتحول بذلك المادة الصحفية إلى تاريخ متطور، ويمكنها الاعتماد على سلسلة من النصوص الأخرى؛ بفضل استخدام الهايبرتكست Hyper text.

وقد حصل تغيير مهم في مفهوم الصحيفة الإلكترونية؛ حيث تطورت هذه الصحف من كونها نسخًا طبق الأصل من الصحف المطبوعة، إلى ظهورها كبوابات إخبارية وإعلامية وترفيهية ذات شخصية مستقلة .. فمثلا موقع صحيفة النيويورك تايمز على الشبكة، يقدم خدمات لا توفرها – وقد لا تستطيع أن توفرها – النسخة الورقية من الصحيفة، وأدى نجاح تجربة النيويورك تايمز على الشبكة إلى إطلاقها لموقع شقيق اسمه (New york Today)، وهو أشبه بدليل وعناوين المطاعم وبرامج التليفزيون وحالة الطرق وخرائط للأحياء والشوارع، وانتهاء بما يحدث في المدينة من أنشطة ثقافية وترفيهية مختلفة، وكذلك فعلت الواشنطن بوست، وغيرها من كبريات الصحف في أمريكا وبريطانيا وغيرهما، وأصبحت

هذه المواقع تدار من قبل شركات شقيقة، لها طواقمها المتخصصة وإداراتها المستقلة في التحرير والإعلان والتسويق.

6) تصنيف الصحافة الإلكترونية الفورية[1]:

وهذا تصنيف جديد نضيفه إلى التصنيفات الخمسة السابقة، حيث تعد الصحافة الإلكترونية الفورية (Online Jorrnalism) التي تنقل للمتلقي عبر شبكات المعلومات، هي الأقرب إلى مفهوم الصحافة الإلكترونية – كما سبق أن أوضحنا – ويمكن تقسيم هذا النوع وفقًا لعدد من الاعتبارات على النحو التالي:

أولًا: أنواع الصحف الإلكترونية باعتبار وجود أصل مطبوع أو عدمه، وتنقسم إلى نوعين:

1) صحف إلكترونية خالصة أو كاملة (Online only Newspapers) وهي أيضًا على نوعين:

أ- صحف إلكترونية لا ترتبط بأصل مطبوع، وإنما توجد فقط على الشبكة، ولها نماذج كثيرة، مثل: البشاير – إيلاف – أوهمي نيوز الكورية – المصريون .. ويوجد أيضًا نموذج بارز في الصحافة المصرية، وهي جريدة الشعب، التي كانت تصدر عن حزب العمل وأوقفتها الحكومة المصرية في شكلها المطبوع الورقي في سبتمبر عام 2000، وعادت لتصدر على شبكة الإنترنت دون أن يكون لها أصل مطبوع، ودون الحصول على ترخيص من السلطات المختصة.

ب- صحف إلكترونية لها إصدار مطبوع، ولكنها لا تشترك معه في محتواه، ولا ترتبط به إلا في الاسم والانتماء إلى المؤسسة الصحفية، ولها أمثلة متعددة من الصحف الأمريكية والأوربية، ويأتي هذا الاختلاف في المحتوى لاختلاف خصائص الجمهور في كل من الصحف الإلكترونية والورقية من ناحية، ولاختلاف طبيعة الوسيلة أو الوسيط الناقل من جهة أخرى.

---

(1) الصحافة الإلكترونية، مرجع سابق، ص198.

2) نسخ إلكترونية من الصحف الورقية المطبوعة، وهي مواقع الصحف الورقية على شبكة الإنترنت .. وهذا النوع يأخذ أحد الشكلين التاليين:

أ) صحف إلكترونية تقدم المضمون الورقي كاملا كما هو بعد تحويله إلى الشكل الإلكتروني.

ب) صحف إلكترونية تقدم بعض المضمون الورقي.

ثانيًا: أنواع الصحف الإلكترونية باعتبار نوع التقنية المستخدمة في الموقع، وهو ما يعرف بأنماط نقل النص على شبكة الإنترنت، وتنقسم إلى الأنواع الأربعة التالية:

1) الصحف الإلكترونية التي تستخدم تقنية الجرافيك (الصورة GIF)، وهي اختصار للمصطلح (Graphic Interchange Format)، والذي يتيح نقل صورة شكلية من بعض مواد الصحيفة الورقية إلى موقعها على الإنترنت. وهذه تقنية غير جيدة، بالإضافة إلى أنها لا تمكن القارئ من الميزات التفاعلية.

2) الصحف الإلكترونية التي تستخدم تقنية (النص المحمولPDF)، وهو اختصار للمصطلح (Portable Datagram Format)، وهو نمط قريب من النمط السابق، ويتيح نقل النصوص والأشكال والصور والرسوم والصفحات كاملة من الصحيفة الورقية إلى موقعها على الشبكة بشكل مطابق تمامًا للنسخة الورقية، ومثالها جريدة السفير اللبنانية وجريدة المدينة السعودية.

3) الصحف الإلكترونية التي تستخدم تقنية (النص الفائق HTMF)، وهو اختصار للمصطلح (Hyper Text Markup Format)، وهو النمط الذي يتيح وضع نصوص الصحيفة الإلكترونية بشكل مستقل عن نصوص الصحيفة الورقية، ويستفيد من إمكانات الإنترنت المتعددة، وأهمها الجمع بين النص والصورة والصوت ولقطات الفيديو، وإمكانية توافر خدمات البحث والأرشيف ونسخ الصور، ومثال هذا النوع جريدة الأهرام المصرية، وجريدة الرياض السعودية، وجريدة البيان الإماراتية.

4) صحف إلكترونية تجمع بين نمط النص الفائق والنمط المحمول، للاستفادة من مزايا النظامين؛ حيث النص الفائق يوفر الميزات التفاعلية وعرض الموضوع من خلال

الوسائط المتعددة .. والنص المحمول، الذي ينقل صورة طبق الأصل من صفحة الجريدة؛ وذلك لأن البعض يفضل أن يرى جريدته بالشكل الذي اعتاده عليها .. ومن الأمثلة على هذا النوع صحيفتا المستقبل والنهار اللبنانيتان.

7) تصنيف مواقع المؤسسات الإعلامية[1]:

ومن أمثلتها مواقع وكالات الأنباء ومحطات التليفزيون وغيرها، ومنها ما يلي:

1- موقع (بي بي سي أرابيك BBC Arabic)، وكان أول ظهور له في عام 1997، وتحددت مهمته الأساسية في التعريف ببرامج هيئة الإذاعة البريطانية التي تقدم خدماتها للمنطقة العربية منذ عام 1938، ويضم الموقع نصوصًا لنشرات الأخبار التي تبثها هيئة الإذاعة البريطانية، بالإضافة إلى بث مباشر للبرامج الإذاعية. ومنذ 3 نوفمبر 1999 أصبح له طاقم تحريري مستقل، يعمل على تجديد محتوى الموقع بصورة دورية على مدار ساعات اليوم.

2- موقع (الجزيرة نت Algazeera net)، تم افتتاحه في يناير 2001، ويعتبر من أشهر المواقع الإخبارية العربية على شبكة الإنترنت، وجاءت شهرته من شهرة قناة الجزيرة الفضائية القطرية .. وتم تطويره في ستبمبر 2004، ويقدم خدمات مميزة.

3- موقع (إيلاف Elaf): يعتبر الموقع من أوائل الصحف الإلكترونية، وقد صدر في لندن في 21 مايو 2001، كما أنه من أكبر المواقع الإخبارية العربية .. يقوم على الموقع شركة إيلاف القابضة المساهمة في المملكة المتحدة، وشركة إيلاف للنشر المحدودة في المملكة المتحدة، وشركة بيت إيلاف للنشر المحدودة في المملكة العربية السعودية، وشركة إنتوسول في المملكة العربية السعودية .. ويؤكدون على استقلالية إيلاف، وأنها لا تنتمي إلى تيار، ولا تعبر عن حزب، ولا تقف مع دولة ضد دولة أخرى، بل هي «نافذة العربي إلى العالم العربي وجسر العالم إليه».

(1) الصحافة الإلكترونية .. الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص198؛ وكذلك خالد محمد غازي:الصحافة الإلكترونية العربية (وكالة الصحافة العربية 2010)، ص124.

4- موقع العربية نت (Alarabyia Net): من بين أهم المواقع الإخبارية العربية، وتم إطلاقه في مايو 2004، وهو امتداد لقناة العربية الإخبارية الفضائية، التي بدأت بثها اليومي في مارس 2003، والموقع يتضمن النصوص الكاملة لكل برامج العربية، ويسعى لتقديم إضافة في مسيرة الصحافة الإلكترونية في العالم العربي.

المدونات Blogs :

أوضحنا فيما سبق تحت عنوان (أنواع الصحف الإلكترونية) أن شبكة الإنترنت قد أتاحت إنشاء صحف إلكترونية شخصية، يصدرها أفراد قد لا يكونون من الصحفيين، وهي ما يطلق عليها (المدونات)، وقد أشار الدكتور محمود علم الدين إلى أن (المدونات) ما زال يثور حولها جدل كثير في هذا الصدد؛ لذلك رأينا أن نفردها بتقديم بعض التفصيلات عنها؛ بهدف جعل الأمر أكثر وضوحًا من حيث كونها من الصحف الإلكترونية أم لا؟[1]، وذلك على النحو التالي:

تمثلت هذه الخدمة في سجلات التدوين على شبكة الإنترنت، التي يطلق عليها اصطلاحًا (المدونات)، وأتاحت خدمات شبكة الإنترنت للمستخدمين إمكانات إنتاج الوسيلة وتحرير محتواها ونشره على الآخرين، وتبادل الرأي والتعليقات حول ما ينشر أو يذاع في هذه المدونات، ومع تطورها وتزايد أهميتها أصبحت مصدرًا للأخبار، ووسيلة لتحقيق العديد من وظائف وإشباع الحاجات. بل إن وسائل الإعلام التقليدية استشعرت قيمة (المدونات) الاجتماعية والجماهيرية والعالمية، فبدأت توظفها على مواقعها، في محاولة للاستفادة من هذه الوسيلة الجديدة، وخصوصًا بعد أن استخدمت التسجيلات الصوتية والفيديو في النشر والإذاعة بجانب النصوص والصور الفوتوغرافية، وروابطها التي بدأت بها المدونات.

تعريف المدونات:

إن مصطلح (Blogs) صكه (جورن بارجر Jorn Barger) في عام 1997، وقد بدأ التعريف اجتهادًا على وصف عملية التسجيل أو التدوين الشخصي على شبكة الويب (Weblog)، والأصل في هذا المصطلح كلمة (Log)، وهي معروفة بمعنى (التسجيل والتدوين) ليوميات السفن أثناء الإبحار. ولأن ما يتم هو تسجيل أو تدوين على شبكة

---

(1) راجع في هذا الشأن كتاب الدكتور محمد عبد الحميد (المدونات .. الإعلام البديل) 2009 .

(الويب Web)، فقد صك المصطلح ليجمع بين العملية وموقع تنفيذها، فكان مصطلح (Weblog)، وهو ما يعني (سجل الويب Log of the Web) .. وفي منتصف عام 1999 قام (بيتر مرهولز Peter Merholz) بشق المصطلح إلى شقين (Web Blog)، وبذلك أصبح الصك المختصر هو (Blog) الأساس حتى الآن .. ومنه جاءت المشتقات الحالية لهذا المصطلح، مثل (Blogging) بمعنى التدوين، وكذلك (Bloggers) بمعنى المدونون، ومصطلح (Blogs) أو المدونات بالعربية.

ويقول الدكتور محمد عبد الحميد إن هناك تعريفات كثيرة للمدونات، لا تختلف عن بعضها كثيرًا فيما يتعلق بتحديد المسميات والخصائص، ويقع الخلاف فقط بين بعض ذوي الصلة بتصميم البرامج والتعامل مع الشبكات ونظم الاتصال على شبكة الإنترنت، مثل البريد الإلكتروني، والدردشة والمؤتمرات.

ويضيف أنه يمكن تعريف المدونات بأنها «وسيلة من وسائل الاتصال على شبكة الإنترنت، وشكل من أشكال صحافة الشبكات، ينشئها أفراد أو جماعات؛ لتبادل الأفكار والآراء حول الأخبار أو الموضوعات ذات الاهتمام المشترك التي يطرحها الناشر على صفحاتها بنظم الإتاحة الفورية، أو الاستدعاء اللاحق من أرشيف الرسائل والروابط النصية الفائقة دون قيود على حرية القارئ في المناقشة والتعليق على الرسائل المتاحة، بالنصوص أو الوسائل المتعددة، وكذلك حريته في التجول بين الروابط، واستدعاء الرسائل والمداخلات السابقة».

تصنيف المدونات:

هناك إسهامات عديدة في تصنيف المدونات إلى أنواع متعددة، بناء على رؤى خاصة بالكاتب أو معايير معينة، سواء من حيث أهدافها أو خصائص المشاركين فيها، أو خصائص المحتوى .. ويرى الدكتور محمد عبد الحميد أن التصنيف يتم في إطار عدد من الفئات التي يوجزها على الوجه الآتي:

أ) التصنيف الأولي أو الأساس: ويضم المدونات الشخصية التي تهتم بتسجيل السيرة الذاتية والوقائع والأحداث الخاصة بالأفراد، أو مشاركة الأقربين من العائلات أو الأصدقاء أو الجماعات ذات الاختصاص، بالرأي والتعليق على موضوعات المدونات.

كما يضم هذا التصنيف الأولي المدونات غير الشخصية (العامة)، وتهتم بالعديد من الأهداف أو الوظائف الخاصة بالشأن العام والفنون والآداب والتسلية والترفيه، وتستهدف المشاركة بالرأي والتعليق من الأفراد والجماعات ذات الاهتمام أو المصالح المشتركة، وهذه يمكن أن يصدرها الأفراد أو الجماعات.

ب) التصنيف حسب وظائف المدونات: وهذا التصنيف ينطبق فقط على المدونات غير الشخصية أو العامة، التي تستهدف الجماعات أو فئات جمهور المتلقين، طبقًا لاهتمامها، والوظائف التي يراها المدونون من إنشائها، وعرض الرسائل والمداخلات التي ترتبط بهذه الوظائف.

ج) التصنيف حسب الشكل أو وسائل العرض: وتشتمل على المدونات اللفظية أو المكتوبة والمدونات الصوتية، والمدونات المصورة، ومدونات الوسائل المتعددة.

مدونات الصحافة:

فيما يلي أمثلة للصحافة من خلال المدونات، ضمن خمس فئات:

1) **مدونات إذاعة الأخبار Breaking News:**

المدونات أداة سريعة النشر لكل أنواع المعلومات؛ ولذلك فهي أداة مفيدة لمحطات إذاعة الأخبار، ويستفيد الصحفيون منها في تدوين المعلومات تحت ظروف السرعة في حركة الوقائع، ونشر أخبارها. ومواقع المدونات كثيرا ما تذيع المعلومات والأخبار قبل ظهورها في وسائل الأعلام المحلية أو الوطنية.

2) **مدونات السبق الصحفي Beat Blogs:**

أحد أشكال مدونات الصحافة التي نمت سريعًا، هي المدونات التي يكتبها محررون لتغطية جزء محدد في المجتمع - الجريمة مثلا - يشير إلى القصص المهمة حول الموضوع، أو تلك التي لم يتمكن من إذاعتها أو نشرها في الجريدة أو التليفزيون؛ لأسباب مرتبطة بتأثير المساحة والزمن، فينشر معالم من القصص الإخبارية الطويلة، ويضع الباقي في المدونات على شبكة الويب؛ لتحقيق السبق الصحفي، وبذلك تعتبر هذه المدونات فرصة كبيرة لتحقيق النمو في الصحافة خارج حدود المساحة المتاحة أو الزمن.

3) **مدونات التجريب (مدونات المعايشة) Experiential Blogs:**

هذه المدونات تمكن الزوار من تجريب المشهد الإخباري، وتعمل بجانب مدونات السبق الصحفي، فيشعر القراء كما لو كانوا في وسط الصورة التي رسمها المحرر، ويتم دعم هذه المدونات بالصورة والصوت والفيديو؛ لرفع مستواها.

4) **مدونات الشفافية Transparency Blogs:**

بعض الصحفيين يلجأون إلى المدونات كفرصة لإضافة مزيد من الشفافية إلى عملية جمع الأخبار، وإعلام القراء بأسباب قرارات صحيفة معينة؛ كالإشارة إلى الأخطاء المنشورة في الصحف؛ مما يؤدي إلى مزيد من الثقة في عمل الصحفيين.

5) **مدونات التغذية الإخبارية News Fead Blogs:**

التغذية الإخبارية للمفردات المهمة المنشورة على الشبكة؛ بهدف إثرائها .. فقد لا تكفي الرسائل الموجزة عادة ما لم يتم ربطها بنشرة الوكالة الصحفية مصدر الرسائل الموجزة أو النشرة الصحفية الأصلية التي تثري الرسائل الموجزة؛ ذلك أن من أهم خصائص المدونات هو التحديث المتكرر في أيام الأسبوع، بواسطة روابط إلى القصص والأخبار السارة.

مميزات وسلبيات الصحافة الإلكترونية:

وسط هذا الزخم الكبير والتطور التقني لشبكة الإنترنت، وما توصلت إليه الصحافة في وقتنا الحاضر، وظهورها الإلكتروني وسط الشبكة العالمية، وما حققت من تطور هائل - تعرضنا لبعضه فيما سبق - توجد عديد من الاختلافات بين الجريدة الإلكترونية والجريدة الورقية المطبوعة، وتعد هذه الاختلافات جوانب إيجابية ومميزات تحسب للجريدة الإلكترونية وتنفرد بها .. ونتناول فيما يلي استعراض أهم تلك الجوانب الإيجابية والسلبية(1).

أولا: مميزات وإيجابيات الصحافة الإلكترونية:

1- مما يميز الصحافة الإلكترونية عامل الوقت؛ حيث يمكن إتمام تحديث محتوياتها كل بضع دقائق، وباستمرار على مدار الساعة؛ مما يجعلها تحقق السبق الصحفي في نشر الأخبار

---

(1) الصحافة الإلكترونية (اللبان)، مرجع سابق، ص29، وما بعدها؛ وكذلك تكنولوجيا الوسائط المتعددة، مرجع سابق، ص185؛ وكذلك بعض المصادر الثانوية الأخرى ومواقع على الإنترنت.

والمعلومات لحظة وقوعها .. وشتان الفرق في أن يجد القارئ نفسه أمام الحدث لحظة وقوعه، وفي أن يجد نفسه مضطرًّا لانتظار الصحف المطبوعة حتى تصدر، علاوة على أن تحديث طبعاتها محدود، يكاد ينحصر في طبعتين أو ثلاثة .. ويعد استخدام الوصلات الفائقة معلمًا خالصًا لشبكة الويب العالمية، والتي تتيح مضمونًا ديناميكيًّا، وتكون متغيرة ومتطورة، من خلال سرعة تحديث المعلومات وتطويرها باستمرار.

2- الصحافة الإلكترونية حرة من القيود المتعلقة بالمساحة، وهو ما يسمح لها بمزيد من التغطية الصحفية، ويستطيع القارئ أن يبحث في أرشيف الجريدة عن المقالات ذات الصلة، التي يمكن أن تمده بخلفية عن أحداث اليوم، كما تستطيع الجريدة الإلكترونية توفير عناوين البريد الإلكتروني للصحفيين، وتستطيع أن تربط القراء بمصادر أخرى للمعلومات والصحف الإلكترونية الأخرى والمؤتمرات الإلكترونية وندوات النقاش، وغيرها من المصادر المتعددة.

3- إمكانية إضافة الوسائط المتعددة إلى جانب النص والأحرف، حيث يمكن إضافة مقاطع صوتية ولقطات مصورة بالفيديو والصورة الفوتوغرافية والعناصر الجرافيكية والتأثيرات المختلفة، بكل يسر وسهولة؛ مما يجعل التغطية أكثر ثراء وجذبًا للقارئ، وتعايشًا مع الحدث، الذي يأتيه بكل تفاصيله الصوتية والمرئية، عكس رتابة الصحف المطبوعة، التي تعتمد على النص وبعض الصور الفوتوغرافية فقط، وكل ذلك يأتي انطلاقًا من أن المضمون الصحفي هو الأساس، ولا يمكن أن يكون المنتج الإلكتروني مجرد نسخة من المنتج المطبوع.

4- سهولة تعديل المعلومات وتصحيحها وتحديثها بعد النشر في الصحف الإلكترونية، وكذلك سهولة نقل المعلومة وتداولها وحفظها واسترجاعها وسرعة انتشارها، وتوفرها في كل وقت، وأي مكان، متى شاء القارئ قراءتها.

5- تتميز الصحافة الإلكترونية كونها صحافة تفاعلية، فبإمكان القارئ التعليق على المادة الصحفية فور قراءتها، والتواصل مع جمهور القراء، ومناقشة الآراء والأفكار، وكذلك بإمكانه إرسال مشاركاته من المادة الصحفية ونشرها باسمه الصريح أو المستعار.

6- توفر الصحافة الإلكترونية مساحة أوسع للأقلام الشابة والهواة، ولكافة شرائح المجتمع، وعدم اقتصار الكتابة على الكتاب المشهورين والمبدعين فقط.

7- تتمتع الصحافة الإلكترونية بهامش أكبر من الحرية، بعيدًا عن مقص الرقيب في نظيرتها المطبوعة، والتي تواجه قيودًا كثيرة، لا تقتصر على المادة التحريرية فحسب، فحتى تعليقات القراء تعطيها الصحافة الإلكترونية هامشًا كبيرًا من الحرية، تصل إلى حد التصادم والسباب عند البعض؛ لزيادة التفاعل والإقبال الجماهيري عليها.

8- من أبرز مزايا الصحافة الإلكترونية أن كلفة إصدارها تعتبر أقل بكثير جدًّا من إصدار صحيفة مطبوعة .. وبالنسبة للجرائد المتاحة بالفعل في طبعة ورقية، فإن التكلفة الإضافية لإصدار طبعة إلكترونية تعد ضئيلة للغاية، وذلك بالنظر إلى المساحة غير المحدودة التي تتيحها الإنترنت، وتوفير الكلفة المتزايدة لورق الصحف.

9- قلة التكلفة المالية التي يتحملها قراء الصحف الإلكترونية، مقارنة بالصحف التقليدية؛ فعن طريق الاشتراك في خدمة الإنترنت يستطيع القارئ تصفح كافة الصحف التي تمتلك مواقع إلكترونية، في حين أنه يصعب جدًّا على القارئ أن يشترك في هذه المطبوعات التقليدية أو اقتنائها جميعًا.

10- في إطار الصحافة الإلكترونية يمكن تشخيص الصحف لكل قارئ على حدة، وذلك حسب ميوله واهتماماته وهواياته الشخصية، فيمكن للقارئ أن يصمم الصحيفة الإلكترونية الخاصة به، ويحدد نوعية وكم الأخبار والمعلومات التي يريد معرفتها دون غيرها؛ فتأتيه تلك التفاصيل مباشرة بدون ضياع الوقت والجهد في البحث.

11- توفر الصحافة الإلكترونية أرشيفًا صحفيًّا ضخمًا، وقاعدة معلومات في كل وقت على مدار الساعة، يتيح الحصول على المعلومات بسهولة ويسر، من خلال محركات البحث، مع إمكانية الاطلاع على الارشيف الإلكتروني للأعداد السابقة من الصحيفة بيسر، عبر قاعدة البيانات الخاصة بالجريدة.

12- عدم حاجة المؤسسات الصحيفة إلى مقر واحد ثابت، يضم كل الكوادر العاملة؛ فالصحف الإلكترونية حاليًا يعمل أغلبها عن طريق المراسلة الإلكترونية.

13- تقوم الصحافة الإلكترونية بدور مهم؛ من حيث إنها تعكس نبض الرأي العام وأهم اتجاهاته .. فالندوات والحوار الحي، ووصلات البريد الإلكتروني وغيرها، تتيح قدرًا أكبر من التفاعلية بين أفراد المجتمع وبين القراء والصحفيين، أكثر من الجريدة المطبوعة

التقليدية، علاوة على أن الصحفي في المفهوم التقليدي للصحافة، كان هو الذي يختار ما يرى أن القراء في حاجة إليه من الأخبار والمعلومات والمواد الصحفية المختلفة، وتحول الأمر في الصحافة الإلكترونية إلى تمكين الجمهور من تخطي الصحفي في بحثه عن المعلومات، وهذا هو جوهر الصحافة الإلكترونية.

14- احتواء الصحافة الإلكترونية على استطلاعات رأي واستقصاءات، تعطي مساحة واسعة للقارئ لإبداء رأيه دون قلق؛ لنكسر بذلك حاجز الخوف من الرقابة .. علاوة على أن توفر النقد والتعليق على المادة الصحفية الإلكترونية، يزيد مستوى مشاركة الفرد في صنع القرار.

ثانيًا: سلبيات الصحافة الإلكترونية:

بالرغم من المؤشرات الإيجابية والمميزات الكثيرة التي تصب في صالح الصحافة الإلكترونية - والتي استعرضنا بعضها فيما سبق - فإن كثيرًا من الصعوبات والتحديات والسلبيات ما تزال حجر عثرة في طريق تفوقها، ونستعرض بعض تلك السلبيات فيما يلي:

1- قراءة صحيفة إلكترونية يعد عملية صعبة ومتعبة لكثير من الناس، وتستغرق وقتًا أطوال من الصحيفة الورقية .. كما أن الملاءمة والحرية البصرية، والشعور بالأولويات كخبرة شخصية، لم تعد موجودة .. كذلك فإن إحدى المشكلات التي تعوق نظم النص الفائق، هي أن القراء يضلون طريقهم؛ حيث إنهم يقومون بقفزات عديدة، بعيدًا عن النص الأصلي الذي بدأوا قراءته، ولا يستطيعون العودة إليه بسهولة.

2- تعاني أغلب الصحف الإلكترونية من صعوبات تتعلق بالتمويل؛ ولذلك نجد أن بعض الجرائد الإلكترونية بدأت تدر عائدات من قرائها، حيث تتيح تلك الجرائد للقراء المواد السريعة مجانًا، ولكن إذا أراد القراء مطالعة الصحيفة بأكملها فإن عليهم أن يشتركوا في الإصدارات الإلكترونية.

3- عدم وجود عائد مادي لدى أغلب الصحف الإلكترونية، كما هو الحال في الصحف الورقية المطبوعة عن طريق الإعلانات؛ إذ إن المعلن ما زال إلى حد ما يشعر بعدم الثقة في الصحافة الإلكترونية.

4- عند استقراء الكثير من الصحف الإلكترونية، يتضح أنها تقوم على أساس الاستنساخ من الصحف الورقية المحلية والعالمية ووكالات الأنباء، وحتى من بعضها بعضًا، ويصل الأمر إلى حد السرقة الصريحة، واستبدال أسماء الصحفيين والكتاب بأسماء أخرى، ويرجع ذلك غالبًا إلى ضعف الإمكانات المادية، وقلة عدد المحررين، مع غياب المحاسبة في المقام الأول.

5- عدم خضوع الصحافة الإلكترونية للرقابة الأخلاقية، في ظل غياب الأنظمة واللوائح والقوانين لها حتى يمكن محاسبتها في حالة تجاوزها، إلى درجة أن أصبح الكثير من تلك الصحف مصدرًا للشائعات والأخبار المثيرة العارية من الصحة؛ بهدف جذب أكبر عدد من القراء .. إلى جانب غياب الإطار القانوني المهني الذي ينظم عمل الصحفيين في المجال الإلكتروني، ويحفظ حقوقهم .. فلا توجد نقابات مهنية لهم، ولا يسمح لهم بالانضمام إلى نقابات الصحفيين.

6- إن معظم الجرائد الورقية لديها الآن طبعات إلكترونية، في ظل توقيت حرج للتحول للنشر على شبكة الإنترنت .. وتدفع تلك الجرائد الإلكترونية بكميات كبيرة من المضمون الصحفي الذي يعده الصحفيون الذين يتقاضون أجورًا عالية، ويضعونه مجانًا على الشبكة. وثمة خطر واضح من جراء ذلك، وهو أن إتاحة هذه المعلومات مجانا سيقلل الطلب على الاشتراكات المدفوعة ومبيعات الشوارع بالنسبة للصحف المطبوعة، فلقد أنفقت مبالغ طائلة من قبل الصحف الورقية لكي تضع منتجاتها على الويب والاستمرارية في هذا التواجد على الويب، وعلى الرغم من أن البعض لا يزالون يحققون بعض الربح إلا أن ناشرين آخرين كثيرين يواجهون خسائر كبيرة؛ ولذلك فإن عددًا من تلك الجرائد تعيد تقييم توزيعها الإلكتروني.

هذا بالإضافة إلى أن الجرائد التي تنشر طبعات إلكترونية تعيد إنتاج مادة الطبعات الورقية طبق الأصل، وتكاد لا تختلف الإلكترونية كثيرا عن الورقية الأصلية، ويكاد الإلكتروني أن يكون هزيلا من الناحية المرئية، مع أنها تتمتع بخيارات تيبوغرافية وجرافيكية أكثر ثراء، كما

أن ناشري الصحف المطبوعة في هذه الحالة يستخدمون تواجدهم الإلكتروني كوسيلة رخيصة التكاليف، تحافظ على موقعهم في السوق، وتُوجد حاجزًا لمنع دخول منافسين لهم في نطاقهم الجغرافي.

7- عدم القدرة على التأكد من صحة الأخبار والمعلومات، والتعدي على بعض القيم الاجتماعية، وزيادة إمكانات التزوير، وبالذات في الصحف الإلكترونية، التي تعتمد على المتطوعين، الذين ليس لهم مهارات مهنية، وهذا ما يزيد من ظهور الشائعات .. واستخدام عناوين مثيرة، وهذه الصحف تنسب إلى الصحافة الصفراء، التي تهتم بنشر الفضائح؛ ولذلك يتوجب الالتزام بالمعايير والممارسات الأخلاقية والصحفية التي تفرضها وتتطلبها مهنة الصحافة، سواء أكانت التقليدية أو الحديثة الإلكترونية.

مقترحات للنهوض بالصحافة الإلكترونية العربية :

وعلى ضوء ما سبق عرضه من السلبيات التي تعترض الصحافة الإلكترونية، نقدم بعض المقترحات والمتطلبات، التي قد تساعد على تلافي تلك السلبيات في المستقبل؛ بهدف النهوض بالصحافة الإلكترونية، وخاصة في الدول العربية.

1) إجراء تعديلات على القوانين الخاصة بالنشر والمطبوعات، تضمن حماية حرية الرأي والتعبير وحرية النشر وفق الضبواط الأخلاقية والمهنية، وكذلك إضافة تعديلات تضمن حقوق الملكية الفكرية والنشر الإلكتروني والقواعد واللوائح التي تنظمها.

2) إنشاء اتحادات ونقابات رسمية للعاملين في مجال الصحافة والإعلام الإلكتروني؛ لضمان حقوق هؤلاء العاملين .. والاعتراف بالصحفيين العاملين في الصحافة الإلكترونية، وحصولهم على عضوية نقابية في نقابات الصحيفيين من بلادهم.

3) إنشاء مؤسسات صحفية أو شركات مساهمة إعلامية، تتولى إدارة الصحف الإلكترونية، وتنمية مواردها؛ للتغلب على المشكلات التمويلية التي تواجهها، والترويج لثقافة الإعلان الإلكتروني، وعرض مزاياه المختلفة، والبحث الدائم عن مصادر دعم من بعض المتبرعين والمتعاطفين والرعاة الرسميين، الذين يتماشون مع توجهات الصحيفة الإلكترونية وطبيعة الجمهور المستهدف.

4) الاعتماد على قوة ورصانة المحتويات الفكرية والعلمية، واستخدام المنهجية المهنية المتعارف عليها في دنيا الصحافة، والاعتماد على تناول الفنون الصحفية؛ كالخبر والتحقيق والحديث والمقال والتحليل، والاستفادة القصوى من تقنية النص والصوت والصورة والفيديو والجرافيك، من المؤثرات التي تفتقر إليها الصحافة التقليدية الورقية.

5) ضرورة تفرغ العاملين في الصحافة الإلكترونية بصورة كاملة لإنجاز أعمالهم الصحفية؛ من أجل صناعة صحافة إلكترونية متميزة تكسبهم الاحترام والتقدير من قبل جمهور المتلقين، وتبتعد بهم عن الاتهامات التي تضعهم في خانة الهواة أو الطارئين المتطفلين على مهنة الصحافة.

6) من المهم توخي المعايير المهنية العالمية؛ من أجل صحافة إلكترونية أكثر تأثيرًا، ومن تلك المعايير جدة المادة الصحفية وآنيتها، وتحديث الجريدة الإلكترونية على مدار الساعة، وسهولة تعاطي الزائر مع الصحيفة الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت .. ويمكن حساب درجة التفاعلية بين الصحيفة والجمهور بسهولة ومرونة، أكثر من نظيرتها المطبوعة، وذلك عن طريق متابعة عدد الزوار من خلال المواقع التي تعنى بهذا الغرض، مثل (موقع Elexa) العالمي.

فضلا عن إجراء الاستبانات والاستطلاعات التي تفيد في تقييم وتقويم موقع الصحيفة الإلكترونية؛ من حيث مستوى الإقبال، وجودة الخدمات الضرورية المتعلقة بالبحث والأرشفة، وتنوع النوافذ، وما إلى ذلك من المقاييس التي تحكم على مستوى الإلكترونية، والعناية بجودة التصميم، وتجديده بين الحين والآخر إذا تطلب الأمر ذلك.

7) عدم التعامل مع الصحيفة الإلكترونية كوسيلة لإعادة نشر مضمون النسخة الورقية المطبوعة نفسها؛ لأن ذلك اختزال مخل لإمكانات كثيرة تتيحها وسيلة النشر الإلكترونية الجديدة؛ مما يجعل الصحف التي تحسن استغلال إمكانات الوسيلة الإلكترونية تتفوق على تلك التي تتعامل معها بمنطق تعاملها مع الورق، وضرورة العمل على إعادة صياغة المادة الصحفية، بما يتيح استغلال إمكانات النص الفائق، الذي يتيح تفاعل القارئ مع النص؛ فالصحف الإلكترونية يجب أن تميز نفسها، بنشر مضامين أصلية لا تظهر في النسخ المطبوعة، وهو ما ينأى بها عن أن تكون نسخة مكررة من الصحافة الورقية المطبوعة.

خاتمة الفصل:

وأخيرًا .. فإنه بناء على ما تم استعراضه في هذا الفصل، وفي إطار تكنولوجيا الاتصال المتنامية، وظهور أنظمة النشر المختلفة (المكتبي والإلكتروني) - ظهرت الصحافة الإلكترونية، وأثير نقاش طويل حولها، حتى أن البعض بدأ بطرحها كمنافس للصحافة الورقية المطبوعة بشكلها التقليدي، وذلك في مرحلة بدء الاستخدام، أو التعامل معها من قبل الجمهور، ثم ربما كبديل لهذا النوع من الصحافة التقليدية عندما تصل إلى مرحلة النضج .. ويكمن وراء ذلك عدة أسباب مهمة: منها التفوق الذي أبدته المحطات التليفزيونية الإخبارية في تغطية الأحداث فور وقوعها، مثل قناة (CNN) الأمريكية، وقناة (الجزيرة) القطرية، بالإضافة إلى جذب تلك الصحف الإلكترونية للقراء، وتخطيها لمعوقات الورق، وارتفاع أسعاره الجنوني.

وهذا الازدياد المستمر في الاعتماد على الصحافة الإلكترونية باتساع قاعدتها الجماهيرية، أدى بدوره إلى تنوع أشكالها ووسائلها، وظهور الكثير من المؤشرات الإيجابية، الدالة على تنامي قوتها وتأثيرها مستقبلا، حتى باتت الصحافة الإلكترونية إحدى القنوات الفعالة في حياتنا اليومية.

وفي غمرة كل ذلك، فقد انساق البعض وراء تلك الثورة الجارفة للاتصال الإلكتروني الجديد، وظن أن (المطبعة) ستدفن مع مخترعها الألماني جوتنبرج في عام 2048، عندما تحل ذكرى مرور أربعة قرون على وفاته، أو توضع - على أكثر تقدير - في المتحف، برفقة الأدوات البدائية الحجرية والبرونزية، التي كان يستخدمها الإنسان البدائي القديم .. لكن الأمور سارت عكس هذا الخط البياني المتوهم، وثبت أن من الخطأ أن نخلط خلطًا ظاهرًا بين (الآلة) و(السلعة)؛ فالآلة المتطورة تنسخ أختها المتخلفة، وقد تلغيها كلية، لكن السلع الجديدة لا تلغي القديمة؛ إذ لا يزال الناس يستهلكون سلعًا كانت البشرية تستهلكها منذ آلاف السنين .. والصحيفة وكذلك الكتاب من قبلها، هما من صنف السلع، وليسا من طراز الآلات؛ ومن ثم فهما سيظلان باقيان معنا سنين طويلة إلى ما شاء الله.

وإضافة إلى ذلك، فإنه من المبكر الحكم على هذه التجربة؛ كونها لا تزال في بدايتها، سيما وأن الصحافة الورقية كانت - ومازالت - منذ أوائل القرن السابع عشر، تحتل مكان الريادة،

رغم دخول الأشكال الصحفية الجديدة في دائرة المنافسة، حيث إنها لا تزال تستقطب كبار الكتاب والمفكرين وصناع الرأي العام، الذين يحرص القراء على معرفة آرائهم وتوجهاتهم، وتحليلاتهم للأحداث الجارية، علاوة على تطور إصدارها وسهولة الحصول عليها.

وربما يكون هذا وغيره كثير مما جعل (بيل جيتس) – مؤسس شركة مايكروسوفت – يتراجع عن رأيه، ويعيد النظر فيما سبق أن أعلنه بأن الصحافة الورقية التقليدية المطبوعة ستختفي في عام 2018؛ فقد عاد ليعترف بأنه لا يمكن أن يقطع بشيء خاص بمستقبل لا يراه، ولا يلم بقوانينه وظروفه.

وعلى النسق نفسه، فإنني أعتقد ما يعتقده كثيرون من محرري الطبعات الإلكترونية للصحف، بأن الصحف الإلكترونية لن تحل محل الصحف المطبوعة، وأنه يتحتم ألا ننظر إلى العلاقة بين النوعين على أنها علاقة إقصاء وإلغاء؛ لأن الكمبيوتر الذي تستخدمه الصحف الإلكترونية ليس أكثر من وسيلة لمساعدة الناس على البحث عن المعرفة، مع أن أكثرهم لا يبحثون إلا عن التسلية والترفيه؛ ولذلك نعتقد أن النسخ الإلكترونية للصحف ما هي إلا مكملة للنسخ الورقية المطبوعة .. وأن كلا من المطبوعة والإلكترونية ستنتعشان معًا، وتتعايشان سويًّا، ولن تكون الإلكترونية في يوم من الأيام بديلا حتميًّا للمطبوعة، مثلما يدعي البعض الذين انبهروا بالصحافة الإلكترونية .. والأيام بيننا!!

وننتقل بعد ذلك إلى استعراض تطور السينما الإلكترونية الرقمية التفاعلية، وهو موضوع الفصل التالي.



الفصل الحادي عشر
السينما الرقمية التفاعلية
النشأة والتطور والميزات والسلبيات





تناولنا في الفصل الخامس بالباب الثالث من هذا الكتاب نشأة السينما التقليدية وتطورها، منذ اخترعها الفرنسي لويس لوميير في عام 1895، واستكمالا لما سبق نتناول في هذا الفصل السينما الإلكترونية الرقمية التفاعلية، منذ استخدامها للحاسب الآلي والوسائط المتعددة الرقمية الفائقة التفاعلية، وذلك على النحو التالي[1]:

في وقت من الأوقات كان عدد محدود من الأستوديوهات السينمائية الرئيسة يتحكم في صناعة السينما مثل: أستوديو وارنر (Warner Bros)، وأستوديو (بارامونت Paramount) وأستوديو (كولومبيا Colombia) ، وأستوديو (فوكس Fox)، وأستوديو (يونيفرسال Universal)، وقد حولت هذه الأستوديوهات السينما تقريبا إلى (خط تجميع Assembly line) للتوزيع، من خلال قنوات ثابتة، في حين قامت بعض الدول الأخرى القليلة في التحكم في الإنتاج.

واليوم أصبحت شركات الإنتاج السينمائي في كل مكان من العالم، حيث أوجدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة وسائل جديدة لصناعة الأفلام السينمائية، وقنوات جديدة لتوزيعها، لم يكن أحد يحلم بها في أثناء أوقات الازدهار والذروة لنظام الأستوديو .. والآن

(1) الاعتماد الأساسي في هذا الصدد على كتاب حسنين شفيق: تكنولوجيا الوسائط المتعددة في مجال الإعلام والإنترنت (القاهرة – بدون – عام 2010)، ص217 وما بعدها، ومراجع ثانوية أخرى، مع ضرورة مراجعة الفصل الخامس في الباب الثالث، فيما يتعلق بنشأة وتطور السينما التقليدية.

أيضًا، فإن السوق (غير الأمريكي Non Us.Market) أصبح يعادل السوق الأمريكي في صناعة السينما .. ومن المتوقع أن تتحول الغلبة لهذا السوق غير الأمريكي في المستقبل؛ وذلك بفضل استخدام الوسائط المتعددة الرقمية الفائقة (Hyper Digital Multimedia) في الفن السينمائي.

ففي عام 1950 سعى (جون ويتني) السينمائي المعروف، إلى دمج الرسوم باستخدام الحاسبات لإنتاج أعمال فنية، ونجح في تحقيق حلمه في عام 1958 واستخدم (ويتني) في ذلك الوقت حاسبًا كان يستخدم في إجراء حسابات المدفعية المضادة للطائرات، في إيجاد رسوم متحركة من خلال تأثيرات ضوئية وجرافيكية.

وطبق (ويتني) هذا النظام لإنتاج مقدمات أفلام (ألفريد هتشكوك)، وفي عام 1960 أنتج أول فيلم كامل، عبر فيه عن ثورة الحاسبات في ذلك الوقت، وقدرتها على إنتاج الرسوم والتأثيرات الحركية المرئية.

وفي نوفمبر 1960، قدمت شركة (Digital Equipment Corp) جهاز (PDP.1)، الذي يعرف كأول حاسب تفاعلي صغير الحجم لإنتاج الرسوم والمؤثرات الفيلمية .. كما ظهر مع بداية الستينيات من القرن العشرين أسلوب يعتمد في تنفيذه على قدرة الحاسب؛ من حيث إعطاء البدائل لأفكار الفنانين، والدقة في الأداء، والسرعة في الإنجاز.

وقد ظهرت هذه الحركة في أوربا، والتي عرفت باسم (الاتجاه الجديد)، وهي مرتبطة بالفن الحركي باسم (الفن المبرمج)، وظهرت لأول مرة في بينالي زغرب في يوغوسلافيا عام 1961.

وشهدت فترة السبعينيات من القرن العشرين، استخدام رسوم الحاسب لأول مرة في التليفزيون؛ حيث ابتكرت (مؤسسة صور الحاسب "CIC" Computer image corp) أجهزة معقدة للغاية، وبرامج متعددة، استخدمت جميعًا في مسح الأعمال الفنية والرسوم ضوئيًّا، ومعالجتها بالتحرير؛ من حذف وإضافة، ونقل لبعض الأجزاء من أماكنها، واستخدام عناصر لجعلها تتحرك من موقع في الصورة إلى موقع آخر في الصورة التالية وهكذا .. وفي عام 1982، لعبت رسوم الحاسب - ولأول مرة - دورًا رئيسًا في صناعة السينما ودعمها، وظهور العديد من الأفلام التي استخدم الحاسب فيها في إنتاج رسومها

ومؤثراتها وخلفياتها، ومنها ظهور الأفلام التي تحتوي على محاكاة للبشر، تعمل كبديل للممثلين أو للكائنات المختلفة في التصوير.

وفي عام 1993 صنعت (شركة Tippett) نموذجًا لمحاكاة الديناصورات، أسمته (Dinasour Input Device)، الذي كان مجسمًا متحركًا للديناصورات، مزودًا بمجسمات حركية يحركها الحاسب بدقة عالية للغاية .. المهم أنه مع عام 1982 شهد مجال المؤثرات الخاصة انقلابًا لم يعرف معه أحد حينئذ إلى أين ستصل علاقة الخدع أو الحيل السينمائية بالكمبيوتر .. ولقد ظلت لعبة الخدع والحيل السينمائية تعتمد - لسنوات طويلة - على الأساليب البصرية والسمات المصاحبة للتصوير بالكاميرات، مثل الرسم على الفيلم نفسه، أو التصوير البطيء، أو التصوير بلقطات منفصلة؛ للإيهام بحركة الأشياء، أو عرض الصور عكسية؛ ليبدو مبنى تم هدمه أمام الكاميرا، وكأنما يعود لسابق وضعه بسحر ساحر، وغيرها من تلك الحيل التي تعلمها فنيو السينما، ونفذوها لعشرات السنين.

ولكن استخدام الكمبيوتر صنع زلزالًا حقيقيًّا في صناعة السينما، فأخذ يشيع في أدق مهام الإنتاج السينمائي، متجاوزًا صنع المؤثرات الخاصة في أفلام الخيال العلمي، إلى خلق العوالم اللاواقعية بتضاريسها وفضائها وموجوداتها، وفي إحلال الأشكال المجسمة مقام نماذج مركبات الفضاء وكائنات هذه العوالم ... إلخ.

الوسائط المتعددة الرقمية:

منذ سيطرت هوليود على مقدرات السينما العالمية، لم تنقطع محاولات التملص من قبضتها الطاغية، لكن المميزات الضخمة، إلى جوار متاهة التوزيع، كانت تضعف من فرص محاولي التملص.

ويشهد العالم اليوم تطورات تقنية جديدة، تتيح بإمكاناتها الاقتصادية والجمالية إعادة الحياة إلى سينما المؤلف وسينما المخرج، وتيسر جعل الفيلم تعبيرًا عن رؤية فنان .. فاللغة الرقمية التي تتعامل بها كمبيوترات متزايدة الجبروت، ونظم اتصالات أقدر وأسرع، تتيح دمج الكلمات والصوت كما لم يحدث من قبل، وتخلق فرصًا يمكن أن تصنع حقبًا جديدة في صناعة السينما ..

وإن أبرز ما يلهب خيال حركات السينما الجديدة حاليًا هو ما يسمى بالثورة الرقمية، بإمكاناتها الهائلة؛ انطلاقًا من كاميرا رقمية، لا تستخدم فيلمًا، وإنما أقراصًا رقمية، يجري نقلها بعد التصوير إلى جهاز الكمبيوتر؛ ليتم إكمال مراحل صنع الفيلم عليه، قبل بثه من مركز واحد، إلى شاشات السينما في الصالات، أو حتى إلى البيوت، دون الحاجة إلى طبع نسخ من الفيلم أو شحنها إلى أنحاء العالم.

فمع شيوع التقنيات الرقمية، أصبح من السهل إنجاز الفيلم بشكل ميسر؛ فالكاميرا الرقمية الخفيفة التي تعمل مع قليل من الإضاءة - أو حتى بدونها - تعطي مزيدًا من الحرية في التصوير الواقعي؛ إذ أصبح بالإمكان التخلص من معوقات فرق التصوير الثقيلة، والانطلاق مع فرق صغيرة، سهلة الحركة، كما أصبح من السهولة بمكان الانتقال من بلد إلى آخر في أرجاء العالم، دون أن يلحظ أحد ذلك.

ومن هذا السبيل انعكست المعالجة الرقمية على تكلفة الفيلم السينمائي؛ إذ تختصر كثيرًا من أدوات السينما المطلوبة لعمل الفيلم، مثل الإضاءة والعمل والمادة الخام ... إلخ.

وقد حررت هذه الفرق الرقمية الصغيرة من ميزانيات أفلام باهظة، متيحة إخراج أفلام طويلة بميزانيات أفلام قصيرة؛ الأمر الذي يقدم فرصًا حقيقية لبروز أجيال جديدة من المخرجين والممثلين والفنيين، ونضج مواهب أكيدة .. فضلا عن أنه يمكن - على هذا النحو - تصوير أربعة أو خمسة مشاهد في اليوم، بدلًا من مشهد واحد في الظروف العادية، وإنجاز الفيلم في شهرين، بدلا من أربع أو خمس سنوات.

ومع الزمن سيتيح انخفاض تكاليف نظم الإنتاج الرقمي الفرصة أكثر لأن تجدد أفلام الخيال العلمي والحركة والأفلام التاريخية نفسها، وتؤكد استمراريتها كأفلام مبهرة، بأعباء مالية أكثر تواضعًا .. كما أن التقنيات الرقمية ستسهل - من الناحية الفنية أيضًا - إنجاز أفلام المؤثرات الخاصة، وستمكن من إضافة أي مؤثرات إلى الفيلم رقميًّا بعد الانتهاء من تصويره تمامًا .. ولا تقتصر تأثيرات التقنيات الرقمية على ذلك فحسب، بل إنها تشمل كل مراحل إنتاج الفيلم، بدءًا من مراحل ما قبل الإنتاج؛ إذ باتت هناك برامج لكتابة السيناريو، تعطي مرونة هائلة في التغيير، وسهولة طباعة النص، وتوزيعه على أدوار ومشاهد متفرقة، بل وتيسر

– في لحظات معدودة – معلومات مهمة، مثل عدد المرات التي تظهر فيها هذه الشخصية أو تلك، وعدد المرات التي يقول فيها كلمة معينة، وتسهل مثل هذه البرامج تسجيل ملاحظات وتعليقات صوتية للسيناريست والمخرج على السيناريو ... إلخ، كما تساعد تلك البرامج الرقمية على ترشيد ميزانية الفيلم؛ فمثلا يمكن جعل مشهد لا يحتوي إلا على عشرات من الكومبارس، يبدو كما لو كان قد تم تصويره بمئات أو آلاف منهم، باستخدام التقنيات الرقمية؛ مما يوفر الكثير من النفقات.

عرض الأفلام على الإنترنت:

وقد بدأ في 9 نوفمبر عام 2000 أول تطبيق عملي تجاري في عالم السينما، لعرض ومشاهدة الأفلام السينمائية بصورة حية على الإنترنت، ودفع ثمن المشاهدة عبر الشبكة بطريقة بطاقات الائتمان، وبدأت هذا النشاط شركة (سينما ناو Cinema Now)، بعرض فيلم (جنة تحترق)، بطولة (راسل كراو)، أحد أبطال السينما المشهورين، بالاعتماد على تكنولوجيا مايكروسوفت المتخصصة في بث الفيديو المتدفق عبر الإنترنت.

فهذه الخدمة الجديدة تعتبر الأولى من نوعها، بتقديم أفضل تجربة ترفيهية على الإنترنت عالية النقاء، ومؤمنة ضد القرصنة، وتقدم أفلامًا طويلة متدفقة لمن يطلب على مواقع آمنة، من مكتبة شركة كبرى مستقبلة من شركات الإنتاج والتوزيع لأفلام هوليود على الإنترنت، وحددت الشركة مبلغ 2.99 دولار، مقابل مشاهدة الفيلم عددًا غير محدد من المرات خلال 48 ساعة.

وتوفر هذه الثورة الرقمية إمكانية لنقل الأفلام الرقمية بعد تصويرها ومونتاجها إلى شريط سينمائي؛ لتعرض في دور العرض العادية، إلى جوار شبكات دور عرض السينما الرقمية، المزودة بأجهزة رقمية بدلًا من آلات العرض التقليدية، والتي تستطيع تقديم صورة بالغة النقاء والدقة، لم يعهدها المتفرج من قبل؛ حيث تبدو الصورة كما لو كانت النسخة قد خرجت من المعامل للتو، وطوال سنوات العرض مهما طالت؛ لأن الفيلم محصن ضد التدهور مع تعاقب العروض.

وتتمثل الفائدة الرئيسة للانتقال إلى عصر العرض الرقمي، في زيادة فرص توزيع وعرض الأفلام، بتلافي محدودية عدد نسخ الفيلم؛ فنسخ الأفلام الرقمية بدون تكلفة تقريبًا، مقارنة بتكلفة النسخ السينمائية التقليدية. وهو ما يتيح للموزعين حرية أوسع في اختيار الأفلام التي يقومون بتوزيعها وعرضها .. وتتيح هذه الثورة الرقمية التوزيع عبر أسطوانات (CD)، وأسطوانات الفيديو الرقمية (DVD)، التي يمكن أن تحمل الأسطوانات منها فيلمًا أو عدة أفلام وفق أعلى معدلات نقاء ووضوح الصورة والصوت؛ حتى تستخدم للعرض في المنازل على الكمبيوتر والتليفزيون الرقمي، وعلى شاشات سينمائية منزلية خاصة .. إضافة إلى أن الرقمية تسهل تلقي الأفلام حسب الطلب من مصادرها الخارجية، عن طريق الاتصالات السريعة الواسعة.

وجدير بالذكر أن الأفلام التي يجري صناعتها وتداولها بالوسائل الرقمية، لا تخضع للرقابة العادية التقليدية؛ فالرقيب يمكن أن يصدر قرارات الحظر، لكن تأتي الأفلام للمشاهدين في المنازل عن طريق الاتصالات الفائقة السريعة، فضلا عن الإرسال الفضائي، وفي حقائب القادمين من الخارج على أقراص رقمية، يجري نسخها بسهولة تامة.

المؤثرات البصرية والرقمية:

إن المؤثرات البصرية في السينما قديمة، ربما مع بدء اختراعها، وقد استفادت بعد ذلك من التطورات التكنولوجية التي شملت جميع نواحي الحياة .. ومع بداية الثورة الرقمية في السنوات الأخيرة، ودخول أجهزة وبرامج الكمبيوتر المتخصصة في تصميم الرسوم ثلاثية الأبعاد، ومزجها باللقطات المصورة، دخلت السينما عصرًا جديدًا، لم يعد لإمكاناته حدود، حتى أن المتفرج أصبح - في كثير من الأحيان - غير قادر على التمييز يين ما هو حقيقي وما هو تخيلي.

وفي حقيقة الأمر، فإن المؤثرات البصرية في السينما كانت قد بدأت قبل ظهور الكمبيوتر بكثير، وقد اعتمدت على مجموعة من التقنيات التي ابتكرها مخرجون مبدعون، وساعدت على إيجاد تلك المؤثرات وإبهار المتفرجين .. ومن هذه التقنيات مثلا شاشة العرض الخلفية (Bak Projection)، وهي عبارة عن شاشة ضخمة تعرض مشاهد سبق تصويرها خارجيًّا، ويتم تصوير الممثلين أمامها؛ للإيحاء بوجودهم في هذه المواقع الخارجية، وكذلك تقنية

التحريك لقطة لقطة (Stop-Motion animation)، والتي تم استخدامها كثيرًا في أفلام الخيال العلمي، وكانت تعتمد على صنع نماذج ميكانيكية مصغرة، وتصويرها لقطة لقطة في حركات متتالية، واستخدمت هذه التقنية في كثير من الأفلام الشهيرة.

وفي الستينيات والسبعينيات في القرن العشرين، ظهرت تقنية جديدة، مثل الكاميرا، التي تم التحكم في مسارها آليًّا (Motion Control Camera)، حيث أمكن برمجة حركة الكاميرا، بما يمكنها من أن تكرر المسار نفسه أكثر من مرة بمنتهى الدقة .. وهذه التقنية مكنت المخرجين من عمل خدع، مثل إظهار أكثر من نسخة للممثل نفسه في اللقطة نفسها .. وظهرت بعد ذلك تقنية اللوح الزجاجي (glass Shot)، الذي كان يوضع خلف الممثل بعد رسم خلفية بعينها عليه، مثل منظر طبيعي أو مبان داخل المدينة .. وهذه التقنية تمت الاستعاضة عنها فيما بعد، باستخدام الكمبيوتر، واستخدام برامج خاصة، وتركيب خلفية جديدة للمشهد.

ومن أهم التقنيات التي تستخدم حتى الآن، وتعطي نتائج مبهرة، تقنية الشاشة الزرقاء؛ حيث يتم تصوير الممثل أمام شاشة زرقاء، ثم يزال اللون الأزرق بتركيب مشهد آخر، قد يكون لتصوير خارجي، أو لنماذج مصغرة لمبان وغيرها .. وكل تلك التقنيات خلقت الإيحاء بأشياء لا وجود لها، غير أن هذا لم يكن سوى مقدمة لثورة حقيقية في عالم المؤثرات البصرية في السينما .. وهي الثورة الرقمية التي اعتمدت على برامج الرسوم ثلاثية الأبعاد (3 D Graphics)، وبرامج تركيب المشاهد، وبرامج المونتاج، وبرامج تحرير الصور الثابتة.

وكانت الثورة الرقمية بداية عصر جديد بدون حواجز أو حدود، ووصلت فيه دقة وبراعة المؤثرات إلى حد تتلاشى فيه الفواصل بين الحقيقة والخيال .. وكان ظهور هذه المؤثرات الرقمية في بداية الثمانينيات من القرن العشرين .. وتدور عملية التقدم بسرعة أكبر، وتتيح تقنيات المؤثرات الرقمية إمكانات جديدة مع كل فيلم جديد، إلى أن جاء اليوم الذي ظهرت فيه شخصيات أنشئت بالكامل بواسطة برامج الرسوم ثلاثية الأبعاد، والتي سميت (CG)، اختصارًا لمصطلح (Computer Generated)، ويتم رسمها على برامج (3 D Graphics)، وتحريكها عن طريق أجهزة تسمى (Motion Compture Devices)، ويتم توصيلها بممثلين حقيقيين، عن طريق مجموعة من المجسات توضع على مختلف مناطق الجسم، ثم تبدأ هذه الأجهزة في نقل الحركة من الممثل إلى الشخصية المرسومة .. وهذا هو سر رؤيتنا

للحيوانات والطيور وغيرها تتحرك وتتحدث تمامًا مثل البشر .. وقد استخدمت في الفيلم (تيتانيك)، الذي يعد من روائع السينما، جميع تقنيات المؤثرات البصرية بدءًا من الشخصيات المرسومة بالكمبيوتر مرورًا بالنماذج المصغرة. وإلى جانب ذلك ظهرت تقنية حديثة تسمى (Animatronics)، عبارة عن نماذج ميكانيكية، صنعت تفاصيلها بمنتهى الدقة لكائنات مثل الحيوانات والطيور، التي يتم تحريكها بوحدات تحكم عن بعد؛ لتقوم بما يريده المخرج أمام الكاميرا .. وتوجد من الأفلام ما نتصور عندما نشاهدها أنها عادية، لا وجود فيها للمؤثرات البصرية، ولكنها - في الحقيقة - تحتوي على مؤثرات غاية في البراعة والإتقان.

السينما التفاعلية:

لقد أسهم التطور التكنولوجي السريع خلال الفترة الماضية في صناعة الفيلم السينمائي، فلم يكتف العلم بالسيطرة على كافة مراحل إنتاج الفيلم؛ من تصوير ومونتاج وخدع ومؤثرات صوتية وبصرية، وغيرها من العناصر الرئيسة للإنتاج الفني .. بل قفز العلماء بخيالهم؛ ليجعلوا المشاهد ليس مجرد متلق، ولكن يمكن أن يكون له دور حيوي في عملية اختيار مجريات الأحداث في الفيلم الذي يرغب بمشاهدته وهو في المنزل، وأمام شاشة الحاسب الشخصي الخاص به، وذلك في أعقاب تدخل التكنولوجيا في توزيع الأفلام على دور السينما، من خلال شبكة الإنترنت، بدون الحاجة إلى نقل الشرائط السينمائية من مكان إلى آخر، وتعريضها للتلف.

والقصة تبدأ بتوفير (أندية الفيديو على الإنترنت) .. كذلك أنشأت بعض شركات تكنولوجيا المعلومات ما يعرف باسم (أندية الفيديو الافتراضية) على شبكة الإنترنت، وهو ما يتيح للمستخدم اختيار ما يرغب في مشاهدته وقتما يريد، بل أيضًا يستطيع التحكم في الفيلم المعروض كيفما يشاء، من تشغيل الفيلم وإرجاعه للبداية، وإيقاف التشغيل، وغير ذلك .. وكل ما يحتاج إليه المستخدم - للاستفادة من تلك الخدمة - هو تزويد جهاز الكمبيوتر الخاص به بالبرامج والتقنية اللازمة، التي تسمح له باستقبال هذه النوعية من البث الإعلامي، وهي ما يعرف باسم (Media Player software).

وبهذا تختصر الشبكة رحلة الذهاب لنادي الفيديو والعودة منه، وتأتي بالنادي كله إلى داخل المنزل؛ ومن ثم يمكن للعميل التجول بحرية داخل قائمة طويلة، تشمل كل الأفلام

المتوافرة في نادي الفيديو؛ ليختار الفيلم الذي يرغب في مشاهدته، ويبدأ في تحميله على الكمبيوتر الشخصي الخاص به.

وقد دخلت التفاعلية قاعات السينما عام 1992، حيث قامت الشركة النيويوركية (إنترفيلم تكنولوجي Interfilm Technology)، بتقديم اقتراح نظام تفاعلي، يتيح للمشاهدين تحديد مجريات الفيلم، باستخدام نظام التصويت (من الممكن الاختيار من بين عدة سيناريوهات مختلفة)، وتتم عملية الاختيار كل 80 ثانية - الفيلم 20 دقيقة - وذلك بالاعتماد على جهاز تحكم موضوع تحت كرسي المشاهد.

وبالرغم من أن هذا النظام قد أثبت فاعليته من وجهة النظر التكنولوجية على الأقل، إلا أن مفهوم التفاعلية في السينما لم يتمكن من جذب الكثير من المشاهدين؛ فهذه التكنولوجيا تحتاج إلى دعم قوي من جانب العاملين في صناعة السينما .. فلابد لهم من كتابة وتصوير أكثر من نسخة من الفيلم نفسه؛ بحيث تتغير نهايته ومشاهده ومدته حسب رغبة المشاهد، بدون الإخلال بالقصة الأساسية للفيلم.

الإنترنت ودور العرض السينمائية:

هل تهدد الإنترنت دور العرض السينمائية؟ وهل سيأتي اليوم الذي يفضل فيه الفرد الجلوس أمام جهاز شخصي معد لاستقبال شبكة الإنترنت، بدلًا من الخروج لمشاهدة الأفلام السينمائية في أماكنها الطبيعية؟

أسئلة أصبحت تتردد كثيرًا، وتثير الخوف في قلوب شركات الإنتاج والتوزيع العالمية والمحلية؛ فشبكة الإنترنت والشبكات الإلكترونية المختلفة، أصبحت عنصرًا أساسيًّا في العديد من المجالات، سواء العلمية أو التجارية .. كما أصبحت تمثل - في بعض الأحيان - وسيلة جذابة لقضاء أوقات الفراغ؛ مما جعلها وسيلة إعلامية هائلة.

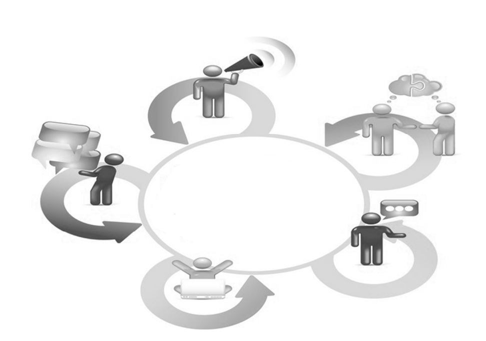
فقد تمكنت شبكة الإنترنت من تخطي العقبات التي تواجه شركات التوزيع العالمية عند الترويج لأي فيلم .. حيث نجد العديد من المواقع على الشبكة تبث أحدث الأفلام كاملة، دون الحاجة إلى المرور على أجهزة الرقابة المحلية لأي دولة، والتي تحتجر الأفلام لفترات طويلة قبل البت في أمرها، أو السماح بعرضها .. ومن هنا أصبح من السهل والمتاح لكل

مستخدمي شبكة الإنترنت حول العالم، مشاهدة الأفلام، ربما قبل أن تنزل إلى الأسواق المحلية في بلاده مجانًا، أو بتكلفة مادية زهيدة في أحيان أخرى.

وأخيرًا، فإنه على الرغم من توغل الإنترنت إلى عالم السينما، وما نتج عنه من ظهور السينما التفاعلية والتكنولوجيا الرقمية، إلا أن هناك آراء، توضح أن عدد الرافضين لعرض الأفلام عن طريق شبكة الإنترنت الدولية، ما زال في تزايد مستمر، سواء لأسباب أخلاقية أو أسباب اقتصادية، أو ربما فنية، لدرجة أن المدير الفني لأكاديمية الفنون وعلوم السينما الأمريكية، قد أعلن رسميًّا، حظر مشاركة أي فيلم يعرض أولا على شبكة الإنترنت، من دخول مسابقة جوائز الأوسكار؛ وذلك تأكيدًا من الأكاديمية على أن أولوية العرض والتوزيع محفوظة لدور العرض السينمائي.



وننتقل بعد ذلك لاستعراض تطور الإذاعة الرقمية التفاعلية، وهو موضوع الفصل التالي:



الفصل الثاني عشر
الإذاعة الرقمية التفاعلية والفضائية
النشأة والتطور والميزات والسلبيات



تحدثنا في الفصل السادس بالباب الثالث من هذا الكتاب عن نشأة وتطور الإذاعة (الراديو) التقليدية، ونتحدث في هذا الفصل عن نشأة وتطور الإذاعة الرقمية التفاعلية والفضائية [1]، وذلك على النحو التالي:

مر التطور التكنولوجي للإذاعة المسموعة بعدة مراحل.. حيث كانت أجهزة الاستقبال الأولي ضخمة الحجم، والاستماع يتم عبر سماعات الرأس (Head Phones) .. ولم تكن هناك أجهزة لمزج الصوت (Mixing panels)، ولا أسطوانات أو أشرطة تسجيل صوتي، وكان يتم التسجيل عبر أسطوانات الجراموفون، بوضع الميكروفون قريبًا من الأسطوانة، وكانت أنماط الأداء الإذاعي تتم على الهواء مباشرة، وكان يتم استخدام الموجات الطويلة (Long waves) في البداية .. وعاب استخدام هذا النوع من الترددات، عدم القدرة على نقل الرسالة الإذاعية إلى مسافات بعيدة.

وتمثلت المرحلة الثانية في تطور تكنولوجيا الإذاعة في استخدام الموجات المتوسطة (Medium Waves)، التي تغطي مساحات جغرافية أوسع، ويتم الإرسال باستخدام نمط التشكيل الاتساعي ("Amplitude Modulation "AM)، وفي مراحل أكثر تقدمًا تم نمط التشكيل الترددي ("Frequency Modulation "FM)، وهو إرسال أكثر نقاء، ويطلق على

---

(1) الاعتماد الأساس في هذا الصدد على كتب: حسن عماد مكاوي وعادل عبد الغفار: الإذاعة في القرن الحادي والعشرون (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008)؛ وكذلك حسنين شفيق: تكنولوجيا الوسائط المتعددة في مجال الإعلام والإنترنت (القاهرة، بدون، عام 2010)؛ وكذلك هبة شاهين: التليفزيون الفضائي العربي (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008)؛ وبعض المراجع الثانوية الأخرى، ومواقع على الإنترنت.

الموجات القصيرة جدًّا (ميكروويف)، والتي تذيع عليها محطات إذاعية معينة .. واكتشف بعض الهواة قدرات الموجات القصيرة Short Waves في نقل الإشارات الصوتية إلى مسافات بعيدة، تتخطى الحدود الجغرافية للدول، وخلال الخمسينيات من القرن العشرين تم اكتشاف واستخدام أجهزة الاستقبال الإذاعي (الترانزستور) الرخيصة الثمن وسهلة الحمل والنقل.

وخلال الستينيات من القرن العشرين، تم التوصل إلى البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، وأتاح ذلك وصول الرسالة الإذاعية إلى مسافات جغرافية شاسعة، وأتاح النقل المباشر للأحداث المهمة، وملاحقة المستمعين لها لحظة بلحظة.

وخلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين، ظهرت تكنولوجيا جديدة، تعتمد على نقل الصوت وكافة أشكال البيانات بالأسلوب الرقمي (Digital)، كبديل لنمط البث السائد طوال القرن العشرين بالأسلوب التماثلي (Analogue) .. وقد أتاح النظام الرقمي جودة ونقاء الرسالة الاتصالية، وخلوها التام من عوامل التشويش والتداخل بين القنوات .. ويعد ذلك انتهاء حقبة زمنية، شهدت بث موجات نمط التشكيل الاتساعي(Am) منذ عام 1920، ثم بث موجات نمط التشكيل الترددي (FM) منذ عام 1940، والتي سبق الإشارة إليهما، وذلك بمثابة الثورة التي حولت جودة إذاعات الموجات المتوسطة (AM) وكأنك تسمع موجات (FM)، وتحول موجات (FM) بدورها إلى نقاء وصفاء الأقراص المبرمجة (CD)، وإضافة إلى نقاء الصوت المسموع، فإنه يتيح زيادة عدد القنوات الإذاعية التي تبث بمعدل خمسة أضعاف السابق.

التطورات التكنولوجية للإذاعة المسموعة:

ونتعرض فيما يلي - حسب خطة هذا الفصل - للتطورات التكنولوجية التي شهدتها الإذاعة المسموعة كوسيلة اتصال جماهيرية؛ من حيث بث القنوات الإذاعية عبر الفضائيات التليفزيونية، وظهور الراديو الرقمي الأرضي .. والراديو الرقمي الفضائي .. وراديو الإنترنت .. والتطور في أجهزة الاستقبال الإذاعي الحديثة .. والتطورات التي شهدتها بعض القوالب الإذاعية؛ لتحقيق التفاعل بين الإذاعة ومستمعيها.

أولاً: القنوات الإذاعية عبر الفضائيات التليفزيونية:

لقد استفادت العديد من الدول - في مختلف أنحاء العالم - من القنوات الصوتية الموجودة في قنوات البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، في بث خدمات إذاعية، يمكن الاستماع إليها عبر جهاز الاستقبال التليفزيوني، وساعد ذلك - إلى حد كبير - على تحسين موقف الراديو في ظل التطورات التكنولوجية الهائلة التي شهدتها وسائل الاتصال بوجه عام والتليفزيون على وجه الخصوص .. غير أن هذا التطور ظل محكومًا بجهاز الاستقبال التليفزيوني، أو بعبارة أخرى، هو إرسال صوتي عبر قنوات مخصصة أصلا لاستخدامات تليفزيونية، وغالبًا ما يستخدمها بعض المهتمين بالاستماع الإذاعي من المغتربين عن أوطانهم.

ومن متابعة ما تبثه الأقمار الصناية العربية والأجنبية، يلاحظ تعدد الدول التي استفادت من هذه الظاهرة .. فعلى مستوى القمر الصناعي المصري (نايل سات – Nile sat)، توجد عدة إذاعات تبث إرسالها عبر هذه التقنية، مثل الخدمات الإذاعية المصرية العديدة، إضافة إلى الراديو اللبناني، وشبكة (إم بي سي MBC)، كما تبث عدة إذاعات عربية إرسالها عبر القمر الصناعي العربي (عرب سات Arab Sat)، مثل اليمن، وسوريا والسعوية والكويت والجزائر وسلطنة عمان، والأردن والقنوات الإذاعية لشبكة (MBC) وأبو ظبي والشارقة بالإمارات العربية، والمستقبل اللبنانية والجزيرة القطرية .. كذلك تبث عدة محطات إذاعية عربية إرسالها عبر القمر الأوربي (هوت بيرد Hot Bird)، مثل قطر، والسعودية، والكويت، والأردن والسودان، وقناتي الشارقة ودبي بالإمارات العربية، وعدد من القنوات الإذاعية اللبنانية، وتبث أيضًا عدة محطات إذاعية أجنبية إرسالها عبر الفضائيات التليفزيونية، مثل: صوت أمريكا الموجه بالعربية، وهيئة الإذاعة البريطانية الموجهة للمستمعين العرب.

وقد ساعدت هذه التطورات التكنولوجية على توصيل خدمات إذاعية واضحة وغير مشوشة لمواطني الدولة المقيمين في الخارج، فضلا عن وصول الخدمات نفسها بوضوح لسكان الدولة نفسها، لمن يصعب عليها استقبال هذه الخدمات عبر البث الإذاعي الأرضي.. وبالتالي فإن هذا التطور يمثل ملمحًا مهمًّا من ملامح الاستفادة من تكنولوجيا الأقمار الصناعية في مجال البث الإذاعي عبر الفضائيات التليفزيونية.

ثانيًا: الراديو الرقمي Digital Radio:

منذ أكثر من قرن من الزمان، اعتمدت عملية نقل الصوت إلى مسافات بعيدة على تحويل الإشارة الصوتية إلى إشارة كهربية مناظرة لشدة الصوت (Varying Analog Voltage) .. فكلما ارتفع الصوت أو انخفض، اتسعت الإشارة الكهربية وانكمشت لكي تماثل الصوت الأصلي .. ومن عيوب استخدام الإشارة الكهربية المتماثلة (Analog Electrical Signal) عند عرض المعلومات، هو حدوث التشويش في كل نظم الإرسال؛ حيث يحدث بعض التداخل أثناء استلام الإشارة، وبالتالي تصبح المعلومات المنقولة غير تامة أو غير كاملة .. ويلاحظ ذلك بوضوح في حالة استقبال إشارات الراديو التقليدية، وأيضًا إذا تمت تقوية الإشارة الكهربية، من خلال استخدام محطات التقوية (Relay Stations) في نظم الاتصال ذات المسافات الطويلة؛ فالتشويش الذي يحدث في كل محطة تقوية على طول مسافات الاتصال، يزيد من سوء حالة الإشارة كلما زادت المسافة .. وفي بعض الحالات، فإن الإشارة الواصلة عبر هذا الطريق لا يتم إدراكها بشكل مماثل للإشارة الأصلية.

وقد ظهرت تكنولوجيا جديدة خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين، تعتمد على نقل مواد الاتصال باستخدام الأسلوب الرقمي (Digital Transmission)، ويستمد هذا الأسلوب أصوله من استخدام الإشارات التليفزيونية بطريقة (التشغيلOn/OFF)، حيث يتم وضع المعلومات في شكل صوت أو نغمة، يتم ترجمتها بعد ذلك إلى رموز تحاكي المعلومات الأصلية.

وفي أواخر التسعينيات من القرن العشرين، قامت شركة (آي بيكيوتي ديجتال – I Biquity Digital) بتطوير طريقتها للراديو الرقمي، وهو نظام هجين، يقوم بإرسال الإشارات الرقمية والتناظرية في حزمة واحدة، وأطلقت الشركة رقم (HD) على طريقتها هذه في البث .. وظلت تقنية الراديو الرقمي قيد التطوير لفترة تزيد على عقدين من الزمن .. وقد أقرت لجنة الاتصالات الاتحادية (FCC) الأمريكية استخدامها في عام 2002، كتحسين إضافي لنطاق الموجات (AM) و(FM)، ومنذ ذلك الحين بدأ عدد من المحطات الإذاعية تبني نظام الراديو الرقمي، ولكن ببطء؛ نظرًا للتكلفة العالية لإعادة تأهيل المحطات لبث الإشارات الرقمية؛ إذ إنه يتطلب استثمارات كبيرة في البنية التحتية الأساسية للنظام .. كذلك قد يستغرق وقتًا طويلا لجني الأرباح .. وفي العام 2003 أخذت هذه المحطات في الانتشار.

وبعد أن زاد استخدام الحاسبات الإلكترونية، تطورت التكنولوجيا الرقمية، لتستفيد من مزايا الإشارات الرقمية في مختلف أنوع الاتصالات من رموز وأرقام وصور ورسوم وأصوات.

وعند مقارنة نظام الاتصال الرقمي (Digital) بنظام الاتصال التماثلي (Analog)، فإن النظام الأول يتيح استخدامه العديد من المزايا، منها أنه في حالة الاتصال التماثلي يعمل نظام الإرسال بشكل مستقل عن نظام الاستقبال؛ مما يسبب قدرًا عاليًا من التشويش Noise؛ حيث تؤثر ظروف البيئة وأحوال الطقس على الإشارة التماثلية عند إرسالها، في حين أن الاتصال الرقمي يتخذ شكل (الشبكة الرقمية Digital Network) من بداية الإرسال إلى منفذ الاستقبال، وتكون مراحل الإرسال، والقناة، والاستقبال عملية واحدة متكاملة .. ولا تسمح هذه الشبكة الرقمية بأي قدر من التشويش أو التداخل في كل مرحلة من مراحلها.

كما تتسم الشبكة الرقمية بقدر عال من الذكاء (Intelligence)؛ حيث تراقب النظام الرقمي، وتغير أوضاع القناة، وتصحح مسارها، بينما لا يمكن تحقيق ذلك في حالة الاتصال التماثلي، ويتضح ذكاء الشبكة الرقمية من خلال عاملين، هما: تحقيق التوافق الصوتي أو التناغم بين الأصوات Equalization .. والتحكم في الصدى Echo Control، الذي يحدث عادة عند استخدام الاتصال التماثلي.

كذلك يتسم نظام الاتصال الرقمي بالنشاط والقوة Robust، التي تجعل الاتصال مؤسسًا كوحدة متكاملة عالية الجودة، وخاصة في البيئات التي يكون فيها أسلوب الإشارة التماثلية غير فعال .. وكلما اتسعت المسافة تفوق الاتصال الرقمي على الاتصال التماثلي. وتكمن قوة الاتصال الرقمي وفعاليته من خلال مقاومة التشويش والتداخل في الحديث، وتصحيح الأخطاء إلكترونيًّا، والحفاظ على قوة الإشارة على طول مسافة الاتصال.

أيضًا يتسم الاتصال الرقمي بالشمول (Generic)؛ حيث يسمح بنقل البيانات في شكل نصوص وصوت وصورة، ورسوم بقدر عال من الدقة، كما تنقل الشبكة الرقمية العديد من المحادثات الهاتفية، أو الأصوات المركبة (Multiplexed) في الوقت ذاته، مع توفير قدر كبير من أمان الاتصال (Security)؛ حيث سبق استخدام نظم الاتصال الرقمي للأغراض العسكرية، ونقل البيانات السرية للحكومات قبل أن يصبح هذا النوع من الاتصالات متاحًا

على المستوى التجاري .. كذلك يستخدم الاتصال الرقمي في شبكات البنوك والنقل الإلكتروني للبيانات، ونقل المعلومات الحساسة التي تتسم بدرجة عالية من السرية.

ويعتمد الراديو الرقمي على سلسلة من أجهزة الإرسال الرقمية، يعمل بعضها على المستوى الوطني، والبعض الآخر على المستوى المحلي، وفي ضوء المزايا العديدة التي يتمتع بها نظام البث الرقمي، تزايد عدد المحطات الإذاعية التي تعتمد على هذه التقنية بشكل مستمر، كما يتيح هذا النظام إمكانية بث الإذاعات المشفرة على غرار التليفزيون المشفر، وتحتاج تقنية البث الرقمي إلى أجهزة استقبال إذاعية خاصة، تستطيع استقبال إشارتها.

ويتيح استخدام نظام البث الرقمي في الإذاعة العديد من المزايا، منها: تحسين ظروف استقبال المواد والخدمات الإذاعية شديدة الجودة في المنازل والسيارات وأماكن التجمعات والمناطق النائية .. وإتاحة خدمات إذاعية كثيرة، من خلال قدرة القنوات القمرية على حمل عدد كبير من القنوات الإذاعية، التي تتيح للجمهور اختيار ما يناسبه من بدائل .. وكذلك الوصول إلى مناطق جغرافية شاسعة ونائية؛ حيث يتم التغلب على العوائق الطبوغرافية.

وقد أدت التكنولوجيا الرقمية المستخدمة في وسائل الاتصال – إضافة إلى مفردات تكنولوجيا الاتصالات الأخرى، وتطبيقاتها المختلفة – إلى تحقيق (التفاعلية Interactivity) مع الجمهور، وإتاحة الاتصال في اتجاهين (Two-way-Comumication)؛ مما أتاح سرعة الحصول على ردود أفعال الجماهير تجاه كافة البرامج والخدمات، والقدرة على استطلاع الآراء الفورية بشأن القضايا المحلية الوطنية والدولية .. وسنتناول تحقيق التفاعلية مع الجمهور فيما بعد بشيء من التفصيل، تحت عنوان (التفاعلية بين الإذاعة ومستمعيها)؛ لأهمية ذلك الأمر حسب خطة البحث.

وبالرغم من المزايا المتعددة الناتجة عن استخدام تكنولوجيا البث الرقمي في الإرسال الإذاعي، والتي سبق عرض بعضها، إلا أن هناك عدة تحديات ما زالت تقلل من الانتشار السريع لهذه التقنية، رغم أهميتها في تحقيق مزايا عديدة للمستمعين .. ولعل أهم هذه التحديات يرتبط بارتفاع تكلفة أجهزة الإرسال الإذاعي التي تعمل بالنظام الرقمي، أو ما يقصد به البنية التحتية للإذاعة الرقمية، إضافة إلى ارتفاع كلفة أجهزة الاستقبال الإذاعي اللازمة لاستقبال تقنية البث الرقمي على الأقل في الوقت الحاضر، ولاسيما في الدول النامية،

وربما تشهد السنوات القادمة حلولًا لهذه المشكلات؛ بهدف الاستفادة القصوى من تكنولوجيا البث الرقمي في الاتصال الإذاعي المسموع.

ثالثًا: الراديو الرقمي الفضائي Satellite Digital Radio:

وهو تطور للراديو بعد دخول تكنولوجيا الديجتال .. وتقوم فكرته على استخدام نظام أقمار صناعية خاصة لبث الإذاعة الصوتية بطريقة تختلف عن المتبع في استخدام القنوات الإذاعية المصاحبة للقنوات التليفزيونية، والتي تقدم خدماتها عبر أجهزة التليفزيون، وقد سبق عرضها منذ قليل .. وتعتمد على تكنولوجيا بث رقمية، تضمن لها الجودة والنقاء، ويتم استقبالها من خلال أجهزة راديو فضائية Satellite Radio Receiver، ومتنقلة Mobile، وتستمد الطاقة التشغيلية لها من الشمس Solar Energy، أو من غيرها.

كما يختلف الراديو الرقمي الفضائي عن الراديو الرقمي الأرضي، بأن الأول مزود بهوائي فائق الحساسية، يستطيع استقبال الموجات مباشرة من الأقمار الصناعية، وليس من أبراج أرضية، علاوة على أنه ليس مجانًا، بل يتطلب اشتراكًا شهريًّا، مقابل أن المشترك لا يستمع إلى الإعلانات التجارية، وعلى سبيل المثال، تقدم كل من شركة (Sirius) وشركة (XM) نحو مائة قناة، مقابل حوالي عشرة دولارات شهريًّا .. ونظرًا لأن البث يأتي من الأقمار الصناعية، فإن المسافر - على سبيل المثال من نيويورك إلى فرانسيسكو - يستمتع بمحطات إذاعية عالية الجودة، وخالية من الإعلانات التجارية طوال رحلته.

وقد ظهرت هذه المنظومة الجديدة للراديو الرقمي الفضائي، من خلال شركة (وورلد سبيس، World space) الأمريكية، التي أسسها (الدكتور نوح عزمي سمارة) عام 1995؛ بهدف إنشاء شبكة عربية فضائية تغطي أفريقيا والشرق الأوسط، وآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى، باستخدام البث الرقمي .. وهذه الشركة هي الوحيدة في هذا المجال وفق هذا المفهوم المعاصر، الذي يوفر استقبال الإرسال بجودة في الصوت، تماثل جودة الصوت في الأسطوانات المدمجة (CD)، وبعيدًا عن التشويش الذي يعاني منه النظام القديم، ودون اللجوء إلى محطات تقوية باهظة التكاليف.

ويتكون القطاع الفضائي في نظام (World space) من ثلاثة أقمار تمتاز بقوة قنواتها القمرية، والتي استطاعت الشركة بواسطتها أن تجعل من فكرة الراديو القمري الفضائي

حقيقة واقعة .. وهذه الأقمار هي: القمر الأول: (أفريستار Afristar) الذي أطلق في عام 1998 .. والقمر الثاني: (كاريبستار Carip Star)، الذي أطلق في بداية عام 1999 .. والقمر الثالث: (آسيا ستار Asia star)، والذي أطلق في الربع الثالث من عام 1999م.

ويتميز الراديو الفضائي بأنه مؤمن ضد التداخل والتشويش، كما أن عملية اختيار المحطة التي يراد الاستماع إليها، لا يتم بتحريك المؤشر كما هو الحال في الأجهزة التقليدية، وإنما بتحديد رقم المحطة المعنية، وبواسطته يتم التغلب على مشكلة عدم وجود الكهرباء، باستخدام أجهزة استقبال إذاعية تعمل بالطاقة الشمسية أو بالبطارية .. وبالرغم من كل تلك المميزات وغيرها، فإن هذا الراديو الرقمي الفضائي ما زال حتى الآن ينتشر ببطء، وعلى نطاق ضيق؛ لأن الإنترنت قد أتت في الوقت الحاضر بما هو أفضل منه إلى حد ما.

رابعًا: راديو الإنترنت (Internet Radio):

قلنا منذ قليل إن الإنترنت أتت للإذاعة الصوتية المسموعة بما هو أفضل من الراديو الرقمي الفضائي .. وفي البداية نقول في إطار حديثنا عن (راديو الإنترنت) ونوضح، أنه يوجد خلط لدى البعض بين راديو الإنترنت وبين وضع المواد الإعلامية والعروض الصوتية في صفحات مواقع الإنترنت للإعلام عن شيء ما .. وبدخول الإنترنت في مجال الإذاعة الصوتية، أصبح هناك آلاف من المحطات الإذاعية التي تبث برامجها الإذاعية بواسطة الإنترنت على مدار الساعة ليلا ونهارًا دون توقف، ويستقبلها كل مستمع بيسر وسهولة على جهاز الكمبيوتر الخاص به.

ومما يساعد على زيادة أعداد تلك المحطات وانتشارها على نطاق واسع، هو أن معظم الإصدارات الحديثة من برامج (التصفح Browsers) تحتوي على قدرات ذاتية للاستماع للراديو .. كما أن أجهزة الكمبيوتر أصبحت تحتوي على (بطاقة راديو Radio Card) داخلية، وإن كانت هذه البطاقة حسب الطلب، إلا أنها متوفرة .. وبالرغم من أن هذه البرامج والأجهزة مصممة لالتقاط البث التناظري التقليدي، إلا أنه أمكن تعديلها لالتقاط البث الرقمي أيضًا.

ومن مميزات راديو الإنترنت عدم تأثر البث بالأحوال الجوية مثلما يحدث في البث التقليدي، وهذا يؤثر على نوعية الصوت في راديو الإنترنت؛ حيث يتمتع راديو الإنترنت بنوعية صوت ممتازة، وفي حالة عدم استخدام الإنترنت أثناء الاستماع إلى الراديو، فإنه ينجم عن ذلك بعض الأثر السلبي في الصوت، كأن يسمع تقطيعات ووقفات في الإرسال.

وهناك محطات إذاعية عديدة تبث برامجها فقط عبر الإنترنت دون توقف، وفيها محطات متخصصة في الأخبار أو الرياضة أو الاقتصاد أو برامج المرأة وغيرها .. كما أن معظم المحطات الإذاعية العريقة المعروفة أصبحت تبث برامجها عبر الإنترنت، جنبًا إلى جنب مع البث التقليدي.

وخير مثال على ذلك هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، التي نفذت خططًا عديدة لإطلاق خدمات إنترنت متعددة الوسائط، وبمجموعة متنامية من اللغات، وهي الرائدة في مجال تقديم الأخبارمباشرة على الشبكة .. وتخدم بالتالي عددًا هائلا من المستمعين والمشاهدين، الذين يتسنى لهم - وفي كل أنحاء العالم - التعامل مباشرة مع مذيعي شبكة (BBC) عبر الشبكة؛ حيث يتمكن المستمع من متابعة برامج الشبكة مباشرة بواسطة الإنترنت والإذاعة على حد سواء، كما يمكنه مشاهدة صورة فيديو حية على الشبكة، وكذلك التفاعل والمشاركة في النقاش، الذي يتمحور كل مرة حول موضوع معين عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني، وبعدما يتوقف بث البرامج على الهواء، يستمر تبادل الآراء على موقع الإذاعة على الإنترنت.

ويقول (كريس ويستكون) رئيس القسم متعدد الوسائط في هيئة الإذاعة البريطانية: "نتمتع اليوم بالقدرة على استعمال وسيط يعتمد على الصوت والنص والصورة، وهذا يغير طبيعة البث الإذاعي بكامله. ويمكننا أن نعطي مستمعينا المواد التي يرغبون الحصول عليها، في المكان الذي يريدونه، وبالشكل والترتيب الذي يرغبونه، وباستطاعتنا أيضًا تطوير علاقة فردية مع كل مستمع على حدة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تقوم محطة (Imagine) في نورثفيل بولاية ميتشجان، بتقديم خدماتها على مواقعها على الإنترنت، ويستطيع عملاء المحطة مثلا اختيار مطربيهم المفضلين فقط، وحجب باقي البرامج التي لا يرغبون في سماعها، وبذلك يتمكن المستمعون من إعداد برامجهم الإذاعية.

وهكذا أتاحت الإنترنت فرصة كبيرة لكل شخص أو شركة، أن ينشيء محطة إذاعية خاصة؛ حيث أصبح الإرسال الإذاعي عبر الإنترنت أمرًا ميسورًا لأي مستخدم للكمبيوتر، ولا يتطلب إنشاء محطة راديو الإنترنت سوى نسخ من برامج الخدمة المجاني الخاص بهذا العمل .. والقدرة على إقامة محطة إذاعية داخل الإنترنت .. وأي مكان داخل المنزل أو المكتب .. ولا تحتاج إلى إذن رسمي، ولا تقوم بالتشويش على المحطات المجاورة .. والمحطة الخاصة بك تصل إلى أي مكان في العالم، دون أن يسألك أحد عن ذلك.

وبالإضافة إلى كل هذا، هناك تكنولوجيا جديدة يجري الخبراء المتخصصون البحوث للوصول إليها، وتتعلق بالوصول إلى طريقة تكنولوجية، تمكن من البحث داخل محتوى برامج الراديو، واسترجاع المواد المطلوبة؛ حيث إن أحد الصعوبات التي يواجهها الراديو تتمثل في عدم سهولة استرجاع (Retrieve) البرامج بعد إذاعتها بأسابيع أو أشهر .. ففي كثير من الحالات لا يكون هناك نسخ للبرامج (Transcripts)، وإذا وجدت تلك النسخ فإنها تكون على شكل مادة مطبوعة، يصعب البحث داخلها .. ومع أن شركات البث تقوم بحفظ نسخ البرامج القديمة، إلا أن تلك النسخ لا تكون مفهرسة، باستثناء اسم البرنامج وتاريخه.

خامسًا: أجهزة الاستقبال الإذاعي الحديثة:

كان من نتاج استخدام تكنولوجيا البث الرقمي في الإرسال الإذاعي، واستخدام الأقمار الصناعية، وظهور الراديو الرقمي الأرضي، والراديو الفضائي الرقمي وراديو الإنترنت – أثره الواضح في تطوير أجهزة الاستقبال الإذاعي من الناحية التكنولوجية، بحيث تتجاوب مع متطلبات التطور في مجال البث الإذاعي.

وتتسم هذه الأجهزة الجديدة بسهولة الاستخدام؛ حيث يستطيع المستمع أن يحدد الرقم الخاص بالمحطة التي يرغب في الاستماع إليها، ويحصل عليها مباشرة .. كما تتسم تلك الأجهزة بصغر الحجم، وسهولة الحمل والتنقل بها، مع تزويدها بإمكانات الوسائط المتعددة، من خلال شاشة ملحقة بجهاز الاستقبال، وتعمل على كل أنواع الطاقة، سواء الكهربية أو الشمسية أو البطارية، بالإضافة إلى إمكانية استقبال نظم الإذاعة التقليدية على الموجات القصيرة والمتوسطة، ولديها إمكانية الضبط الأتوماتيكي على التردد المرغوب.



سادسًا: التفاعل بين الإذاعة ومستمعيها:

أتاحت تكنولوجيا الاتصال الحديثة ربط أجهزة العالم ببعضها بعضًا عبر العديد من وسائط الاتصال، ولعل أبرزها (شبكة الإنترنت)، وقد استفادت الإذاعة من تكنولوجيا الاتصال، وتمثلت إحدى الثمار الإيجابية لهذه التكنولوجيا في تنمية التفاعل والتواصل بين وسائل الاتصال الجماهيري وقطاعات الجمهور المستدف (Interactivity) .. ويعد عنصر تفاعل الجمهور مع القنوات الإذاعية أحد معالم الدور الفاعل للإذاعة المسموعة في المجتمع المعاصر، إضافة إلى دور المستمعين في تنشيط العمل الإذاعي وتطويره.

ويتيح التفاعل بين الإذاعة ومستمعيها حرية التعبير، والمشاركة في تحديد أولويات الاهتمام بالقضايا التي تطرحها الإذاعة للمناقشة والحوار، وعرض مشكلات الحياة اليومية للمستمعين، وطرحها أمام المسئولين لإيجاد الحلول الممكنة لها .. ويعتبر الاتصال الهاتفي أحد الوسائط المهمة لتحقيق التفاعل بين الإذاعة وجماهيرها؛ لتنمية مشاركتهم في البرامج الإذاعية، والاستجابة لاحتياجاتهم .. وقد تعددت البرامج الإذاعية التي تعتمد على الهاتف كوسيلة لتحقيق التفاعل مع الجماهير، ومنها برامج المناقشات المفتوحة، التي تهتم بالشئون الجارية والقضايا العامة، والبرامج التي تستهدف تقديم الاستشارات بأنواعها المختلفة.

ويمثل الفاكس أيضًا أحد الوسائط المهمة، التي يمكن من خلالها تحقيق التفاعل بين الإذاعة وجماهيرها؛ حيث يطرح الجمهور من خلاله بعض التساؤلات والآراء والاستجوابات الجماهيرية للمسئولين .. كذلك دعمت شبكة الإنترنت عنصر التفاعل بن الإذاعة وجماهيرها؛ فمن خلال البريد الإلكتروني (E-Mail) يستطيع أفراد الجمهور مخاطبة الإذاعة، وكتابة انطباعاتهم وآرائهم حيال البرامج المقدمة والقضايا المطروحة .. وتحرص العديد من القنوات الإذاعية على تخصيص مواقع لها على شبكة الإنترنت؛ لتقديم أهم المعلومات حول نشأتها وتطورها، والعاملين فيها، وأهم البرامج، لزوار الموقع ومستخدميه.. كما تقدم بعض الإذاعات بثها الكامل على شبكة الإنترنت؛ للتخلص من أية صعوبات فنية يمكن أن تواجه مستمعيها عند تحقيق التفاعل معهم، وأصبحت شبكة الإنترنت مصدرًا مهمًّا للحصول على الأخبار من المواقع الإخبارية على الشبكة، وهو ما يساعد الإذاعة على تقديم الجديد لمستمعيها.

ومازالت الخطابات البريدية العادية أحد مصادر التفاعل الجماهيري مع الإذاعات المسموعة، بالرغم من أن أهمية هذه الخطابات بدأت تقل مع تزايد استخدام الأفراد للبريد الإلكتروني .. فالبريد العادي لا يزال وسيلة مهمة لأولئك الأفراد الذين لا يملكون حاسبات إلكترونية، أو لا يجيدون التعامل مع شبكة الإنترنت .. كما أن الخطابات البريدية العادية لا تزال الوسيلة التي تعتمد عليها الإذاعة في استقبال نتائج برامج المسابقات والألغاز، وغيرها .. وبالرغم من اتجاه بعض برامج المسابقات إلى طلب مشاركة الجمهور على الهواء مباشرة، إلا أن العديد من البرامج لا يزال يعتمد على الخطابات البريدية في تلقي مساهمات الجمهور في المسابقات .. كما أن الخطابات البريدية لا تزال تمثل الأسلوب المفضل لبعض الأفراد الذين يتحرجون من تقديم آرائهم على الهواء مباشرة.

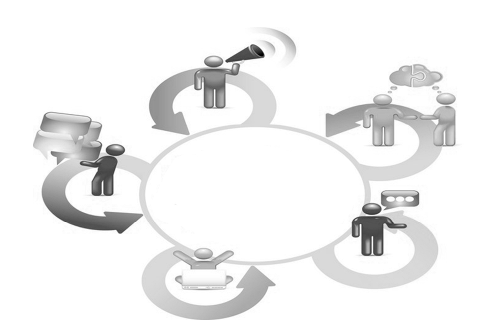
كما أن البرامج الإذاعية التي تعتمد فكرتها على المشاركة الجماهيرية بالحضور إلى الأستوديو، أو التسجيل في المواقع الجماهيرية، تعتبر أحد الركائز الأساسية لتحقيق تفاعل الإذاعة مع جماهيرها؛ وذلك لأن الأعداد الكبيرة التي تحضر تسجيل البرنامج، وتراقب جهود الإعداد والإخراج والتقديم، يزداد ارتباطها بالإذاعة، وتنمي لدى الآخرين الرغبة في المشاركة والتفاعل مع الإذاعة.

وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول إن تفاعل الجمهور مع البرامج الإذاعية يعد أحد السمات الأساسية المعاصرة التي يتميز بها العمل الإذاعي، وهي سمة مهمة ينبغي الحرص على استمرارها وتنميتها؛ لتحقيق التفاعل الحميم بين الإذاعة ومستمعيها، وتحفظ للإذاعة مكانتها واستمراريتها، في ظل التنافس الحاد مع وسائل الاتصال الأخرى .. فالإذاعة السمعية تمثل إحدى وسائل الاتصال الفريدة، التي تكتسب أهمية متزايدة؛ نظرًا لسرعة تكيفها مع أوضاع الاتصال الجديدة، وما تتمتع به من خصائص فريدة، تضمن لها القدرة على التعايش، بل التفوق على العديد من وسائل الاتصال الأخرى؛ إذ إنها الوسيلة الأرخص كلفة، والأيسر استخدامًا، والأقدر على تخطي حواجز الزمان والمكان والأمية، كما أنها الوسيلة الأكثر استفادة من إنتاج تكنولوجيا الاتصال الحديثة، بما أتاحته من خصائص التفاعلية والمرونة والحركة، والجمع بين العالمية والمحلية .. ومما يدعم ذلك ويضيف إليه أن الراديو التقليدي هو الآخر ما زال يتمتع بشعبية ومزايا فائقة القوة؛ من حيث توفر عنصر التعود الإذاعي، وشعور أغلبية الناس بأن الراديو التقليدي مازال يفي بالغرض، مع سهولة

الاستعمال والنقل؛ مما يعطيه قوة أمام أي منافسة أخرى .. فلقد تمكن الراديو - منذ ظهوره في العشرينيات من القرن العشرين - من الصمود أمام كافة التطورات التكنولوجية الحاصلة لدى وسائل الإعلام الأخرى، وظل وسيلة إعلام جماهيرية ذات انتشار واسع لا يضاهى، والتطورات الرقمية الحاصلة في كل وسائل الإعلام لا يتوقع منها أن تكون قادرة على تغيير العلاقة التاريخية الحميمة بين الراديو والمستمع .. كما أن الراديو الرقمي سوف يؤدي إلى تقوية تلك العلاقة، وليس العكس كما يدعي البعض؛ لأن التكنولوجيا الرقمية تعتبر تحديثًا كبيرًا للراديو التقليدي، الذي هو الأصل، وليست خطرًا يهدد مستقبله وشعبيته القومة، واستقراره، وثباته على مر الزمن.

وننتقل بعد ذلك إلى استعراض تطور التليفزيون الفضائي والرقمي التفاعلي، وهذا هو موضوع الفصل التالي.





الفصل الثالث عشر
التليفزيون الفضائي والرقمي التفاعلي
النشأة والتطور والميزات والسلبيات

سبق أن استعرضنا في الفصل السابع بالباب الثالث من هذا الكتاب نشأة وتطور التليفزيون التناظري التقليدي، ويتناول هذا الفصل الذي بين أيدينا الآن نشأة وتطور التليفزيون الفضائي والرقمي التفاعلي[1] .. وذلك على النحو التالي:

شهد العالم تحولات سريعة بفعل ثورة الاتصالات، والتقنيات العالمية والوسائط المتعددة والشبكات الإلكترونية، وبذلك أصبحنا إزاء ظاهرة كونية جديدة على مسرح التاريخ العالمي .. وفي مجال البث الفضائي حولت وسائل الاتصال - خاصة التليفزيون - عالمنا إلى شاشة صغيرة، يمكن التحول في أرجائها عبر جهاز التحكم، ولا يوجد رقعة على الأرض لا تمسها بالبث الفضائي قنوات الأقمار الصناعية التليفزيونية.

وتتمثل العوامل المساعدة لعصر الاتصال الجديد، في الحاسبات الإلكترونية والأقمار الصناعية الرقمية، التي تلتقي لتتيح شبكة اتصالات دولية، تغطي الدول، مثلما يغطيها الغلاف الجوي بالكامل .. كما أفرزت هذه التكنولوجيا مستوى آخر من مستويات الاتصال،

(1) مراجع هذا الفصل الأساسية: حسنين شفيق: تكنولوجيا الوسائط المتعددة في مجال الإعلام والإنترنت (القاهرة، عام 2010)، ص 208 – 216؛ وكذلك هبة شاهين: التليفزيون الفضائي العربي (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008)، ص17 – 33؛ وكذلك حسن نيازي الصيفي: الفضائيات العربية في عصر العولمة .. الفرص والتحديات والواقع؛ وكذلك عدد من المواقع على الإنترنت والمراجع الثانوية المختلفة.

يتمثل في وسائل الاتصال المقروءة (الكتب والصحف الإلكترونية) - والتي سبق عرضها في هذا الكتاب - والتليفزيون والراديو الرقمي، الذي يتصف بالسرعة الفائقة في البث، والإنترنت، الذي يسمح بالتدفق المتواصل للمعلومات بالبث، وغير ذلك من الوسائل، التي تؤثر بدورها في مجالات البيئة الاتصالية.

كما شهد الاتصال التليفزيوني الفضائي العالمي تطورًا كميًّا وكيفيًّا ملحوظًا، وتزايدًا كبيرًا في عدد القنوات التليفزيونية، بما أتاح أمام المشاهدين في مختلف أنحاء العالم، أكبر فرصة للاختيار، ولتحقيق التعرض الانتقائي للمخرجات التليفزيونية، التي تتفق مع احتياجاته ورغباته الاتصالية المختلفة، وألغت هذه الفضائيات الحواجز الجغرافية، وقربت المسافة بين الثقافات والعادات بين شعوب العالم، وأفرزت هذه التعددية وهذا التنوع، منافسة كبيرة على الجماهير والمعلنين؛ مما انعكس على أجندة اهتمام كل محطة، ومساحة الحرية فيها، واهتمامها بتحقيق (الاتصال التفاعلي Interactive communication) على مشاهديها بين العامة والمسئولين .. وتتسابق الهيئات التليفزيونية الفضائية المختلفة على تحسين خدماتها الإنتاجية والتقنية، وإضافة المزيد من الخدمات في ظل الصراع والمنافسة المحتدمة بين دول العالم؛ للاستحواذ على عقول الجماهير، والتأثير عليها، وإشباع احتياجاتها.

الثورة الرقمية:

ولقد أصبحت القنوات الفضائية جزءًا لا يستهان به في الآلة الاتصالية العالمية .. فقد مكنت الثورة الرقمية والتطور التكنولوجي الذي رافق الأقمار الصناعية، تكريس عصر السماوات المفتوحة، وضخ استثمارات كبيرة في صناعة الاتصال، التي أصبحت تحقق أرباحًا طائلة؛ مما أدى إلى تكاثر القنوات الفضائية، وانخفاض تكلفة البث وتوسيع مجالاته، وتزايد الملكية الخاصة، وتراجع الملكية العامة الحكومية لوسائل الإعلام، وخضوع العمل الإعلامي للمنافسة التجارية .. فبرزت القنوات الفضائية المتخصصة إلى جانب القنوات العامة، وأصبح السعي مركزًا على تلبية حاجات معينة ومحددة في مجالات واهتمامات خاصة. ففي إمكان المشاهد متابعة قناة تحصر اهتمامها في مجال الرياضة مثلا أو الأفلام والمسلسلات وغيرها، وأصبح التليفزيون هو الذي يبحث عن المشاهد، وليس المشاهد هو الذي يبحث عن التليفزيون، كما كان الحال من قبل، وتراوحت طريقة البث بين المفتوح والمشفر؛ ليبرز مفهوم جديد، وهو الدفع مقابل المشاهدة.

أقمار الاتصال الفضائية:

وقد أحدثت الأقمار الصناعية نقلة نوعية في مجال الاتصالات، سوف يستمر تأثيرها لفترة طويلة؛ فهي من أهم أسباب ثورة الاتصالات الحديثة؛ حيث قضت على مشكلات كثيرة كان يعانيها مستخدمو الاتصالات اللاسلكية على وجه الخصوص، كما أن هذه الأقمار الصناعية أضافت أبعادًا جديدة في كافة المجالات وفي جميع الميادين - وعلى المستويين العالمي والمحلي - الاقتصادية، والعسكرية، والسياسية، والفكرية، إضافة إلى تأثيرها الكبير في مجال الإعلام.

ويعتبر القمر الصناعي الأمريكي (تلستار Telstar) أشهر الأقمار الصناعية الأمريكية والدولية على السواء؛ حيث كان أول أقمار الاتصال الفضائية، وقد أطلقته الإدارة الأمريكية للطيران والفضاء (ناسا NASA) في يوليو 1962، لنقل المواد التليفزيونية من الولايات المتحدة الأمريكية عبر المحيط الأطلنطي، ويتم استلامها في الدول الأخرى في الوقت نفسه، وتحقق بذلك حلم نقل برامج التليفزيون بين القارات، بالإضافة إلى خدمات الهاتف والمعلومات .. وقد استشعر الاتحاد السوفيتي حينئذ أهمية السبق الفضائي في مجال الاتصال، فأطلق منظمة أقمار اتصال الكتلة الشرقية (Intersputnick) في عام 1968، ومن حينها أصبح استخدام الأقمار الصناعية عنصرًا رئيسًا ومهمًّا في نقل المعلومات داخل الحدود وخارجها بأقصى سرعة، وبحد أدنى من التشويش؛ لتغطي مساحات شاسعة .. ومع مرور الوقت تم إطلاق الصواريخ الحاملة للأقمار الصناعية، المتخصصة في نقل الرسائل الإعلامية المصورة إلى مداراتها؛ حيث ظهر التليفزيون الفضائي في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، ولحق بهما العديد من الدول الأخرى، مثل فرنسا والصين واليابان، وقد أدى ظهور وتطور تقنيات الإعلام والاتصال الرقمية الجديدة، والتنامي العالمي للعرض الفضائي، إلى إعادة تشكيل موازين القوى الإقليمية، فيما يتعلق بالبث والإنتاج، والتقاط البرامج والأفلام .. ولم يعد المجال الفضائي مجرد سماء صافية، بل مجالا للمنافسة التجارية والسياسية، وكان هذا أيضًا بداية لظهور فضائيات عربية كثيرة، نافست الحضور الإعلامي الأجنبي، وأوجدت فضاء عربيًّا مؤثرًا في اتجاهات الرأي العام العربي.

ومع التقدم التكنولوجي المطرد، تطورت الأقمار الصناعية، وتزايدت قدراتها فتحولت من أقمار صناعية سلبية إلى أقمار صناعية إيجابية، تتولى عملية تكبير الإشارات الواردة من المحطة الأرضية، وإعادة إرسالها إلى محطة أخرى. ومع تزايد قوة الإشارات الصادرة من

الأقمار الصناعية انخفضت قوة المحطات الأرضية اللازمة لاستقبالها، وتعدت البشرية مرحلة الاتصال بين نقطة وأخرى، حيث يتم نقل الإشارة من محطة أرضية مرورًا بالقمر الصناعي إلى محطة أرضية أخرى إلى مرحلة الاتصال الكابلي، حيث يتم استقبال إشارات الأقمار الصناعية في محطات أرضية، تتولى التوزيع على التجمعات السكانية.

مرحلة البث المباشر:

وبفضل تطور تكنولوجيا أقمار الاتصال الصناعية، دخلت البشرية مرحلة البث المباشر التي أتاحت للجمهور إمكانية استقبال الكثير من القنوات التليفزيونية القادمة من الأقمار الصناعية مباشرة من جميع أنحاء العالم؛ بفضل تقنية البث المباشر عبر الأقمار الصناعية (Direct Broadcasting Satellites "DBS")، وهي الخدمة الخاصة بالإذاعة والتليفزيون، وتتميز بوجود أقمار صناعية بالغة القوة، يتم استقبالها بواسطة هوائيات صغيرة، يتم تركيبها فوق أسطح المنازل، ويصل الإرسال من خلالها مباشرة إلى الأفراد في منازلهم، دون المرور على حراس البوابة الإعلامية في المحطات الأرضية .. ويشير هذا المصطلح (DBS)، الذي يستخدم على نطاق واسع للعديد من المعاني؛ فكلمة (Direct) أي مباشر إلى المنازل، وليس إلى محطات الاستقبال الأرضية ولا الأنظمة الكابلية .. وكلمة (TV Broadcast) تشير إلى الانتشار الواسع للقناة التليفزيونية على مستوى المستهلكين، والذي يختلف عن التوزيع التليفزيوني، من خلال الخدمات التليفزيونية الوطنية، التي تستهدف جماهير محددة .. تمر الإشارة التليفزيونية من المحطة الأرضية إلى القمر الصناعي، بعد تقويتها في المحطة الأرضية، وتنقيتها من خلال الوصلة الصاعدة (UP LINK) .. وتتم عملية تجميع الإشارة وتقويتها وتغيير ترددها من خلال القمر الصناعي، ثم تتم عملية إعادة بثها من خلال الوصلة الهابطة (Down Link) .. وتعود الإشارة التليفزيونية إلى هوائيات الاستقبال بعد تقوية الإشارة؛ لتقديم مادة جيدة لجهاز التليفزيون، الذي يعد آخر حلقات السلسلة.

لقد أتاحت عملية البث بالأقمار الصناعية إمكانات هائلة للاتصال؛ حيث قللت التكاليف، ووسعت نطاق التغطية الجغرافية، وساهمت في اجتياز العوائق الطبيعية للإرسال، مثل: المحيطات، والصحاري، والجبال، فضلًا عن التغلب على عوائق التشويش، بالإضافة إلى اتساع نطاق التغطية الجغرافية، وانخفاض التكلفة مع التقدم التكنولوجي.

كما تطور البث الفضائي خطوة أخرى؛ ليدخل العالم عصر التقنية الرقمية، التي تتيح جودة إرسال واستقبال الصورة، مع خاصية التضاغط الرقمي، التي تتيح مضاعفة عدد القنوات الفضائية على القمر الصناعي نحو ثماني مرات، بالإضافة إلى زيادة العمر الافتراضي لهذه الأقمار.

وتوجد عدة أنواع للبث التليفزيوني الفضائي، ومنها ما يلي:

1) **البث المفتوح Open Diffusion**: حيث تصل القنوات إلى منازل المشاهدين من خلال الأطباق، وفقًا لحجم ونوع الاستقبال، دون دفع مقابل مادي لهذه القنوات.

2) **البث المشفر Code Diffusion**: وتكون الإشارة الصادرة من القمر الصناعي أو محطة البث في هذه الحالة مركبة بطريقة معينة (بشفرة خاصة)؛ بحيث لا يمكن استقبالها إلا إذا دفع أجر الاشتراك المحدد.

3) **البث الرقمي Digital Diffusion** : أحدث أنظمة بالأقمار الصناعية .. ويتم استخدام نظام رقمي مع ضغط الإشارة Digital Compressed Signal ، وهو نظام يفتح المجال أمام القناة القمرية نفسها إلى ثماني أقسام، بحيث يصبح القمر الذي يحوي 12 قناة، بإمكانه توفير 84 قناة تليفزيونية؛ مما يؤدي إلى خفض استئجار القناة.

الدفع مقابل المشاهدة:

ليس هناك اتفاق بين باحثي الإعلام ومؤرخي نشأة وسائل الاتصال على تاريخ محدد لبدء التليفزيون المدفوع .. ويرجع السبب إلى اختلاف تعريفهم لمفهوم التليفزيون المدفوع ذاته؛ فالذي يعرفه على أنه مرادف للتليفزيون الكابلي، يرجع تاريخ نشأته إلى نهاية الأربعينيات (1948م) من القرن العشرين، والذي يجعل الأقمار الصناعية محددًا رئيسًا، يرجع تاريخ نشأته إلى منتصف السبعينيات من القرن العشرين .. والذي يقصره على الأشكال المتطورة من أشكال إرسال واستقبال البرامج التليفزيونية، يرجع تاريخ نشأته إلى منتصف التسعينيات.. وهناك من يرى أن ما يحدث الآن (في بداية الألفية الثالثة) ما هو إلا إرهاصات أولى للتليفزيون المدفوع، وهو الشكل المستقبلي للتليفزيون.

وبصفة عامة، فإن التليفزيون المدفوع يوفر العديد من الخدمات، أهمها:

1) التليفزيون بالاشتراك (Subscription Tv "STV"): وهي خدمة تليفزيونية توجه إرسالها إلى المشتركين .. وتكون لديهم أداة خاصة لفك الإشارات، واختيار البرامج المطلوبة منها.

2) نظام الدفع مقابل المشاهدة (Pay Per View "PPV"): وهو نظام يسمح للمشاهد بطلب مشاهدة مواد معينة بدون مغادرة المنزل .. وتوجد طرق متعددة للدفع، منها الدفع مقابل اليوم الواحد، أو مقابل الحدث Event PPV، أو الدفع مقابل الأسبوع، أو الدفع مقابل عدد مرات المشاهدة.

3) نظام الفيديو المتاح حسب الطلب (Near Vidio on Demand "NVOD"): وفي هذا النظام تقوم شركات التليفزيون المدفوع ببث برامجها ومضامينها الفيلمية على قنواتها الخاصة في أوقات متفاوتة، بحيث تمكن المشاهدين من متابعتها في الوقت المناسب لهم .. ومعنى هذا أن المشاهد لا يستطيع مشاهدة البرامج في الوقت الذي يريده، ولكن في الوقت القريب منه، والذي تحدده الشركة.

4) نظام الفيديو حسب الطلب (Vidio on Demand "Vod"): وفي هذا النظام تقوم شركات التليفزيون المدفوع بتسجيل كل البرامج المتاحة لديها رقميًّا على موزع فيديو رقمي Digital Vidio Server، ثم تنشر هذه البرامج في قوائم شهرية، ويمكن هذا النظام المشاهد (المشترك) من مشاهدة البرنامج الذي يريده في الوقت المناسب له، بالإضافة إلى ذلك فإن المشاهد بإمكانه - وفقًا لهذا النظام - أن يشغل المادة الفيلمية، وأن يقدمها أو يرجعها، تمامًا كما لو كان يستخدم أجهزة الفيديو المنزلية.

البث الفضائي عبر الويب:

يعد الإنترنت وسيلة فقيرة لنقل إشارة مرئية ومسموعة ذات جودة عالية، مقارنة بوسائل البث الرقمية الحديثة الأرضية والفضائية، بالإضافة إلى أن سعر جهاز الاستقبال المرئي المسموع أقل من سعر أجهزة الكمبيوتر الشخصية، التي يتطلبها استقبال البث عبر شبكة الإنترنت. وهناك بعد آخر، لا يمكن إغفاله بالنسبة للبحث عبر الإنترنت (Web casting)،

ألا وهو التغطية، فبينما تتيح وسائل البث الإذاعي والتليفزيوني التقليدية تغطية شاملة للبلاد (لملايين المشاهدين والمستمعين في الوقت نفسه)، فإن شبكة الإنترنت لن تكون متاحة في الوقت نفسه إلا لبضع مئات أو آلاف من المستقبلين، ويتوقف ذلك بالطبع على سعة الخادم على الويب.

تتميز آلية البث عبر شبكة الإنترنت بظاهرتين مهمتين، قد تفتقر إليهما أنظمة البث التقليدية، وهما: الانتشار العالمي .. والتفاعلية الحقيقية .. والظاهرة الأولى واضحة؛ إذ بإمكان أي من المستمع أو المشاهد عبر شبكة الإنترنت اختيار مئات بل آلاف القنوات المرئية والمسموعة من جميع أنحاء العالم وهو في مكانه بكل اللغات المتاحة.

والظاهرة الثانية، وهي عملية التفاعل بين المرسل والمستقبل، فتعني إمكانية الحصول على المعلومة وإرسالها إلى أي موقع آخر أو شخص آخر على الشبكة.

وقد أتاح البث عبر الويب وجود ما عرف بالمضمون التفاعلي، الذي يمكن المشاهدين من التنقل بين الوسيلتين (التليفزيون والإنترنت) بسهولة، ويتيح تليفزيون الويب (Web TV) – الذي أنتجته مايكروسوفت – صورة داخل صورة، والتي تتيح مشاهدة التليفزيون في قطاع من الشاشة، ومشاهدة الإنترنت في الجزء الآخر.

البث التليفزيوني الرقمي:

يعتبر نظام البث التليفزيوني الرقمي الأرضي أحد تقنيات البث الحديثة، التي انتشرت بشكل متسارع في كثير من بلدان العالم. ويعود الفضل في تطوير هذه التقنية إلى البروفيسور (أولريش رايمر)؛ لإيجاد نظام عالمي موحد للتليفزيون الرقمي، بدأه في عام 1993، وحقق نجاحًا باهرًا، ويمتاز البث الرقمي بآلاف الخدمات الجديدة التي تقدم للمشاهدين والمستمعين، وأنه أكثر كفاءة من التناظري Analogue؛ الأمر الذي يجعله قادرًا على توفير مساحة إلى ست قنوات، في حين أن الأخير يوفر قناة واحدة فقط .. والبث الرقمي يوفر صورة أكثر وضوحًا، وصوتًا أكثر نقاء وجودة، وبالتالي يمنح قدرًا أكبر من التفاعل مع قنوات البث، ويستفيد التليفزيون والراديو من التكنولوجيا الرقمية؛ حيث يقدم للمشاهد والمستمع صورة وصوتًا أكثر وضوحًا ونقاءً، وخالية من أي تشويش أكثر من ذي قبل.

لقد أصبح حلول التليفزيون الرقمي محل التليفزيون التناظري اتجاهًا للثورة الثالثة لصناعة التليفزيون، التي انطلقت في فرنسا في نهاية مارس 2005، وتستقبل هذه التقنية بواسطة صندوق صغير يركب بين هوائي الاستقبال الأرضي وجهاز التليفزيون العادي .. ولقد عقد التليفزيون صلحًا دائمًا مع الحاسبات الشخصية وشبكة الإنترنت؛ ليصبح الصندوق واحدًا والشاشة واحدة .. ولوحة المفاتيح هي الريموت كونترول.

التليفزيون التفاعلي:

فالحاسب الشخصي والتليفزيون جهازان يتعاملان - بالأساس - مع بيانات ومعلومات على شكل إشارات أو نبضات كهربية، والحاسب لديه القدرة على تخزينها واسترجاعها، وفقًا لتطبيقات وبرامج معينة، بالطريقة التي يريدها المستخدم .. وهنا سيكون المستخدم مشاركًا إيجابيًّا، يحدد شكل ونوع المعلومة التي تعرضها الشاشة. أما التليفزيون فهو لديه القدرة فقط على استقبال المعلومات، وعرضها في اللحظة نفسها، كما هي دون تدخل، وهكذا ظل التليفزيون جهازًا غير قادر على تخزين واسترجاع المعلومات والبيانات، بينما ظل الحاسب بعيدًا عن استقبال وتخزين المعلومات التليفزيونية التي تبث على الهواء.

ساعدت هذه الفروق وغيرها، على جعل كل منهما في طريق، إلى أن ظهرت تطورات تكنولوجية جعلتهما يلتقيان معًا في نقطة واحدة. وفي هذه الثورة التكنولوجية قام العلماء بإضافة خطوتين جديدتين قبل بدء عملية الإرسال، هما الترقيم والضغط، بحيث أصبحت طريقة البث التليفزيوني تتم بتحويل صوت وصورة المذيع مثلا من ضوء وصوت إلى سيل متماثل متصل من النبضات الكهربية، تم تكويدها رقميًّا، بالطريقة نفسها التي تتم عند تخزين البيانات على الحاسب، ثم ضغطها بشدة؛ لكي يقل حجمها، ويسهل نقلها وتخزينها بعد ذلك، ثم تحميلها على الموجات الحاملة، لتتم عملية الإرسال بشكل عادي .. وعندما تصل هذه الإشارات إلى التليفزيون في المنازل، يقوم الجهاز المنزلي بفصل الموجات عن المعلومات الحاملة؛ للحصول على المعلومات الرقمية الواردة إليه. وهنا يكون الأمر قد اختلف جذريًّا عما كان في حالة التليفزيون العادي؛ لأن التليفزيون في هذه الحالة يستقبل معلومات جرى تكويدها وترقيمها في محطات الإرسال بطريقة إعداد البيانات نفسها؛ للتخزين على الحاسب الشخصي؛ الأمر الذي أدى إلى توافر أساس موحد، يسمح لجهاز التليفزيون بالتعامل مع

المعلومات أو المواد المذاعة بطريقتين؛ الأولى: باعتباره حاسبًا شخصيًّا كامل المواصفات .. والثانية: التعامل معها باعتباره تليفزيونًا عاديًّا .. ومن هنا ظهر للوجود التليفزيون التفاعلي، أي الذي يسمح بأن يتفاعل معه المشاهد بالأخذ والرد، ولا يجلس فقط لمجرد المشاهدة .. فهو يستقبل معلومات، ويستطيع أيضا أن يرسل معلومات أخرى، سواء لجهاز التليفزيون فقط أو لمحطة الإرسال أو لجهة أخرى ثالثة .. ويوجد حاليًا ملايين المنازل في جميع أنحاء العالم، بها خدمات التليفزيون التفاعلي.

وبناء على الأسس التي وضعها العلماء لبرامج الحاسب مع التليفزيون، يكون جهاز التليفزيون التفاعلي مكونًا في نظام متكامل متلاحم، فيه تكنولوجيات الاتصال مع المعلومات مع الإلكترونيات مع الشبكات .. لذا يتكون التليفزيون التفاعلي من:

1) الجهاز الموجود بالمنزل.

2) الجزء الموجود في محطة الإرسال على النحو التالي:

أولا: الجهاز الموجود في المنزل: ويتكون من قسمين؛ القسم الأول: قسم الحاسب، وهو الذي يضم مكونات الحاسب الشخصي الداخلة في النظام، وهو الجزء المسئول عن استقبال البث التليفزيوني والمعلومات والمحتوى القادم من محطة الإرسال في شكل رقمي، ثم إعادة بث المعلومات من الجهاز إلى أي جهة أخرى خارج المنزل .. وهذا الجزء يسمى الصندوق الفوقي أو العلوي .. ويمكن أن يأتي منفصلا عن جهاز التليفزيون، ويتم توصيلهما معًا عن طريق الكابلات، أو يتم تثبيته داخليًّا بجهاز التليفزيون أثناء التصنيع، ويحتوي على ذاكرة وقرص صلب؛ ليمكن من تسجيل البرامج .. ويستقبل الصندوق الفوقي الإشارات الرقمية المشفرة أو غير المشفرة المضغوطة من مصادر البث (القمر الصناعي، والمحطات المحلية، والكابلات)، ثم يقوم الصندوق بفك الشفرة وفك الضغط، ويقوم بتحويل الإشارات الرقمية الواردة إلى إشارات تماثلية، وعرضها على شاشة الجهاز .. ويتضمن الصندوق الفوقي وحدة لتخزين المعلومات، تتشابه مع وحدات التخزين الموجودة بالحسابات عالية الكفاءة .. كما يوجد به نظام مثل الموجود في الحاسب الشخصي.

وهو يعمل كبوابة وسيطة بين التليفزيون وأي حاسب شخصي، ويقوم الصندوق الفوقي بعدة مهام هي: استقبال البث التليفزيوني العادي .. أو العمل كمودم لتوصيل التليفزيون

بشبكة الإنترنت، أو العمل كمنصة ألعاب. أو العمل كدليل برامج إلكترونية، يتولى عرض جميع العبارات المتاحة على الشبكة؛ ليتمكن المستخدم من انتقاء ما يناسبه من برامج، وتحديد جدول عرضها الزمني وفقًا لمتطلباته الخاصة.

أما البرمجيات الموجودة في الصندوق الفوقي (القسم الكمبيوتري من التليفزيون التفاعلي)، فتشمل البرامج الوسيطة التي تشكل بنية أساسية براجحية، يمكن أن تعمل فوقها جميع التطبيقات، مثل (تطبيقات الإدارة والتحكم في برامج التصميمات التخيلية، وبرامج التفاعل المتبادل، وقاعدة المعلومات)، ويتم تحديث هذه البرامج أوتوماتيكيًّا من الشركة المقدمة للخدمة. أما البرمجيات الموجودة على الصندوق الفوقي، فهي البرامج التي يتعامل معها المشاهد مباشرة، مثل برامج البحث عن القنوات والمواد والبرامج التليفزيونية المختلفة، وبرامج تشغيل شبكة الإنترنت عبر التليفزيون، وغيرها.

والقسم الثاني في الجهاز الموجود بالمنزل: القسم التليفزيوني، يمثل الجزء التليفزيوني العادي، حيث يضم مكثفات وسماعات وشاشة وغيرها، ويمكن تلقي الإسال من الصندوق الفوقي المباشر حسب رغبة المشاهد، وهو يعمل كشاشة للجزء الكمبيوتري من النظام، حيث تعرض عليه واجهات المواقع والصفحات التي يدخل عليها المشاهد على شبكة الإنترنت، وغير ذلك.

ويوجد مع الجهاز ريموت كونترول (جهاز التحكم عن بعد)، وهو يشبه الريموت كونترول العادي، مع شيء من التطوير في القدرات والوظائف؛ فهو يتيح اختيار البرامج المطلوب مشاهدتها، وذلك من خلال مجموعة من القوائم المنسدلة، والتي تظهر للمشاهد على الشاشة، والتنقل بينها عبر استخدام الأسهم، والضغط على زر (موافق) لينتقل إلى الاختيار التالي.

ثانيًا: الجزء الموجود في محطة الإرسال:

وبناء على تقنية التليفزيون التفاعلي، تقوم محطات الإرسال بتطوير تقنيتها لكي تعمل مع هذه النوعية من التليفزيون، وذلك يتطلب أن يكون بالمحطة قسم تليفزيون يعمل بنظام البث الرقمي للإرسال، من أستوديوهات تبث رقميًّا على الهواء، أو من شرائط رقمية مسجلة، كما تكون المحطة مجهزة بكاميرات وإضاءة وغيرها من مستلزمات البث التليفزيوني.

ويوجد كذلك قسم معلوماتي بالمحطة، يتعامل مع المحتوى الذي يتم من خلاله تقديم خدمات المعلومات المختلفة للمشاهد، ويضم قاعدة مخزن عليها البرامج والمعلومات التي يحتاج إليها المشاهد في صورة رقمية وحاسب خادم Server، يعمل كنقطة وصل وربط بين قاعدة البيانات والمشاهدين في كل مكان.

كما يتطب الأمر تواجد شكة معلومات قوية داخل محطة البث، يتم من خلالها التنسيق بين ما يتم بثه بشكل تليفزيوني حي على هيئة صوت وصورة، وما يتم استرجاعه من قاعدة البيانات على أي هيئة يطلبها المشاهد.

خدمات التليفزيون التفاعلي:

بالرغم من التطور المشهود، والذي حدث في برامج التليفزيون، إلا أن القرار النهائي يظل في يد معد البرامج ومخرجه، ولكن الأمر يختلف تمامًا في التليفزيون التفاعلي؛ حيث يتيح العديد من المزايا؛ كالمشاركة في برامج المسابقات، ويجد المشاهد نفسه أمام جهاز فيديو تحت الطلب، والتواصل بين المشاهدين، فيما يشبه خدمات الدردشة على الإنترنت، وغيرها من المزايا التي تتضح يومًا بعد يوم.

1) خدمة الفيديو تحت الطلب: حيث يتيح فرصًا كثيرة للمشاهدين لتسجيل البرامج المفضلة وقت إذاعتها، ومشاهدتها في أي وقت في المنزل، دون الذهاب لمحلات الفيديو لاستئجار أفلام وشرائط لعرضها على جهاز الفيديو، بل سيتم إرسالها من قبل الخادم Server عبر وصلة الكابل أو الأقمار الصناعية.

2) خدمة التليفزيون التجاري: فالتجسيد الحالي للتليفزيون التفاعلي تقوده الاقتصاديات؛ لأن الهدف المبدئي لشبكات التليفزيون التجاري، هي حث المشاهد على مشاهدة رسائل المعلنين، فإنه ليس من مصلحتهم الاقتصادية تحويل اهتمام المشاهدين إلى الأنشطة التفاعلية، ما لم يتم الحصول على عائد إضافي من تلك الأنشطة .. بمعنى أنه فرع من فروع التليفزيون التفاعلي، يتم من خلال تطبيقات التجارة الإلكترونية عبر التليفزيون، وهو يتيح للمشاهد شراء البضائع التي يشاهدها في التليفزيون بشكل جديد، حيث يمكن مثلا عمل جولة في أي محل (ملابس)، وتقوم الكاميرا بالتحرك في جميع الاتجاهات عبر الريموت كونترول، إلى أن يستقر على إحدى السلع؛ حيث يمكن الضغط على صورتها بالاطلاع على تفاصيل عنها؛ كنوع الأقمشة والمقاسات والألوان والأسعار ... إلخ.

3) خدمة الإعلانات؛ حيث يعتمد التليفزيون التفاعلي – في تقديم الإعلانات – على دفع المستهلك لمعرفة المزيد من المعلومات عن السلع، وتمر الدعاية أمام المشاهد أثناء مشاهدته العرض دون انقطاع أو توقف لمادة العرض، وإذا أراد المشاهد معرفة المزيد عن السلعة، فعن طريق الريموت كونترول يتم ذلك.

4) خدمة دليل البرامج الإلكتروني: وهي الخدمة التي تتيح للمشاهد عبر التليفزيون التفاعلي، اختيار برامج التجول بين القنوات المختلفة، كما تتيح إمكانية الدفع مقابل البرامج التي يختارها.

5) خدمة دردشة على الهواء مباشرة، عن طريق إحداث اندماج بين خدمتي التليفزيون والتليفون، وتسجيل رسائل بريدية صوتية .. وهناك خدمات أخرى للتليفزيون التفاعلي غير ما سبق عرضه.

البث الفضائي العربي:

يقع الوطن العربي في مجال بث العديد من أقمار الاتصالات والبث المباشر؛ نظرًا لوضع المنطقة العربية في قلب العالم تقريبًا؛ مما يمكنها من التقاط بث العديد من الأقمار .. فقد فرض الواقع التكنولوجي الجديد بصماته على العالم العربي، فحذا حذو الدول الأخرى، وأنشأ (المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية – عرب سات)، والتي تولت إطلاق أربعة أجيال من الأقمار الصناعية، بالإضافة إلى إنشاء العديد من القنوات الفضائية العربية، حيث أصبح لكل دولة عربية قناة فضائية واحدة على الأقل، كما أن بعضها يبث عدة قنوات فضائية، وفيما يلي عرض لوضع البث الفضائي في المنطقة العربية.

1) المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عرب سات):

Arab Satellite Communications Organisation

تم إنشاؤها في 14 أبريل 1976، وهي منظمة متخصصة في مجال الاتصالات الفضائية، وتتبع جامعة الدول العربية، وتتمتع بشخصية قانونية اعتبارية مستقلة، وتهدف إلى تصميم وتنفيذ وتشغيل نظام فضائي عربي؛ لتقديم خدمات الاتصالات الفضائية للأعضاء، منها

خـدمات الاتـصال التليفزيـوني والبـث التليفزيـوني التنـاظري الرقمـي، وتبـادل الـبرامج التليفزيونية، وخدمات الإنترنت ومجالات الأعمال .. ويقع المقر الرئيس للمؤسسة في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، في منطقة ديراب، وتقع محطة التحكم الاحتياطية في العاصمة التونسية تونس.

وتمتلك المؤسسة أربعة أجيال من الأقمار الصناعية .. وأول أقمار الجيل الأول أطلق في 8 أبريل 1985، وتكلف 270 مليون دولار، وسعته 25 قناة قمرية للبرامج التليفزيونية .. وفي 18 يونيه 1985 تم إطلاق ثاني أقمار الجيل الأول .. وفي 26 فبراير 1992 تم إطلاق ثالث أقمار الجيل الأول .. وتم شراء القمر الصناعي الكندي، الذي سبق استخدامه، وأطلق عليه القمر الصناعي العربي الرابع من سلسلة أقمار الجيل الأول.

وتـم إطلاق أول أقمار الجيل الثاني عرب سات في 1991/7/9، وتـم إطلاق ثـاني أقـمار الجيـل الثـاني في 1996/11/13، وتـم إطـلاق ثالـث أقـمار الجيـل الثـاني في 27 أغـسطس 1977.

ويضم هذا القمر عشرين قناة مخصصة للبث التليفزيوني المباشر، وتستطيع كل قناة أن تحمل عددًا متزايدًا من القنوات، يصل إلى عشر قنوات، باستخدام تقنية الضغط الرقمي.

وقامت مؤسسة عرب سات بإطلاق أول أقمار الجيل الرابع في 9 نوفمبر 2006، ويحمل 12 قناة، وبذلك توفر عرب سات تغطية جغرافية لأكثر من مائة دولة في الشرق الأوسط وإفريقيا ومعظم أنحاء أوربا.

كما أطلقت أول أقمار الجيل الخامس في نهاية عام 2009، وثاني أقمار الجيل الخامس أيضا في أوائل عام 2010.

ويعمل ضمن نظام عرب سات عدة محطات أرضية للخدمات الإقليمية، وهي دولة البحرين والأردن في سبتمبر 1985، والكويت والسعودية وسلطنة عمان في أكتوبر 1985، والجزائر في نوفمبر 1985، وتونس واليمن في ديسمبر 1985، وجيبوتي في يناير 1986، وموريتانيا في فبراير 1986، والإمارات في يونيو 1986، وقطر في يوليو 1986، والمغرب في سبتمبر 1986، والسودان في سبتمبر 1987، وسوريا في 1988، والعراق في سبتمبر

1989، ومصر ولبنان في نوفمبر 1990 .. ولا توجد محطة أرضية للتعامل مع نظام عرب سات في ليبيا؛ حيث إنها تلجأ لاستعمال المحطة الأرضية في تونس.

2) القنوات الفضائية المصرية الحكومية:

قامت مصر باستئجار إحدى قنوات القمر الصناعي العربي عرب سات؛ لبث إرسال القناة الفضائية المصرية، وتعد هذه القناة باكورة القنوات الفضائية العربية، وبدأ البث الرسمي للقناة في 12ديسمبر 1990، بافتتاح الرئيس المصري لأستوديو مبنى ماسبيرو، وتعتبر جزءًا من تنظيم اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري.

وتعتبر قناة النيل الدولية (Nile Tv international) ثاني قناة فضائية مصرية، وبدأت إرسالها في 6 أكتوبر 1993 بمعدل ساعتين يوميًّا، زيدت إلى أربع ساعات مع الافتتاح الرسمي للقناة في 31 مايو 1994، ثم استقر الإرسال إلى 8 ساعات يوميًّا باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وأضيفت إليهما العبرية في 2002/1/1، ثم أنشئت القناة الفضائية المصرية الموجهة لأمريكا على مدى 24 ساعة يوميًّا. وتماشيا مع اختلاف احتياجات الجماهير، تم إنشاء عدد من القنوات التليفزيونية المتخصصة، بصدور قرار رئيس مجلس أمناء الاتحاد، بتاريخ 1997/6/1، بإنشاء قطاع النيل للقنوات المتخصصة، ويضم قنوات النيل للأخبار والرياضة والدراما والمنوعات، والأسرة والطفل، والثقافية، والتنوير .. وقنوات التعليم التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم، علاوة على قناة التعليم العالي، وقناة المنارة للبحث العلمي، وقناة النيل للمعلومات المرئية، وقناة مفتوحة تبث بعض المواد المختارة من برامج قنوات النيل المتخصصة.

3) القمر الصناعي المصري نايل سات:

أدى خروج مصر من دائرة الصف العربي إثر توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وتعليق عضويتها في العرب سات، إلى التفكير في إطلاق قمر صناعي مصرى .. وفي 31 مايو 1995 وقع الرئيس المصري وثيقة تكليف لاتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري، بالتحضير لصنع وإطلاق أول قمر صناعي مصري.

وقد تم إطلاق القمر المصري الأول نايل سات 101 (Nile sat 101) في 28 أبريل 1998، وبدأ تشغيل القمر في مقر منطقته بمدينة السادس من أكتوبر يوم 31 مايو 1998،

وتم إطلاق القمر الصناعي المصري الثاني نايل سات102 (Nile sat 102) في 17 أغسطس 2000، وبدأ تشغيله في محطة القمر الصناعي بمدينة الحمام بالإسكندرية في 12 سبتمبر 2000.

ونظرًا للإقبال المتزايد على أقمار النايل سات، فقد اتفقت شركة النايل سات مع شركة اليوتل سات على نقل أحد أقمار يوتل سات (القمر 4 - Hot Bird 4) إلى الموقع المداري لنايل سات، وذلك في الربع الثاني من عام 2006؛ ليصبح القمر المصري الثالث (نايل سات 103-Nile sat 103)؛ بهدف تلبية احتياجات السوق في المنطقة العربية .. وبعد ذلك تم إطلاق القمر الصناعي المصري (نايل سات 201-Nile sat 201) في 2010/8/4.

4) القنوات الفضائية المصرية الخاصة:

شهد عام 2001 انطلاق أربع قنوات فضائية مصرية خاصة، وذلك في احتفالات عيد الإعلاميين الثامن عشر، وهي قنوات المحور باكورة القنوات التليفزيونية المصرية الخاصة خارج نطاق سيطرة اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري، ويمتلكها مجموعة من المساهمين، ويرأس مجلس إدارتها الدكتور حسن راتب، وقنوات دريم، ويمتلكها ويرأسها رجل الأعمال الدكتور أحمد بهجت، وقناة مصر السياحية، وتعود ملكيتها إلى شركة مصر سات السياحية، التي أسستها المخرجة فريدة عرمان، والمهندس علي إسماعيل رئيس مجلس إدارة القناة .. وقناة تميمة، إحدى قنوات التسويق عبر التليفزيون، التي تتخذ من مصر مقرًّا لها، وتتبع ماليًّا وتجاريًّا شركة تميمة التجارية للتسوق عن بعد.

وبالإضافة إلى ذلك، أطلقت مجموعة أخرى من القنوات التليفزيونية الخاصة المصرية، ومنها قنوات ميلودي في عام 2003، ويمتلكها عدد من رجال الأعمال، ويرأس مجموعة القنوات رجل الأعمال جمال أشرف مروان، وقنوات مزيكا، وتمتلكها شركة عالم الفن للإنتاج في أول أبريل 2003، وزوم الموسيقية عام 2006 للشركة نفسها، التي يرأس مجلس إدارتها رجل الأعمال والمنتج الفني محسن جابر ومجموعة من الفنانين المصريين .. وقناة OTV في 31 يناير 2007، ويرأس مجلس إدارتها المهندس نجيب ساويرس .. وقناة Modern tv في 5 / 5 / 2007، ورئيس مجلس إدارتها الدكتور نبيل دعبس .. وقناة Modern Sport في أغسطس 2007، وهي أول قناة رياضية مصرية خاصة غير مشفرة.

5) القنوات الفضائية العربية الحكومية:

تمتلكها وتديرها الحكومات العربية، كما تتولى عمليات الإشراف البرامجي والتمويل؛ لتعبر عن سياساتها، وتتواجد من خلالها على الساحة الإقليمية والدولية .. ولا يكاد يخلو قطر عربي من امتلاك قناة فضائية حكومية واحدة على الأقل، وتمتلك معظم الدول العربية أكثر من قناة، كما يمتلك بعضها منظومة قنوات فضائية حكومية، تضم العديد من القنوات العامة والمتخصصة، مثل: مصر كما سبق عرضه، والإمارات والسعودية والكويت والبحرين وغيرها.

وبالرغم من كثرة أعداد القنوات الفضائية الحكومية العربية، إلا أنها لا تحتل مراكز متقدمة في قائمة اهتمامات المشاهدين العرب، وعادة ما تأتي بعد القنوات الفضائية العربية الخاصة – التي سيأتي فيما بعد الإشارة إليها – بالنسبة لتفضيل الجمهور العربي؛ وذلك بسبب استخدام الأنظمة العربية لتلك القنوات الفضائية الحكومية، كبوق للدعاية للنظام الحاكم في المقام لأول، كما لا تتعدى القناة الفضائية الحكومية كونها امتدادًا للقناة الأرضية للدولة؛ الأمر الذي يؤثر في ضعف مصداقيتها لدى الجمهور العربي، وتتسم المضامين المقدمة عبرها بضيق هامش الحريات؛ مما يجعلها قاصرة عن تلبية احتياجات المواطن العربي في ظل ثورة المعلومات، وتعدد القنوات الفضائية العربية الخاصة.

6) القنوات الفضائية العربية الخاصة:

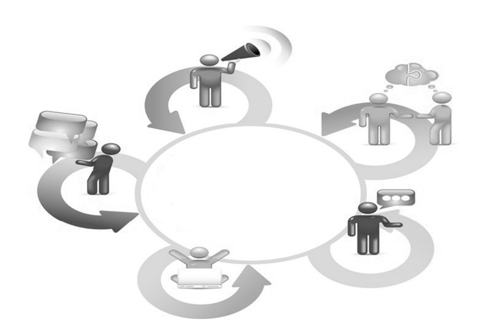
انطلقت إلى الفضاء مئات القنوات الفضائية العربية الخاصة التي تمتلكها وتديرها رءوس الأموال العربية، ووصل عددها إلى أكثر من 300 قناة فضائية، بالإضافة إلى الظهور المستمر لشارات البث التجريبي لقنوات جديدة .. ولقد استطاعت العديد من القنوات الفضائية العربية الخاصة جذب اهتمام المشاهد العربي، بعد أن حركت المياه الراكدة في مجال الإعلام الفضائي العربي؛ نظرًا لما تتمتع به من هامش أوسع للحرية؛ مما يمكنها من مناقشة العديد من القضايا التي تمس مصالح الجمهور العربي واهتماماته، والتي كانت من الموضوعات الممنوعة والمحرمة في ظل الإعلام الحكومي الرسمي.

وقد ارتبط تعدد القنوات الفضائية العربية الخاصة، بنشأة مدن الإنتاج الإعلامي العربي، وتطورها في الدول التي تسمح قوانينها بإطلاق القنوات الفضائية الخاصة، كما هو الحال في

مدينة الإنتاج الإعلامي بالقاهرة ودبي وعمان، بالإضافة إلى التسهيلات الضخمة التي توفرها مدن البث والإنتاج الإعلامي العربية لأي مستثمر يرغب في الانضمام إلى أثير الفضاء العربي، وما يرتبط بذلك من انخفاض أسعارها؛ مما يدفع رءوس الأموال العربية إلى الاستثمار الفضائي.

وبالرغم من تعدد القنوات الفضائية الخاصة، وتزايدها بشكل مستمر، إلا أن الكثير منها – على حد قول عدد من الخبرء المتخصصين – لا يمثل إعلامًا حقيقيًّا؛ حيث يهدف معظمها إلى الشهرة، واستثمار الأموال في مشروعات سهلة ومربحة، كما تدعم الشخصيات السياسية والحزبية والمؤسسات التجارية أعمالها، من خلال إطلاق الفضائيات، وتستغل الأحداث السياسية التي تموج بالعالم العربي ومناخ الانفتاح الإعلامي في بعض الدول العربية.

ولعل وصف البعض للمشهد الفضائي العربي بسوق عكاظ الفضائي، أصدق وصف لحالة الفضائيات العربية حاليًا؛ فقد تسابقت الدول العربية (حكومات وأفراد) لإطلاق القنوات الفضائية، حتى أصبح عد القنوات التليفزيونية يعجز المشاهد عن متابعتها، وتجعل من العسير القيام بعملية حصر دقيقة لها، باستثناء القنوات الحكومية؛ حيث نجد عددًا منها يشرع في بث شاراتها أو في البث التجريبي ثم تختفي تمامًا دون سابق إعلام، أو يتم وقفها دون تقديم مبرر .. وقنوات تليفزيونية أخرى تظهر تحت مسمى معين، ثم يتغير هذا المسمى، وتواصل البث دون أي إشارة لذلك .. إضافة إلى ندرة المعلومات المتعلقة بهوية القنوات، سواء في المجلات المتخصصة، أو في مواقعها على الإنترنت، التي كثيرًا ما نجد عبارة غير جاهزة الآن ... إلخ؛ مما يؤكد أنها موضة أكثر منها إعلامًا حقيقيًّا .. وكل ذلك وغيره كثير، جعل المشاهد أمام خيارات عديدة ومحيرة، وزادت عليه الأعباء التقنية والمالية في متابعة هذه الخيارات.



قائمة المصادر والمراجع

- **إبراهيم إمام (دكتور):**

- وكالات الأنباء (القاهرة، دار النهضة العربية 1972).
- وكالات الأنباء المعاصرة (القاهرة، دار الفكر العربي 2006).
- أصول الإعلام الإسلامي (القاهرة، دار الفكر العربي 1985).
- الإعلام والاتصال بالجماهير (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1975).
- فن الإخراج الصحفي (القاهرة، الأنجلو المصرية 1957).
- دراسات في الفن الصحفي (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1972).

- **إبراهيم عبده (دكتور):**

- دراسات في الصحافة الأوربية تاريخ وفن، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول 1951.

- **إجلال خليفة (دكتورة):**

- الصحافة مقروءة مرئية مدرسية مسجدية تجارية إدارية (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، 1976).
- الوسائل الصحفية وتحديات المجتمع الإسلامي المعاصر (القاهرة، الأنجلو المصرية 1980).

- أحمد قاسم جودة (ترجمة) وراء الأخبار ليلا ونهارًا (القاهرة 1965).

- **إحسان عسكر (دكتورة):**

- الصحافة العربية في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان (القاهرة مؤسسة سجل العرب 1982).

- **أشرف محمود صالح (دكتور):**

- الطباعة وتيبوغرافية الصحف (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 1984).

- **إلهامي حسن:**

– محمد طلعت حرب رائد صناعة السينما المصرية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986).

- **إميل بوفان:**

– تاريخ الصحافة (ترجمة محمد إسماعيل محمد) القاهرة،، الدار المصرية للطباعة والنشر، الألف كتاب 180) بدون تاريخ.

- **أيمن العشري:**

– المرجع في أساسيات وأسرار شبكة الشبكات الإنترنت (القاهرة، مكتبة الفيروز، بدون تاريخ).

- **بشير العوف:**

– الصحافة، تاريخًا، وتطورًا، وفنًّا ومسئولية (بيروت، المكتب الإسلامي، 1987).

- **تشاندلر جرانيس:**

– نشر الكتاب فن (ترجمة حبيب سلامة) القاهرة، دار النهضة العربية، 1965.

- **توماس بيري:**

– الصحافة اليوم، تطورها وتطبيقاتها العلمية (ترجمة مروان الجابري، بيروت، مؤسسة بدران وشركاه عام 1964).

- **ثروت مكي:**

– الإعلام والسياسة – وسائل الاتصال والمشاركة السياسية (القاهرة، عام 2005).

- **جون فلوهرتي:**

– قصة التليفزيون (ترجمة أسعد نجار) (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر 1959).

- **جيهان أحمد رشتي (دكتورة):**

– الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربي 1975.

- النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، دراسة في الإعلام الدولي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1978).
- النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية (القاهرة، دار الفكر العربي، 1979).

- **حسن عماد مكاوي (دكتور) وليلى حسين السيد (دكتورة):**

- الاتصال ونظرياته المعاصرة (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط5، عام 2004).

- **حسن عماد مكاوي وعادل عبد الغفار:**

- الإذاعة في القرن الحادي والعشرين، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008.

- **حسن الصيفي:**

- الفضائيات العربية في عصر العولمة، القاهرة، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع 2010.

- **حمدي حسن (دكتور):**

- مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال (القاهرة، دار الفكر العربي، 1987).

- **حسنين شفيق:**

- تكنولوجيا الوسائط المتعددة (القاهرة 2010).

- **خالد أحمد يوسف:**

- الصحافة السعودية، تاريخها وتطورها (ملحق المجلة العربية السعودية، مارس 1986).

- **خالد محمد غازي:**

- الصحافة الإلكترونية العربية، وكالة الصحافة العربية 2010.

- **خليل صابات (دكتور):**

- وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، عام 1982).
- وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط9 عام 2001).

- الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم (القاهرة، دار المعارف المصرية، ط2، عام 1967).
- تاريخ الطباعة في الشرق العربي (القاهرة، دار المعارف المصرية، ط2، عام 1966).
- قصة الطباعة (القاهرة، مكتبة الهلال، عام 1957).

• **دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر:**
- الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة، دار الشعب، ط2، عام 1972).

• **رامي محمد عبود داود:**
- الكتب الإلكترونية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008.

• **رشاد كامل:**
- طلعت حرب ضمير وطن (القاهرة، سوزانا للنشر 1993).

• **رضا عبد الواحد:**
- الصحافة الإلكترونية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع 2007.

• **زكي رمضان محمد القرامان:**
- الإعلام الإسلامي في العهد الأموي، رسالة ماجستير خطية مقدمة لقسم الإعلام بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1402هـ.

• **سعد لبيب:**
- دراسات في الفنون الإذاعية (بغداد، وزارة الإعلام العراقية، معهد التدريب الإذاعي في التليفزيون، 1973).

• **سعيد محمد السيد (دكتور):**
- إنتاج الأخبار في الراديو والتليفزيون (القاهرة، عالم الكتب 1988).

- **شريف درويش اللبان (دكتور):**
- الصحافة الإلكترونية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2007.

- **شريف درويش اللبان، ومحمود خليل:**

- اتجاهات حديثة في الإنتاج الصحفي (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، سنة 2000).

- **صالح أبو إصبع:**

- إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي (دمشق، ط1، عام 1984).

- **صليب بطرس (دكتور):**

- إدارة الصحف (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1974).

- **عباس مصطفى صادق:**

- الصحافة الإلكترونية، الدار العربية للعلوم 2007.

- **علي عجوة وآخرون (دكتور):**

- مقدمة في وسائل الاتصال (جدة، مكتبة مصباح 1989).

- **عبد الأمير الفيصل:**

- بحث في مؤتمر صحافة الإنترنت في العالم العربي، جامعة الشارقة، نوفمبر 2005.

- **عبد العزيز الغنام (دكتور):**

- مدخل في علم الصحافة، الجزء الأول، الصحافة اليومية (القاهرة، الأنجلو المصرية، ط2، عام 1977).

- مدخل في علم الصحافة، الجزء الثاني والثالث، الصحافة الإذاعية (القاهرة، الأنجلو المصرية، 1983).

- **عبد الفتاح مراد:**

- موسوعة مصطلحات الكمبيوتر والإنترنت إنجليزي / عربي (الإسكندرية، ط4، عام 1968).

- **عبد اللطيف حمزة:**

- المدخل في فن التحرير الصحفي (القاهرة، دار الفكر العربي، ط4، عام 1968).

- أزمة الضمير الصحفي (القاهرة، دار الفكر العربي، عام 1960).
- الإعلام والدعاية (القاهرة، دار الفكر العربي، ط2، عام 1978).

- **عبد الله النويسي:**

- الإعلام والتنمية الوطنية في دولة الإمارات العربية (أبو ظبي 1981).

- **عثمان حافظ:**

- تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية (جدة، شركة المدينة للطباعة والتوزيع، بدون تاريخ).
- مقدمة في وسائل الاتصال (جدة، مكتبة مصباح 1989).

- **عمر بن قفصية:**

- أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر 1972).

- **فائق فهيم:**

- التطور التاريخي للتليفزيون وموقعه بين وسائل الإعلام (الرياض، جهاز تليفزيون الخليج، سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية (1)، 1403هـ، 1983م).

- **فاروق أبو زيد (دكتور):**

- مدخل إلى علم الصحافة، (القاهرة، عالم الكتب 1986).
- فن الخبر الصحفي (جدة، دار الشروق، ط2، 1984).

- **فرنان ترو:**

- الإعلام، ترجمة محمد الغندور (بيروت، المنشورات العربية، بدون تاريخ).

- **فرانسوا تيرو – وبيار البير:**

- تاريخ الصحافة (بيروت المنشورات العربية، بدون تاريخ).

- **فوزية فهيم (دكتوره):**

- الفن الإذاعي (القاهرة، دار المعارف، سلسلة كتابك رقم 51).



• **الفيكونت فيليب دي طرازي:**

- تاريخ الصحافة العربية (أربعة أجزاء)، بيروت، المطبعة الأدبية (الجزءان الأول والثاني عام 1913، والجزء الثالث عام 1914، والجزء الرابع، بيروت، المطبعة الأمريكانية، 1933).

• **كريم السماوي:**

- رحلة مع الصحافة الكويتية (الكويت، دار الخليج للطباعة والنشر، 1984).

• **ماجي الحلواني (دكتورة):**

- الإذاعات العربية، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1982).
- مدخل إلى الإذاعات الموجهة، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1983).

• **المجالس القومية المتخصصة / المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام:**

- تقرير بعنوان (الطريق السريع الإلكتروني) في 2000).
- تقرير بعنوان (أخلاقيات الإعلام عام 2000).

• **محمد إسماعيل:**

- الكلمة المذاعة (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1960).

• **محمد خير الوادي:**

- دليل أجهزة الإعلام في العالم (بيروت، دار المسرة 1982).

• **محمد سيد محمد (دكتور):**

- صناعة الكتاب ونشره (القاهرة، دار المعارف 1983).

• **محمد عبد الحميد (دكتور):**

المدونات الإعلام البديل، عالم الكتب 2009.

• **محمد عبد القادر حاتم (دكتور):**

- الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1978).

• **محمد عبده يماني (دكتور):**

- أقمار الفضاء، غزو جديد (الرياض، جهاز تليفزيون الخليج، سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية عام 1984).

• **محمد عهدي فضلي:**

- الصحافة الإلكترونية الواقع والمستقبل القاهرة، بدون، 2009.

• **محمد فريد محمود عزت (دكتور):**

- وكالات الأنباء المعاصرة (القاهرة، دار الفكر العربي، 2006).
- وكالات الأنباء في العالم العربي (جدة، مكتبة العلم، الطبعة الأولى، 1983).
- وكالات الأنباء في العالم العربي (جدة، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1993).
- وكالات الأنباء في العالم العربي (القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2010).
- قاموس المصطلحات الإعلامية إنجليزي / عربي (جدة دار الشروق، الطبعة الأولى، 1984).
- القاموس الموسوعي للمصطلحات الإعلامية إنجليزي / عربي (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع عام 2002).
- بحوث في الإعلام الإسلامي (جدة، دار الشروق 1983).
- دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية (جدة، دار الشروق، 1984).
- وسائل الإعلام السعودية والعالمية (جدة، دار الشروق 1990).
- الأخبار الصحفية، أصول جمعها وكتابتها (القاهرة، الناشر المؤلف، الطبعة الثانية، عام 2000).

- الأخبار الصحفية، أصول جمعها وكتابتها (القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، عام 2010).
- تاريخ الصحافة المصرية (القاهرة، الناشر المؤلف، 2003).
- وسائل الاتصال الجماهيرية (القاهرة، 2009).

- **محمد موفق الغلاييني:**
- وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة (جدة، دار المنار للنشر والتوزيع 1985).

- **محمود علم الدين (دكتور):**
- مدخل إلى الفن الصحفي، القاهرة، بدون، 2001.
- تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 1990).
- مقدمة في الصحافة الإلكترونية (القاهرة. دار السحاب. 2008).

- **محمود محمد الطناحي (دكتور):**
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي (القاهرة، مكتبة الخانجي 1984).

- **محيى الدين عبد الحليم (دكتور):**
- الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980).

- **مختار التهامي (دكتور):**
- الصحافة والسلام العالمي (القاهرة 1964).

- **مرعي مدكور (دكتور):**
- محاضرات في الصحافة العربية (القاهرة، بدون ناشر وتاريخ).

- **مصطفى الدميري (دكتور):**
- الصحافة في ضوء الإسلام (مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي 1988).

- **ميشال الغريب (دكتور):**
- الصحافة اللبنانية والعربية (بيروت، الناشر المؤلف، 1982).
- **هبة شاهين:**
- التليفزيون الفضائي العربي (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 2008).
- **هيثم فهمي:**
- رحلة الشبكة الدولية الإنترنت (القاهرة، الحسيني للكمبيوتر ونظم المعلومات، 1996).
- **وارن آجي وآخران:**
- وسائل الإعلام صحافة، إذاعة، تليفزيون "ترجمة ميشيل تكلا" (القاهرة مكتبة الوعي العربي، 1984).
- **والتر كينجستون وآخران:**
- الإذاعة بالراديو والتليفزيون "ترجمة نبيل بدر" (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر).
- **وليم الميري:**
- الأخبار مصادرها ونشرها، (القاهرة 1968).
- **يحيى بسيوني مصطفى وعادل الصيرفي (دكتور):**
- التليفزيون الإسلامي ودوره في التنمية (الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1985).
- **يوسف مرزوق:**
- المدخل إلى حرفية الفن الإذاعي (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975).
- **The Europa World Year Book (2006).**

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**